

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 44 DECEMBER - JANUARY 1981.

العدد (٤٤) ـ صفر ١٤٠١ هـ السنة الرابعة ـ كانون الأول (ديسمبر)/كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم



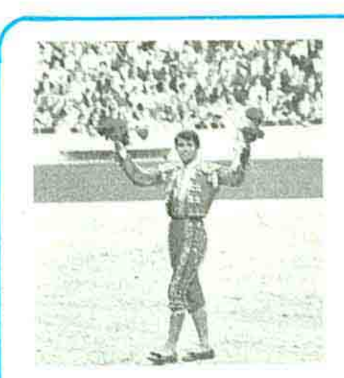
رئيس التحرير
علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

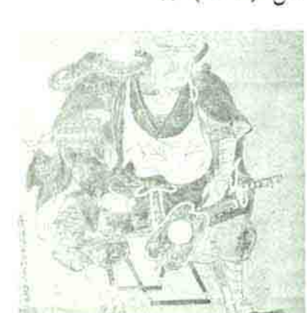
العدد (٤٤) صفر ١٤٠١هـ السنة الرابعة كانون الأول (ديسمبر)/كانون الثاني (يناير) ١٩٨١م

هذا العدد

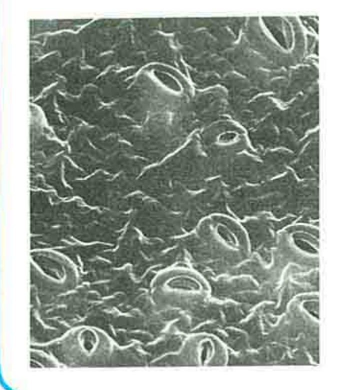
★ تعتبر مصارعة الثيران في إسبانيا رياضة شعبية مثل كرة القدم عند سائر الشعوب لها عشاقها من الوطنيين ومن أصقاع العالم، أهي رياضة ذات دلالة طقسية أم مأساة تنتهي بانتهاء فصولها الثلاثة، إما بموت الثور أو المصارع؟ كيف نشأت.. وكيف يعد لها؟ طالع ص (١٠٩) ★



★ تلعب موضوعات الفروسية والحواجز ذات النقوش الفريدة، ومناظر الطبيعة الخلابة، دوراً هاماً في روائع الفن الياباني التقليدي، من القرن السابع عشر، حتى القرن التاسع عشر. وساعدت هذه الروائع الفنية ذات الخطوط المتباينة اللغة اليابانية في رسم حروفها، كيف تمت هذه الصلة؟ وكيف تجمع هذا الفن من كل حدب وصوب ليكوّن فناً يابانياً؟ طالع ص (١١٨) ★



★ الأحياء صناديق مقفلة عجيبة، وكل خلية تنبض بالحياة ظاهراً وباطناً وتسير في نسق معلوم. الإنسان، الحيوان، النبات، قصة داخل قصة، سر الخلق، وروعة الجمال، ودقة الصانع. بعضاً ندركه بأعيننا، وبعضاً لا ندركه إلا بالكشف الدقيق. إنها أسرار الحياة، ترى من أين جاءت الجسيمات لتكوّن الذرات، لتكوّن الخلايا، فالمخلوقات؟ طالع ص (١٢٣) ★





د. محمد عبد الوهاب خلاف

★ من مواليد القاهرة عام ١٩٣٧ م ـ مصر.

★ دكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة.

★ يجيد اللغتين: الانجليزية والفرنسية الى جانب اللغة العربية.

★ يعمل حاليا رئيسا لقسم الدراسات الاجتماعية بمعهدي التربية للمعلمين والمعلمات في الكويت.

★ له عدة مؤلفات مطبوعة.

★ عمل مدرسا بالتعليم العام بالقاهرة، فمعيدا ومدرس مساعد بكلية السياحة والفنادق، كما عمل محاضرا بكلية الآداب، جامعة وهران، بالجزائر.



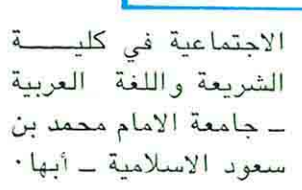
د. نبيل محمد توفيق السمالوطي

★ من مواليد الفيوم مصر عام ١٩٤١ م.

★ دكتوراه في علم الاجتماع.

★ عمل مدرسا لعلم الاجتماع في كلية البنات جامعة الازهر، ثم أستاذا مساعدا.

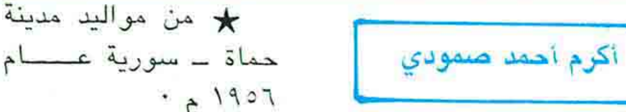
★ يعمل حاليا أستاذا مشاركا للعلوم الاجتماعية في كلية الشريعة واللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ أبها.



★ شارك في عدد من المؤتمرات التعليمية والتربوية.

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة.

أكرم أحمد صمودي



★ من مواليد مدينة حماة ـ سورية عام ١٩٥٦ م.

★ بكالوريوس آداب.

★ يجيد الفرنسية الى جانب العربية.

★ له ديوان شعر (مخطوط) وبعض الدراسات والمقالات المنشورة في الصحف العربية.

د. جميل مصطفى محفوظ

★ من مواليد مدينة حلب ـ سورية عام ١٩١٤ م.

★ دكتوراه ومجاز في التربية وعلم النفس.

★ دبلوم في التربية وعلم النفس، السوربون.

★ دبلوم معهد اللغات الشرقية الحية في باريس.

★ عمل في عدة كليات مدرسا، كما تولى مناصب ادارية في التعليم والتدريس وحاليا تفرغ (متقاعدا) للبحث والتأليف.

★ له كتابان بالفرنسية ومجموعة مقالات وبحوث.

محمد منذر لطفي



★ من مواليد مدينة حماة في سورية عام ١٩٣٥ م.

★ شهادة أهلية التعليم الابتدائي.

★ عمل مدرسا لمادة الادب العربي.

★ بعد تركه لحقل التدريس التحق بالكلية الجوية السورية ـ المعهد الجوي في حلب، ليعمل بعد التخرج طيارا في سلاح الجو العربي السوري فترة من الزمن.

★ تفرغ فيما بعد للقراءة، ونظم الشعر.

★ ترجمت بعض أعماله الشعرية الى بعض اللغات الاجنبية كالاسبانية.

★ فاز بعدة جوائز كان آخرها فوزه بالجائزة الاولى مع شاعر آخر في مسابقة الشعر التي نظمها اتحاد الكتاب العرب في سورية.

★ له خمسة دواوين مطبوعة، وأربعة أخرى تحت الطبع، الى جانب كتابين في النشر تحت الطبع أيضا.

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة.. وندوات.. ومؤتمرات.. ومعارض.. ومناسبات.. وأحداث ثقافية.. وادبية.. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية.. والتربوية.. والفنية.. الى جانب الأدباء.. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء.. لإضافتها الى ما يرودنا به مندوبونا، والله الموفق * *

في الوطن العربي :

- نشرة دورية جديدة تصدرها مؤسسة الملك فيصل الخيرية ·
- مركز سعودي للكمبيوتر في الرياض ·
- دورة تدريبية في صناعة المعجم العربي بالرباط ·
- سلسلة ثقافية جديدة باسم « عالم المجلات » تصدرها الكويت قريبا ·
- جائزة « بورقيبة الكبرى » للأديب التونسي محمود المسعدي ·
- وفاة الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) ·

في العالم :

- معرض للفن الاسلامي في لندن ·
- مؤتمر شعري دولي في « سان فرانسيسكو » ·
- معرض دولي للكتاب في فرانكفورت تحت شعار : افريقيا تبرز نفسها ·
- أسبوع اسلامي في الدانمارك ·
- معرض « الفن الاسلامي والشرق » بكوريا الجنوبية ·



الوطن العربي







★ أحمد شريف الرفاعي ★ ★ د. عمر فروخ ★ ★ د. إحسان عباس ★

السعودية :

الخيرية

ذلك هو عنوان **النشرة الدورية** التي ستصدر كل أربعة أشهر عن **مؤسسة الملك فيصل الخيرية** ، صدر منها العدد الاول رمضان ـ ذو الحجة ١٤٠٠هـ ، متضمنا أخبار المؤسسة ومشروعاتها وتبرعاتها ، وعن الجائزة التي تصدرها سنويا لمن يبرز في خدمة العالم الاسلامي دينيا وثقافيا وعلميا ·

مركز سعودي للكمبيوتر والمعلومات

ستقوم مؤسسة الملك فيصل الخيرية بانشاء « **المركز السعودي للكمبيوتر والمعلومات** » الهدف منه القيام بجمع وتصنيف وتبويب وتحليل وبرمجة المعلومات والبيانات الاقتصادية وغيرها ، واجراء المسح الميداني والقيام بالبحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية مستخدما الكمبيوتر في هذه العمليات ، وبوسع هذا المركز تصنيف المعلومات وحفظها بطريقة يمكن الرجوع اليها والاستفادة منها في أي وقت · من المعروف بأن مقره **سيكون مدينة (الرياض)** ·

* كتب جديدة *

عن **ادارة النشر بمؤسسة تهامة** ستصدر الكتب التالية :

★ « **ينابيع النور** » تأليف **أحمد شريف الرفاعي** ·

★ « **الزينبات الثلاث** » ، تأليف **أحمد شريف الرفاعي**·

★ « **يا زمان الوصل بالاندلس** » ، تأليف **أحمد شريف الرفاعي** ·

★ « **عاشق الفجر** » ، تأليف **أحمد شريف الرفاعي** ·

● « **جداول وأنهار** » ، ديوان شعري **للشاعر عبد الرحمن الرفة** ، سيصدر عن **نادي المدينة الادبي** ·

● « **احصاءات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ٩٧/١٣٩٨هـ** » ، صدر عن **وزارة التعليم العالي** » ، « **الادارة العامة لتطوير التعليم** » ·

● « **الوحشيات والاوابد لشعراء الجاهلية والاسلام** » تأليف **الشيخ حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل** ·

● « **نفحات زمان** » ، ديوان شعر شعبي **للشاعر متعب عيسى العنزي** ، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون** ·

● « **احصائية الحجاج لعام ١٤٠٠هـ** » ، صدر عن **وكالة وزارة الداخلية للجوازات والاحوال المدنية** ·

● « **التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة** » ، تأليف **سماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز** ، صدر عن **دار الآفاق للنشر والتوزيع بجدة** ·

● « **قضية الثقافة في بلادنا** » ، تأليف **حامد عباس** ·

كما صدرت الكتب التالية عن **ادارة النشر بمؤسسة تهامة** وضمن سلسلة « **الكتاب العربي السعودي** » :

★ « **عمارة المسجد الحرام** » ، تأليف **الشيخ حسين** باسلامة ·

★ « **الحضارة تحد** » ، تأليف **الدكتور محمود محمد** سفر ·

★ « **البردة** » ، دراسة وتحقيق **الدكتور محمود زيني**·

● صدرت الكتب التالية عن **جامعة الرياض** :

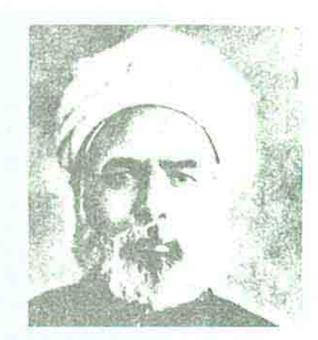
★ « **الارشيجونيات** ـ النباتات اللابذرية اللاوعائية » **وهو الكتاب الاول** ·

★ « **الارشيجونيات** ـ النباتات اللابذرية اللاوعائية »، **وهو الكتاب الثاني** ·

★ « **الارشيجونيات** ـ النباتات اللابذرية اللاوعائية » ، **وهو الكتاب الثالث** ·

وهذه الكتب الثلاثة من تأليف **الدكتور أحمد محمد مجاهد** ، **والدكتور أحمد فؤاد شلبي** ، **والدكتور عبد الله يحيى باصهي** ·

● « **اهداء اللطائف من أخبار الطائف** » ، تأليف **حسن بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي** ، تحقيق **يحيى محمود ساعاتي** ، صدر عن **دار ثقيف للنشر والتأليف بالطائف** ·



★ الإمام محمد عبده ★





★ ت . س . اليوت ★

لمسات :

٭ كتب جـديدة ٭

● « **ابن حزم الكبير** » ، تأليف **الدكتور عمر فروخ** ، صدر عن **دار لبنان للطباعة والنشر** ضمن سلسلة **دراسات في « الادب والعلم والفلسفة »** .

● « **الرجع البعيد** » ، رواية تأليف **فؤاد التكرلي** ، صدرت عن **دار ابن رشد** .

● « **مفهوم الايديولوجيا** » ، تأليف **عبد الله العروي** ، صدر عن **دار الفارابي** ، بالاشتراك مع المركز الثقـافي **العربي بالدار البيضاء** .

● « **الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده** » ، تأليف **الدكتور محمد عمارة** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **الاجتهاد في طلب الجهاد** » ، تأليف **أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي** ، تحقيق **الدكتـور عبد الله عبد الرحمن عسيلان** ، صدر عن **مؤسسة الرسالة** .

● « **من الذي سرق النار** » ، تأليف **الدكتور احسان عباس** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● «**المظاهر العسكرية للصراع العربي ـ الاسرائيلي**» ترجمة **اللواء جبرائيل بيطار** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **فهرس ابن عطية** » ، تأليف **الامام القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية المحـاربي الاندلسي** ، **تحقيـق محمد أبو الاجفان ومحمد الزاهي** ، صدر عن **دار الغرب الاسلامي ببيروت** .

● « **ت ، س اليوت ، الارض اليبـاب ، الشـاعر والقصيدة** » ، دراسة **الدكتور عبد الواحد لؤلؤة** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● «**السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ م**» . تأليف **الدكتور غسان سلامة** ، صدر عن **معهد الانماء العربي ببيروت** ضمن سلسلة «**الدراسات الاستراتيجية**» .

● « **واحد وعشرون بحرا** » ، مجموعة شعرية **للشاعر أحمد دحبور** ، صدرت عن **دار العودة** .

كلمة

(٢) الحركة الأدبية في المملكة

في حلقة سابقة حاولنا رسم صورة للحالة التي تعيشها الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية من خلال عدة نقاط ، ووعدنا القارئ بمناقشة تلك النقاط ببعض التوسع مع طرح سريع للسلبيات والإيجابيات .

● أول نقطة أشرنا إليها هي ظهور النوادي الأدبية وانتشارها في عدد غير قليل من مدن المملكة ، مثل الرياض ، ومكة المكرمة ، وجدة ، والطائف ، وجيزان ، وأخيراً أبها ، وحائل .

والسؤال المطروح هو ماذا قدمت هذه النوادي . . وهل استطاعت أن تلم شتات الأدباء ونشاطاتهم ؟

الإجابة على هذا السؤال ليست قاطعة ، أو جامعة مانعة . . فقد انقسمت الآراء إلى قسمين :

●● قسم يرى أن هذه النوادي ظاهرة جيدة استطاعت ، رغم كل شيء ، أن تبرز عدداً من الأعمال الأدبية في كتب تساعد الناقد أن يرصد من خلالها الحركة الأدبية في المملكة وما هي عليه من ضعف وقوة .

●● والقسم الثاني : يرى أن النوادي الأدبية بما قدمت من أعمال أساءت كثيراً إلى سمعة الأدب في المملكة ، لأن أغلب القائمين عليها لم يكونوا في مستوى الدور الذي يجب أن تنهض به هذه النوادي ، وأن بعضهم بعيد كل البعد عن المجال الأدبي .

وبرؤية موضوعية نجد أن كل قسم قد ركز على جانب من خلال معطيات نادٍ أو ناديين ، وأهمل الجوانب الأخرى .

فالنوادي الأدبية يحمد لها أنها استطاعت أن قدمت مجموعة من الأعمال ، وإذا كان بعض النوادي قد أخرج بعض الأعمال الضحلة ، فهو إلى جانب ذلك أخرج أيضاً أعمالا جيدة ، بل إن نادياً مثل نادي الرياض الأدبي الذي تعثر في بدايته التزم بإصدار كتاب شهري ، وأغلب الكتب التي أصدرها تعتبر كتباً جيدة ، كما أنه أعاد طبع بعض الكتب القديمة التي نفدت منذ سنوات ، فلم يعرف عنها الجيل المعاصر غير ما يسمعه من الجيل الذي سبقه مثل رواية حامد دمنهوري «ثمن التضحية» ، وهو ما فعله نادي الطائف الأدبي حين أعاد طبع ديوان حسين سرحان «أجنحة بلا ريش» . ونادي جدة بإعادة طبع مؤلفات العواد .

إذن فالنوادي الأدبية أحسنت من حيث تركيزها على طبع أعمال الأدباء التي كانت متناثرة في الصحف السيارة ، مع إعادة طبع بعض الكتب الجيدة . هذا ما فعلته النوادي الأدبية .

وإذا كان لنا أن نورد بعض الملاحظات على هذه النوادي فإننا نرى ما يأتي :

١ ـ عدم التنسيق ، والتخطيط ، وهذا ما دفعنا أكثر من مرة للدعوة إلى إيجاد اتحاد لهذه النوادي .

٢ ـ عدم قدرتها على نشر وتوزيع إصداراتها حيث اعتمدت على التوزيع المحلي في بعض مكتبات المملكة ، والبيع للوزارات الحكومية ، وهذا ما جعل الكتاب السعودي عاجزاً عن الوصول إلى السوق العربية بشكل جماهيري .

فلو أنشئ اتحاد لهذه النوادي من شخصيات لها مكانتها في الأدب برؤية معاصرة لا تحمل العداء للقديم لمجرد أنه قديم ، ولا تقبل على الجديد لأنه جديد فحسب ، لو حدث هذا لاستطعنا أن نحول دون ظهور أعمال أدبية هابطة المستوى . ولا يجب أن تتوقف مهمة الاتحاد عند هذا الحد ، بل يجب أن تتجاوزه في كيفية توزيع الكتاب السعودي توزيعاً جيداً في الداخل والخارج ، إلى جانب مطالبته بوضع ورقة عمل تحتوي الحركة الأدبية المتمثلة في إقامة الندوات ، وتقديم الدعوات للأدباء العرب ، وترشيح الشخصيات الأدبية التي يجب أن تمثل المملكة في الخارج .

علوي طه الصافي



★ جمال الدين الأفغاني ★

● «جان راسين» ، تأليف **كليمان بورغال** ، ترجمة **منى النجار** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** ضمن سلسلة «**أعلام الفكر العالمي**» .

● « **فن الرسم** » ، تأليف **هيغل** ، ترجمة **جورج طرابيشي** ، صدر عن **دار الطليعة** .

● « **رؤى الفتى** » ، مجموعة شعرية **للشاعر هادي دانيال** ، صدرت عن **دار الحقائق** .

● « **أسواق العرب** » ، تأليف **عرفان حمور** ، صدر عن **دار الشورى للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت** .

● « **ديوان الارجاني** » ، تحقيق **الدكتور محمد قاسم مصطفى** ، صدر في جزءين عن **دار الكتب للطباعة** والنشر ببيروت .

● « **أسطورة الخوف** » ، تأليف **جمال الدين الافغاني** ، أخرج الكتاب وعلق عليه **الدكتور محمد عمارة** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** ضمن سلسلة « **الشبل الذكي** » .

● « **الافتخار** » ، تأليف **أبو يعقوب السجستاني** ، تحقيق وتقديم **الدكتور مصطفى غالب** ، صدر عن **دار الاندلس** .

مصر :

*** كتب جديدة ***

● « **معالم الثقافة الاميريكية** » ، تأليف **نخبة من النقاد والباحثين الاميريكيين** ، ترجمة **الدكتور نبيل راغب** ، صدر عن **دار المعارف** .

● « **الحب في أرض الشكوك** » ، رواية تأليف **محمد كمال محمد** ، صدرت عن **مؤسسة الاخبار** ضمن سلسلة « **كتاب اليوم** » .

● « **الدوران حول السور** » ، رواية تأليف **نبيل عبد الحميد** ، صدرت عن **دار الهلال بالقاهرة** .

● « **مهمة الانسان كما حددها القرآن** » ، تأليف **عبدالله خليفة** ، صدر عن **مكتبة روزاليوسف** .

● « **أرض المعركة وأحلام صغيرة** » ، تأليف **عبدالرحمن الشرقاوي** ، صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** – **وهو المجلد الاول في سلسلة الاعمال الكاملة للشرقاوي** .

● « **الشوارع الخلفية** » ، رواية تأليف **عبد الرحمن الشرقاوي** ، صدرت عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** .

● « **وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الاندلس** » ، دراسة وتحقيق **الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف** ، صدر عن **المركز العربي الدولي للاعلام بالقاهرة** .

● « **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الاندلس** » ، دراسة وتحقيق **الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف** ، صدر عن **المركز العربي الدولي للاعلام بالقاهرة** .

● «**قضايا من الفكر العربي**» ، تأليف **الدكتور يوسف عز الدين** ، صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة** .

● « **معجزة الارقام والترقيم في القرآن الكريم** » ، تأليف **عبد الرزاق نوفل** ، صدر ضمن سلسلة (**كتاب اليوم**) **بالقاهرة** .

المغرب :

دورة تدريبية في صناعة المعجم

ستعقد في شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٨١م ولمدة أسبوعين (بالرباط) «**دورة تدريبية في صناعة المعجم العربي**» **للناطقين باللغات الاخرى** » وذلك تحت اشراف **مكتب تنسيق التعريب** التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، سيحضرها **نخبة من أبرز الاساتذة والمتخصصين في (علم الدلالة والمعجميين العرب)** .

الكويت :

سلسلة ثقافية جديدة

● اضافة لسلسلتي « **عالم المعرفة ، وعالم الفكر** »



★ عبد الرحمن الشرقاوي ★

ويصدرهما **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتية ، ستصدر** سلسلة جديدة باسم « **عالم المجلات** » تعنى بتقديم خلاصات وافية لما ينشر في مختلف المجلات العربية والعالمية من أبحاث ومقالات في مختلف شؤون الفكر والثقافة ، ستصدر عن نفس المجلس الوطني ويشرف عليها **الاستاذ عبد العزيز حسين** .

كتب جديدة *

● « **قضايا افريقية** » ، تأليف **الدكتور محمد عبدالغني** ، صدر عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب** ، ضمن سلسلة « **عالم المعرفة** » .

العراق :

كتب جديدة *

● صدر عن « **دار الحرية** » الكتب التالية ضمن سلسلة « **الموسوعة الصغيرة** » :

★ « **تاريخ المعرفة منذ الاغريق حتى ابن رشد** » ، تأليف **مجيد محمود مطلب** .

★ « **لمحات من الشعر القصصي في الادب العربي** » ، تأليف **الدكتور نوري حمودي القبيسي** .

● « **التزامن بين الحروب الصليبية وألف ليلة وليلة** » ، تأليف **عبد الغني الملاح** .

● « **الطب البيطري عند العرب** » ، تأليف **الدكتور طه حامد الشبيب** .

● « **قصص الحيوان في الادب العربي** » ، تقديم وجمع **الدكتور داوود سلوم** ، صدر عن **دار الرشيد للنشر** ضمن سلسلة **(دراسات)** .

● « **كتاب الضاد والظاء** » ، تأليف **أبو الفرج محمد ابن يحيى عبد الله بن سهل النحوي** ، تحقيق **الدكتور عبد رب الحسين الغتلي** ، صدر عن **كلية التربية بجامعة بغداد** .

تونس :

جائزة بورقيبة والمسعدي

حصل الاديب التونسي (محمود المسعدي) على **جائزة « بورقيبة الكبرى »** وذلك لما قدمه للثقافة التونسية من أعمال أدبية وفكرية .





● **الكتاب : إنسانية حضارة الإسلام**

Humanite´-de la civilisation de-L´islam.

— Par A. Bouazar —

● **المؤلف : أ. بوازار**

هذا عنوان لكتاب ظهر في المدة الأخيرة في السوق السويسرية يضاف إلى المكتبة الأوروبية الجانب المخصص للكتب التي تتعرض للإسلام ولحضارته العريقة ، ومدى تأثيرها على العالم ، وخاصة أوروبا .

كاتب هذا الكتاب يدعى **أ. بوازار** ، والمؤلف يعمل الآن **مديراً لبرامج التكوين الديبلوماسي بالمعهد الجامعي للدراسات العليا الدولية بجنيف سويسرا** ، وقد أمكن له في السابق بوصفه نائب اللجنة الدولية **للصليب الأحمر** أن يقيم أكثر من اثنتي عشرة سنة في دول إسلامية مختلفة منها : **الأردن والجزائر وسورية ، كذلك في المملكة العربية السعودية واليمن** .

أهم ما يميز هذا الكتاب أنه دراسة مثمرة وبحث حي وترجمة عملية لاتصالات المؤلف المباشرة مع السكان العرب الذين عايشهم لمدة سنوات .

ويقول أ. بوازار عن كتابه هذا :

« .. إن حضارة الإسلام قد ساهمت بصفة محسوسة في إقامة نظام يضمن احترام الذات البشرية وينظم العلاقات بين الشعوب » ...

الكتاب يُذكرنا بتسامح الخليفة الأموي مع النصارى وغيرهم من الموالي واليهود .. وتسامح الخليفة العادل **عمر بن الخطاب** مع النصارى إبان فتحه للقدس ..

أحمد المكينسي

فاس

★ عبدالكريم الكرمي ★

* كتب جديدة *

● « **تاريخ تونس** » . تأليف **محمد الهادي الشريف** ، صدر عن **دار سواس للنشر** ضمن سلسلة **(ما يجب أن تعرف)** .

● « **مع الله** » . ديوان شعري **للشاعر المرحوم الحبيب المستاوي** . صدر ضمن **منشورات مجلة جوهر الاسلام** .

● « **العقل والسلوك في البنية الاسلامية** » . تأليف **عبد المجيد النجار** ، صدر عن مطبعة الجنوب بتونس .

● « **٥٢ ليلة** » . مجموعة قصصية تأليف **حسن نصر** ، صدرت ضمن **منشورات الجديد** .

سورية

* كتب جديدة *

صدرت الكتب التالية عن **اتحاد الكتاب العرب بدمشق** :

★ « **الشجرة وعشق آخر** » ، مجموعة شعرية **للشاعر عبد القادر الحصيني** .

★ « **الورد الآن والسكين** » . مجموعة قصص **للقاص زهير جبور** .

★ « **الفلسفة تبحث** » . تأليف **ابراهيم فاضل** .

★ « **المرافىء أيقظها الموج** » . مجموعة شعرية **للشاعر مجيب السوسي** .

● « **ليلى ٠٠ ليلى** » . مجموعة شعرية **للشاعر صادق الصائغ** . صدرت عن **اتحاد الكتاب العرب بدمشق** .

الجزائر

* كتب جديدة *

● « **الاعمدة المنخورة** » . مجموعة قصصية تأليف **زهير العلاف** ، صدرت عن **الشركة الوطنية للنشر والاشهار ، الرويبة** .

نافذة

اللغة العربية والمصطلحات الجيولوجية

اللغة هي وعاء الأمم الفكري في كل عصر ومكان ، وهي المرآة الصادقة التي تعكس ثقافة الشعوب وتعطي الدليل المادي على مدى تقدمها **الحضاري** . وتعتبر **اللغة العربية** من أغنى لغات العالم بالمفردات ، ومن أوسعها قدرة على **الاشتقاق** ، بالإضافة إلى طبيعتها **الترادفية** . ورحم الله الشاعر **حافظ إبراهيم** عندما وصف اللغة العربية بأنها لا تضيق عن ترجمة المصطلحات والمخترعات الحديثة ، وأن العيب ليس في اللغة ولكن في أهلها ، يقول الشاعر :

رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً ... يعز عليها أن تلين قناتي
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً ... من القبر يدنيني بغير أناة
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات

فلسطين

(الكرمل) مجلة جديدة

قررت الامانة العامة **لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين** اصدار العدد الاول من مجلة الاتحاد خلال شهر كانون الثانى (يناير) عام ١٩٨١م ، وقد اختير لرئاسة تحريرها الشاعر محمود درويش . والمعروف أن اسم المجلة هو **(الكرمل)** .

ورغم أن القصيدة قيلت منذ زمن بعيد عندما كانت اللغة العربية لا تشوبها الكلمات الإفرنجية بالشكل الحالي ، إلا أن هذا يدل على أن الشاعر كان يدعو إلى الذود عن اللغة العربية والاعتزاز بها والدفاع عنها لتكون حقاً من اللغات الحية المتجددة التي تستوعب كل جديد من **المصطلحات العلمية** والتعابير في كل مجالات الحياة . إن اللغة العربية تتميز بخصائص رائعة تجعلها في مصاف اللغات العالمية ، ويمكن لها إن شاء الله أن تكون لغة علمية إذا استطاع العلماء واللغويون أن يغوصوا في أعماق تراثها ، ويبحثوا عن أسرارها ، ويستفيدوا من طبيعتها الترادفية وقدرتها الاشتقاقية .

وتشكل المصطلحات العلمية عقبة عسيرة في عملية الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية . ولعل تضافر الجهود المختلفة وذلك بالتعاون بين الجامعات والمجامع اللغوية يمكن أن يطامن من شأن هذه العقبة .

والتراث العربي مليء بالتعابير الدقيقة والمصطلحات التي يمكن استعمالها أو تحويرها لتلائم المصطلحات العلمية . ولا شك أن **القرآن الكريم** من أهم وأعظم ما يرجع إليه عند الترجمة .

والجيولوجيا Geology كلمة مشتقة من الكلمتين الإغريقيتين Geo ومعناها **الأرض** و Logus ومعناها **علم** . ويمكن **تسمية الجيولوجيا** بعلم الأرض إلا أن **المجمع اللغوي في مصر** في الستينات قد أقر كلمة الجيولوجيا لأنها أكثر تحديداً من علم الأرض Earth Science الأكثر شمولا . ويمكن العودة إلى التراث العربي في ترجمة التفريق بين المصطلحات الجيولوجية . إن اللغة العربية يمكن أن تعبِّر وتفرق بدقة بين **الانفصام والانفصال** في المعادن والصدع والفاصل والكسر والدسر والانزلاق والزحف والطي في **الجيولوجيا البنائية** ، كما يمكن للغة العربية أن تفرق بين أنواع مختلفة من **الطين** مثل : الصلصال ، الطفل ، الغرين ، الغضار ، الحمأ ، اللازب . . إلخ . كما يمكن أن تفرق بين درجات العذوبة والملوحة في **الماء** مثل : الماء العذب ، الفرات ، المسوس ، المالح ، الأجاج . . إلخ . ويمكنها أن تفرق بين درجات العمق في الماء مثل : الماء الرشل ، الضحضاح ، العرز ، السحيق ، العميق . . إلخ . وفي تجمعات المياه مثل : الجدول ، الجعفر ، الثمير ، النهر ، المسيل ، الغدير ، الفلج ، السدير ، العاقول . . إلخ . أما الانقطاعات الزمنية أو الصخرية فيمكن للغة العربية أن تعطينا مجموعة من المصطلحات التي تفرق بدقة بين طبيعة هذه الانقطاعات مثل : الثلمة ، الفصلة ، الفرجة ، الفتحة ، الكرة ، النافذة . . إلخ .

وقد صنف **الثعالبي** (المتوفي عام ٤٢٩ هـ) في كتابه « **فقه اللغة** » مقادير الصخور أو الحجارة على القياس والتقريب فقال : « إذا كانت صغيرة فهي **حصاة** ، فإذا كانت مثل الجوزة فهي **نبلة** ، فإذا كانت أعظم من الجوزة فهي **قنزعة** ، فإذا كانت أعظم منها وصلحت للقذف فهي **مقذاف** ، فإذا كانت ملء الكف فهي **يهير** ، فإذا كانت أعظم منها فهي **فهر** ، ثم **جندل** ، ثم **جلحد** ، ثم **صخرة** ، ثم **قلعة** ، وهي التي تنقلع من عرض جبل وبها سميت القلعة التي هي الحصن » .

وقد أجرى **الدكتور علي السكري** دراسة جيدة لقياس أقطار الحجارة ومقارنتها بأحجام الأسماء التي ابتدعها العرب ، فوجد أن متوسط القطر الأكبر للجوزة يساوي ٣,٠ سنتيمترات ، وعليه فالنبلة هي حجر طول قطره الأكبر ٣ سم ويكون طول قطر الحصاة أقل من ٣ سم ، أما الحجر الذي يملأ الكف فهو يهير ومتوسط قطره حوالي ١٥ سم ويكون المقذاف أقل من ذلك والقنزعة أقل من المقذاف ، كما أن الفهر وهي الحجارة التي تلي اليهير في الكبر يكون قطرها أكبر من ١٥ سم ، فإذا استخدمنا مضاعفات الرقم ٣ أمكننا وضع حجم تقريبي بالسنتيمتر لكل مقدار من الحجارة التي ذكرها الثعالبي وفقاً للتالي :

حصاة : أقل من ٣ سم ، نبلة : ٣ سم ، قنزعة : ٦ سم ، مقذاف : ٩ سم ، يهير : ١٥ سم ، فهر : ٢١ سم ، جندل : ٢٤ سم ، جلمد : ٢٧ سم ، صخرة : ٣٠ سم ، قلعة : أكبر من ٤٢ سم .

ولا يتسع المجال هنا للمقارنة بين المصطلحات العربية المأخوذة من التراث العربي والمصطلحات الأجنبية ولكن الدراسة تثبت أن المصطلحات العربية تماثل وتشابه في بعض الحالات المصطلحات الأجنبية .

إن اللغة هي عنوان مجد الأمم ومرآة قوتها وحضارتها فيجب أن نعيش هذه اللغة في سحرها وقدرتها على التعبير وهضم الحقائق والأفكار والمخترعات العلمية . واللغة العربية هي أولا وأخيراً عنوان وجودنا ووعاء ديننا ومشاعرنا الإسلامية والعربية في كل مكان وزمان .

د . أحمد عبد القادر المهندس
الرياض

وفاة الشاعر عبد الكريم الكرمي

انتقل الى رحمة الله تعالى الشاعر الفلسطيني **عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)** وذلك عن عمر يناهز السبعين عاما ، ومن المعروف بأن الشاعر ولد في **مدينة طولكرم** عام ١٩٠٩م ، **وله ثلاثة دواوين شعرية** (المشرد وأغنيات بلادي ، ومن فلسطين ريشتي) اضافة الى مؤلفات نثرية . **وقد نال (جائزة اللوتس)** العالمية للآداب من اتحاد كتاب آسيا وافريقيا عام ١٩٧٨م ، وانتخب في حزيران (يونيو) عام ١٩٨٠م ، رئيسا للاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين ، كما منح **درع الثورة الفلسطينية** .

* كتب جديدة *

● « **الطرف الآخر** » ، ديوان شعري **للشاعر باهر النابلسي** ، صدر عن **دار مطابع الخليج بالشارقة** .

الحركة الثقافية في العالم

بريطانيا :

معرض للفن الاسلامي

أقيم فى **(لندن)** معرض **للفن الاسلامي** استمر ثلاثة أيام من ١٣ الى ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٠م ، عرضت فيه لوحات مصغرة ، وسجاجيد نادرة ، ومخطوطات عربية ، وفارسية ، وهندية ، كما كان من بين المعروضات الكثير من العملات الاسلامية التاريخية والمجوهرات والمصنوعات المعدنية والمنسوجات والفخار المزخرف .

* أحدث الكتب

صدرت **الكتب الاسلامية** التالية عن **دار نشر نيوزميديا :**

★ « **الحياة العائلية في الاسلام** » ، بقلم **خورشيد أحمد** .

★ « **المرأة في الاسلام** » ، بقلم **عائشة ليمو ، وفاطمة هيرين** .

★ « **انتشار الدعوة الاسلامية** » ، بقلم **أبو الفضل عزاني** .

أمريكا :

مؤتمر شعري دولي

عقد في **(سان فرانسيسكو)** بالولايات المتحدة مؤتمر دعي اليه شعراء من مختلف الدول وذلك تحت عنوان **(المؤتمر الشعري الدولي)** وهو مؤتمر يدعو للأخوة والسلام من خلال الشعر .

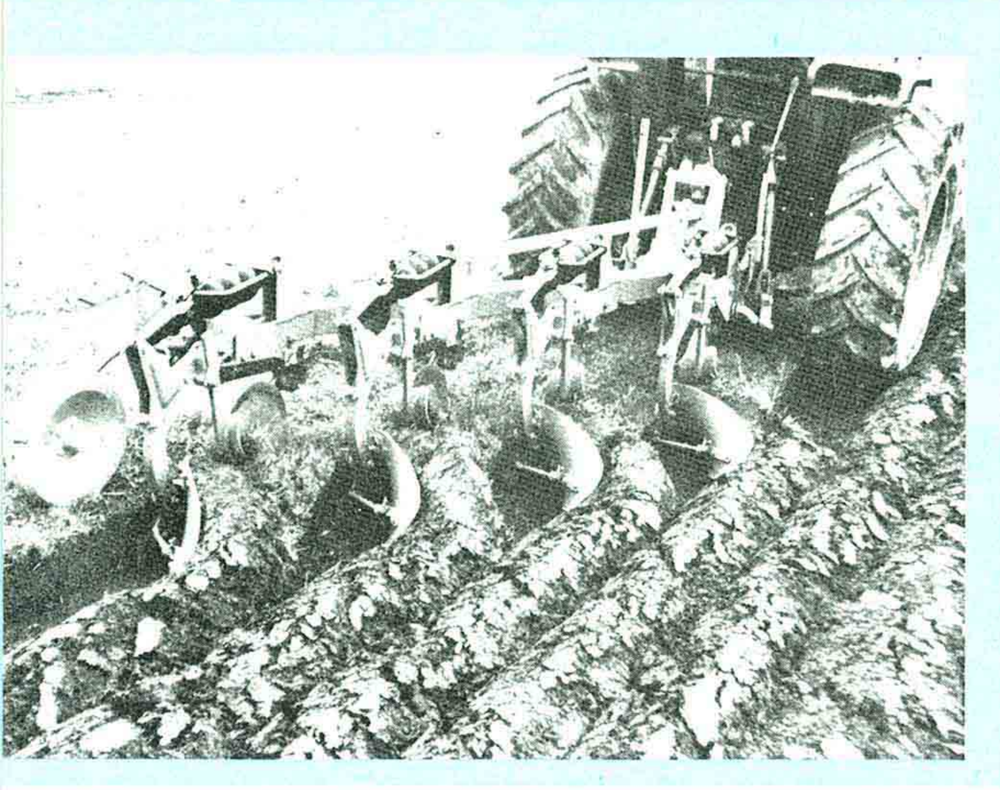
* أحدث الكتب

● « **الأدب البريطاني في الرحلات** » ، بقلم **بول فوسيل** صدر في **نيويورك** .



● محاريث ذات خطوط عديدة ●

أنتجت شركة (أوڤرومز بروك Overums Bruk) السويدية محاريث جديدة توفر الكثير من الوقت . ومن المعروف أن المحاريث التقليدية تحرث في خطين أو ثلاثة خطوط . أما المحاريث الجديدة فتتراوح خطوط الفلاحة فيها بين خطين إلى اثني عشر خطاً .



★ د. رمضان عبدالتواب ★

ألمانيا :

معرض دولي للكتاب

أقيم **المعرض الثاني والثلاثون للكتاب بمدينة (فرانكفورت)** حضره عدد كبير من دور النشر خاصة من دول العالم الثالث ٠

أقيم هذا المعرض الذي يعتبر أكبر معرض من نوعه في العالم تحت شعار **(افريقيا قارة في الطريق الى ابراز نفسها)** وقد أقيم الى جانب هذا المعرض معرض خاص بالفن الافريقي ٠

* أحدث الكتب *

● **« الجزء الثاني عشر من الوافي بالوفيات »** ، تأليف **صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي** ، تحقيق **الدكتور رمضان عبد التواب** ، صدر عن **جمعية المستشرقين الالمان** في (فيسبادن) ٠

الدانمارك :

أسبوع اسلامي

أقام المركز الثقافي الاسلامي بمركز الطلاب العالمي بجامعة (ارهس) الدانمركية أسبوعا اسلاميا ألقيت فيه بعض المحاضرات القيمة عن بعض الدول الاسلامية ،وعن أركان الاسلام الخمسة ، وعن كيفية الاهتداء الى الاسلام في **(كينيا)** ، ألقاها المهندس **عمر يانس** وآخرون ، كما عرض في هذا الاسبوع عدد من الكتب الاسلامية ،كتبت باللغات الثلاث ، العربية ، والانجليزية ، والدانمركية ، وكذا المجلات الاسلامية (كالمجتمع الكويتية) وبطاقات لبيت الله الحرام ٠

كوريا الجنوبية :

الفن الاسلامي والشرق

أقيم بمدينة **«سيول» معرض** يحمل عنوان **«الفن الاسلامي والشرق»** ، اشترك فيه كثير من الفنانين من بينهم « وجيه نخلة » بثلاث زيتيات ومائتي لوحة ٠

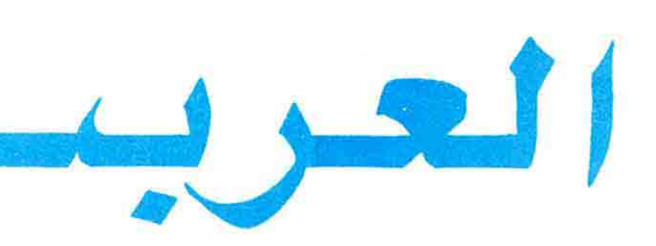
● مولد كهربائي تديره سيارة ●

أنتجت إحدى الشركات البريطانية مولدات كهربائية يمكن لصناديق الغيار في السيارات الشاحنة أن تديرها . وهذا ما يساعد المزارعين الذين يمتلكون سيارات شاحنة أن يحصلوا على تيار كهربائي في أي مكان يحتاجون إليه . ويمكن استخدام التيار الكهربائي المتولد بهذه الطريقة لتوفير الإضاءة أو تحريك الآلات الكهربائية والأجهزة .

وقد أطلق على هذا الجهاز : Tract-A-Power ، وتوجد منه نماذج مختلفة وهي تولد تيارات كهربائية ذات فرق طاقة يتراوح بين (٢٤٠) فولت حتى (٤١٥) فولت ومن ثلاثة أطوار وبذبذبة قدرها (٥٠) هزة في الثانية .



تعد المشكلة اللغوية إحدى المشكلات الحضارية الحديثة ، ولا سيما للشعوب الناهضة[1] التي تحاول أن تلحق بالشعوب المتقدمة في الغرب والشرق . واللغة العربية إحدى هذه اللغات التي تواجه عصرنا الحاضر بمشكلاته العظمى . وهذه المواجهة في حد ذاتها مشكلة معقدة ، فكيف السبيل إلى حلها ؟ ثم كيف نهيئ من هذه العربية وسيلة ، بل أداة صالحة لهذه الحضارة الجديدة ؟ .



العربيــــة

لا بد لي أن أسأل : هل لنا نحن العرب الأداة الصالحة من المادة اللغوية نستعين بها على أن نحيا في هذا العصر كما يحيا غيرنا من الشعوب ممن وُسِموا بـ « التقدم » ؟

في مبحثي هذا الذي أقدمه بين يدي القارئ المعنيّ بالموضوع مقدمة لعرض في العربية ، وكيف أتيح لها أن تواجه مقتضيات العصور المتلاحقة إلى أن انتهت إلى عصرنا هذا ، فكيف العمل لتحقيق ما نرجو وصولا إلى الغاية المنشودة ؟

لقد امتحنت العربية في أن تواجه **الغزو الحضاري** غير مرة في خلال الأحقاب التاريخية المنصرمة ، وكان لها أن خرجت من محنها كلها مادة وافية بالأغراض المختلفة ، فلم تلن لها قناة ، ولم تخضد لها شوكة .

وها أنا أعرض لهذه المشكلات التاريخية التي بها العربية ، فأخلص إلى شيء فيها آتي عليه في دراستي مبتدئاً بهذا القدر اليسير من مقدمة أو تمهيد . **إن مسألة « المواجهة » هي مشكلة لغتنا كما هي مشكلة لغات أخرى . . إنها تواجه هذا العصر الذي تجمعت فيه خلاصة التجارب الماضية ، وتفتّقت فيه عبقرية الإنسان بثمرات من الإبداع في العلوم المختلفة .**

ثم هل لنا أن نقول بعد هذا التقدم الذي كاد أن يكون ضرباً من الإعجاز : أيكون في طوق العربية . . أن تواجه هذا الجديد العجيب ؟

إن كنت سأجيب بـ « نعم » فكيف العمل ؟

أقول : لقد واجهت العربية عصوراً سلفت مبتدئة بعصور ما قبل الإسلام . ولا أريد أن أسميها العصور الجاهلية فأنال منها بهذه التسمية المبتسرة . ثم إني لا أعدها عصراً واحداً على نحو ما شاع عند المؤرخين وأهل العربية وآدابها ، وإن كنت في حيرة من عدة هذه العصور وكيف توالت إلى أن انتهت بعصر ما قبل الإسلام ، الذي لا يمتد إلى أكثر من قرن ونصف . وإني لأتصور أن هذا العصر الزاهر بما نسميه **الأدب الجاهليّ** قد سبقته عصور أدبية عدة ، درج فيها الأدب ثم نما وترعرع حتى أدرك هذا النضج الذي نقبسه في كثير من النماذج الجاهلية .

إن الأدب الجاهلي القديم متمثلاً بالشعر ليفصح عن نمط حضاري متقدم فيه فكر دقيق يتمثل في العقيدة والعادات ومذهب الأقدمين في السلوك الاجتماعي . وسنتبين ما أجمله هنا بهذه العبارات . ثم إن هذا الشعر قد أدرك من حيث بناؤه الغاية القصوى في بناء الكلمة مفردة وفي رصفها مع أخواتها في جملة متسقة ، ثم في إحكام الأوزان الموسيقية .

إن استقراءنا الوافي للشعر الجاهلي يدلنا على أن أجزاء الجملة العربية من فعل واسم وحرف قد استوفت أبنيتها ، فجاءت في صيغ موزونة متناسبة تهيئ لصاحبها أن يبني منها هيكلاً موسيقياً موزوناً هو البيت في القصيدة القديمة . لقد استوفى البيت في القصيدة أنماطاً من الوزن عدة ظلت معروفة مستعملة طوال عصور عدة ، فلم تزد عليها العصور المتلاحقة شيئاً ذا قيمة جوهرية . ولعل هذه الأوزان ما زالت قائمة بينة ومستخفية قليلاً حتى في **شعرنا الجديد الذي أسموه « الحر »** . إن هذه الأوزان أعطت إلى **الخليل بن أحمد** مادة متكاملة بأجزائها وتفاعيلها وعللها وزحافاتها ودوائرها هيأت له أن يضع **علم العروض** . ولقد استوفوا الأوزان منتهين بها إلى القافية التي ضبطوها وبنوا عليها القصيدة لتكون مع الوزن وحدة موسيقية .

أقول : إن هذا لفتح كبير في تطور الفنون القديمة وما كان لأحد من الأقوام السامية القديمة أن يدرك في أدبه هذا القدر الكبير من الإنجاز . لقد حاول الأساتذة اليهود في عصرنا هذا أن يصنعوا شيئاً في الأوزان الشعرية للأدب العبراني القديم ، فتكلفوا وتمحّلوا وركبوا شططاً .

إذا كان هذا هو قدر الشعر الجاهلي القديم في معانيه ومبانيه من الناحية الحضارية ، فهل يصح أن يقال : إن الشعر الجاهلي بداية العربية القديمة ؟

ليس هذا من منطق العلم ، وسأعرض للعربية منذ أوائل مادتها المعروفة . لأفيد كيف كانت لغة حضارة وكيف تسنى لتلك الأداة الحضارية أن تواجه الجديد .

العربية من أقدم اللغات

ورثنا العربية لغة من أقدم اللغات فكيف كانت وكيف وصلت

بقلم: د. إبراهيم السامرائي

والإعراب عن الحضارة

إلينا ؟ .

لقد قيل : إنها لغة بدوية وإنها لغة قوم جلهم بدو درجوا في بوادي بلاد العرب . وهذا حق لا مراء فيه . غير أن الدارسين والباحثين درجوا يعيدون هذه المقولة ، فلم يتحرزوا مما يمكن أن يبتعد عن تلك الحقيقة التاريخية . وسأجتهد في الكلام على هذا الأمر وأسبابه ونتائجه .

قلت : أن البداوة في العربية من أوضح السمات ، ذلك أن المعجم اللغوي حافل بجمهرة من الأوابد والفرائد مما يتصل بالبيئة البدوية وبأهل البادية مما يجري على ألسنتهم ومما يتصل بسلوكهم وبحياتهم اليومية . إن المعجم القديم وعاء ضخم يجمع بين طياته مادة لا تعرفها العربية بعد أن انحسرت عن البداوة واستقرت في الحواضر . ومن هنا بدا هذا المعجم غريباً كل الغرابة عن حياتنا المعاصرة . لقد بدا غريباً في أبنيته ، غريباً في مواده غريباً في بيئته وما ينفرج عنها من حاجات وأدوات ، وما ينبني عليها من سلوك . وبحسبي أن آخذ موضوع الأبنية القديمة في المعجم القديم لأقف منها على حشد كبير من الصيغ مما لا نجده منذ عصور سلفت فضلاً عن عصرنا الحاضر . وإذا كان لنا أن ننظر في **البناء الرباعي من المواد اللغوية** تبين لنا عجب أي عجب . ألا ترى أن الكلمات الرباعية التي تعني الصلب الشديد لا حصر لها نحو العَنْبَل والنَّبْتَل والبُعْثُج والجِلْبِز والجُلابِز والعَجْبَل والكُنابِد والقُصْلُب والعَضْبَل وكثير غيره . وهل علمت أن جُل هذا الضرب من الكلم قد عدم أن يكون له شاهد من نثر وشعر ، ولو وجد شيء من هذا النادر لكان رجزاً في الأغلب الأعم لم يعرف قائله فيقال « **قال الراجز** » أو : وأنشد . ولا أظنك إلا أن تذهب معي إلى أن كثيراً من هذا مما صنعه « النحارير » ، وإلى هذا ذهب الخليل بن أحمد .

قال **أحمد بن فارس**[٢] : وتؤخذ « اللغة » سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ، ويتَّقى المظنون ، فحدثنا **علي بن إبراهيم** عن **المَغداني** عن أبيه عن **معروف بن حسان عن الليث عن الخليل** قال : إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللَّبس والتعنيت .

ومن أجل هذا كان لهم عناية برواية اللغة وضبطها بل قل نشأ لهم ما يشبه مصطلح الحديث فكان لهم الصحيح وما لم يصح ويثبت والمتواتر والآحاد والمرسل والمنقطع والإفراد . وقد تكلموا في من تقبل روايته ومن تُرَدُّ واشترطوا شروطاً لا بد أن تتوفر في الذي يروي اللغة . ومع هذا الضبط والإحكام جرى في اللغة من الوضع ما عرض للحديث على شدة العناية به .

وإذا كنت قد عرضت لطائفة من الكلم في « الشديد الصلب » فإن مثل ذلك قد ورد في نعوت الطول والقصر وتداخل الخَلْق والضخامة والنحافة والاسترخاء .

وأنت لا تستطيع أن تعرف حقيقة هذه الدلالات ، فلا تدرك مبلغ الضخامة ولا الطول ولا القصر ، بل تبقى إزاء جمهرة كبيرة من الكلم الذي لا نعرف جُلّه في كلام الفصحاء وأدبهم . وأستطيع أن أطلق على هذا الحشد من الضجيج اللغوي المواد الضالة التي لا تعرف طريقها إلى اللغة المستعملة المقبولة .

وماذا يفيد الدارس إذا رأى مثلاً « **الجنابح** » الذي قالوا : إنه العظيم من كل شيء !

وقد ضاق أصحاب المعجمات ذرعاً بهذا الكلم النافر فقالوا مثلاً :

وذكر بعض أهل اللغة أن الكسحبة مشي الخائف المُخفي نفسه وليس بثبت[٣] .

وإنك تجد طائفة من هذا الغريب النادر قد أشار إليه **ابن دريد** أنه لغة يمانية ، ولو عرضت هذا على مصادر لغات اليمن لأنكرت منه الكثير .

قال : وقع القوم في خرباش أي في اختلاط وصخب ، لغة يمانية[٤] !

ومعنى « الاختلاط » هذا قد تجده في كثير من هذا فالخَزْرَبة والخَنْبصة والخَضْعَبة والخَطْلبة كله اختلاط وصخب وما يشبه هذا ، ومثله كثير غيره .

وقال : والهَبْرَمَة كثرة الكلام ولا أحقه . والعَزْلَبة زعموا يكنَّى به عن النكاح ولا أحقه[٥] (كذا) .

وزَلْهَب : زعموا خفيف اللحية ولا أحقّه (كذا) .

وغَسْنَبْتُ الماء إذا ثوّرته وليس بثبت (كذا) .

وقد أغرقوا في صفات المرأة الخَلْقية محاسنها وقبحها من حيث الاعتدال والسِمَن والترهل والاسترخاء والطول والقصر والنزارة والبياض والسمرة حتى أنك لتستطيع أن تجمع منه معجماً صغيراً وأكثر هذا من المهجور الذي لا نعرف في أدبهم شعراً أو نثراً .

وأكثروا من صفات الجمل والناقة والخيل من حيث صفاتها الخَلْقية كالتداخل والشدة والصلابة والخفة والانطلاق وما يشبه هذا . وأنت تخرج من هذا بمعجم صغير أكثره لا يعرف إلا في هذه المطولات المعجمية .

وجماع هذا الكلم ذو طابع بدويّ مغرق في البداوة ، فإذا أضفت إلى هذا ما أثبتوه من أحوال البيئة الطبيعية من شخوص الصحراء وأحوالها والسحاب والمطر ، اجتمعت لك صور بدوية تخففت منها العربية منذ قرون عدة .

هذه بداوة حقة طبعت بها العربية القديمة وظلت تتسم بهذا الطابع في عصور الحضارة العربية حين أتيح لهذه اللغة أن تكون لغة الدنيا المتحضرة .

لغة الحضارة

ولكن هذه اللغة ذات الحركة والنماء لم تدع ألفاظ البداوة قاصرة على بيئتها ودلالاتها البدوية ، بل أفادت منها في دلالات حضارية جديدة ليس بينها وبين أصولها البدوية إلا صلة ضعيفة متضائلة تكاد لا تبين ، ولا يدركها إلا العارفون بأسرار هذه اللغة . ومن يدري فلعل الكثير من المواد ذات الدلالات المعنوية غير الحسية لا بد أنها كانت مواد بدوية أو أن أصولها بدوية ثم هجرت تلك الأصول أو انتفت الحاجة إليها فضاعت وعفت آثارها .

إن مواد كثيرة نحو العقل والحكمة والجمال تمت إلى أصول حسية بدوية . وليس بعيداً أن تكون مواد التنوق والأناقة والانتقاء من « الناقة » مثلاً . ولا أريد أن أذهب بعيداً فأبسط كيف تحول الجمال وما يتفرع منه من المواد من مادة « الجمل » ، فذاك سبيل سلكته في غير هذا المقال .

وقد لمح شيئاً من هذا علماء اللغة المتقدمون ، فكان **الأصمعيّ** يقول : أصل « الوِرْد » إتيان الماء . ثم صار إتيان كل شيْ ورداً . و « القَرَب » طلب الماء . ثم صار ذلك لكل طلب ، فيقال : هو يَقْرَبُ كذا أي يطلبه و « لا تقرب كذا » .[٦]

وفي « اللسان » : قال الخليل : والقاربُ طالب الماء ليلاً ، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً . وفي « التهذيب » : القارب الذي يطلب الماء ولم يعيِّن وقتاً .[٧]

أقول : أرى أن هذا هو أصل مادة « **القُرْبُ** » ضد البعد بشيء من التوسع . وهذا مظهر من مظاهر تطور العربية وابتعادها عن أصولها القديمة إلى أصول أخرى اقتضتها حياة جديدة وظروف حضارية أخرى .

ثم ماذا ؟

نستعمل « السَّوف » وأصله الشم ، وهو أن الدليل كان إذا ضل في فلاة أخذ التراب فشمه فعلم أنه على هدية ، قال رؤبة :

إذا الدليلُ استاف اخلاق الطُرق

ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سمّوا البعد « مسافة » ، وقيل : سُمّي مسافة ، لأن الدليل يستدل على الطريق في الفلاة البعيدة الطرفين بسوفه ترابها ليعلم أعلى قصدٍ هو أم على جَور .

ومن هذا الباب قولهم : « **الجريرة** » وهي الذنب والجناية يجنيها الرجل . وقد جَرّ على نفسه وغيره جريرة « يجرها جرًّا أي جنى عليهم جناية .

وفي الحديث ، قال يا محمد بم أخذتني ؟ قال : بجريرة حلفائك ، وذلك أنه كان بين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبين ثقيف موادعة ، فلما نقضوها ولم ينكر عليهم بنو عقيل وكانوا معهم في العهد صاروا مثلهم في نقض العهد فأخذه بجريرتهم . ولقد انتهت الكلمة إلى هذا المعنى فكان منها أفعال غير « جرّ » الثلاثي لافادة هذا المعنى المراد ، جاء في الحديث أيضاً : « لا تجارَّ أخاك ولا تشارَّه » أي لا تلحق به جريرة .

ولم يشر أهل المعجمات إلى الطريق التي سلكتها الكلمة « جرّ » فانتهت إلى هذا المعنى ، ذلك أن أصل « الجرّ » الجذب ، فكيف كانت « الجريرة » ذنباً وجناية ؟

وجدت أنهم قالوا في بعض كتب اللغة القديمة أن من العرب من كان يقصد مستخفياً جماعة يلتمس عند نسائها فعل الزنا ، لأن أولئك ممن ينزلون على مقربة من ديارهم وهم يزاولون هذا المنكر ، حتى إذا قضى حاجته لديهم رجع ، فإذا رجع خاف على نفسه أن يعرف أثره ويقتفى فيجر بطرف ثوبه على أثره ليمحوه ، ولعله لم يستطع أن يأتي على جملة آثاره فيعرف الأثر وتكتشف حقيقته ويشتهر بسوء فعلته فيؤخذ بما « جرَّ » على أثره . ومن هنا جاءت « الجريرة » بهذا المعنى .

وقالوا : « **رفع عقيرته** » أي صوته . وأصل ذلك أن رجلاً عُقرت رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته . فقيل بعد ذلك لكل من رفع صوته : رفع عقيرته .

قال الجوهري : قيل لكل من رفع صوته « عقيرة » ولم يقيد بالغناء . والعقيرة هي الساق المقطوعة .

ومن المفيد أن أشير إلى قول **الأزهري** في « التهذيب » في الرجل الذي رفع عقيرته : « وقيل فيه هو رجل أصيب عضو من أعضائه ، وله

إبل اعتادت حداءه فانتشرت عليه إبله فرفع صوته بالأنين لما أصابه من العقر في بدنه فتسمعت إبله فحسبنه يحدو بها فاجتمعت إليه ، فقيل لكل من رفع صوته بالغناء : قد رفع عقيرته .

ثم اتسع في الاستعمال فلم تتقيد بالغناء .

ولقد أفاد **الأدب الإسلامي** من هذا الكلم العتيق فأحاله إلى مادة جديدة هي شيء من المصطلح الإسلامي .

قال **ابن فارس** : فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق . وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق . ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سُمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً . وكذلك الإسلام والمسلم ، إنما عرفت منه إسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء . وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر ، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه . وكان الأصل من « نافقاء اليربوع » .

ولم يعرفوا في « الفسق » إلا قولهم : « فسقت الرُّطبة » إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن « الفسق » الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه .(٨)

ثم توالت العصور فأفادت العربية من جمهرة موادها البدوية معاني جديدة أدخلتها في الجديد الذي آلت إليه الحاجات الجديدة الحضارية .

ألم نفطن أننا ما زلنا نستعمل « **المركبة** » و « **المراكب** » لجملة المستحدثات الجديدة من أصناف السيارات الحديثة ؟ ومعلوم أن « المركبة » من مادة « الركوب » التي لا بد أن تذكر بالاستعمال القديم والمعنى الأصيل وهو ركب فرسه أو جمله أو ناقته .

ثم ماذا ؟

ما زلنا نقول لقائد هذه « السيارة » أي « المركبة » « **سائق** » وكأنه يسوق سيارته فلا يعالج آلاتها بشيء من معرفة خاصة فتنطلق ، ألا ترى أنها إرث من « ساق جمله أو ناقته » . . . ولا أدري لِمَ عدلنا في قولنا « قائد الطائرة » فتركنا كلمة « السائق » القديمة ، أكان ذلك اكراماً لهذه المركبة الجديدة ذات الأسرار العجيبة أم ابتعاداً عن مادة بدوية بعدت عن عصرنا هذا ؟

وما زال نفر منا يقول : « تسنّم فلان منصبه » والتسنّم اعتلاء السَّنام ، فهل ترى أننا ما زلنا متأثرين بهذا الكلم البدوي العتيق كأنه الأعلاق النفيسة ! إن حديث البداوة في العربية حديث طويل ، وإن مادته عامرة بالكثير من الألفاظ التي تتصل بالبادية . ولعلي أسرفت بعض الإسراف في عرض هذه النماذج لأخلص منها إلى شيء فأنصف العلم وأصدق في بحثي التاريخي لبيان حقيقة العربية في عصورها المختلفة وكيف واجهت الحضارة .

قلت إن الباحثين أشاروا إلى أن العربية القديمة ذات سمات بدوية لأنها لغة كان لها من بيئاتها فلوات وبواد . غير أن هؤلاء قد أخذوا بتلك المظاهر البدوية ففاتهم أن ينوّهوا بأن العربية منذ جاهليتها عاشت في مواطن حضرية إلى جانب تلك المواطن البدوية الفسيحة . وإذا كان ذلك فكان عليهم أن يتشبثوا بالعربية في المواطن الحضرية لينظروا إلى الملامح الحضرية في العربية الجاهلية مثلاً .

لعلنا قصرنا كل التقصير في وصف الحياة الجاهلية أو مجتمع ما قبل الإسلام . لقد وسمناه بالبداوة الجافية فنبزنا العادات والسلوك والفكر وكأننا بذلك أردنا أن نقول إن الإسلام جاء لينقل أولئك الجفاة إلى حضارة جديدة هي حضارة الإسلام . ولا أشك في أن هذه النقلة قد حدثت وأن الإسلام نقل العرب وعرَّفهم إلى غيرهم من الأمم وجعلهم حماة حضارة ونقلة فكر ورواد دين عالمي هو دين العدل والرحمة . ولكني أقول إن هذا الذي وقع ما كان لنا أن نصير إليه بنبز عهود ما قبل الإسلام ووصفها بكل شين مرذول . كنت أريد لنفر من أولئك الباحثين أن ينصروا الإسلام لأنه حق ولأنه فكر جديد وحضارة جديدة تقبلها عالم واسع شمل أطراف الحضارة في المعمور من الدنيا القديمة . وقد كان لنا أن نصل إلى هذا ولا ننبز « الجاهلية » أو المجتمع القديم فنتجاوز العلم وما ندعوه بـ « الموضوعية » في عصرنا هذا .

ألا ترى أننا متناقضون أشد التناقض في وصف المجتمع القديم أو عصور الجاهلية بالإنحطاط والتأخر في العادات والفكر ومظاهر السلوك الأخرى ، حتى إذا لم يكن الموضوع متعلقاً بالإسلام أو أننا بدأنا بدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام عرضنا للوجوه المشرقة في عاداتهم وأنماط سلوكهم ومعارفهم .

هذا هو العجب في الوصول إلى نتائج متناقضة بسبب الابتعاد عن الطرائق العلمية في البحث .

وأخلص من هذا إلى الفصل الأول في هذه الدراسة فأعرض للعربية ومظاهر الحضارة في المجتمع الجاهلي في مناسبة أخرى .

الهوامش

(١) استبعدت مصطلح « النامية » لأنه لا يفي بالمراد ، ولأنه يتضمن شيئاً من نبز مخفي عن قصد ، فكأنه مرادف لقولهم قبل هذه الحقبة الأخيرة : « متخلفة » ، وقد كان معروفاً متداولا ، فعدل عنه إلى هذا الوصف الجديد الموسوم بـ « النماء » .

(٢) الصاحبي ، ص ٣٠ .

(٣) ابن دويد ، الجمهرة ، ٣/٣٠٠ .

(٤) المصدر السابق ، ٣/٣٠١ .

(٥) المصدر السابق ، ٣/٣١٠ .

(٦) الصاحبي ، ص ٦٤ .

(٧) اللسان (قرب) .

(٨) الصاحبي ، ص ٤٥ .

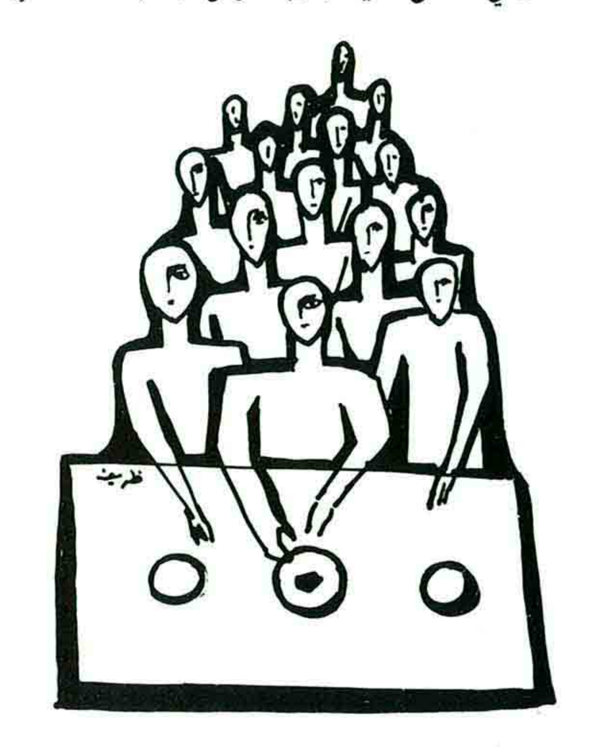
يكاد يجمع الكتاب في العلوم الاقتصادية والاجتماعية على الآثار السلبية للنمو السكاني في دول العالم الثالث . فمعظم الدول المذكورة تعاني من انخفاض مستوى الدخل الفردي ، وما يجره من نقص في الغذاء والمسكن الملائم ، ومختلف الخدمات الأساسية ، ويزيد في صعوبة هذا الوضع المعدل المرتفع للزيادة السنوية في السكان .

متطلبات التنمية الريفية

بقلم : د . أحمد الحوراني

فالأطفال بحاجة إلى نفقات باهظة حتى يصبحوا منتجين ، ويزيد في التكلفة ارتفاع **معدل الوفيات** بين هؤلاء الأطفال ، وعدم توجيه الأحياء منهم نحو الطرق الأكثر إنتاجية ، ويرجع ذلك إلى عدم ملاءمة التعليم والتدريب الذي يتلقونه عند إعدادهم .

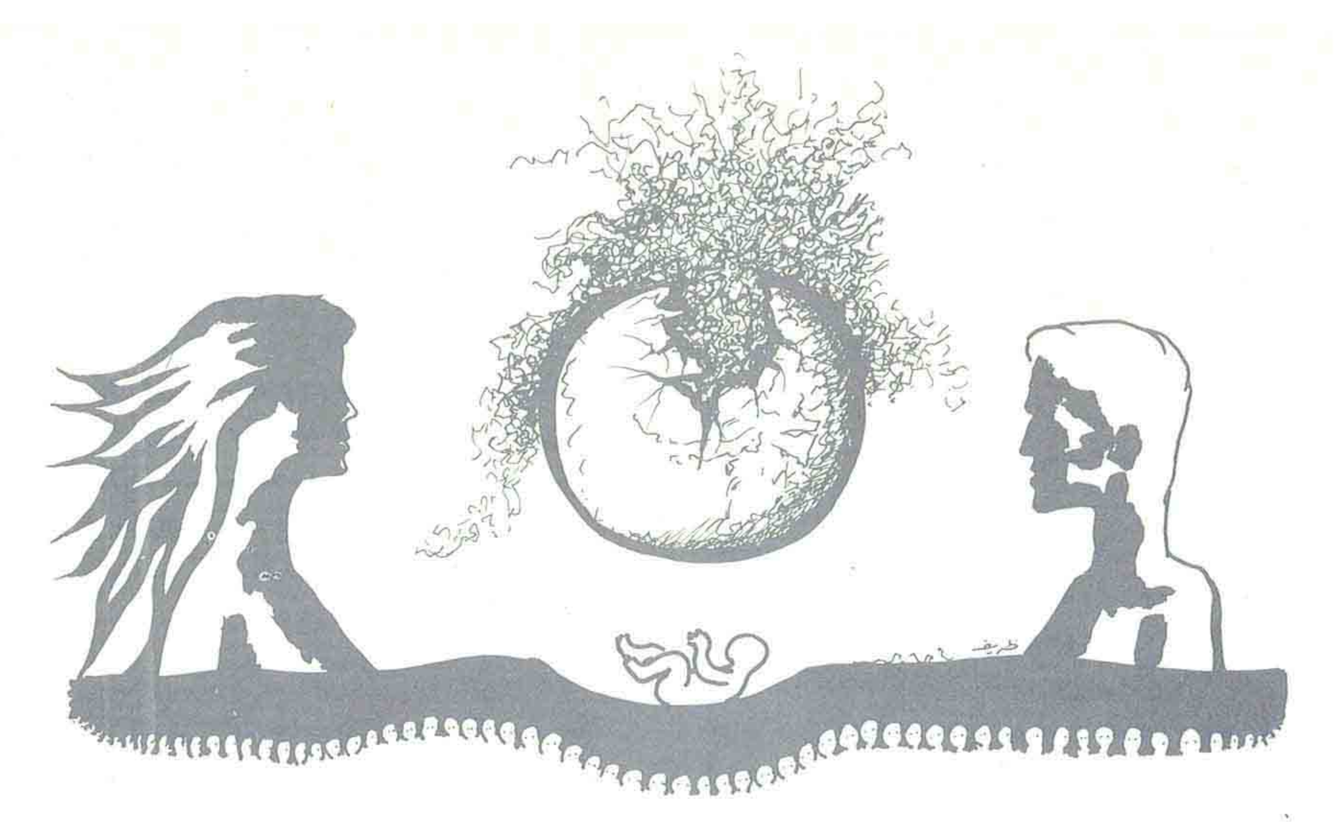
ولا شك فإن المعدل المرتفع للزيادة السكانية في كثير من أقطار العالم النامي **كالهند ومصر** يؤثر تأثيراً سلبياً على مدى نجاح خطط التنمية في تلك الأقطار وزيادة تكلفتها . ولكن كثيراً من الدول ، وخاصة المنطقة العربية ، تعاني من سوء توزيع السكان الذي يرجع أساساً إلى **تركز السكان في مناطق معينة** بسبب عوامل الجذب الاقتصادي من



ناحية ، **والهجرة المتزايدة من الريف إلى المدينة** من ناحية ثانية . فقد أصبحت هذه الهجرة تعمل على إعاقة التنمية المتوازنة ، وتحويل المجتمع بصورة تدريجية إلى مجتمع استهلاكي ، يعتمد على استيراد كل شيء تقريباً ليستطيع الحياة .

ونحن نعتقد بأن المشكلة الرئيسية لتنمية المناطق العربية بصورة عامة تتلخص في الهجرة المتزايدة من الريف إلى المدينة ، وازدياد مجتمع الخدمات على حساب مجتمع الإنتاج . فقوة العمل في المدينة تتوزع في الغالب بين أنشطة الخدمات بأنواعها ، وتجارة الاستهلاك بالجملة والتجزئة ، وقطاع البناء والتشييد . ولتصحيح هذا الوضع ، لا بد من الاهتمام بتطوير **القطاع الصناعي ،** عن طريق تأسيس المنشآت الصناعية الكبيرة التي يتوافر فيها للبلد المعني ميزة نسبية ، كتوافر المادة الخام ، أو وجود قوة العمل الرخيصة ، أو الموقع الجغرافي الملائم ، مما يزيد عدد العاملين في قطاع الإنتاج على حساب قطاع الخدمات ، وبالتالي استخدام حصيلة الصادرات لاستيراد السلع والمنتجات التي لا يمكن إنتاجها ، أو التي يعتبر إنتاجها مكلفاً بالمقاييس العالمية .

ومهما يكن ، فإن المنطقة العربية لا تشكو من النمو المتسارع للسكان بل من سوء توزيعهم ، فالإمكانات العربية (وخاصة المالية) تضاعفت بسرعة أكبر من تزايد السكان ، يضاف إلى ذلك أن السير في عملية التنمية يؤدي إلى تنظيم الأسرة ، فعندما يحرز الإنسان مستوى مادياً ملائماً ، يشعر بحاجته إلى المحافظة عليه



حيث يعمل على إيجاد توازن بين التزاماته الأسرية التي تتوقف على عدد المعالين لديه، ومستوى دخله المادي، ويبدو ذلك واضحاً عند الفئات التي استفادت من مكاسب التنمية بصورة أكبر من غيرها. فالمطلوب دراسة **المتغيرات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية** التي تؤدي إلى النزوح من الريف إلى المدن (حيث تعتبر هذه الظاهرة من أخطر الظواهر الديموغرافية في المنطقة العربية) وقياس الهجرة الداخلية والخارجية، والتركيز على ظاهرة التحضر، وإعطاء اهتمام أكثر لتخطيط المناطق المحيطة في المدن. على أن يتم ذلك في ظل استراتيجية داخلية وعربية، لمراعاة التنسيق والتكامل في مجال استخدام الإمكانات البشرية والإمكانات المادية.

ويمكن القول بأن الأمر يتطلب تواجد السكان الكافي في **مناطق الإنتاج الزراعي والرعوي**، عن طريق تقليص الفوارق بين الريف والمدينة بمراعاة التوازن في توزيع الخدمات الاجتماعية لانعاش الريف، وتوفير الحد الأدنى الملائم من المرافق والخدمات، وإيجاد فرص العمل لسكان الريف بغية زيادة ارتباطهم بقراهم، والحد من الهجرة إلى المدن. **وسنتحدث في الفقرات التالية عن استعراض أهم المتطلبات اللازمة** للتنمية الريفية.

١ ـ التسهيلات المادية والاجتماعية

ضرورة القيام بمسوح تتناول التسهيلات المادية والاجتماعية المتاحة في الريف لتوفير المعلومات والمعطيات الملائمة لإجراء التحليل اللازم للسياسات التي ينبغي اتباعها. ويمكن الاعتماد على النتائج المستخلصة في تقرير الأولويات المطلوبة لعملية التنمية الريفية من ناحية، والتوصل إلى أقل التكاليف الممكنة من ناحية ثانية. فكمية ونوعية الخدمات التي يمكن تقديمها تعتمد على التقويم النهائي للاحتياجات الأساسية، ومستويات الاستثمار المطلوبة، ومستوى التخطيط والإدارة التي يمكن اتباعها، ومقدرة السكان على الانتفاع من الخدمات المقدمة.

وتجدر الإشارة إلى أهمية مراعاة التوازن في **توزيع الخدمات الاجتماعية لانعاش الريف**، وتوفير الحد الأدنى الملائم من المرافق والخدمات، وفرص العمل بغية زيادة ارتباط السكان بأماكن إقامتهم، وتخفيف الهجرة إلى المدن.

فالمشكلة السكانية التي تعيق التنمية المتوازنة في المنطقة العربية ناجمة عن تزايد عدد سكان المدن نتيجة الهجرة من الريف، فقد ترافق تزايد سكان المدن في العالم الصناعي بالثورة الزراعية والصناعية، وزيادة الإنتاج من السلع المصنوعة، حيث مكّن تحسن الإنتاجية الزراعية من سحب عدد من العمال الزراعيين العاملين في الريف إلى المدينة للتخصص في إنتاج السلع المصنوعة والخدمات. أما المنطقة العربية، فقد ترافق تزايد سكان المدن مع التكاثر المالي الذي شهدته تلك المنطقة، والفرق واضح وجلي بين التكاثر المالي الذي شهدته المنطقة العربية، والتراكم الرأسمالي الذي شهدته **الأقطار الصناعية** في فترة نمو مدنها. فقد تجمع ذهب العالم الجديد إبان **الاكتشافات الجغرافية** في إسبانيا والبرتغال، إلا أن الثورة الصناعية تمت في بريطانيا.

٢ ـ نظام لتوفير المياه الصالحة للشرب

يمكن القول بأن المطلب الذي يمثل الأولوية العليا هو **توفير نظام لتوفير المياه الصالحة للشرب**، فالماء أكثر الاحتياجات البشرية

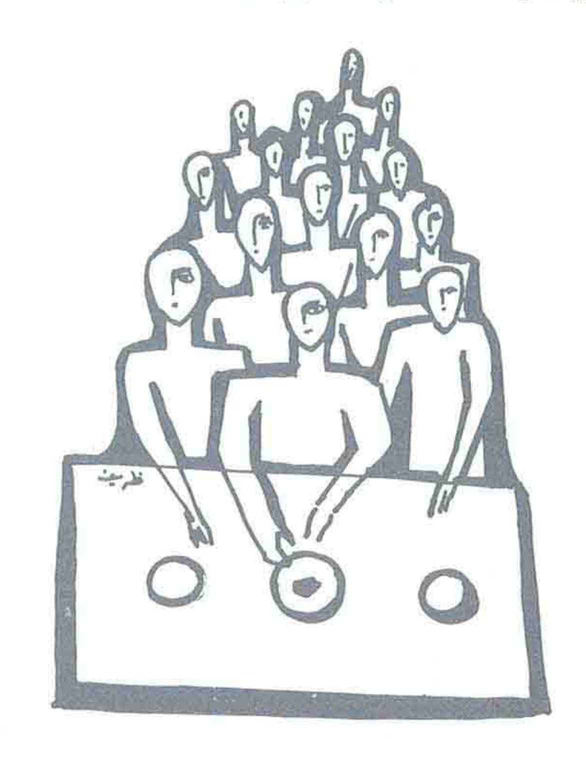
إلحاحاً ، ويملك تأثيراً على الصحة العامة ، وإمكانات الحياة في القرية ، ومما يزيد في أهمية هذا الأمر ضآلة نسبة المناطق الريفية التي تملك النظام المذكور ، بينما تتواجد المدارس الابتدائية بنسبة أعلى .

وهناك نقص في **مراكز الصحة والأمومة** ، ويعاني الريف بصورة عامة من نقص في الشوارع المعبدة ، والشوارع التي تصل القرى بالمراكز ، وكذلك هناك حاجة لكهربة جميع المناطق المأهولة . ولا شك فإن البحث في إمكانية استفادة القرى من الخدمات المتوافرة في المدن المجاورة سيعمل على توفير المزيد من المال والوقت . وهكذا فإن الأولوية العليا يجب أن تعطى لتحسين المأوى ، وكمية ونوعية المياه المتاحة ، وتوصيلها إلى سكان الريف ضمن شروط معقولة . وعند توزيع الخدمات يجب أن تراعى المناطق التي تتوافر فيها الظروف المواتية للحياة أكثر من غيرها .

٣ ـ مسألة الدخل

الاهتمام بمسألة **الدخل** والاستخدام ، فمن الصعوبات التي يواجهها سكان الريف نقص الدخل الناتج عن ممارسة أعمال الزراعة والرعي ، وقلة وجود فرص للعمل الجزئي التي تمكن القادرين على العمل من توفير دخل إضافي ، ويتسبب هذا الوضع بالهجرة إلى المدينة لتوافر فرص العمل الجزئية فيها من ناحية وسهولة العمل من ناحية ثانية ، مما يؤدي إلى قصر الأعمال الزراعية على النساء والأطفال في الغالب ، وانخفاض إنتاجية القطاع الزراعي .

ومما يزيد في سوء وضع الأعمال الزراعية قسوة البيئة ، وضيق البقعة الزراعية وعدم توافر المدخلات الزراعية ، ونقص الخدمات الاجتماعية ، وجذب المدينة . ويمكن التغلب على معظم الصعوبات المذكورة عن طريق تعزيز مقدرة التجمعات الزراعية ، وإقراضها الآليات الموجهة لخدمة صغار المزارعين بهدف زيادة إنتاجيتهم ، وتقديم الإعانات للمدخلات الزراعية ، وتأسيس بعض الصناعات الصغيرة في الأرياف وتقديم بعض أنواع الاستخدام للمزارعين والرعاة في الريف الذين يرغبون البقاء في قراهم ومنتجعاتهم .



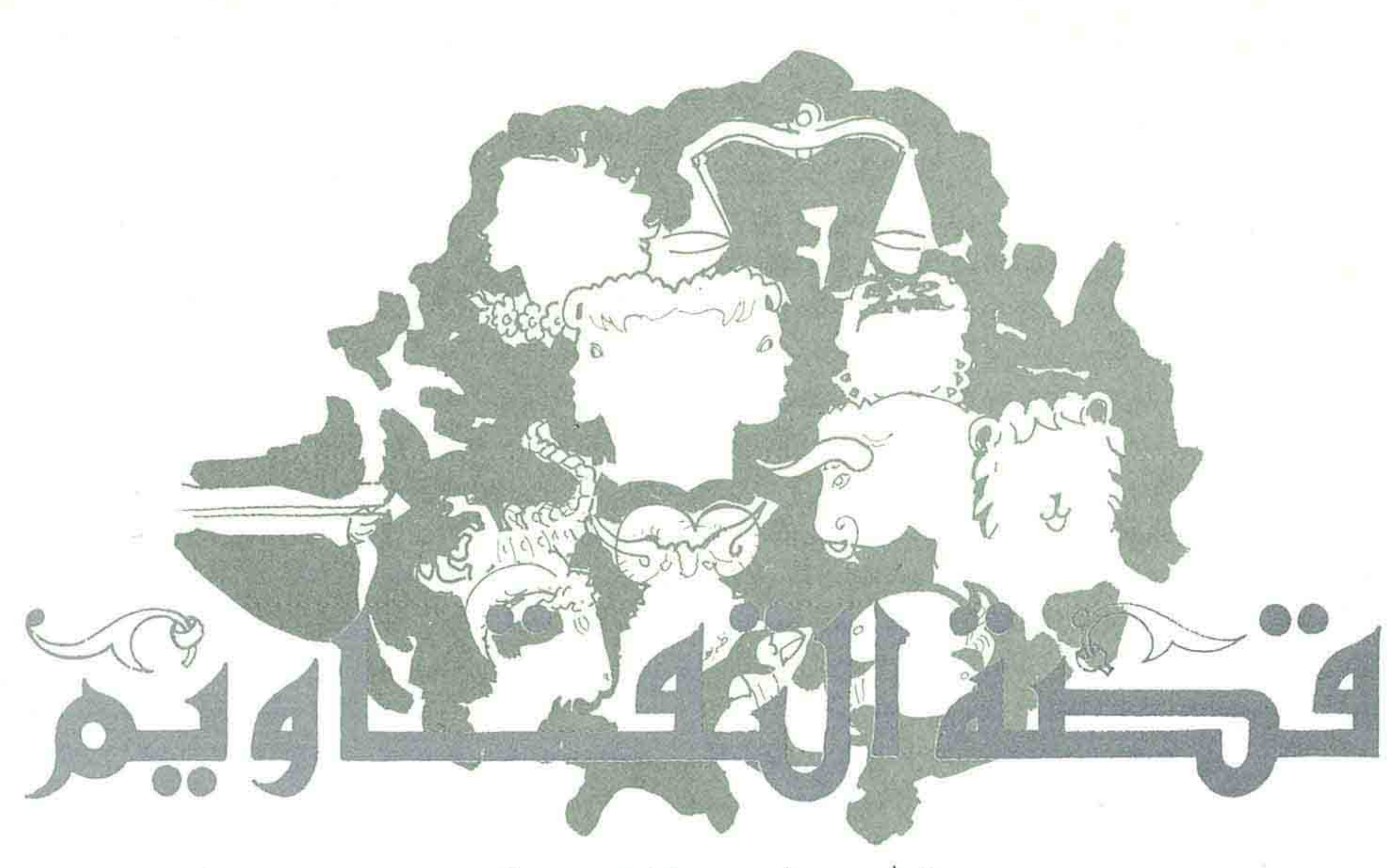
٤ ـ تعليم وتدريب القوى البشرية في الريف

يعتبر التعليم والتدريب المستمر أمراً ضرورياً لضمان ارتفاع الدخول ، ونحن نعتقد بأن الريف لا يعاني ـ في معظم الأحوال ـ من نقص كمي في **التعليم** ، فقد تم في الآونة الأخيرة تأسيس عدد متزايد من **المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والمهنية** . ولكن المشكلة في هذا المجال تتلخص في نوعية التعليم ، مما يتطلب مراجعة للخطط التعليمية القائمة ، والاختيار الأكثر ملاءمة للاحتياجات الريفية . ولعل ذلك يتطلب التأكيد على المهارات الفنية والزراعية ، وتدريب سكان الأرياف ليحلوا محل الآخرين القادمين من خارج الريف . **فالمطلوب تحويل المدارس إلى مراكز لتنمية المجتمع** حيث تمارس فيها أنشطة تعليم الكبار والتدريب المهني ، والأنشطة الأخرى للمجتمع ، ولتحقيق ذلك ينبغي تدريب معلمي المدارس ليصبحوا أكثر فعالية في حل المسائل التي يعاني منها مجتمعهم .

فقد أثبتت التجارب في عدة دول أن تعليم الزراعة للتلاميذ في المدارس يجعل لديهم الكراهية للزراعة ، وهكذا فإن التعليم والتدريب الزراعي ينبغي قصره على المزارعين والتلاميذ الذين اختاروا هذا النوع من الدراسة . وقد ثبت أيضاً ، ومن وجهة نظر النمو المتسارع ، أنه ينبغي التركيز مثلاً على التدريب الفني وتعليم الكبار أكثر من التأكيد على توسيع نظام التعليم الرسمي بسبب تكلفته المرتفعة .

ونود أن نؤكد على الحاجة لإعداد خطط قصيرة ومتوسطة الأجل ، تأخذ في اعتبارها الاختلافات القائمة بين مختلف المناطق الريفية ، على أن تبين هذه الخطط الأهداف المتوخاة ، والوسائل والسياسات المتبعة بكل دقة ووضوح ، ويتطلب ذلك **الأخذ بالنظرة الشمولية في التخطيط**، مما يتطلب إدخال العناصر الاقتصادية والاجتماعية في المخططات الرئيسية للمدن والقرى . فهذا النوع من التخطيط يجب أن يسبق القرارات القاضية بتوفير الخدمات للقرية أو مجموعة القرى لتعظيم إمكانات النجاح ، على أن يقترن التخطيط باستكشاف الطرق الكفيلة بانقاص تكلفة التسهيلات العامة حتى تتمكن القرى من توفير جزء مهم من هذه التسهيلات من مواردها الذاتية .

وباختصار ، فإن الحاجة ملحة لتنمية وتطوير الريف في المنطقة العربية بصورة عامة ، كي يستطيع الاحتفاظ بالسكان القادرين على أداء دورهم في الإنتاج المادي والاجتماعي ، وبالتالي تخفيف الضغط على المدن وخاصة العاصمة ، مما سيؤدي إلى تحقيق التنمية المتوازنة التي هي مطمح دول العالم النامي بأسره .



قصة التقاويم

بقلم: د. إحسان هندي

القرن الخامس عشر الهجري

فكر الإنسان منذ أيامه الأولى في كيفية **حساب الزمن** ، وكان من الطبيعي أن يلفت نظره **شروق الشمس وغروبها** من جهة ، والتغيرات الدورية التي تحصل **للقمر** بالحجم من جهة ثانية ، وتكرر الحوادث الطبيعية (وخاصة فصل الصيف لارتباطه بالحصاد) من جهة ثالثة ، فهداه تفكيره إلى التعبير عن ذلك بوحدات زمنية معينة هي « **اليوم** » ، وهو الوقت الذي يمر بين شروقين أو غروبين متتابعين للشمس ، و « **الشهر** » ، وهو المدة الفاصلة بين ظهورين متتابعين للهلال ، و « **السنة** » ، وهي المدة الفاصلة بين بدء فصل معين وعودته مرة أخرى .

ولضبط ذلك ابتدع القدماء ما يسمى « **التقويم** Calendrier » الذي هو « نوع من المذكرة التي تحمل أسماء الأيام والشهور » ، واتبعوا في ذلك إحدى طريقتين :

أ ــ التقويم الشمسي : الذي يتخذ السنة الشمسية وحدة للقياس ومدتها ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات وحوالي ٤٩ دقيقة أو ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً ، وهي المدة التي تستغرقها الأرض لعمل دورة كاملة حول الشمس منذ مرورها في « **نقطة الاعتدال الربيعي** Equinox »[1] وحتى مرورها ثانية منها ، ولذلك **تسمى السنة الشمسية « سنة مدارية » أيضاً .**

ب ــ التقويم القمري : ويتخذ الشهر القمري ــ أي الفترة الفاصلة بين ظهور هلالين متعاقبين ــ وحدة للحساب ومدته بالدقة ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان ، وهذا ما يجعل طول السنة القمرية ٣٥٤ يوماً و ٦ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٣٦ ثانية ، ومعنى هذا أن **السنة القمرية أقصر من السنة الشمسية بحوالي ١٠ أيام و ٢٣ ساعة .**

التقويم عند الشعوب

١ ــ وأول من استخدم التقاويم هم **السومريون** الذين استخدموا التقويم القمري ، وكانوا يعتبرون السنة ٣٥٤ يوماً ، ويزيدون أياماً إضافية بين كل مدة وأخرى لتلافي الفرق بين السنة القمرية والسنة المدارية .

٢ ــ أما **المصريون القدماء** فقد استخدموا التقويم الشمسي حيث اعتبروا السنة ٣٦٥ يوماً مقسمة إلى ١٢ شهراً كل منها بطول ٣٠ يوماً مع خمسة أيام عطلة نهاية السنة . أي في آخر الشهر الثاني عشر ، وابتدأوا الحساب السنوي منذ عام يطابق عام ٤٢٣٦ ق . م ، وهو بدء

التاريخ المكتوب عند المصريين .

٣ ــ وقد استخدم **البابليون ــ الكلدانيون** تقويماً قمرياً وشمسياً في آن واحد حيث اعتبروا السنة ٣٥٤ يوماً ــ كما فعل السومريون ــ ولكنهم أضافوا إلى ذلك شيئاً هاماً وهو استخدامهم ما يسمى (**دورة ميتون** Le Cycle de Meton) ومدتها ١٩ عاماً : فلقد لاحظ (ميتون) هذا أن كل ١٩ سنة شمسية تعادل ٢٣٥ شهراً قمرياً ، بينما كل ١٩ سنة قمرية تعادل ٢٢٨ شهراً قمرياً فقط ، لذا اقترح إضافة الفرق ــ وهو سبعة أشهر قمرية ــ كل تسعة عشر عاماً لكي يتطابق التقويم القمري مع التقويم الشمسي .

٤ ــ وقد اقتبس **العبرانيون القدامى** ، خلال فترة السبي إلى بابل ، هذا التقويم عن البابليين ، فتبنوا أسلوب (دورة ميتون) ولكنهم أضافوا فترة السبعة أشهر بالتجزئة بدلا من إضافتها دفعة واحدة ، حيث جعلوا السنوات ٣ و ٦ و ٨ و ١١ و ١٤ و ١٧ و ١٩ من أصل كل دورة تمتد تسعة عشر عاماً تحوي ثلاثة عشر شهراً بدلا من اثني عشر . ويبدأ التاريخ العبري في زمن يطابق تاريخ ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ٣٧٦١ ق . م ، وهو تاريخ بدء الخليقة حسب **الديانة اليهودية** . وتكون مدة السنة العبرية العادية ٣٥٣ ــ ٣٥٥ يوماً ، والسنة العبرية الطويلة (أو الكبيسة) ٣٨٣ ــ ٣٨٥ يوماً ، ويحتفل بأول كل سنة (**روش هاشانا**) حسب طقوس دينية خاصة .

٥ ــ أما في **روما القديمة** فالتقويم الأول كان قمرياً ، وكانت السنة تحوي ٣٥٥ يوماً وتبدأ في شهر مارس (آذار) من كل عام[٢] .

وكان الكهنة يأمرون بزيادة شهر إضافي مدته ٢٠ يوماً في كل سنتين لإطفاء الفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية بحيث تصبح السنة الرومانية بطول ٣٦٥ يوماً . وكان الرومان القدماء يسمون كل سنة باسم **القنصل** الذي كان يحكمهم خلالها ، ويبدأون التاريخ منذ بناء **مدينة روما** (عام ٧٥٤ ق . م) .

٦ ــ **التقويم اليولياني (٤٥ ق . م)** : ولما وصل **يوليوس قيصر** إلى حكم روما لاحظ أن هناك خلل في التقويم الذي كان يتبعه الرومان ، حيث إن **عيد الحصاد** ــ وهو من أشهر أعيادهم ــ أصبح يحل في آخر فصل الشتاء بدلا من أوائل الصيف ، مما يدل على أن السنة الرومانية الحسابية أقصر من السنة الشمسية العادية ، وهذا ما أقنعه بضرورة العمل على « تقويم » هذا الخلل[٣] .

ولهذه الغاية استدعى يوليوس قيصر **الفلكي المصري « سوريجن »** واستشاره في الأمر ، فأشار عليه هذا بالتوقف عن اتباع التقويم القمري واستخدام التقويم الشمسي بدلا من ذلك مع اعتبار طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً **وربع اليوم** بدلا من ٣٦٥ يوماً فقط كما كانت تحسب حتى ذلك الوقت ، وجبر هذا الربع يوم ليصبح يوماً كل أربع سنوات بحيث يضاف كآخر يوم في شهر فبراير (شباط) الذي كان آخر شهر عند الرومانيين . وبهذا يصبح طول الشهر المذكور ٢٩ يوماً بدلا من ٢٨ كل أربع سنوات ، وتسمى تلك السنة عندها باسم (**سنة كبيسة** Bissextile) وهي كل سنة تقبل أعدادها القسمة على ٤ .

وقد تبنى يوليوس قيصر اقتراحات (سوريجن) بحذافيرها عام ٧٠٨ من تأسيس مدينة روما (٤٦ ق . م) ، وأمر باتباع الطريقة الجديدة في حساب الزمن اعتباراً من بداية العام التالي (٤٥ ق . م) . وقد حسب « سوريجن » مقدار الخلل في التقويم الروماني القديم الذي كان متبعاً حتى ذلك الوقت نتيجة إهمال الربع يوم في كل سنة فوجد أنه يساوي ثمانين يوماً ، لذلك اقترح على قيصر إضافة هذه المدة إلى تلك السنة بحيث تكون ٤٤٥ يوماً بدلا من ٣٦٥ ، وبالفعل فقد كانت سنة ٤٦ ق . م ، أطول سنة مرت على روما ، وهي السنة التي سبقت بدء العمل بالتقويم الجديد الذي دعي منذ ذلك الوقت (**التقويم اليولياني** Calendrier Julien) .

٧ ــ **التقويم الغريغوري** : إذا كان التقويم اليولياني أدق من التقويم الروماني السابق الذي كان مستخدماً في عهد الجمهورية ، فإنه لم يكن كامل الدقة أيضاً لأنه لم يتوصل لمطابقة السنة الحسابية على السنة المدارية ، حيث إن السنة الحسابية التي اعتمدها هي ٣٦٥ يوماً وربع اليوم ، أي ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعات ، بينما طول السنة المدارية الحقيقي هو ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات وحوالي ٤٩ دقيقة ، ومعنى هذا أنه جعل السنة أطول من الواقع بإحدى عشرة دقيقة .

وإذا استخدمنا لغة الأرقام والكسور يمكننا القول إن طول **السنة الحسابية** التي اعتمدها التقويم اليوناني هو ٣٦٥,٢٥٠٠ يوماً بينما طول السنة الشمسية حقيقة هو ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً ، ومعنى هذا أن **السنة اليوليانية** تزيد بمقدار ٠,٠٠٧٨ من اليوم سنوياً وهذا ما يجعل الفرق إذا تراكم يبلغ ٧٨ يوماً بعد عشرة آلاف سنة من بدء تطبيق التقويم اليولياني .

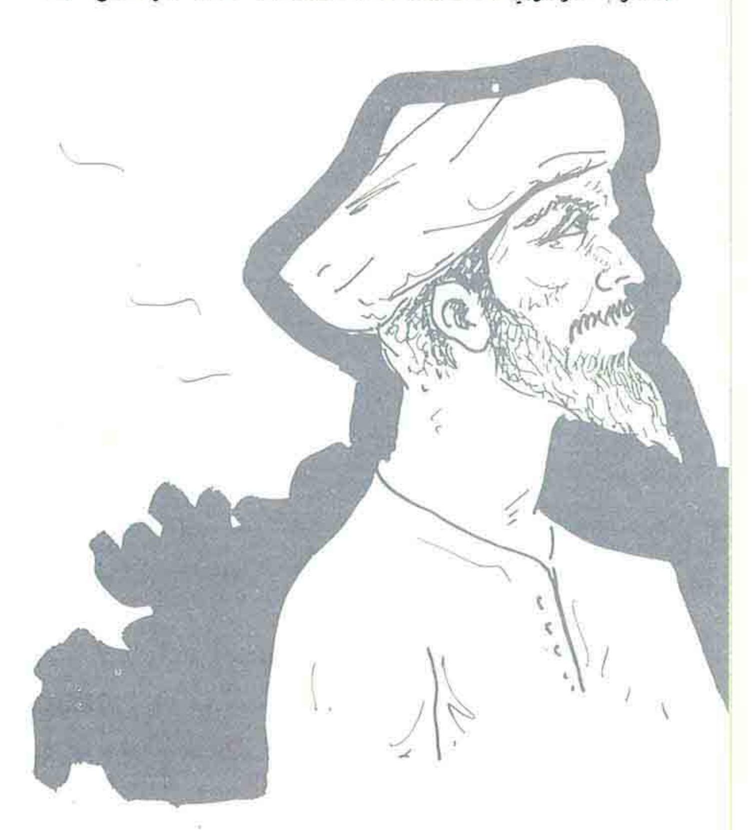


وفي سنة ١٥٨٢ م ، أصبح هذا الفرق البسيط الناجم عن إطالة السنة بمقدار ١١ دقيقة يجاوز عشرة أيام ، ففكر **البابا غريغوريوس الثالث عشر** بإصلاحه .

ولكي يتم تدارك هذه الأيام العشرة أصدر (أمراً بابوياً Bulle) بتاريخ ٢٤ فبراير (شباط) ١٥٨٢ م ، أمر فيه باقتطاع عشرة أيام من السنة وذلك بإجراء قفزة في الزمن مدتها عشرة أيام في يوم الخميس الرابع من أكتوبر (تشرين الأول) ١٥٨٢ م ، بحيث اعتبر يوم الجمعة الموافق أصلاً الخامس من شهر أكتوبر (تشرين الأول) يحمل تاريخ الخامس عشر من الشهر نفسه والعام نفسه .

وأما بالنسبة للسنين التوالي فقد وجد أن الفرق بين **السنة المدارية (الشمسية) والسنة الحسابية** البالغ ٠,٠٠٧٨ من اليوم يصبح مع التراكم حوالي ثلاثة أيام كل ٤٠٠ سنة ، لذلك كان من الواجب اسقاط هذه الأيام الثلاثة كل أربعة قرون لئلا يتكرر الخلل ، ووجد أن أفضل طريقة لاستدراك ذلك هي ألا تعتبر السنة التي تشكل نهاية كل قرن[٤] سنة كبيسة (٣٦٦ يوماً) إلا إذا كانت خانتا المئات والألوف فيها تقبلان القسمة على ٤ ، وهكذا من أصل أعوام ١٦٠٠ و ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ و ٢٠٠٠ التي تشكل نهايات القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرون[٥] ، والتي هي جميعاً أعوام كبيسة حسب التقويم اليولياني لأن أعدادها تقبل القسمة على ٤ ، لا يعتبر عاماً كبيساً حسب الإصلاح الغريغوري إلا عام ١٦٠٠ و ٢٠٠٠ وبهذا نكون قد أسقطنا ثلاثة أيام (في كل من ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠) خلال أربعة قرون وهذا ما يقضي على الخلل في التقويم اليولياني .

ولكن بالرغم من أن التقويم الجديد ، الذي عرف فيما بعد باسم (التقويم الغريغوري Calendrier Gregorien) ، عدل كثيراً من خطأ



التقويم اليولياني إلا أنه لم يسلم بدوره من خطأ بسيط حيث اعتبر الخطأ في التقويم اليولياني ٣ أيام كل أربعمائة سنة مع أن الخلل المذكور هو ٣,١٢ أيام كل أربعمائة سنة[٤] ، ومعنى هذا أن السنة الحسابية لا تزال تزيد عن السنة المدارية بمقدار ٠,١٢ من اليوم كل أربعة قرون ، أي ٠,٠٣ من اليوم (حوالي ٤٣ دقيقة) في القرن الواحد . وهذا الفرق البسيط يبلغ إذا تراكم ثلاثة أيام كل عشرة آلاف سنة ، أي يوماً واحداً بعد مضي ١/٣ ٣٣٣٣ سنة على بدء العمل بالتقويم الغريغوري ، وهذا يصادف عام ٤٩١٥ م ، ولا ندري بعد كيف سيتم إصلاح هذا الخلل ومن سيتولى « تقويمه » ! .

هذا ومن الجدير بالذكر أنه تم «تبني التقويم الغريغوري في إيطالية وفرنسة سنة وضعه (١٥٨٢ م) بينما بقيت **ألمانية** حتى عام ١٧٠٠ م ، **وإنكلترة والدانمرك والسويد وسويسرة** حتى عام ١٧٥٢ م ، لكي تأخذ به . وأما **الروس واليونان والطوائف المسيحية الشرقية (المذهب الأرثوذكسي)** فلم يقبلوا الأخذ بالتقويم الغريغوري وتابعوا استخدام التقويم اليولياني الذي أصبح يدعى (**التقويم الشرقي**) نسبة للشعوب الشرقية التي بقيت على اتباعه ، مما جعل هناك فرقاً بين التقويمين بلغ الآن ١٣ يوماً[٦] .

ومن الطريف ذكره في هذا المجال أن **روسية القيصرية** كدولة شرقية أرثوذكسية كانت تتبع التأريخ الشرقي اليولياني ، فلما وقعت **الثورة البلشفية** عام ١٩١٧ م ، أمر **لينين** خلال العام التالي بنبذ التقويم الشرقي واتباع التقويم الغربي ، مما أجبر الدولة السوفييتية الجديدة على إجراء قفزة في الزمن مدتها ثلاثة عشر يوماً هي الفرق بين التأريخ الشرقي والتأريخ الغربي ، وهكذا أصبح السوفييت يحتفلون بكل عام بثورة أكتوبر (تشرين الأول) مع أن الثورة المذكورة نشبت أصلاً يوم ٢٥ سبتمبر (أيلول) لا السابع من أكتوبر (تشرين الأول) حسب التقويم اليولياني الذي كان متبعاً عام ١٩١٧ م .

وقبل أن ننهي كلامنا عن التقويم الغريغوري لا بد لنا من الإشارة إلى أن جملة البلدان العربية تستخدم هذا التقويم إما منفرداً وإما كرديف للتقويم الهجري ، ولكن أسماء الشهور المستخدمة تختلف بين قطر عربي وآخر حيث تستخدم البلدان العربية في آسية **أسماء الشهور بالسريانية** (كانون الثاني ، شباط ، آذار . . .) بينما تستخدم البلدان العربية في إفريقية **أسماء الشهور اللاتينية** مع بعض التحوير ، وهذا بالإضافة إلى أن **الكنيسة القبطية في مصر والسودان** تستخدم أسماء الشهور المصرية القديمة في تقاويمها .



التقاويم العربية

اهتم العرب منذ أيام جاهليتهم الأولى بالنجوم والأبراج وحساب الأيام والسنين ، وقد استخدموا أولا السنة القمرية بمعدل اثني عشر شهراً هي

على التوالي : المؤتمر ــ ناجر ــ خوان ــ بصان ــ حتم ــ زباد ــ الأصم ــ عادل ــ نافق ــ وغل ــ هواغ ــ برك[7] .

وكانوا يضمون كل شهرين في زمن واحد بحيث كانت لهم ستة أزمنة (بمعنى فصول) تحمل التسميات التالية : شهران باسم الربيع الأول (أو **الربيعية**) ــ شهران باسم الصيف (أو **الصيفية**) ــ شهران باسم القيظ (أو **القيظية**) ــ شهران باسم الربيع الثاني (**الربيعية الثانية**) ــ شهران باسم الخريف (**الخرفية**) ــ شهران باسم الشتاء (**الشتوية**)[8] . وبعد هذا مالوا إلى استخدام السنة الشمسية فقسموا السنة إلى اثني عشر شهراً تتطابق مع الأبراج الفلكية الأثني عشر المعروفة ، بحيث يبدأ كل شهر مع بداية برج معين وينتهي بنهايته وفي هذا ميزة عن تقسيم الأشهر الغربية التي لا تتطابق تماماً ــ حتى اليوم ــ مع تقسيم الأبراج . **وقد سمى العرب أشهرهم الأثني عشر كما يلي :**

١ ــ **ربعي** : هو أول أشهر الربيع ، تدخل الشمس فيه برج الحمل ، عدد أيامه ٣٠ يوماً تمتد من ٢٢ مارس (آذار) إلى ٢٠ أبريل (نيسان) . وقد سماه العرب كذلك نسبة إلى فصل الربيع الذي يظهر فيه العشب .

٢ ــ **دفئي** : الدفئي لغة هو المطر بعد أن يشتد الحر ، أي مطر ما بعد الربيع وما قبل الصيف . وقد سمى العرب بهذا الاسم ثاني أشهر الربيع حين تدخل الشمس **برج «الثور»** وأيام هذا الشهر ٣١ يوماً تمتد من ٢١ أبريل (نيسان) إلى ٢١ مايو (أيار) .

٣ ــ **ناتق** : أنتق في اللغة معناها «بنى مظلة للوقاية من الشمس» ومعنى هذا بدء الحرارة في هذا الشهر ، الذي يصادف دخول الشمس في **برج «الجوزاء»** . عدد أيام هذا الشهر ٣١ يوماً تمتد من ٢٢ مايو (أيار) إلى ٢١ يونيو (حزيران) ، **ويقال إن (ناتق) هو الاسم القديم لشهر رمضان المبارك**[9] .

٤ ــ **ناجر** : اشتق اسم هذا الشهر من فعل «نَجَرَ» ومعناها أكثر من شرب الماء لشدة الحر . سمى العرب أول أشهر فصل الصيف بهذا الاسم ، وهو الشهر الذي تدخل فيه الشمس **برج «السرطان»** ، عدد أيامه ٣١ يوماً تمتد من ٢٢ يونيو (حزيران) وحتى ٢٢ يوليو (تموز) .

٥ ــ **آجر** : آجر الطين بمعنى شواه ليكون آجراً للبناء ، وقد سمى العرب ثاني أشهر الصيف بهذا الاسم لشدة الحرارة فيه . يقابل هذا الشهر «**برج الأسد**» ويمتد من ٢٣ يوليو (تموز) حتى ٢٢ أغسطس (آب) .

٦ ــ **بخباخ** : بخبخ الحر بمعنى «سكن بعض فورته» وقد سمى العرب بهذا الاسم ثالث أشهر الصيف ، وهو الشهر الذي تدخل الشمس فيه برج «**السنبلة**» (**وهو برج العذراء** كما يسمى اليوم) . أيام هذا الشهر ٣١ يوماً تمتد من ٢٣ أغسطس (آب) وحتى ٢٢ سبتمبر (أيلول) .

٧ ــ **خرفي** : نسبة إلى «**الخريف**» وهو في اللغة «مطر نهاية الصيف» أو «أول ما يبدأ من المطر في إقبال الشتاء» . تنتقل الشمس في هذا الشهر إلى **برج «الميزان»** ، وأيامه ٣٠ يوماً تمتد من ٢٣ سبتمبر (أيلول) وحتى ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) .

٨ ــ **وسمي** : الوسمي هو مطر أول البرد ، وقد سمى العرب القدماء ثاني أشهر الخريف بهذاالاسم . تدخل الشمس خلال هذا الشهر **برج «العقرب»** ، وعدد أيامه ٣٠ يوماً تمتد من ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) حتى ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) .

٩ ــ **برك** : ثالث أشهر الخريف **وسمي كذلك لبروك الإبل فيه** ، تنتقل الشمس فيه إلى **برج «القوس»** ، عدد أيامه ٣٠ يوماً تمتد من ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) وحتى ٢١ ديسمبر (كانون الأول) . **ويقال إن «برك» هو الاسم القديم لشهر «ذي الحجة»** .

١٠ ــ **شيبان** : سمي كذلك لأن الأرض كانت «تشيب» فيه من فعل الجليد والثلج ، وهو أول أشهر الشتاء عند عرب الجاهلية . ويصادف هذا الشهر دخول الشمس **في برج «الجدي»** . عدد أيامه ٣٠ يوماً تمتد من ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) وحتى ٢٠ يناير (كانون الثاني) .

١١ ــ **ملحان** : سمي كذلك لأن الأرض تبدو وكأن على سطحها ملحاً بفعل الصقيع ، وهو ثاني أشهر فصل الشتاء ، ويصادف دخول الشمس **في برج «الدلو»** . أيامه ٣٠ يوماً تمتد من ٢١ يناير (كانون الثاني) وحتى ١٩ فبراير (شباط) ، وهو أشد الشهور برداً .

١٢ ــ **رنة** : ثالث أشهر فصل الشتاء وآخر أشهر السنة (رنة الشيء غايته أو آخره) . تدخل الشمس خلال هذا الشهر **برج «الحوت»** ، وعدد أيامه ٣٠ يوماً تبدأ من ٢٠ فبراير (شباط) وتنتهي في ٢١ مارس (آذار) . ويقال إن «رنة» هو الاسم القديم لشهر جمادى الآخرة .

وقد اعتبر **عرب الجاهلية** خمسة أشهر من هذه بطول ٣١ يوماً وسبعة أشهر بطول ٣٠ يوماً مما يجعل طول سنتهم ٣٦٥ يوماً ، ولما لاحظوا أن سنتهم الحسابية أقل من السنة المدارية بقليل قلدوا التقويم اليولياني فأخذوا يكبسون الشهر الأول (ربعي) فيجعلونه ٣١ يوماً بدلا من ٣٠ كل أربع سنوات .

التقويم الهجري

نتيجة لاشتداد حملة الأذى على سيدنا **محمد صلى الله عليه وسلم** بعد وفاة عمه أبي طالب (٦١٨) فكر الرسول **بالهجرة ألى يثرب** وشد إليها رحاله بالفعل بعد أربع سنوات . وأراد المسلمون أن يكرموا هذا التاريخ فاعتبروه أساساً لتقويم خاص بهم باسم (**التقويم الهجري**) واتخذوا نقطة بدء هذا التقويم اليوم الأول من السنة القمرية الموالية لهجرة الرسول إلى يثرب ويصادف يوم السادس عشر من يوليو (تموز) سنة ٦٢٢ م . **وتتكون السنة الهجرية من سنة قمرية كاملة** تحوي ١٢ شهراً ، هي على التوالي : المحرم ــ صفر ــ ربيع الأول ــ ربيع الثاني أو الآخر ــ جمادى الأولى ــ جمادى الآخرة ــ رجب ــ

شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة[١٠] ، ومدة كل من هذه الأشهر ٣٠ يوماً أو ٢٩ بحسب ظهور الهلال ، وأما طول الشهر الهجري بالدقة فهو ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان ، وهذا ما يجعل عدد أيام السنة الهجرية ٣٥٤ أو ٣٥٥ يوماً . ولكي يتجنب المسلمون حدوث أي خلل في تقويمهم الهجري مع مرور الزمن كانوا يحسبون كل ٣٠ عاماً دفعة واحدة ويعتبرون ١٩ عاماً منها بطول ٣٥٤ يوماً و ١١ عاماً بطول ٣٥٥ يوماً .

ومن مقارنة السنة الهجرية بالسنة الميلادية من حيث الطول يتبين أن السنة الميلادية هي أطول من السنة الهجرية بحوالي أحد عشر يوماً مما يجعل الفرق بين التقويمين الهجري والميلادي حوالي سنة كاملة كل ٣٣ سنة . وبقول آخر فإن كل **٣٣ سنة ميلادية تعادل ٣٤ سنة هجرية وكل ١٠٠ سنة ميلادية تعادل ١٠٣ سنوات هجرية تقريباً .**

وأما إذا أردنا اتباع طريقة دقيقة لتحويل التاريخ الهجري إلى تاريخ ميلادي أو بالعكس . فإن خير طريقة لذلك كما نعتقد هي اتباع إحدى المعادلتين التاليتين :

١ ـ **لتحويل التاريخ الهجري إلى ميلادي** : نستخدم المعادلة :

$$\text{م} = \text{هـ} + ٦٢٢ - \frac{\text{هـ}}{٣٣} \,.$$

وهناك صورة أخرى من هذه المعادلة يمكن أن تكون أبسط من الأولى وهي :

$$\text{م} = \text{هـ} - \frac{\text{هـ} \times ٣}{١٠٠} + ٦٢٢$$

فمثلاً إن أردنا معرفة التاريخ الميلادي الذي يقابل سنة ٩٢٢هـ (وهو **تاريخ معركة مرج دابق**) نقول :

$$\text{م} = ٩٢٢ + ٦٢٢ - \frac{٦٢٢}{٣٣}$$

$$\text{م} = ١٥٤٤ - ٢٨ = ١٥١٦\text{م} .$$

٢ ـ **لتحويل التاريخ الميلادي إلى هجري** : نستخدم المعادلة :

$$\text{هـ} = \text{م} - ٦٢٢ + \frac{\text{م} - ٦٢٢}{٣٢}$$

وهكذا إذا أردنا معرفة التاريخ الهجري الذي يقابل عام ١٥٨٢م ، ـ وهو تاريخ الإصلاح الغريغوري للتقويم اليولياني ـ نقول :

$$\text{هـ} = ١٥٨٢ - ٦٢٢ + \frac{١٥٨٢ - ٦٢٢}{٣٢}$$

$$\text{هـ} = ٩٦٠ + \frac{٩٦٠}{٣٢} = ٩٦٠ + ٣٠ = ٩٩٠\text{هـ} .$$

هذا ومن الجدير بالذكر أن جميع البلدان الإسلامية ـ ما عدا بعض البلدان الإسلامية وتركية ـ تتبع التقويم الهجري إما كتقويم أساسي ـ كما هو الحال في **المملكة العربية السعودية** ـ وإما كتقويم رديف إلى جانب التقويم الغربي كما هو الحال في **المغرب وسورية** وغيرهما .

الهوامش

١ ـ نقطة الاعتدال الربيعي هي النقطة التي يتساوى فيها الليل والنهار في أول الربيع ، ويكون ذلك في ٢١ أو ٢٢ مارس (آذار) .

٢ ـ هذا ما يفسر لنا تسمية شهر أيلول عند الرومان باسم « سبتمبر : أي السابع » ، وشهر تشرين الأول باسم « أكتوبر : أي الثامن » ، وشهر تشرين الثاني باسم « نوفمبر : أي التاسع » . . . إلخ .

٣ ـ التقويم لغة معناه الإصلاح والتعديل .

٤ ـ مقدار الفرق ٠,٠٠٧٨ × ٤٠٠ = ٣,١٢ يوماً .

٥ ـ السنة التي تشكل نهاية القرن هي السنة التي تقبل القسمة على مائة ، وعلى هذا يعتبر عام ١٤٠٠هـ ، نهاية للقرن الرابع عشر الهجري وليس بداية للقرن الخامس عشر كما توهم البعض .

٦ ـ الأيام الثلاثة عشر التي تشكل الفرق بين التقويم الشرقي والتقويم الغربي هي حاصل جمع الأيام العشرة التي عدها غريغوريوس يضاف أليها ثلاثة أيام عن أعوام ١٧٠٠ ـ ١٨٠٠ ـ ١٩٠٠م ، التي اعتبرت كبيسة حسب التقويم اليولياني وعادية حسب التقويم الغريغوري .

٧ ـ انظر « دائرة المعارف » للبستاني ، ج ١٠ ، ص ٦١٦ و٦١٧ ، مادة « شهر » .

٨ ـ انظر معجم « متن الغة » للشيخ أحمد رضا ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ ، مكتبة الحياة ـ بيروت .

٩ ـ المرجع السابق ، ص ٦٥٠ .

١٠ ـ تبين معاجم اللغة المختلفة أسباب تسمية الأشهر الهجرية بهذا الشكل فمثلاً يسمى الشهر الأول « المحرم » لأنه يحرم فيه القتال ، ويسمى الشهر الأخير « ذو الحجة » بهذا الأسم لأن العرب كانوا يحجون فيه . . . إلخ .

صاحب المدينة في الأندلس

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور صاحب المدينة في الحياة الاجتماعية والقضائية في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجري . ولم تحظ هذه الخطة من عناية المؤرخين المحدثين ما هي جديرة بها .

ولقد كان الفضل فيما تصدينا له من دراسة وما طرحناه من استخلاصات انتهينا إليها من هذه الدراسة إلى ما توصلنا إليه بعد البحث من قضايا واقعية عثرنا عليها في **نوازل ابن سهل الأندلسي** الذي لم يتح لأحد نشره من قبل . وقد اقتضى المقام أن نقوم بتلخيص إجمالي بلغة عصرية لأصل النص الوارد في المخطوط تيسيراً على الباحث في فهم عباراته ومضمونه ، وبذلك **أتيح لنا السبق في إبراز هذه المادة الجديدة التي تكتب لأول مرة في بحث باللغة العربية** عن تلك الخطة . ولم نقتصر على ذلك ، بل قمنا بمقارنة اختصاصات صاحب المدينة في الأندلس بالنظم القانونية العصرية ، تقريباً للفهم وتبياناً للمستوى العقلي لأصول العدالة التي توارثتها الأجيال والتي لا يختلف فيها البشر ، وإنما كان الفضل في تأصيلها وارساء قواعدها راجعاً إلى العقلية العربية الباهرة التي كانت على مر العصور في الذروة من الإحكام والعدالة .

الخطط الست

أورد ابن سهل في نوازله **الخطط الست** التي تخول لصاحبها حق إصدار الأحكام إذ يقول : « هكذا نص عليه بعض المتأخرين من أهل **قرطبة** في تأليف له ، وأولها وأجلها **قضاء الجماعة والشرطة الكبرى والشرطة الوسطى** ثم **الشرطة الصغرى وصاحب مظالم وصاحب الرد** وهو كصاحب الشرطة سمي صاحب رد بما رد إليه من الأحكام وصاحب مدينة وصاحب سوق » .(١)

وفي موضع آخر يلخص ابن سهل هذه الخطط فيقول : « وتلخيصها القضاء والشرطة والمظالم والرد والمدينة والسوق » .(٢)

من هذا النص نرى ابن سهل يشير إلى سلطة صاحب المدينة بأنها من الخطط التي تخول صاحبها ضرباً من الولاية القضائية ، التي تبيح لصاحب المدينة في حدود المسائل والمنازعات الداخلة في عموم اختصاصه البت في هذه المنازعات وإن اقتضى الأمر استطلاع رأي الفقهاء فيها وترجيح أيها يرى ترجيحه مع متابعة تنفيذ الرأي على غرار السلطة التي يملكها قاضي المظالم والتي لا تقف عند مجرد تقرير الرأي في المسألة ، وإنما متابعة تنفيذ ما قضى به هذا الرأي .

وغني عن البيان في منطق الفهم الصحيح لولاية صاحب المدينة أنه لا ازدواج في قضائه إعمالا لهذه الولاية ، وقضاء الجماعة صاحب الاختصاص والولاية العامة ، بمعنى أنه لا تداخل بينهما ولا عدوان لصاحب المدينة على اختصاص قاضي الجماعة ، بل كل يعمل في إطار نطاق معلوم خارج عن نطاق ولاية الآخر .

أما نوع القضايا الداخلة في ولاية صاحب المدينة وحدودها ، فسنحاول تبيانها قدر المستطاع من خلال دراستنا لبعض القضايا الواقعية وتخريجاتها في نوازل ابن سهل .

ويرى **بروفنسال** أن هذا الموضوع قد ظل غامضاً ، إذ لم تلق عليه أضواء على الأقل في عهد الخلافة ، وهو العهد الذي نعرف أن نظام صاحب المدينة ونظام صاحب الشرطة كانا نظامين موجودين في ظله ولم يمتزجا على نحو ما بدا عليه الحال منذ نهاية القرن العاشر .(٣)

فمن المحتمل أن صاحب المدينة كان هو صاحب اليد العليا في إدارة المدينة وشرطتها واستنتجنا ذلك من أن مجلس صاحب المدينة في الأعياد يقرب من الخليفة وتحته صاحب الشرطة .(٤)

ويضيف بروفنسال أنه يبدو أن اختصاصات صاحب المدينة لا تظهر بوضوح فيما أثر عن هذه الحقبة ، إذ اقتصر الأمر على بيان أنه كان يوجد

بقلم : د. محمد عبد الوهاب خلاف

قاض بهذا الإسم ليس فقط في قرطبة ولكن أيضاً في **مدينة الزهراء** وأخيراً في الزاهرة[٥] ، وعندما كان الخليفة يتغيب عن العاصمة أو عن مقره في حملة عسكرية أو لأي سبب آخر كان يترك أحد أبنائه قائماً مقامه لتصريف الأمور مع إلزام صاحب المدينة بأن يكون إلى جانبه على الدوام .

بعض اختصاصات صاحب المدينة

لكننا نستطيع تحديد بعض اختصاصات صاحب المدينة من تلك المهام التي كان يضطلع بها فنحن نعرف أن **محمد بن أفلح صاحب المدينة بالزهراء** قد قام بالقبض على جماعة رموا بالاستخفاف والتعطيل والغمض للخليفة والرتوع في أعراض الناس ونشر مثالبهم في أشعار يجتمعون على صوغها ويتبارون فيها .[٦]

وكان من اختصاصاته أيضاً **الإشراف على السجن**[٧] وقد كلف الخليفة **الحكم المستنصر** صاحب المدينة بقرطبة **جعفر بن عثمان** ببعض الأمور الخاصة بأسرته مثل متابعة أخبار أبناء إخوته الأموات ليعرف أحوال أبنائهم وأهليهم وامتحان أخبارهم[٨] .

ومن الاختصاصات الفعلية لصاحب المدينة ما ذكره ابن سهل[٩] في قضية «من تراموا في دم سجنوا فيه وكذبوا» فقبض عليهم صاحب المدينة وأودعهم الحبس وأرسلهم إلى قاضي الجماعة ليحكم في قضيتهم .

وفي هذه القضية نرى أن صاحب المدينة كان يقوم بدور المحقق ويقف عند هذه الحدود ، وبوصفه محققاً كانت له سلطة القبض على من تتجه إليه الشبهات .

وهذه السلطة هي من مستلزمات سلطة التحقيق ، والقبض في هذه الحالة هو **إجراء احتياطي** والحبس **حبس تحفظي** موقوت بتداعي الأدلة أو بتعزيزها ، ويتوقف مصير القبض والحبس على هذه النتيجة وعلة التبض والتحفظ على المتهم هي الشبهات التي قامت ضده وحكمته عدم تمكينه من الهرب من جهة أو التأثير على الشهود ومجرى التحقيق من جهة أخرى والحبس هنا حبس احتياطي وليس حبساً تنفيذياً .

ولقد ذكر **ابن عبدون** في رسالته أنه يجب على صاحب المدينة أن يكون عارفاً بأمور الناس وطبقاتهم ذلك لأنه أعدل في الحكم وأحسن سيرة من غيره[١٠] ، كذلك يجب أن يكون رجلاً فقيهاً شيخاً متعففاً عن أموال الناس لا يقبل الرشوة . وللقاضي أن يستخلفه في بعض الأيام ويطلع على حكمه وسيرته ويجب عليه ألا ينفذ أمراً من الأمور الكبار إلا أن يعرف القاضي والسلطان بذلك[١١] .

وفي نهاية القرن الرابع الهجري ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م ، وبدء قيام **ثورة ابن عبد الجبار** كان لا بد لاقتحام الثوار قصر الخليفة **هشام المؤيد** من القبض على صاحب المدينة عبد الله بن عمر[١٢] في مجلسه عند باب القصر ثم أمر ابن عبد الجبار بضرب عنقه بين يديه[١٣] .

وفي القرن الخامس الهجري رأينا أن صاحب المدينة بقرطبة كانت له اختصاصات **إدارية وقضائية** منها التحري عن مصير الأموال المبددة أو المختلسة وإصدار الحكم في حالة ثبوت التهمة .

وويذكر لنا **ابن سهل** في نوازله في **دعوى ورثة ابن لبيب البيطار** على زوجته في سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م ، أنها أخفت بعض تركته[١٤] ، فقام صاحب المدينة بقرطبة **محمد بن هشام بن عيسى الحفيد**[١٥] بمشاورة الفقهاء ابن عتاب[١٦] وابن القطان[١٧] وابن مالك[١٨] في تلك القضية[١٩] .

واستحضر صاحب المدينة الزوجة مسعدة واستجوبها ، فأنكرت أن يكون بيدها شيء وثبت قولها في مجلس نظره . ونرى في هذه القضية أن صاحب المدينة لم يقتصر دوره على التحقيق ، وإنما كانت له السلطة التنفيذية للأحكام ثبت ذلك من كتابه إلى الفقهاء والقاضي ليستنير برأيهم فقال : «ودعيت إلى الفصل بينهم بالواجب ، فلم يسعني إلا عن مشورتكم فخاطبتكم بكتابي هذا مدرجاً طيه كتاب الاسترعاء والوراثة لتشيروا عليَّ بما أعتمد عليه وأنفذه بينهم موفقين مأجورين إن شاء الله تعالى» .

من ذلك نرى أن صاحب المدينة في هذه القضية قد شاور أهل الرأي من الفقهاء في حكم القانون ، فإذا بدا في هذا الاخلال بمبدأ الفصل بين سلطة التحقيق والاتهام وسلطة القضاء أو خروج على هذا المبدأ ، فإننا نرى أنه كان من سلطته الجمع بين هذه الصلاحيات للنظر في أمثال هذه القضايا ربما لسهولتها ذلك أن صاحب المدينة كان منوطاً بالتحري عن الأموال التي تسرق أو تبدد ، وإذا لجأ إليه الورثة بالشكوى من أن **مسعدة زوجة ابن سعيد البيطار** قد أخفت بعض أموال تركته لتستحوذ عليها وتستأثر بها دونهم ، وقد كان هذا داخلاً في نطاق سلطته المشروعة بوصفه صاحب المدينة القائم على المحافظة على حقوق الناس وأموالهم ، ولا نرى أن هذا اعتداء منه على سلطة الحكم ، ولكن هي سلطة مخولة له في أمثال هذه القضايا واستشارته للفقهاء إنما بقصد الاستئناس برأيهم في ثنايا تحرياته استجماعاً للأدلة وتكييفها ثم الموازنة بينها وترجيح أنسبها للأخذ به وإصدار الحكم والتنفيذ .

وكان لصاحب المدينة دور المحقق في **قضايا القتل** مثال ذلك ما ذكره ابن سهل في قضية **الحاج أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله ابن مضر التميمي الطبني**[٢٠] الذي أصبح مقتولاً في فراشه في داره

بالربض الشرقي بقرطبة بجوبة مسجد الأمير في آخر شهر ربيع من سنة ٤٥٧ هـ/ ١٠٦٥ م ، فقد ذكر أن **الوزير أبا الوليد ابن جهور**[٢١] أمر صاحب المدينة محمد بن هشام الحفيد بالذهاب للتحقيق في ذلك وشاور في هذا **ابن عتاب وابن القطان وابن مالك** وقاضي قرطبة[٢٢] .

ونرى من تفاصيل القضية كما عرضها ابن سهل أن صاحب المدينة قد قام بالمعاينة واثبات الحالة ، سواء بالنسبة إلى عدد الطعنات التي شوهدت بجثة القتيل والدماء التي وجدت بملابسه وملابس نسائه وأمتعته أو بالنسبة إلى الآلة الحادة التي استخدمت في القتل ، وتعقب آثار الجاني واستجواب الحاضرين ومواجهة بعضهم ببعض ، ثم استطاع بعد ذلك أن ينتزع اعترافاً من نساء الدار بقتل أبي مروان الطبني المذكور ، إلا أن بعض الفقهاء أعلن بطلان هذا الاعتراف لأنه أخذ بتهديد من الشرطة وافزاع هؤلاء النسوة . وفي ذلك دليل على أن صاحب المدينة كان هو الذي يستعمل سلطة رجال الشرطة في التحقيقات الخاصة بأمثال هذه القضايا .

وهي المعروفة في القوانين الوضعية الراهنة **بالضبطية القضائية** ، بمعنى أنه عندما كلف من قبل حاكم قرطبة بالقيام بتحقيق الواقعة والكشف عن مرتكبي الحادث تولى هذه المأمورية بأمر من الحاكم المذكور واقتصر دوره على جمع الاستدلالات والمعاينة والمناقشة واستجواب الشهود وسماع أقوال ذوي الشأن ومواجهة بعضهم ببعض واستطلاع رأي الفقهاء في تقدير الأدلة وإنزال حكم القانون بصددها دون أن يتصدى في هذه المناسبة للفصل في موضوع الاتهام ذاته ، وهو وضع سليم يتفق وأصول العدالة وضماناتها بحيث لم يجمع بين سلطة التحقيق والاتهام وولاية الحكم ــ في مثل هذه القضايا ــ وهو ما يمكن تشبيهه بدور **النيابة العامة** في القضايا الجنائية عندما تتولى التحقيق وتوجه الاتهام ، وتترك أمر الحكم على من تثبت إدانته للقضاء تصوناً للعدالة لأن المحقق يتأثر بطبيعته بالميل إلى الاتهام ، بينما القاضي يقف من المتهم موقف الحيدة ويقضي قضاءً مجرداً عن التأثر باتجاه معين .

وإذا كان للقاضي وهو يجلس مجلس القضاء أن يحقق بنفسه للتثبت مما قدمه إليه المحقق من أدلة على سبيل استكمال تكوين اقتناعه ، فإن هذا لا يعني أنه يتهم ويقضي في الوقت ذاته ، وبهذا يكون دور صاحب الشرطة ــ في هذه الأنواع من القضايا ــ متفقاً ومبادئ العدالة .

من تلك القضية نرى أن اختصاص صاحب المدينة في مثل هذه الخصوصية كان هو **التحقيق في الجريمة ودوافعها** وحقيقة مرتكبيها تمهيداً لكي يصدر القاضي حكمه فيها بالاستعانة بآراء الفقهاء .

وهناك قضية أخرى في مثل هذا الاختصاص ، وهي **قضية قتل ابن فطيس لزوجه رحيمة ابنة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن شهيد** في سنة ٤٦٢ هـ/ ١٠٧٠ م ،فقد استحضر الحاجب **سراج الدولة أبو عمرو عباد بن المعتمد على الله**[٢٣] الوزير صاحب المدينة بقرطبة **محمد بن يزيد** وسأله فيما جرى بين يديه من أمر التحقيق في تلك القضية وآراء الفقهاء فيها بعد اطلاعهم على جوانبها المختلفة[٢٤] ، فشرح له ما قام به من إجراءات وتحريات ومعاينة وسماع لأقوال الشهود ، وما اضطره إلى الالتجاء إلى مشاورة أهل الرأي من الفقهاء نظراً إلى عدم وجود شهود عيان على الواقعة ، وقيام الاتهام فيها على مجرد الاستنتاج تأسيساً على ما قرره هؤلاء الشهود من أن المجني عليها كانت تقيم مع زوجها بمفردها ولم يثبت تسلل أحد من الخارج إلى مكان وجودهما مما يرجح قرينة ارتكاب الزوج لجريمة القتل .

ويخلص من موقف صاحب المدينة في هذه القضية أنه دعي من قبل الحاكم للتحقيق والمعاينة ، فلما صدع بالأمر أجرى التحقيق وسمع أقوال الشهود واستطلع رأي الفقهاء تنفيذاً للمأمورية التي كلف بها .

ويبدو من شواهد الحال أن صاحب المدينة وقف من الاتهام موقفاً سلبياً ، إذ لم يتأكد له ثبوت التهمة على أحد . وبذلك يكون من الطبيعي في هذه الحالة أنه اتخذ موقف عدم اسناد الاتهام إلى أحد شأن النيابة العامة أو قاضي التحقيق عندما تصدر الأولى أمراً بحفظ الأوراق لعدم كفاية الأدلة أو لعدم معرفة الفاعل أو عندما يصدر الثاني قراراً بألا وجه لإقامة الدعوى العمومية .

وذكر **ليفي بروفنسال** أن هذا اللقب ظل متخذاً منذ نهاية القرن الحادي عشر في **أرجون** وغيره تحت تسمية Zalmedina أو Sahib al-madina أي صاحب المدينة ، وكانت له في ظل **الحكم المسيحي** نفس اختصاصات صاحب المدينة في الأندلس[٢٥] .

يبين مما سلف ايراده أن اختصاصات صاحب المدينة بوصفه محققاً كانت محددة على أسس منضبطة من حيث اقتصار دور المحقق وسلطة الاتهام على جمع الأدلة وتقديرها ، وترجيح الشبهات ، مما ترك الأمر للحاكم أو قاضي الجماعة صاحب الولاية ــ في أمثال هذه القضايا ــ في الفصل في الاتهام حسبما ينتهي إليه اقتناعه مما ثبت لديه في حيدة مطلقة وتجرد تام دون تأثر بالعوامل التي قد يتأثر بها المحقق أو سلطة الاتهام وهذه ضمانة كبرى من ضمانات العدالة على خلاف ما كان معروفاً عند **الرومان** من أن القاضي كان **بريتوراً** بمعنى أنه يستنبط القاعدة القانونية ويقوم بتطبيقها في حالة عدم وجود النص ، بينما الحال في الإسلام في أقضية الأندلس كان يفصل بين سلطة الاتهام وسلطة الحكم كمبدأ عام تصوناً للعدالة وتحقيقاً لطمأنينة المتقاضين .

كذلك كان له **سلطة توجيه الاتهام** وتنفيذ الحكم في القضايا قليلة الخطورة بعد استشارة الفقهاء وتمحيص الأدلة .

التعليقات والحواشي

(١) ابن سهل : الأحكام الكبرى ، ورقة ٢ (مخطط بالخزانة العامة للكتب بالمغرب تحت رقم ٨٣٨ ق) ويجري تحقيقه بالاشتراك مع الدكتور محمود علي مكي .

(٢) المرجع السابق ، نفس الورقة .

(٣) L. Provencal, Hist. Esp. Musul. Vol. 111, P.158.

(٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص ٤٩ .

(٥) L. Provencal, OP. Cit. Loc. Cit.

(٦) المقتبس : تحقيق الحجي ، ص ٧٣ ــ ٧٤

(٧) المرجع السابق : ص ٨٨ .

(٨) نفس المرجع : ص ٩٢ .

(٩) الأحكام الكبرى ، ٣٨٥ . ولقد سعدت بمراجعة أستاذي المستشار مصطفى كامل إسماعيل رئيس مجلس الدولة المصري ووزير العدل بجمهورية مصر العربية سابقاً والخبير القانوني لمجلس الأمة الكويتي حالياً ، لنصوص تلك القضايا الواردة في هذا الموضوع من مخطط الأحكام وتخريجاتها ، واستفدت كثيراً بآرائه ، فله شكري وعظيم امتناني .

(١٠) ابن عبدون : في القضاء والحسبة ، ص ١٦ .

(١١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ٣/ ٥٥ .

(١٣) المرجع السابق : نفس الصفحة ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(١٤) ابن سهل : ورقة ٢٢٠ .

(١٥) هو « أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن عثمان القيسي المعروف بابن المصحفي القرطبي » ، وهو حفيد لأخي جعفر بن عثمان المصحفي الذي كان وزيراً للحكم المستنصر ثم هشام المؤيد قبل أن يستبد المنصور بن أبي عامر بالأمور . كان متحققاً بالأدب ، ولد سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م ، وتوفي سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م . انظر في ترجمة ابن بشكوال : الصلة رقم ١٢٢١ ، ابن الأبار : التكملة رقم ٤٠٢ . د . محمود علي مكي : بحثه عن « أسرة بني الطبني القرطبيين ومصرع أبي مروان الطبني » حاشية رقم ٧١ ص ١٤٤ . مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت ، العدد الثاني ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٠م ، الكويت .

(١٦) هو الفقيه « محمد بن عتاب بن محسن ويكنى أبا عبد الله » . كان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه مدار الفتوى في وقته . دعي إلى قضاء قرطبة مراراً فأبى من ذلك وامتنع . قدمه القاضي أبو المطرف ابن بشر إلى الشورى سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م ، ولد سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م . وتوفي ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م . وشهد جنازته المعتمد على الله محمد بن عباد ومشى راجلاً . انظر في ترجمته : ابن سهل : ورقة ٤٢٢ ، ابن بشكوال : الصلة رقم ١١٩٤ ، القاضي عياض : ترتيب المدارك ٢/ ٨١٠ ـ ٨١٣ ، د . محمود مكي : أسرة بني الطبني القرطبيين . . . حاشية رقم ٧٥ .

(١٧) هو « أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال » يعرف بابن القطان ، توفي سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م . انظر في ترجمته ابن سهل : ورقة ٤٢٢ ، الصلة : ترجمة رقم ١٣٠ ، ترتيب المدارك : ٤/ ٨١٣ .

(١٨) هو « عبيد الله بن محمد بن مالك » يكنى أبا مروان . كان حافظاً للمسائل والحديث . له مختصر في الفقه . توفي ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م . انظر في ترجمته ابن سهل : ورقة ٤٢٢ ، الصلة : ترجمة ٦٧٠ ، ترتيب المدارك : ٤/ ٨١٣ ـ ٨١٥ .

(١٩) ابن سهل : الورقتان ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٢٠) « أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله أبي مضر الطبني » من ترجمته أنه من أهل بيت جلالة ورياسة ومن أهل الحديث والأدب إمام في اللغة شاعر وله رواية وسماع في الأندلس . انظر في ترجمته : الحميدي : جذوة المقتبس رقم ٦٢٩ ، بحث د . محمود مكي حاشية رقم ٥٢ وما ورد فيها من مصادر .

(٢١) هو الوليد بن محمد بن أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور الذي ولي الأمر في قرطبة بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥هـ ، وامتدت إمارته حتى خلعه ابن مرتين قائد المعتضد بن عباد في سنة ٤٦٢ هـ ، ثم نفي مع أفراد أسرته إلى جزيرة شلطيش . انظر ابن عذاري البيان المغرب ٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ، ٢٥٥ ـ ٢٦١ . وقد اختص ابن حيان المؤرخ واقعة خلع بني جهور وما أحاط بها من أحداث بكتاب مفرد هو « البطشة الكبرى » ، انظر تقديم الدكتور محمود مكي لكتاب المقتبس (بيروت ١٩٧٣م) ص ٨٠ ـ ٨٢ .

(٢٢) ابن سهل : ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

(٢٣) سراج الدولة عباد بن محمد المعتمد على الله بن المعتضد . كان أكبر أبناء المعتمد ملك إشبيلية عهد إليه أبوه بحكم قرطبه بعد خلع بني جهور عنها ولقبه المأمون ، فظل بها حتى دخل المرابطون الأندلس وخلعوا ملوك الطوائف ، وحاصروا قرطبة ثم قتلوه في مستهل صفر سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م . انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١٩٠ ، ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢٤) ابن سهل : ٣٨٨ ـ ٣٩٠ .

(٢٥) L. Provencal, OP cit. P. 159.

المصادر والمراجع

●● **ابن الأبار** (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي) التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق كوديرا ، طبعة مجريط ، ١٨٨٦م .

●● **ابن بشكوال** (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) كتاب الصلة جزءان نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، القاهرة .

●● **ابن حيان** (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين) :

* المقتبس تحقيق د . محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣م ، بيروت .

* المقتبس في أخبار بلاد الأندلس ، تحقيق د . عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، ١٩٦٥م ، بيروت .

●● **ابن الخطيب** (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني) أعمال الأعلام (الجزء الخاص بالأندلس) تحقيق ليفي پروفنسال ، ١٩٥٦م ، بيروت .

●● **ابن سهل** (القاضي أبو الأصبغ عيسى . . . الأندلسي) الأحكام الكبرى (مخطوط) نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت رقم ١١٨٩ من مخطوطات الأوقاف رقم ٨٣٨ ق ـ الخزانة العامة ـ الرباط .

●● **ابن عبدون** (محمد بن أحمد . . . التجيبي) في القضاء والحسبة ، ضمن ثلاث رسائل في الحسبة تحقيق ليفي پروفنسال ، ١٩٥٥م ، القاهرة .

●● **ابن عذاري المراكشي** (أبو العباس أحمد بن محمد) . البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جزء ٣ ، تحقيق ليفي پروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (طبعة بالأوفست عن طبعة باريس ١٩٣٠م) .

●● **الحميدي** (أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، القاهرة

●● **خلاف** (دكتور محمد عبد الوهاب) صاحب الرد والمظالم في الأندلس ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد ١٤ ، الكويت .

●● **عبد الواحد المراكشي :** المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ١٩٦٣م ، القاهرة .

●● **عياض** (القاضي أبو الفضل . . . بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق د . أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ٤ أجزاء في مجلدين ، ١٩٦٧م .

●● **مكي** (دكتور محمود علي . .) أسرة بني الطبني القرطبيين ومصرع أبي مروان الطبني ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد الثاني ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٥م ، الكويت .

Levi – Pravencal (E)

Histoire de L'Espagne Musulmane, Tome 3, Paris, 1967.

الإدارة المثالية ..

تحتل الإدارة الأهمية المحورية في أي عمل من الأعمال سواء في مجال **الصناعة والزراعة والتجارة** (الاقتصاد) أو في مجال **السياسة والتعليم** .... إلخ ، فإذا كانت عوامل الإنتاج كما يذكرها علماء الاقتصاد أربعة هي : **الأرض ، ورأس المال ، والعمل ، والتنظيم والإدارة** ، فإن العامل الأخير هو المسؤول الأول عن تحديد الأهداف وحصر الإمكانات المادية والمالية والبشرية ، وتنظيمها والتنسيق بينها وتوظيفها لتحقيق هذه الأهداف . والواقع أن رأس المال والقوى البشرية والأرض لا قيمة لها دون إدارة ناجحة قادرة على تصور أهداف واضحة والتنسيق بينها بشكل علمي لتحقيق هذه الأهداف .

ويمكن تعريف الإدارة بشكل مبسط بأنها **مجموعة العمليات التي تتحقق داخل تنظيم معين (مصنع ـ مدرسة ـ إدارة تعليمية) من أجل تحديد أهداف واضحة ، وتعبئة كل الإمكانات المادية والبشرية المتاحة من أجل تحقيق أهداف هذا التنظيم** (المدرسة أو المصنع) ، أو هي : **مجموعة العمليات الاجتماعية التي تقوم بالتخطيط والتنظيم والحفز والتعبئة والتنسيق والتقويم من أجل تحقيق أهداف المنظمة أو المؤسسة .**

مهام الإدارة

ويتضح من التعريف السابق أن هناك مجموعة من المهام الأساسية للإدارة أوجزها فيما يلي :

أولا ـ التخطيط : وهو محاولة تحقيق أهداف محددة في فترة زمنية معينة ـ بإذن الله ـ بعد القيام بحصر لكافة الإمكانات المادية (مبان وأدوات وأجهزة) ، ومالية (سيولة نقدية) ، وبشرية (كفايات فنية وإدارية حسب مختلفة التخصصات) .

ثانياً ـ التنظيم : ويقصد به تكوين الإدارات والأقسام وبناء الهيكل التنظيمي للمؤسسة (إدارات المشتريات والتوجيه والشؤون المالية ، أو أقسام اللغة العربية ، والمواد الاجتماعية ، والرياضيات ... في المدارس ... إلخ) وتوزيع العاملين على هذه الإدارات والأقسام على حسب التخصص والميول المهنية والقدرات الفنية ... أي **وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .**

ثالثاً ـ التنسيق بين الأقسام والإدارات : فالواقع أن تقسيم المؤسسة (التربوية أو الصناعية) إلى إدارات وأقسام ومكاتب ... ليس إلا وسيلة لتحقيق هدف نهائي مخطط وواضح ، ويجب التنسيق بين كل هذه الأقسام بشكل يحقق الهدف النهائي من خلال أساليب اتصال منظمة ومستمرة فيما بينها .

رابعاً ـ التوجيه والتدريب والحفز والتعبئة : مهما أوتي الإنسان من معرفة ، فهو في حاجة إلى المزيد من المعرفة ، وإلى فهم كيفية تحويل هذه المعرفة والمعلومات إلى سلوك تنظيمي يخدم أهداف التنظيم أو المؤسسة التي يعمل فيها ، فالمتخرج من الكلية قد يكون لديه معلومات عن التدريس إلى جانب تخصصه العلمي الدقيق ، غير أن قيادة الموقف التعليمي داخل الفصل الدراسي وقيادة الأنشطة التربوية المختلفة ، يحتاج إلى مهارات تطبيقية يجب أن يكتسبها المدرس من خلال برامج التوجيه والتدريب ، تلك البرامج التي يجب أن تستمر لاطلاع العاملين ـ في أي مؤسسة ـ على ما يستجد من معلومات ومهارات وخبرات ، ومن أبرز أساليب الحفز والتعبئة : وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، واستخدام أساليب الثواب والعقاب في جو من العدالة والحيدة والمساواة بين العاملين .

خامساً ـ التقييم والمتابعة : وإذا كان للتنظيم هدفاً نهائياً (مثل **إنتاج سلعة معينة بكم وكيف معين ، أو تخريج طلاب نامين جسمياً ومعرفياً واجتماعياً وعقلياً وانفعالياً بشكل مخطط**) فإنه يجب أن يكون هناك برنامج لمتابعة تحقيق الهدف من خلال تصميم أهداف وسيطة يتم فحص مدى تحقيقها خلال فترات زمنية متتابعة ، وتقييم ما تم من انجازها وما لم يتحقق إنجازه ، ومعرفة أسباب القوة والضعف في التنظيم من أجل دعم أسباب القوة والتغلب على المشكلات التي تعوق تنفيذ الأهداف ، فقد يكتشف المقيم أن سبب عدم تحقيق الأهداف ، عدم وضوح الهدف ، أو عدم وضع العاملين في تخصصاتهم ، أو خلل في تقدير الميزانية ، أو إهمال الموظفين أو تسيب الإدارة وعدم تقدير العاملين بشكل يحفزهم للعمل وبذل الجهد ، أو سوء معاملة الرؤساء لمرؤوسيهم ، أو فشل التخطيط أصلاً لقيامه على بيانات خاطئة ... إلخ

العمل الإداري

هناك مجموعة من الاعتبارات يجب على المسؤولين عن الإدارة المدرسية مراعاتها من أجل إنجاز الأهداف التربوية بالكفاءة الواجبة أوجزها

بقلم: د. نبيل محمد السمالوطي

في الإدارة المدرسية

فيما يلي :

أولا – لتوفير المناخ الصالح لممارسة العمل التربوي الناجح وإشعار العاملين : مدرسين وإداريين وكتبة وأمناء مختبرات ومكتبات . . . إلخ ، بالانتماء للمدرسة وحب العمل داخلها والرضا عن العمل Gob Satis Faction ، وهذا هو أحد الشروط الهامة للإنتاج الجيد كماً ونوعاً .

فالمدير الناجح إدارياً وتربوياً هو الذي يشيع جو الألفة داخل المدرسة ، والذي يهتم بالعاملين وبمشكلاتهم ، ويوفر جواً صالحاً للعمل حيث يشجع المعلمين والفنيين على التعبير الحر عن آرائهم واقتراحاتهم وما يعانونه من مشكلات ، ومحاولة مواجهتها من خلال جو وعلاقات أسرية تقوم على احترام شخصية المدرسين والتلاميذ ، وعلى توافر الثقة المتبادلة بين الجميع وإشباع حاجات المدرسين إلى الأمن والتقدير والتعبير عن الذات والحرية والانتماء . . . إلخ .

ثانياً – مراعاة اشراك المدرسين مع المدير في عملية اتخاذ القرار حتى لا يصدر القرار معبراً عن وجهة نظر المدير وحده ، وإنما يصدر تعبيراً اجتماعياً عن وجهات النظر التي تجمع بين **العلم والخبرة والممارسة الميدانية** . . والقرار الجماعي يفرض تنفيذه على جميع أعضاء الأسرة المدرسية التزاماً وليس إلزاماً ، حيث يشعر الجميع أن هذا القرار صادر منهم وليس مفروضاً عليهم .

ومن شروط القرار الجماعي داخل المؤسسات التربوية تمكين كل مدرس وعامل من إبداء رأيه بحرية ، مع توافر المعلومات والبيانات والتعليمات للجميع ، وعدم احتكارها في مكتب المدير ، حتى تصدر القرارات على أساس سليم ، وحتى يكون الولاء للمبادئ والقيم وليس للأشخاص . وقد كشفت **دراسات ديناميات الجماعة** أن درجة اهتمام الفرد بعمله تتناسب طردياً مع إحساسه بالاسهام الفعلي في تخطيط هذا العمل وتحديد أهدافه لا في تنفيذه فحسب .

ثالثاً – يجب ألا ينفرد المدير – مدير المدرسة – باتخاذ كل القرارات دون رجوع إلى المختصين ، وهنا تأتي أهمية تفويض السلطات حيث يجب أن يفوض جزء من سلطاته للوكيل ولمشرفي المواد وللمدرسين ، وأن تحدد الاختصاصات بوضوح ، وأن يتبع **مبدأ وحدة الأمر** – حيث لا يتعدد الرؤساء وبالتالي تتعدد الأوامر وقد تتضارب – ويراعي **نطاق التمكن** حيث لا يطلب إلى شخص الإشراف على عدد أكبر من طاقته . ويجب أن يعرف كل موظف واجباته واختصاصاته بدقة ووضوح كاملين ، ويجب مراعاة مبدأ التوازن بين السلطات والمسؤوليات ، فلا يحاسب موظف على ما لا يقع في دائرة اختصاصه .

رابعاً – من أهم واجبات مدير المدرسة تنمية البرنامج التربوي والتعليمي وتطوره ، ويقصد بالبرنامج **مجموعة المناهج أو الأنشطة التي تمارس داخل المدرسة والتي تستهدف اكساب التلميذ خبرات مخططة في كافة المجالات المعرفية والسلوكية والعقلية والاجتماعية والانفعالية حسب المرحلة الدراسية التي يديرها** . وهو لن يتحقق إلا من خلال إدراك الطبيعة الجسمية والعقلية والانفعالية للتلاميذ ، وإدراك الهدف من المرحلة ودراسة البيئة الاجتماعية الأوسع المحيطة بالمدرسة وأهداف المجتمع العليا وفلسفته الاجتماعية والعقائدية ، واشراك المعلمين في عملية تقويم المناهج وإدارة حوار مثمر بين المعلمين والفنيين من جهة وبين المدرسة ككل وبين الإدارة التعليمية والمجتمع المحلي الذي يحيط بالمدرسة ، مع اشراك العلماء والمختصين في عملية تقويم البرامج والمناهج وتطويرها .

خامساً – ومن أجل نجاح تطوير المناهج والبرامج التربوية يجب إحكام الصلة بين المدرسة وأسر التلاميذ من خلال الاهتمام بمجالس الآباء والمعلمين واشراك الآباء في برامج المدرسة واطلاعهم على أهدافها وأساليبها في تنفيذ هذه الأهداف ، ومن خلال الانفتاح على البيئة المحلية عن طريق المحاضرات العامة والندوات والكتيبات ، والاسهام في حل مشكلات البيئة وتطبيق شعار (**المدرسة مركز إشعاع ثقافي واجتماعي داخل البيئة**) .

سادساً – من أجل نجاح السياسة التعليمية في تحقيق أهدافها المتمثلة في تهيئة جو المدرسة ومواقف التعلم ومختلف الأنشطة التربوية على نحو يكفل النمو المتكامل لشخصيات التلاميذ ، وتجنب ما يعطل هذا النمو وتنمية العلاقات الإنسانية الإسلامية القائمة على الإيمان العميق بقيمة

الفرد وعلى أهمية العمل الجمعي وضرورة المشاركة والتعاون وتنمية سمات الإيثار، والتسامح والمودة وصياغة الشخصية الإسلامية الحقة.

أقول إنه من أجل تحقيق أهداف هذه السياسة يجب أن تكون البرامج التربوية متركزة **حول التلميذ** وليس حول **مواد المنهج**، وهذا يعني أن تهتم الإدارة بالأحياء قبل الأشياء، فالتلميذ هو مركز الاهتمام، ومن دوافعه وحاجاته وفطرته تبدأ عملية التعلم على أساس نشاطه الذاتي، ويجب أن يساير هذا الاهتمام بالتلميذ الذي هو محور العملية التعليمية، ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ جسمياً وعقلياً وانفعالياً. ولهذا يجب أن يدرك مدير المدرسة أن مهمة المدرسة ليست بمجرد تلقين المعلومات والإعداد للامتحانات، وإنما مهمتها التنمية الشاملة لشخصية التلميذ على نحو ما أوضحناه.

وقد كان الهدف الأسمى للمدارس في الماضي تحقيق النظام، ولكن ما لبث أن أدرك الباحثون أن النظام ليس هدفاً في ذاته ولكن وسيلة لتحقيق أهداف تربوية أسمى، وأن الإسراف في مراعاة النظام قد يكون على حساب حاجات الطالب النفسية والاجتماعية، الأمر الذي يعوق نموه ويشيع جواً من القسر والعسف يتعارض مع أبسط مبادئ التربية الإسلامية الصحيحة.

سابعاً ـ يجب على الإدارة التعليمية الاهتمام باختيار المعلمين وتأهيلهم تربوياً واجتماعياً ونفسياً وتزويدهم بمبادئ الصحة النفسية، ذلك لأن أمس ما تحتاج إليه المدارس من أجل أداء رسالتها التربوية معلمين تتيح لهم شخصياتهم وتدريبهم اصطناع الجو المناسب لنمو شخصيات التلاميذ بشكل سوي. ولا نغلو إذا قلنا أنه ليست هناك مهنة إذا امتهنها ذو شخصية معتلة كانت أجلب للضرر على غيره وعلى نفسه من مهنة التدريس. **فالمعلم العصابي** ينشر الاضطرابات النفسية بين طلابه كما لو كان مصاباً بالجدري أو حمى التيفود، وسلوكه نحو طلابه يتسم بنفس الصفات التي يتسم بها سلوك الوالد العصابي نحو أولاده. وترجع خطورة المعلم إلى أنه يتعامل مع بشر ويقوم بعدة أدوار في وقت واحد، فهو بديل الأب وهو رئيس وقدوة ومشرف وموجه وخبير وعالم.

والواقع أن المعلم لا تغنيه ثقافته أو مهارته في التدريس أو حبه للعمل أو إلمامه الواسع بمشكلات مهنته، ولا يكفيه هذا كله للنجاح في مهمته إن لم تكن له القدرة على الفهم والعطف والاستبصار الوجداني في نفوس تلاميذه.

والمدير الناجح هو الذي يكون قد سبق له أن تدرج في مراتب التدريس والذي يتمتع بنفس سمات المدرس الكفء، والذي يتابع سلوك المدرسين للتأكد من خلوهم من الأمراض النفسية الخطيرة. ومن البديهي أن يتمتع المدير نفسه بأسس الصحة النفسية (**الإيمان بالله والخلو من الصراعات والقدرة على الإنتاج والقدرة على تكوين علاقات أجتماعية راضية مرضية مع الآخرين**).

ثامناً ـ من أهم واجبات المدير الإشراف على وجود السجل المجمع لكل تلميذ، ذلك السجل الذي ينتقل مع التلميذ من المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية. ويوضح هذا السجل مستوى ذكاء التلميذ ومستوى تحصيله وقدراته، وسمات شخصيته وسماته الخلقية، وأسلوب تعامله مع الآخرين وميوله الدراسية والرياضية والفنية . . . ويعد هذا السجل أو البطاقة الأساس الأول في التوجيه النفسي والتربوي والمهني للطالب، وهو الأمر الذي يكفل تحقيق الرضا عن الدراسة والعمل، وبالتالي يحقق أساساً هاماً من أسس الإنتاج والصحة النفسية.

تاسعاً ـ ويجب على مدير المدرسة حسم الخلافات التي تظهر بين أعضاء الأسرة المدرسية، كذلك فإنه يجب أن يهتم بمشكلات التلاميذ وما يظهر بينهم من انحرافات سلوكية وخلقية ونفسية، والعمل على علاجها مبكراً. وهذا لن يتحقق إلا بالتعاون التام بين المدرسة والبيت والعيادات النفسية.

ومن أمثلة الانحرافات النفسية والسلوكية للتلاميذ الخوف المرضي من الامتحانات، والقلق الزائد على الصحة، وصعوبة تركيز الانتباه والعجز عن تنظيم أوقات الاستذكار ووقت الفراغ، والإعراض عن بذل الجهد والتبرم بالدراسة والعجز عن التعامل السليم مع الآخرين، وضعف الحساسية الاجتماعية، والعزوف عن الأنشطة الاجتماعية، والمتاعب المالية والانحرافات الجنسية والمخاوف الشاذة.

ويجب أن تتخذ المدرسة مختلف الإجراءات الإنشائية والوقائية والعلاجية في مواجهة الانحرافات.

عاشراً ـ وأخيراً فإن مدير المدرسة يجب أن يتسم بعدة سمات خلقية واجتماعية ودينية، في مقدمتها الإيمان الصادق بالله والثقافة العالية والنضج الانفعالي والفهم التربوي والنفسي، وأن يكون من النوع المتواضع الذي يألف ويؤلف، والذي يتسم بالحزم والقدرة على اتخاذ قرارات عادلة ولا ينحاز لشخص معين . . . هذا إلى جانب الصحة الجسمية والنفسية.

المهارات الأساسية لمدير المدرسة الناجح

سبق أن أشرت إلى أهم سمات المدير الناجح وأهمها الحكم الصائب على الأمور وحسم المشكلات وتكوين علاقات راضية مرضية مع الآخرين وكسب احترامهم . . . إلخ. جميع هذه الصفات التي يعرفها جيداً كل من اتصل بالعمل الإداري من قريب. ولأهداف تحليلية علمية بحتة نستطيع أن نوجز أهم المهارات القيادية للمدير التربوي فيما يلي:

أولا ـ المهارة الفنية: وتتمثل في فهم نظم وقوانين ولوائح التعليم وإدراك المدير لحقوقه واختصاصاته وواجباته، حتى لا يصدر قراراً ليس له أن يصدره، وحتى لا يتوانى عن إصدار قرار يقع في نطاق مسؤولياته، وهذه المهارة تكتسب بالخبرة الطويلة في سلك التدريس ومن خلال البرامج المهنية وبرامج التدريب أثناء العمل، ولهذا يجب أن يكون مدير المدرسة قد صعد سلم التعليم من بدايته.

ثانياً ـ المهارة الادراكية: وتتمثل في قدرة المدير على النظر إلى الموضوعات والمشكلات والقضايا التي تعرض عليه نظرة شمولية من

جميع جوانبها في علاقتها بالأهداف الكلية للمدرسة وللبيئة الاجتماعية والأهداف العليا للمجتمع ككل . فهي إذن مهارة تتعلق باتخاذ القرارات الرشيدة وتعتمد هذه القدرة على عدة عوامل أهمها الدراسة والخبرة السابقة والذكاء .

ثالثاً ـ المهارة الإنسانية : وتقوم على أساس فهم المدير الصادق لنفسه وللآخرين واكتساب مهارة حسن التعامل مع الآخرين بشكل يحببهم في العمل ويتيح لهم التعبير الحر عن مشكلاتهم وآرائهم واقتراحاتهم ، وحفزهم للعمل . والمدير الناجح هو القادر على التحول من رئيس مفروض على الجماعة إلى قائد يشعر أعضاء الجماعة أنه واحد منهم يرضونه موجهاً لهم .

والقائد الإداري الناجح هو الذي يوجه الجماعة إلى الطريق السليم بشكل يشعر الجماعة أن القرارات نابعة منها وليست مفروضة عليها . والمدير الناجح هو القادر على إشباع حاجات أعضاء أسرة المدرسة من حب وتقدير وتعبير عن الذات وانتماء إلى المدرسة ، ومشاركة في تخطيط وتنفيذ مختلف مناشطها .

وهذه المهارة يمكن اكسابها للمديرين من خلال عدة أساليب في التدريب كالمحاضرات وتمثل الأدوار مع تقييمهم أثناء الممارسة . . . إلخ .

أنماط الإدارة المدرسية

يمكن القول بأن الإدارة المدرسية تختلف بشكل واضح عن كافة أنواع الإدارة الأخرى لأنها تتعامل مع النشء وتعدهم للمستقبل . . ولهذا فهي أخطر شأناً وأكثر أهمية . وينظر الآن إلى التربية والتعليم على أنها ليست قطاعاً من الخدمات فحسب ولكنها **عملية استثمار اقتصادي طويل المدى** Long term investment .

وقد حاول العلماء قياس العائد أو المردود الاقتصادي للتعليم ووجدوا أنه أكثر المشروعات الاقتصادية عائداً من حيث ما يدره إنتاج البرامج التعليمية من قوى بشرية تسهم في مختلف مجالات الإنتاج الاقتصادي من صناعة وزراعة وتجارة ، إلى جانب العائد المعنوي الذي يصعب قياسه كمياً متمثلاً في شخصيات متماسكة متكاملة تؤمن بالله وتنشر الحق وتسهم في تنمية نفسها وأسرها ومجتمعها المحلي ومجتمعها العام ، الأمر الذي يؤدي إلى قيام مجتمع متماسك .

وتكشف الدراسات الواقعية عن أن هناك عدة أنماط للإدارة المدرسية يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع هي :

أولا ـ الإدارة المدرسية التسلطية

حيث يوجد فصل تام بين التخطيط والتنفيذ ، وهنا يقوم المدرس بتنفيذ الأوامر الملقاة عليه من الرئاسات العليا حتى ولو لم يكن مقتنعاً بها ، ويحتكر المدير والموجه وحدهما الحق في اتخاذ القرارات التي لا يملك المدرسون مناقشتها . وفي مثل هذا المناخ تنتفي القيم التربوية الصحيحة ، ويصبح الخضوع والمسالمة واتباع أوامر مدير المدرسة والولاء له وتنفيذ تعلياته هي وحدها معايير النجاح والترقي ، الأمر الذي يقتل لدى المدرسين روح الابتكار والتجديد ، ويحرمهم من حاجة نفسية أساسية وهي الحاجة إلى التعبير عن الذات والحاجة إلى أداء عمل نافع للجماعة والحاجة إلى الحرية ، كما يقتل التنافس البنَّاء بين العاملين ، هذا إلى جانب حرمان المدرسة من الخبرة التربوية الطويلة للمدرسين وهم وحدهم الأقدر على نقد المناهج والنظم نظراً للممارسة الطويلة .

ومن الواضح أن المدرسين والعاملين في مثل هذا الجو يشعرون بالقلق والاضطراب وكره المدرسة وعدم الأمن ، وتنخفض روحهم المعنوية ، الأمر الذي ينعكس على إنتاجيتهم وعطائهم العلمي والتربوي ، هذا إلى جانب فقدان شخصيات المدرسين أمام الطلاب ، كما تتناقض القيم النظرية مع القيم التطبيقية لدى التلاميذ حيث يعلم الطلاب القيم الإسلامية التي تقوم على احترام الإنسان وتكريمه وحقه في إبداء رأيه وحق النقد البناء . . . إلخ ، ثم لا يجدون لها تطبيقاً حيث يطبق عكس هذا ، مما يؤدي إلى صراع القيم والأدوار وإلى الصراع النفسي لدى الأساتذة والطلاب معاً . ومن الواضح أن هذا المناخ يتعارض مع القيم والمبادئ التربوية الإسلامية الصحيحة .

ثانياً ـ الإدارة المدرسية الفوضوية

يتسم المدير هنا بالمرح والانبساط والروح الاجتماعية ويظهر إيمانه بمبدأ الشورى وضرورة اشراك المدرسين والعاملين في تحمل المسؤولية وضرورة توزيع الاختصاصات على أسرة المدرسة من أجل شحذ هممهم وإظهار ابتكاراتهم . . . إلخ . غير أن هذا المدير يتسم بالسلبية في التطبيق ، حيث يترك لكل عامل أن يحدد طريقة عمله بنفسه دون ضبط وربط مركزي ، ودون إيجاد تنسيق بين مختلف الأدوار التربوية في المدرسة ، هذا إلى جانب عدم قدرته على اتخاذ قرارات تحسم المشكلات والأمور المعروضة بزعم أنه لا يريد التدخل في أعمال الآخرين . وعادة ما تنتهي الاجتماعات التي يرأسها (مجلس إدارة المدرسة أو مجلس الآباء والمعلمين أو اجتماعات لجان النشاط) دون اتخاذ قرارات محددة وملزمة ، ودون أن يعرف كل عامل المهمة الموكولة إليه بدقة ووضوح . ومن الواضح أن المدير هنا لا يقوم بواجبه في حسم الأمور واتخاذ القرارات والتوجيه والربط بين مختلف الأنشطة من أجل تحقيق الهدف النهائي للمدرسة .

ولهذا فإنه عادة ما لا ينتظم العمل بهذه المدرسة وتكون نتيجتها سيئة سواء من حيث التحصيل الدراسي أو التربية الشاملة لشخصيات التلاميذ وفق أهداف المرحلة ، لأنها تسير وفق مبدأ خاطئ وهو « **دعه يفعل ما يريد دون توجيه أو رقابة أو تقويم** » .

ثالثاً ـ الإدارة المدرسية القائمة على أسلوب الشورى

ويعد هذا الأسلوب أمثل أنماط الإدارة حيث يجمع بين المثالية والواقعية التطبيقية ، وينطلق من القيم والمبادئ . فالمدير هنا لا ينفرد باتخاذ

القرار وإنما يشرك معه المدرسين والعاملين المتخصصين ويشعرهم بأهميتهم ويشبع حاجاتهم النفسية وينمي لديهم القدرات الابتكارية .

ويعتمد هذا الأسلوب على تنمية روح الفريق فيد الله مع الجماعة ، ويوظف كل الأنشطة التعليمية والتربوية لخدمة الهدف النهائي للمدرسة والذي يظل واضحاً أمام الجميع ويشجع هذا الأسلوب فردية التلاميذ وأعضاء هيئة التدريس في إطار القيم التربوية الصحيحة ، حيث تراعى الفروق الفردية في الذكاء والقدرات والاستعدادات ، ويعرف كل عامل في ظل هذا الأسلوب المطلوب منه بوضوح ، ولا يحاسب إلا عما هو مسؤول عنه حيث يؤخذ بمبدأ **تكافؤ المسؤوليات** مع السلطات ، ويراعى في توزيع الأدوار التربوية ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، في إطار من العدالة في توزيع الأعمال والمسؤوليات ، ويتسم المدير في ظل هذا النمط بحسن المعاملة وتشجيع العاملين على إبداء آرائهم بحرية ، والقيام بالنقد الذاتي في إطار المصلحة العامة للمدرسة وأهدافها ، وتنفيذ شعار « المدرسة مركز اشعاع داخل البيئة » .

مسؤوليات مدير المدرسة

يمكننا تصنيف المسؤوليات الوظيفية لمدير المدرسة إلى ثلاثة أقسام :

أولا ـ قبل افتتاح الدراسة :على المدير في هذه المرحلة إعداد المباني المدرسية وتجهيز الأدوات والوسائل التعليمية وإعداد ميزانية المدرسة ، وإعداد الجداول الدراسية بعد توزيع الطلاب على الفصول ، وإعداد دليل العمل بالمدرسة وتوضيح سياسة المدرسة للمدرسين الجدد .

ثانياً ـ خلال العام الدراسي : على المدير توضيح سياسة المدرسة ومختلف الأنشطة التي سوف تمارس داخلها بمشيئة الله في أول يوم ومع افتتاح الدراسة ، وتوضيح تعليمات الإدارة التي يجب الالتزام بها منذ اليوم الأول ، وعليه الإشراف على تنفيذ المناهج والأنشطة ، وعلى سلوك التلاميذ وعلى صياغتهم تربوياً وفق القيم الإسلامية ، وعلى صحتهم . وعليه التأكد من وجود بطاقات التلاميذ التي سبق أن أوضحناها ، والتأكد من تنفيذ التعليمات المالية والإدارية المقررة من قبل الوزارة . . هذا إلى جانب عقد مجلس إدارة المدرسة ومجلس الآباء والمعلمين لمتابعة تطبيق المنهج ومواجهة المشكلات وعقد الصلة قوية بين المدرسة وأسر التلاميذ والمجتمع المحلي .

ثالثاً ـ في نهاية العام الدراسي : من أهم واجبات مدير المدرسة الإشراف على عقد الامتحانات وضمان حسن سيرها وتشكيل لجان **النظام والمراقبة** وإظهار النتيجة وإبلاغها للتلاميذ وللإدارة التعليمية وإعداد التقرير السنوي الذي يذكر فيه كافة الخبرات التي مرت بالمدرسة خلال العام الدراسي بسلبياتها وايجابياتها حتى يكون بمثابة تقييم موضوعي ونقد ذاتي ينير الطريق لتطبيقات تربوية أكثر سلامة في العام القادم ، إلى جانب مراجعة الدفاتر المالية (حسابات ومخازن ، وعهد . . .) والقيام بالجرد السنوي وتوزيع العمل خلال العطلة الصيفية ، ويضاف إلى هذا تقييم العاملين معه تقيياً موضوعياً سلياً .

هذه هي المسؤوليات الوظيفية العامة ، وهناك العديد من المهام التفصيلية مما يعرفها كل من له صلة بالإدارة المدرسية في التطبيق ، مثل الإشراف على حصر الغياب والحضور ومتابعة الطلاب المتخلفين والنظر في حاجتهم لمجموعات تقوية . . .

تقييم مدير المدرسة

هناك مجموعة من المعايير التي يمكن بناء عليها تقييم مدير المدرسة ويمكن استنتاجها من البحث . وبوجه عام هناك مجموعة من الأسئلة يمكن ـ اعتماداً عليها ـ تقييم الدور التربوي للمدير أهمها ما يلي :

أولا ـ هل ينفرد المدير باتخاذ القرارات أم يشترك معه العاملين . . . ؟

ثانياً ـ هل يركز في يده كل أمور المدرسة أم يوزع المسؤوليات على العاملين . . ؟ ويحسن توظيف المدرسين والعاملين لخدمة الأهداف التربوية العليا للمدرسة .

ثالثاً ـ هل يسمح للعاملين بإبداء آرائهم واقتراحاتهم وعرض مشكلاتهم بحرية ؟ وهل يشعر العاملون بعدالة المدير في توزيع الأعمال . . ؟

رابعاً ـ ما موقف المدير من القضايا والمشكلات التي تعرض عليه سواء من العاملين أو من الطلبة ؟

خامساً ـ هل يسهم في تطوير العمل التربوي والمناهج الدراسية ورفع اقتراحات التطوير للجهات العليا أم يكتفي بتنفيذها فحسب؟

سادساً ـ هل يكتفي بأداء الدروس داخل الفصل أم يهتم بالأنشطة التربوية المختلفة خارجه ؟

سابعاً ـ ما نتيجة التحصيل الدراسي لتلاميذ المدرسة آخر العام ؟

ثامناً ـ هل تسود العلاقات الطيبة بين العاملين أم تكثر بينهم الخلافات والمشكلات ؟

تاسعاً ـ ما نوع العلاقة بين المدرسة وأولياء أمور التلاميذ ، وكم مرة اجتمع مجلس الآباء والمعلمين وما أهم الإنجازات ؟

عاشراً ـ ما تأثير المدرسة في البيئة المحلية ، هل تكتفي بتربية وتعليم التلاميذ أم يمتد نشاطها ليخدم البيئة المحلية ، وما هذه الاسهامات ؟ .

حادي عشر ـ ما طبيعة صلته برؤسائه ، وهل يفهم واجباته الفنية بوضوح ؟ ، وهل ينجح في تنفيذها بكفاءة ؟

ثاني عشر ـ ما هي تصوراته المستقبلية ـ بمشيئة الله ـ من أجل تحسين الأداء التربوي داخل المدرسة وما قدراته على التطبيق . . ؟

ثالث عشر ـ ماذا عن تمتع المدير بأساسيات الصحة النفسية وهي بعد أساسي من أبعاد الإدارة التربوية (الإيمان بالله عقيدة وسلوكاً ، الخلو من الصراعات والأمراض النفسية الواضحة ، القدرة على الإنتاج والإنجاز ، القدرة على تكوين علاقات راضية مرضية مع الآخرين) ويستعان هنا بالملاحظة العلمية والمتابعة الميدانية واستخدام المقاييس النفسية وأخذ رأي العاملين مع المدير من مدرسين وأمناء معامل ومكتبات . . . إلخ بشكل غير مباشر .

مدينة وتاريخ

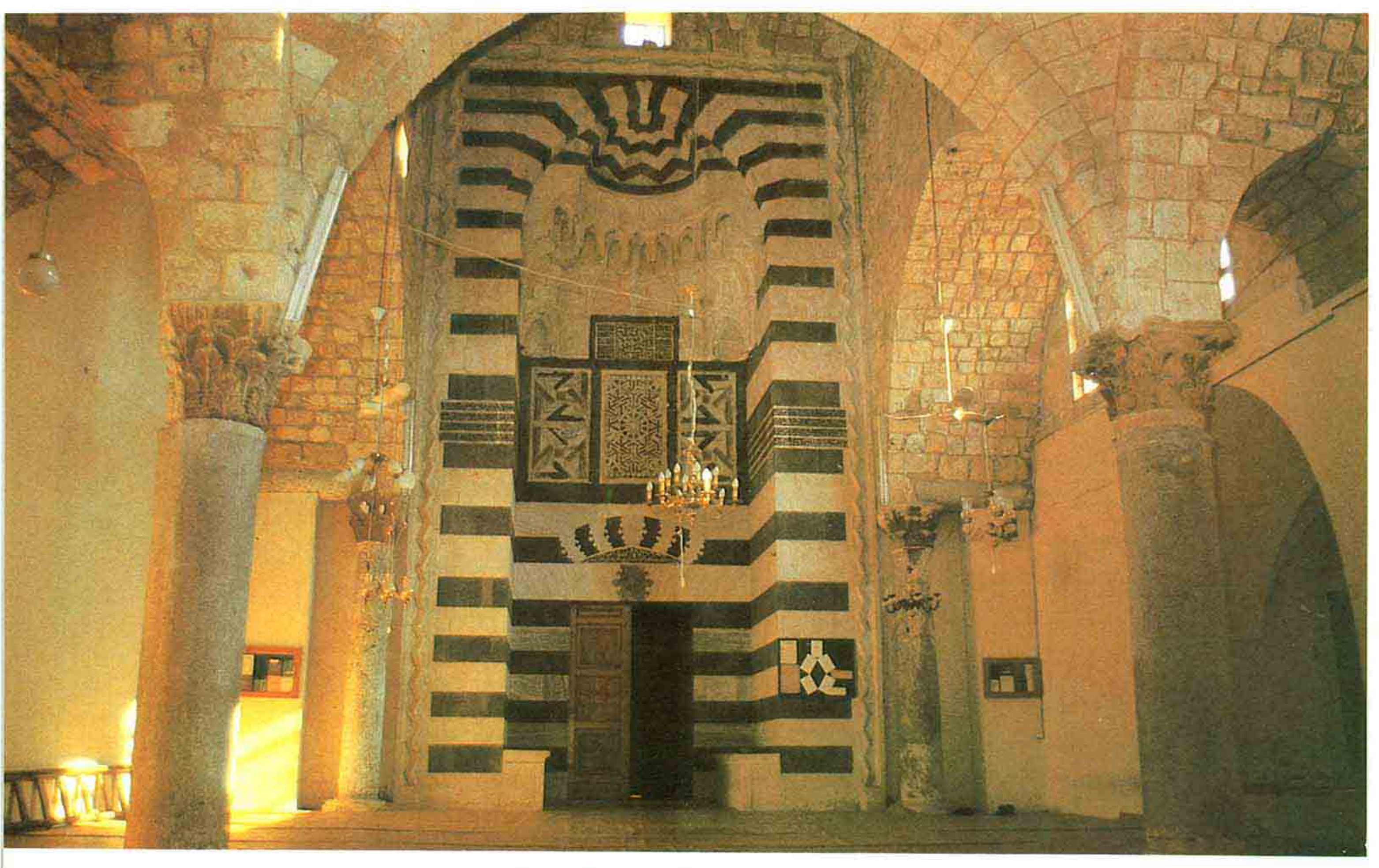


ثلاثة آلاف سنة من التاريخ

بقلم: د. عمر عبد السلام تدمري

عندما أسسها **الفينيقيون**، قبل نحو **ألف عام من ميلاد المسيح**، كانت تتألف من ثلاثة أحياء عمرانية، وردت أسماؤها في نقش إخباري يتحدث عن غزوة «**آشور نصربال**» لفينيقية حول سنة ٨٧٠ ق. م. وهي: «**محلاتا**»، و«**مايزا**»، و«**كايزا**»، وارتقى شأنها بين المدن الفينيقية حين تعرضت للاحتلال الفارسي، حيث أصبحت عاصمة للاتحاد الفينيقي، أو «**متروبول فينيقيا** Métropole la Phénicie»[١]. ثم اتخذت اسماً «**سامياً**» هو: «**أثر**» أو «**آثار**» نراه على قطع النقود المسكوكة فيها بتاريخ ١٨٩ ـ ١٨٨ ق. م. وقد استبدل «**أثر**» بـ«**تريبوليس**» وهو اسم يوناني أُطْلِق على المدن الثلاث التي تألفت منها المدينة كاسم اتحادي رئيسي. وعندما جاءها **الفاتحون العرب** عربوا الاسم إلى «أطرابلس» بإضافة الهمزة في أولها، تمييزاً لها عن طرابلس المغربية. ولذا كانت النسبة إليها «أطْرَابُلسي».

★ جامع «البرطاسي» و«القبة» يفصل بينهما كورنيش نهر «أبو علي» ★



★ أعمدة وتيجان بيزنطية وبوابة مماليكية في الحرم الأول لجامع الأمير طينال ★

طرابلس الفينيقية لها تاريخ

إن المعلومات التاريخية القديمة عن طرابلس قليلة لا تروي ظمأ الباحثين ، ولكن يمكن القول إن موقعها كان موطناً «للحياة في العصور المتقدمة ، فقد عُثر على بقايا قربها عند نهرها المعروف بنهر «**أبو علي**» تعود إلى **العصر الحجري المتأخر** ، ووُجد إلى جانبها عظام الوعل المتحجّرة والغزال والذئب . وفي منطقة «**أبو حلقة**» جنوبي المدينة ، وُجد مأوى «كان مستعملاً» في العصر الحجري الأعلى (**الأورينياسيه الأسفل**) ثم في عصر (**الأورينياسيه الأوسط**) السوري .

وأولى العناصر السكانية التي عرفنا أنها سكنت طرابلس هي **عشيرة الحويين الكنعانية** التي نزحت من **فلسطين** في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ولذا عُرفوا فيما بعد بالطرابلسيين .

ولما كان النزاع ينشب دائماً بين **أرواد وصيدا وصور** حول السيطرة على المستعمرات الفينيقية ، فقد اختار الفينيقيون طرابلس كموقع حيادي لتأسيس مجلس شورى (**بوليوتريون**) يجتمع فيه ممثلو تلك المدن ، عن كل مدينة مائة عضو ، وبذلك **أصبحت عاصمة المدن الفينيقية وأول عصبة أمم في العالم** يمكن أن تتطلع كل مدينة تعمل لتآخي الشعوب ولوحدة العالم إلى شَبْك اسمها باسمها . وفي ذلك يقول «**ديودور الصقلي**» : «في فينيقيا مدينة ذات شأن ، تدعى طرابلس (**المدينة المثلثة**) ، وهي تحمل هذا الاسم بحق ، إذ تتألف من ثلاث مدن يفصل كلاً منها عن الأخرى مسافة ملعب (ستاديا) ، وتدعى إحداها : **الأروادية** ، والثانية **الصيدونية** ، والثالثة **الصورية** . وهذه المدينة لها أهمية زائدة لدى الفينيقيين ، إذ فيها يعقدون مجامعهم ويتشاورون في أمورهم المهمة» .

الثورة على الفرس

اجتاح الملك «**آشور نصربال**» المدن الفينيقية حول سنة ٨٧٠ ق . م . فأخضع طرابلس بين تلك المدن ، وأصبحت محتلة من قِبَل الفُرس حتى نشبت فيها أول ثورة عارمة ضد الاحتلال الأجنبي حول سنة ٣٥١ ــ ٥٢ ق . م . وذلك بعد تأزم العلاقات بين أفراد الشعب الفينيقي والموظفين الفرس الذين كانوا يعاملونهم بفظاظة وقسوة ، فتنادى مندوبو المدن الفينيقية إلى عقد مجلس الشورى واتخذوا قراراً خطيراً بإعلان الثورة على المحتلين الفرس ، وطردوا حكامهم في عهد الملك «أرتحشتا الثالث أوخوس» (٣٥٩ ــ ٣٣٨ ق . م .) .



★ خان الصابون ــ قناطر وحوض ماء ★

طرابلس في عهد البطالسة

وفتحت طرابلس أبوابها للقائد المقدوني **الإسكندر** بعد انتصاره الكبير على « **داريوس الفارسي** » سنة ٣٣٣ ق . م. ومع دخول الإغريق إليها أصبح اسمها « **تريبوليس** » . وفي سنة ٣١٥ ق . م. استطاع **بطليموس** أن ينتزع **جزيرة قبرص** من الملك « **أنتيغانوس** » ، فقام « أنتيغانوس » بالزحف على سورية واحتلال بعض مدن الساحل الفينيقي ومنها طرابلس سنة ٣١٢ ق . م. وأمر ببناء أسطول بحري فيها لموقعها القريب من شجر الأرز ، كما أنشأ فيها مراكز لجمع غلال القمح . وهاجم بالأسطول الطرابلسي مدينة صور واقتحمها سنة ٣١١ ق . م. ثم استرجع قبرص . ولكن بطليموس استرجع طرابلس سنة ٣٠٧ ق . م. بعد فشل « أنتيغانوس » في الاستيلاء على مصر . وظلت المدينة تتأرجح تحت حكم القائدين حتى قُتل « أنتيغانوس » سنة ٣٠١ ق . م. لتصبح خاضعة لحكم البطالسة حتى سنة ٢٨٤ ق . م.

وفي عهد السلوقيين

منذ أن تملك « أنتيغانوس » طرابلس سنة ٣١٢ ق . م. وهي تصك نقودها مؤرخة تبعيتها للسلوقيين تحت اسم « **تريبوليتان** Tripolitan » وواصلت صك النقود في عهد « **بتوليمي الخامس** » (٢٠٥ ــ ١٨٠ ق . م.) **وكانت نقودها بين فضية وبرونزية** . وكان استمرارها في إصدار النقود دليلاً على أهميتها في ذلك العصر ، وزادت أهميتها عندما جاءها « **ديمتريوس الأول** » سنة ١٦٢ ق . م.

بحيث عادت تلعب دورها بالتفوق على المدن الفينيقية ، إذ جعل إقامته فيها وجملها بالأبنية الفخمة واتخذها عاصمة له وقاعدة بحرية لأسطوله ، وانطلق منها لمقاتلة خصومه في أنطاكية ، حيث دخلها واسترجع عرش أبيه ، ثم تفرغ لقتال **المكابيين** واستطاع أن يقتل ملكهم « **يهوذا المكابي** » ثم صالحهم سنة ١٥٨ ق . م. وبعد سنتين اعترف به الرومان ملكاً على سورية .

وفي أواخر **العهد السلجوقي** انحازت إلى جانب « **انتياخوس التاسع** » (١٢٢ ــ ٩٦ ق . م.) ضد منافسه على العرش وقدمت له المساعدة ضد « **هركان** » ملك اليهود . فكافأ أهلها بمنحهم الاستقلال ، ولذلك اتخذوا لهم تاريخاً وطنياً مستقلاً أثبتوه على النقود التي ضربوها سنة ١٠٥ ق . م. وهي تحمل نصاً يؤكد استقلال طرابلس « المدينة المقدسة والمستقلة » La ville consacrée et autoneme [٢] .



★ صفحتان من مصحف « السباطي » وخطه الثلث وتزييناته المذهبة ★

وفي عهد الأيطوريين العرب

ويمكن القول إن طرابلس دخلت في فترة سادتها الفوضى كغيرها من مدن فينيقيا ، حيث ظهر الإنقسام جلياً في الدولة السلوقية بقيام ممالك وولايات محلية صغيرة ، ورافق ذلك امتداد نفوذ القبائل العربية التي كانت تقيم في مناطق **حوران** من سورية ــ وهم الذين عرفوا **بالأيطوريين** ــ إلى الساحل الفينيقي ، إذ تسلقوا **جبال لبنان الشمالية وبلغوا ذروة الأرز** ، ثم انحدروا غرباً إلى الساحل حيث أضحت طرابلس مركزاً رئيسياً لنفوذهم ، ومنها قاموا بحركة انتشار واسعة شملت الساحل الشمالي والجنوبي من لبنان في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد .

ومن سوء طالع طرابلس أن تولى حكمها ملك طاغية يدعى « **ديونيسيس** » استبد بأهلها وسامهم سوء العذاب ، فلقي جزاءه بقطع رأسه بالفأس سنة ٦٣ ق . م . عندما قام القائد الروماني « **بومبي** » Pompée بحملته المظفرة على سورية والساحل الفينيقي .

وفي عهد الرومان

حظيت طرابلس في عصر الرومان باهتمام كبير من أباطرتهم ، وشهدت قيام الأبنية الفخمة ، ومنها ساحة الألعاب التي شارك في بنائها « **هيرود الكبير** » (٦٢ ــ ٤ ق . م .) وعندما أصبح « أنطونيو » حاكماً للشرق وهب طرابلس لعشيقته « **كليوباترا** » ، وتذكاراً لهذا الإهداء ، فقد أصدرت طرابلس نقداً يحمل تمثالا لملكة مصر في سنتي ٣٧ ــ ٣٦ ق . م .

وفي هذه الفترة خرج من طرابلس **الحكيم** « **ثاوذوسيوس** » الذي ترك عدة مصنفات في الرياضيات والهندسة .

واستمرت المدينة تتفوق على عدد كبير من المدن الفينيقية ، **فأفادتنا** مسكوكات نقدية ضربت فيها على عهد « **هادريانوس** » (١١٧ ــ ١٣٨ ق . م .) بأنها كانت تحمل لقب « المدينة المقدسة المستفيدة من حق الوحدة المستقلة ، وتنعم بسلطة بحرية » .

وفي عهد الإمبراطور « **كاراكالا** » (٢١١ ــ ٢١٧ ق . م .) كانت مركزاً « دينياً » مهماً يحتوي على عدة معابد رومانية ضخمة البناء ، منها معابد **لعشتارت وزيوس** ، كما كانت مركزاً « إقليمياً » لصك النقود الفضية ، فوصلتنا نقود باسم الإمبراطورة « **جوليا دمنه** » والإمبراطور « **ماكرين** » و « **الاجابالوس** » الذي صكت المدينة في عهده نقوداً تحمل اسم « **نيوقور** Neocore » مالك المعبد المخصص للعبادة القيصرية ، لتنفرد بذلك من بين المدن السورية الأخرى .

وكان ملعبها الأولمبي (الاستاد) لا يزال يحتفظ بشهرته وأهميته ، حيث كان يستقبل في ذلك الوقت وفود المتسابقين في المباريات الرياضية



★ مسجد الرفاعية بتوسط سوق النحاسين وسوق الكندرجية ★

على غرار المباريات الدولية الآن . وقد تحدث أحد اللاعبين من أنطاكية أنه مثل مدينته في عدة مباريات رياضية ، فحقق انتصارين في طرابلس .

وفي العهد البيزنطيني

منذ أن تأسست **القسطنطينية** في عهد الإمبراطور « **قسطنطين الأول الأكبر** » (٣٠٦ ـ ٣٣٧ م .) أصبحت طرابلس تابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وفي عهده أصبحت النصرانية مباحةً كغيرها من الأديان بعد صدور **مرسوم** « **ميلان** » سنة ٣١٣ م . فحققت انتشاراً واسعاً في المدينة حتى أصبح لها أسقف مثلها في المجامع الكنسية .

وحول منتصف القرن الخامس الميلادي تعرضت مبانيها لزلزال شديد قلب مجاريها وقصورها وحماماتها العامة رأساً على عقب . وما تزال آثار حمام يعرف **بالحمام المقلوب** عند شاطئ البحر في الميناء ، يقال إنه انقلب في ذلك الزلزال . وكان في تلك الحمامات تماثيل من الشبه صنع مشاهير النحاتين الرومان أمثال « **إيكار** » و « **ديدال** » ، تعتبر من روائع فن الحفر ، فكان فيها تمثال « **بيغاس** » حصان « **بيليروفون** » الأسطوري . وقد بذل الإمبراطور « **مورقان** » (٤٥٠ ـ ٤٥٥ م .) الأموال بسخاء لإعادة بناء المدينة وتزيينها . ولكن الزلازل تعاقبت عليها فضربتها في سنة ٤٩٤ وسنة ٥٣٩ و٥٤٣ و٥٥١ م . حيث غمرتها مياه البحر . فكان الأباطرة البيزنطيون يعيدون بناءها من جديد ، ويشيدون فيها الأبنية التي تمجد أعمالهم .

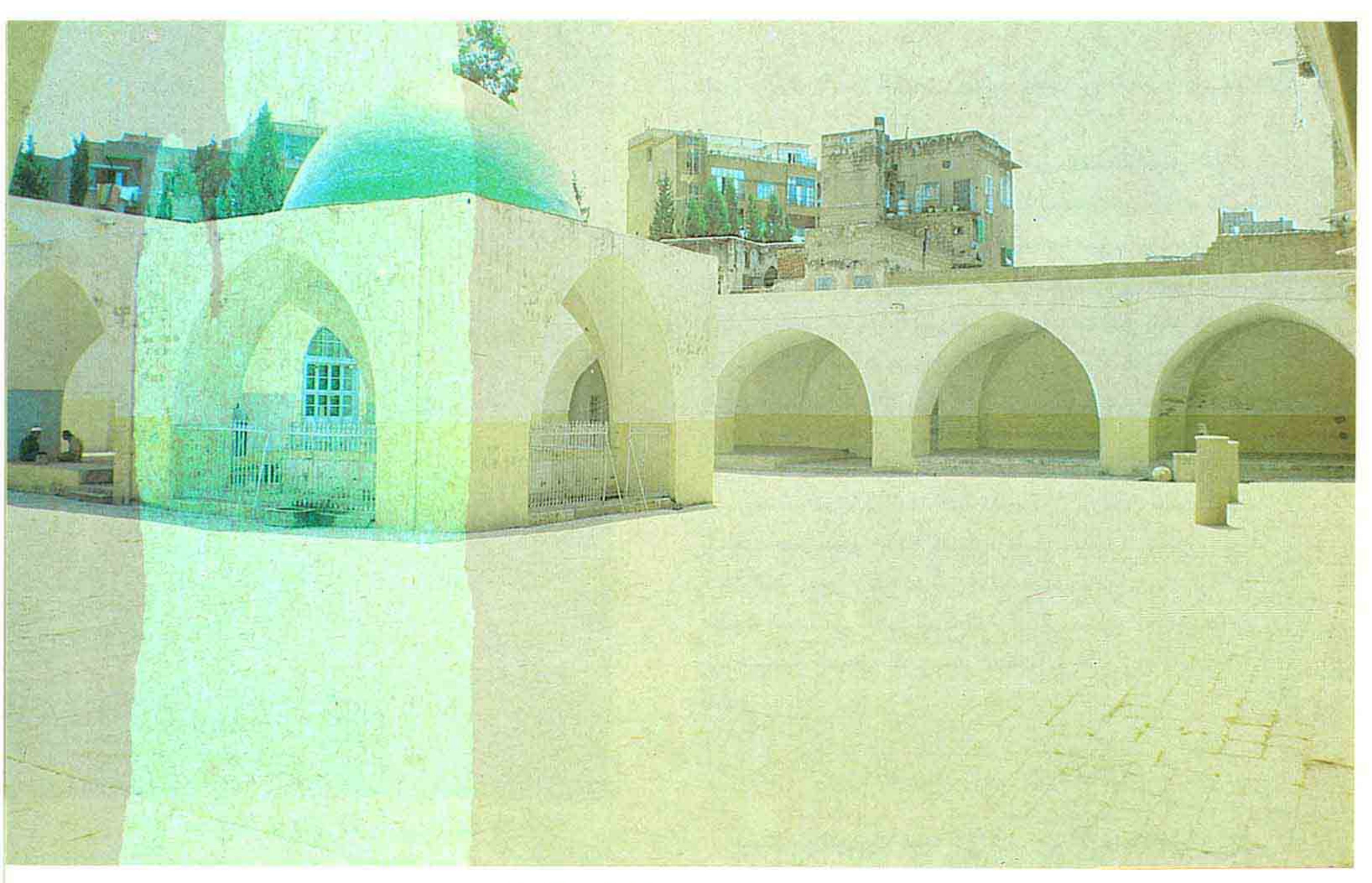
وتفيدنا المراجع التاريخية أن الإمبراطور « **يوستنيانوس الأول** » (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م .) أنشأ في طرابلس كنيسة ضخمة عرفت باسم كنيسة « **لاونتيوس** » لعلها هي الكنيسة التي وجدها العرب عند فتحهم للمدينة وكانت تقع خارجها بالقرب من أحد حصونها في الجهة القبلية (الشرقية) منها كما يقول « **ابن عساكر** » . وقد أبقى المسلمون على هذه الكنيسة ، فكانت ما تزال قائمة إلى ما بعد منتصف القرن الثاني الهجري ، ونرجح أنها كانت تقوم في الموضع الذي يقوم عليه الجامع المنصوري الكبير الآن .

ووجدت تحصينات المدينة عناية فائقة من البيزنطيين حيث واجه المسلمون عند فتحها ثلاثة حصون داخل رأسها عند البحر وسوراً ضخماً يحيط بها من الجهة الشرقية أمامه خندق عظيم . ودل على ذلك المقاومة العنيدة التي أبدتها المدينة أمام الفاتحين العرب ، وتأخر فتحها عن جميع مدن الساحل الشامي حتى نهاية الربع الأول من القرن الأول الهجري .

رايات المسلمين تخفق فوق الأسوار

بعد موقعة **اليرموك** المجيدة التي انتصر فيها المسلمون على جيوش « **هرقل** » إمبراطور الروم ، انفتحت الطريق أمام العرب المسلمين للوصول إلى مدن ساحل الشام ، فتولى « يزيد بن أبي سفيان » مهمة فتح المدن الساحلية ، وساعده في ذلك أخوه « **معاوية** » ، فكانت المدن تتساقط في يده في مدة يسيرة دون أن يجد عناء ، ولكن الأمر كان مختلفاً عند طرابلس المثلثة ذات الجزر البحرية المتناثرة أمام مينائها ، والنهر الذي يحدها من الشرق . فقد استعصت عليه ، ولم يطمع في فتحها إلى أن كانت خلافة « **عثمان بن عفان** » ، فأرسل معاوية واليه على الشام : القائد الصحابي « **سفيان بن مجيب الأزدي** » ـ وكان أميراً على بعلبك ـ فحاصر المدينة من الشرق وبنى على بعد ميلين منها حصناً عرف به ، فكان يغزو أهلها منه ، حتى كتب الروم من سكانها إلى الإمبراطور « **قنسطانز** » يطلبون نجدته ، فبعث إليهم المراكب حيث فروا بها ليلاً وأخلوا المدينة إلا من جماعة قليلة من اليهود ، **فدخلها المسلمون نحو سنة ٢٥ هـ ، ظافرين ، ورفعوا راية الإسلام فوق أسوارها ،**

لتبدأ مسيرة طرابلس العربية المسلمة في درب النضال الطويل والمشرف دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ، ولتصبح ثغراً ورباطاً للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وللمرابطين والمجاهدين والغزاة في سبيل الله ضد البيزنطيين والجراجمة والمردة ، وضد الصليبيين والتتار وقراصنة الإفرنج من بعدهم .



★ بركة الوضوء وصحن الجامع المنصوري الكبير ★

طرابلس الأموية

بعد فرار الروم من المدينة اهتم معاوية بعمرانها وإسكانها ، فأنزل فيها جماعة كبيرة من يهود الأردن ، ثم أسكنها الفرس حين تولى الخلافة حول سنة ٤١ هـ . كما استأمن إليه بعض الروم ، فأذن لهم بالإقامة فيها ، وهكذا أصبحت المدينة تجمع بين جنباتها خليطاً من الأمم والأديان في جو من التآخي والتسامح العربي . وولى عليها عاملاً ، وجند لها قوة لترابط فيها على دفعتين في الصيف والشتاء من كل عام ، كان أفرادها يأتون من دمشق وبعلبك .

وفيها صنع معاوية أول أسطول بحري حقق للمسلمين انتصاراً ساحقاً على الأسطول البيزنطي في موقعة « **ذات الصواري** » الشهيرة في سنة ٣٤ هـ/ ٦٥٥ م . ومنها انطلقت مراكب المجاهدين لغزو جزر **البحر الأبيض المتوسط** وشواطئ الروم والفرنجة . ووجدت المدينة العناية الفائقة في عهد « **عبد الملك بن مروان** » الذي قام بإعادة بناء حصنها البحري ، وصارت في أيامه آمنة عامرة مطمئنة ، ووقف عاملها « **سحيم ابن المهاجر الرومي** » يتصدى لجماعات الجراجمة والروم والمردة في غاراتهم البرية والبحرية على ساحل الشام وجبال لبنان وينتصر عليهم في عهد عبد الملك ثم في عهد ابنه الوليد .

طرابلس في العصر العباسي

ويتسم تاريخ طرابلس في أواخر العهد الأموي ومطلع العهد العباسي بالغموض ، حيث ينقطع ذكرها من المصادر التاريخية طوال القرن الثاني ، والنصف الأول من القرن الثالث الهجري ، ولا شك أن ذلك كان متأثراً بانتقال مركز الخلافة من **دمشق** إلى **بغداد** ، وقد انضوت كغيرها من بلاد الشام للدولة العباسية في سنة ١٣٢ هـ . ثم دخلت في حوزة « **أحمد بن طولون** » سنة ٢٦٤ هـ ./ ٨٧٨ م . ومنذ سنة **٢٥٠** هـ ، يعود تاريخ طرابلس ليأخذ مكانه بين كتابات المؤرخين فنقرأ ، في هذه السنة ، ولادة أكبر محدث أخرجته المدينة في تاريخها على الإطلاق هو « **خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي** »[٣] الذي لقب بمسند طرابلس ومحدث الشام ، وقد ترك عدة مصنفات مخطوطة في الحديث . ثم يخبرنا المؤرخ « **اليعقوبي** » عن النشاط البحري لثغر طرابلس وأهميته فيذكر ميناءها بأنه « **ميناء عجيب يحتمل ألف مركب** » [٤] .

ونطالع تفاصيل الغزوة الكبرى التي قام بها صاحب طرابلس أمير البحر العظيم « **ليو الطرابلسي** » إلى **مدينة سالونيكا باليونان** سنة

٢٩١ هـ . / ٩٠٤ م ، يرويها لنا « **يوحنا كامياتس** » أحد قساوسة المدينة الذي وقع في الأسر مع ٢٢ ألفاً من أبنائها اقتادهم المسلمون إلى سواحل الشام [٥] . وتتبوأ طرابلس موقع الصدارة بين الثغور الشامية بفضل أسطولها البحري وشجاعة أميرها « ليو » الذي كان يزرع الخوف والرعب في قلوب الروم ، ويجوب بأشرعة مراكبه الإسلامية بين جزر بحر (إيجه) وبحر الأرخبيل اليوناني ، وينزل الهزيمة بالوزير « **هيميريوس** » قائد الأسطول البيزنطي سنة ٢٩٩ هـ . / ٩١١ م . وتعود طرابلس إلى العباسيين لفترة قصيرة ، فيزورها « **أبو الطيب المتنبي** » ويمدح صاحبها « **ابن خراسان** » مسجلاً لأهلها بيتاً من الشعر يتغنون به على مر الأزمان :

أكارِمُ حَسَدَ الأرضَ السماءُ بهم
وقصَّرَتْ كلُّ مِصْرٍ عن طَرابُلُس

ثم تنضوي المدينة تحت لواء **الدولة الأخشيدية** ، ويصفها « **الإصطخري** » حينئذ ، بأنها مدينة عامرة واسعة ذات نخل وقصب سكر وخصب . وتتعرض المدينة في السنة الأخيرة من الحكم الأخشيدي لحملة يقودها الإمبراطور « **نقفور فوكاس** » (٣٥٧ - ٣٥٨ هـ . / ٩٦٨ م .) لكنه يرتد حسيراً أمام صمود أهلها ، فينتقم منهم بإحراق ربضها .

طرابلس الفاطمية

في العهد العباسي كانت طرابلس عاصمة لكورة صغيرة تضم : **عرقة وأنفة والبترون** . وبعد انضوائها **للفاطميين** أصبحت مركز ولاية كبيرة تمتد سلطة واليها حتى **جونية ونهر الكلب** قرب **بيروت** في الجنوب ، وتصل إلى أعمال **حلب** في الشمال ، فكان قاضيها أو واليها يتمتع بحق النظر على سائر الحصون في تلك المنطقة كلها ، حيث أفردها الفاطميون عن **دمشق** ، واتخذوها ، كغيرهم ممن سبقهم ، قاعدة رئيسية للأسطول في ساحل الشام ، وموقعاً برياً متقدماً في مواجهة البيزنطيين ، وعينوا عليها ولاة مارس بعضهم دوراً كان يفوق أحياناً دور والي دمشق وحلب .

وصدت في عهدهم ثلاث حملات قادها **الإمبراطور « زيمسكس » والإمبراطور « باسيل الثاني »** حتى شبهت المدينة بصخرة **جبل طارق** [٦] .



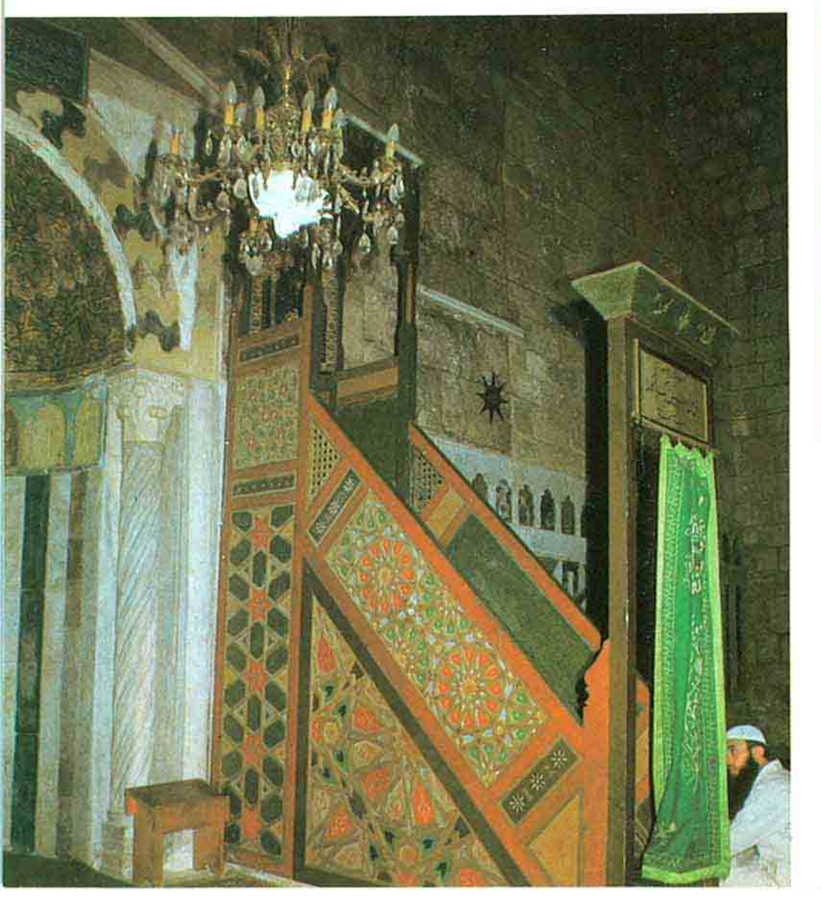
الوجه الحضاري

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري تبدأ معلوماتنا عن **انتشار المكتبات الأهلية في مساجد المدينة ودور علمها ، وخزائن الكتب التي وقفها ذوو اليسار من أهل طرابلس لطلبة العلم وأهله ، فنرى « أبا العلاء المعري »** يشد الرحال

★ مسجد « البرطاسي » منظر خارجي عام ★



★ المنبر في مسجد البرطاسي ★



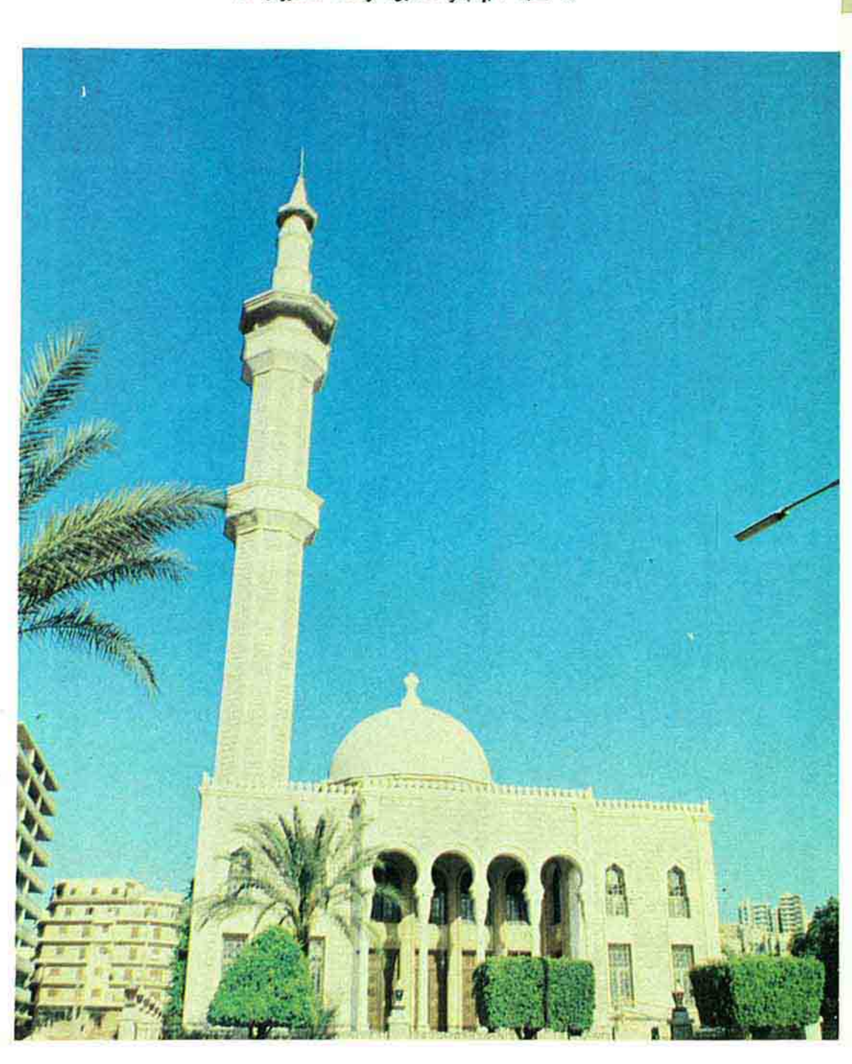
★ جامع «عمرو لطفي الزعبي» المعروف بـ «الملك» في محلة «بوابة الحدادين» (١٩٦٧م) ★

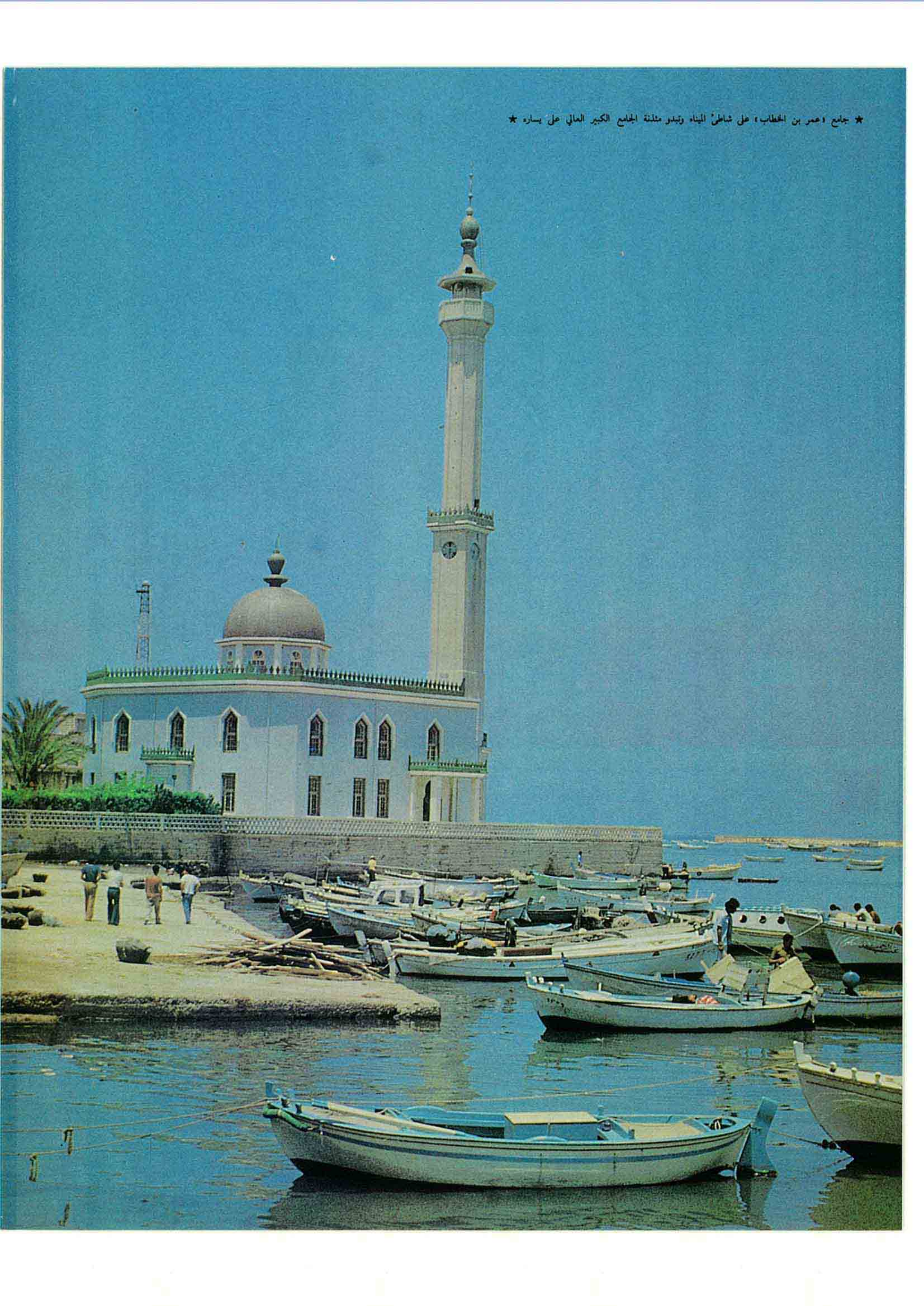
إليها ، فينهل العلم فيها ويتردد على مكتباتها ولا يصرفه عنها إلا نعي أبيه سنة ٣٧٧ هـ . ويزداد شأن المدينة ارتفاعاً في العهد الفاطمي ، فتزدهر صناعاتها ، وتنشط حركتها التجارية ، ويزداد حجم أسطولها الحربي والتجاري وتكثر محصولاتها الزراعية ، ويتسع عمرانها .

ويترك لنا الرحالة والعالم الفارسي «**ناصر خسرو**» وصفاً رائعاً لطرابلس عند زيارته لها سنة ٤٣٨ هـ . /١٠٤٧ م . فيقول إن أهلها شيدوا فيها مساجد جميلة وبيوتاً على مثال الأربطة تسمى مشاهد ، وأنه كان يوجد خارج المدينة مشهدان أو ثلاثة . ويتبع طرابلس كثير من السواد والقرى ، وهي محصنة تحصيناً قوياً يأخذها البحر من ثلاثة أوجه . وفي الجهة الشرقية يقوم حصنها ذو الحجر المصقول الذي يحيط به خندق عظيم ، ويمتد حول سورها ذي الحجر المنيع ، ووراء الخندق يقوم باب المدينة الرئيسي المحكم والمصنوع من الحديد الثقيل .

ويكثر في مزارعها وبساتينها المحيطة بها **قصب السكر وأشجار النارنج والترنج والموز والتمر وشجر الزيتون والكروم** وأنواع الفواكه وضروب الغلات ، فتنتج الفاكهة بنوعيها اليابسة والرطبة التي تحمل إلى بلاط الخلفاء الفاطميين في مصر . وكانت **صناعة السكر بأشكاله المختلفة تلقى رواجاً لدى تجار جنوا والبندقية** ، كما

★ مسجد «أبي بكر الصديق» ومئذنته الصاروخية ★





★ جامع «عمر بن الخطاب» على شاطئ الميناء وتبدو مئذنة الجامع الكبير العالي على يساره ★



★ ساحة وشارع التل ، الشريان الرئيسي للمدينة ★

كانت مصانع طرابلس تنتج **أجود أنواع الورق** بمختلف أنواعه وأحجامه ، والذي يفوق الورق السمرقندي جودة وإتقاناً . وبلغ **ارتفاع المباني** أربع وخمس طبقات ، وبعضها ارتفع إلى ست طبقات . **وشوارعها** نظيفة حتى يخيل لمن يراها أنها كالقصور المزينة .

وكانت **المكوس** تحصل في مينائها فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنج والأندلس والمغرب العُشْر للسلطان ، فيدفع منه أرزاق الجند ، وله بها سفن تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة[٧] . والوارد والصادر إليها كثير ، وهي معقل من معاقل الشام ، مقصود إليها بالأمتعة وضروب الأحوال وصنوف التجارات[٨] .

عصر إمارة بني عمّار الذهبي

وتجد طرابلس أزهى عصورها في عهد أمرائها القضاة من بني عمّار الذين استقلوا بها أول الستينات من القرن الخامس الهجري عن الدولة الفاطمية ، وحكموا إمارة تمتد من جبلة شمالاً إلى جونية جنوباً ، واهتموا بتشجيع **الحركة العلمية والثقافية** ، فكان لأمين الدولة **ابن عمّار** مؤسس الإمارة خزانة كتب تضم أكثر من مائة ألف كتاب ، ثم تضاعف عدد هذه الكتب بشكل هائل في عهد ابن أخيه **جلالة الملك** الذي جدد بناء دار العلم سنة ٤٧٢ هـ[٩] . ووصل عدد مخطوطاتها إلى ثلاثة ملايين ، على حد رواية **المؤرخ « ابن أبي طيء »**[١٠] . وكانت المدينة تضرب الدنانير الذهبية ، وتتمتع بأسطول بحري وتجاري كبير ساهم في الدفاع عنها وفي صمودها حين تعرضت للحملات الصليبية حتى سقطت بأيديهم بعد مقاومة استمرت عشر سنوات ، ودخلوها في أواخر سنة ٥٠٢ هـ . / ١١٠٩ م . وأحرقوا دار العلم التي كانت تضم أروع مكتبات الدنيا .

كونتية طرابلس

وحين دخلها **الصليبيون** اتخذوها عاصمة للإمارة ــ الكونتية الرابعة ــ التي تأسست في الشرق العربي بعد : **الرها ، وأنطاكية ، وبيت المقدس** . وخضعت طرابلس لهم (١٨٠) عاماً ميلادياً ، واشتهر في عهدهم **معهد الطب « الأكاديمي »** الذي اعتبر أعظم المعاهد الطبية في بلاد الشام على الإطلاق[١١] . ونتج عن وجود الصليبيين في طرابلس وساحل الشام أن تأثروا وأثروا في تطور العلاقات بين الشرق والغرب ، فكانت المدينة بموقعها وتراثها ودورها وحضارتها الإسلامية تمثل معبراً هاماً من معابر الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا في العصر الوسيط .



★ منظر لكورنيش نهر «أبو علي» ويبدو على اليسار قسم من قلعة طرابلس، وعلى اليمين «ظهر المغر» و«القبة» ★

وازدهرت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية وبالعكس[١٢]، فتخرج من معاهدها المؤرخ والعالم المعروف بـ «**ابن العبري**» ووضعت الدراسات عن الإسلام والمسلمين من قبل علماء الإفرنج والنصارى الوطنيين، واشتهر من بينهم «**وليم الطرابلسي**» الذي قرأ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واطلع على العلوم الفلسفية والتاريخية، ودرس اللغة العربية حتى أتقنها، ووضع أفضل كتاب ظهر عن الإسلام في العصور الوسطى، وبرهن في كتاباته على بصيرته النافذة في عبقرية الإسلام ومميزاته.

وتعرف الفرنجة، لأول مرة، على «**البوصلة**» وطريقة استخدامها على أيدي البحارة المسلمين في ميناء طرابلس، وتذوقوا قصب السكر لأول وهلة فأعجبوا بطعمه ونقلوا منه وزرعوه في جزيرة **صقلية** وجنوب إيطاليا. وأدهشتهم **صناعة الحرير** في مصانعها القائمة على ضفاف النهر، والتي كان فيها آلاف الأنوال وأدوات الغزل والنسيج.

واستعصت على المسلمين في محاولاتهم لاسترجاعها، فأغار عليها الأمراء السلاجقة، والتركمان، والأسطول المصري، والأتابك **عماد الدين زنكي**، وابنه **نور الدين محمود**، ثم **صلاح الدين الأيوبي**، وأخوه **الملك العادل**، ثم السلطان **الظاهر بيبرس**، وأخيراً **السلطان المنصور قلاوون** الذي حررها في سنة ٦٨٨ هـ. / ١٢٨٩ م. ثم هدم المدينة القديمة وأمر ببناء المدينة المستجدة القائمة الآن. ولم يبق من آثارها سوى قسم من قلعة طرابلس القائمة الآن، وبعض الأديرة والكنائس التي تحولت إلى مساجد ومدارس إسلامية.

طرابلس المماليكية

دكت أبنية المدينة القديمة إلى الأرض، وصدر الأمر ببناء مدينة جديدة قرب القلعة والحي اللاتيني على بعد ميلين إلى الشرق من المدينة الفينيقية، فأزال السلطان المنصور قلاوون بقراره هذا كل المعالم القديمة التي كنا نود اكتشاف آثارها. وسرعان ما استعادت أهميتها وموقعها، فاتخذها سلاطين المماليك طوال قرنين وربع القرن من الزمان عاصمة لنيابة السلطنة، وأقيمت فيها عشرات المساجد الجامعة، والمدارس، والزوايا، والتكايا، والخوانق، والرُبَط، والحمّامات، والخانات، والقياسر والطواحين، وأقيمت لها عدة بوّابات في مختلف الاتجاهات، وجرى توسيع **القلعة** وأعيد بناؤها وتحصينها. واتسعت **أسواقها**، وتشعّبت **حاراتها ودروبها وأزقتها** الملتوية والممتدة تحت



★ زخرفة نباتية من الفسيفساء المذهبة في محراب مسجد البرطاسي ★

عقود الدور والمنازل التي توفر لها حماية طبيعية بحيث تحوّلت في معظمها إلى **سراديب ودهاليز** وساباطات سرية . وأقيم على امتداد ساحلها البحري سبعة **أبراج حربية** للمرابطة والدفاع عن المدينة إذا دهمها العدو .

وعادت المدينة إلى تأدية دورها القيادي في مجاهدة الصليبيين وطردهم من ساحل وجزر بحر الشام ، وأخذت تتصدى لكل القوى المناوئة للعقيدة الإسلامية من النصيرية الباطنية ، والموارنة ، والأرمن ، والفرنجة الصليبيين من القبارصة والجنوية والبنادقة والرودسيين والكتلان ، فشارك جندها في تحرير **جزيرة أرواد** من الصليبيين ، وكان ميناء طرابلس القاعدة الأمامية التي انطلق منها أسطول المسلمين لفتح **قبرص** سنة ٨٢٩ هـ . /١٤٢٦م . ومن مينائها أيضاً انطلق المسلمون لغزو **جزيرة رودس** في سنتي ٨٤٧ و٨٤٨ هـ . /١٤٤٣ و١٤٤٤م .

وقد ترك « **ابن فضل الله العمري** » وصفاً للمدينة بعد نحو ربع قرن من فتحها وبنائها من جديد ، فقال : « بنيت عند الفتح عوض أطرابلس العتيقة ، وكانت تسمى قديماً بدار العلم ، وتداولها ملوك بني عمار ، وكانوا في الأول لهم القضاء بها . . . ولها نهر يحكم على ديارها وطبقاتها ، يتخرق الماء في مواضع من أعالي بيوتها التي لا يرقى إليها إلا بالدرج العلية ، وحولها جبال شاهقة صحيحة الهواء ، خفيفة الماء ، ذات أشجار وكروم ومروج وأغنام ومعز ، ويجتمع بها الجوز واللوز وقصب السكر والبلح ، ويعمل بها السكر ، ويهوي إليها وفود البحر ، وترسى بها مراكبهم ، وهي موضع زرع وضرع .

وهي الآن مدينة ممتدة كثيرة الزحام ، ذات مارستانين ومساجد ومدارس وزوايا وأسواق جليلة وحمامات حسان موصوفة ، وجميع أبنيتها بالحجر والكلس ، مبيضاً ظاهراً وباطناً ، تحيط بها غوطتها ، ويحيط بغوطتها مواضع مزدرعاتها ، بديعة المشرف ، تحسن بعين من يشرف من هضبة عليها . وهي مملكة ذات جيش وتركمان وخاصة . . . »[١٣]

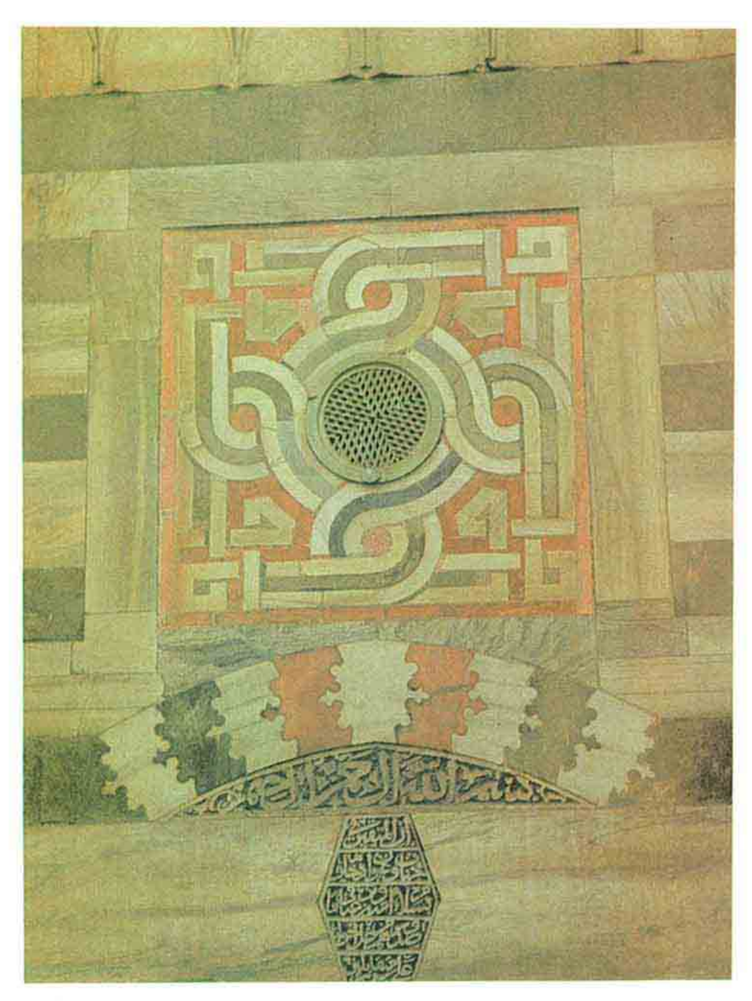
ويصفها « **شيخ الربوة** » بأنها : سهلية جبلية ، بحرية برية[١٤] .

ويصفها « **ابن حبيب الحلبي** » بأنها : برية بحرية ، شامية مصرية[١٥] .

ويصفها « **ابن بطوطة** » بأنها : إحدى قواعد الشام وبلدانها الضخام[١٦] .

طرابلس والأتراك العثمانيين

ودخلت طرابلس تحت **السيادة العثمانية** حين انتصر الأتراك في « **مرج دابق** » على المماليك في سنة ٩٢٢ هـ . /١٥١٦م . وأبقوا على النظام المتبع فيها بتعيين الكُفَّال والنواب لبضع سنوات ، إلى أن أصبحت تؤجر للإقطاعيين الذين ينيبون عنها من يتولى حكمها وذلك اعتباراً من سنة ٩٢٨هـ . /١٥٢٢م .



★ تربيعة هندسية من الرخام الملون وكتابة فوق البوابة الرئيسية للمدرسة القرطاوية ★



★ البوابة الرئيسية للجامع المنصوري الكبير ذات الطراز القوطي بنيت عام ٦٩٣هـ ★

وقد احتفظت المدينة بأهميتها السياسية ودورها الحربي فاتخذها الأتراك حاضرة لولاية كبيرة في ساحل الشام كان يتبعها من الأعمال : **جبيل والبترون وجبة بشري والكورة والزاوية والضنية .** ثم أصبح إقليم **عكار** من ملحقاتها بعد أن أصبحت طرابلس « **باشوية** » أيام واليها « **يوسف باشا ابن سيفا** » في سنة ٩٨٨ هـ . / ١٥٨٠ م . فكانت جموع الغزاة من الجنود في أنحاء بلاد الشام تحشد في طرابلس للجهاد ، ولذا أقام العثمانيون في الطرف الشمالي من المدينة خاناً أو معسكراً للجند يعرف بخان العسكر ، وفي الطرف الجنوبي من المدينة أقيم رباط للمجاهدين والغزاة يعرف برباط الخيل .

وأوجد الأتراك عدة مناطق سكنية جديدة أحاطت بمدينة المماليك ، فازدادت عمراناً واتساعاً ، وتضاعف عدد مساجدها ومدارسها وزواياها وتكاياها وحماماتها وخاناتها ، وتجاورت المساجد والمدارس ، بل تلاصقت ، وكثر عددها بشكل يثير العجب ، حتى أن المدرسة كانت تفصلها عن المدرسة القريبة منها مدرسة أخرى مجاورة ، حتى بلغ عددها قبل نحو ثلاثة قرون أكثر من ثلاثمئة وستين مسجداً ومدرسة[١٧] . وأعاد الأتراك بناء القلعة والأبراج والحصون الساحلية والبوابات . واستعادت الميناء دورها التجاري فكثرت فيها **القنصليات الأوروبية** ، وأقيمت الوكالات والمخازن لاستيعاب المنتجات الصادرة والواردة من القطن والسكر والصابون وغيره .

ويعتبر عهد الأتراك في طرابلس أطول العهود الإسلامية التي خضعت لسيادتها ، حيث امتد حكم الأتراك نحو أربعة قرون ونيف ، باستثناء ثماني سنوات خضعت فيها طرابلس للحكم المصري حين دخلها « **إبراهيم باشا** » ابن محمد علي الكبير سنة ١٨٣٢ م ، واتخذها قاعدة عسكرية في حملته على بلاد الشام ، وعادت إلى الأتراك بعد جلاء المصريين سنة ١٨٤٠ م ، ثم خضعت للانتداب الفرنسي سنة ١٩١٨ م .

وفي سنة ١٩٢٠ م . أعلن الجنرال « **غورو** » استقلال دولة لبنان الكبير التي ضمت طرابلس وبيروت وصيدا وصور . ونال لبنان استقلاله في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ م ، وجلا آخر جندي استعماري عن أرضه في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٦ م ، وكانت طرابلس مؤهلة لتكون عاصمة دولة الاستقلال ، ولكن تمسك أهلها ببعض العادات والتقاليد جعلها تتأخر لتتقدم عليها بيروت وتصبح العاصمة الأولى ، وتقنع طرابلس بدور العاصمة الثانية .

طرابلس الحديثة والمعاصرة

ويعيد التاريخ نفسه ، فنجد طرابلس الفيحاء الآن طبوغرافياً أشبه ما




★ خان الخياطين ، مزيج من العمارة الصليبية المماليكية ★


★ حياكة العباءات إحدى الحرف المحلية التي شارفت على الانقراض ★

تكون بـ « **تريبوليس** » القديمة ، حيث تتألف من ثلاث مناطق عمرانية . فقسم منها يقوم على هضبتين ترتفعان عن سطح البحر بين ٥٠ و٧٠ متراً ، يفصل بينهما **نهر « قاديشا »** المعروف بـ « أبوعلي » الذي ينحدر من سفح **جبال الأرز** فيسقي بساتين المدينة ويصب في البحر ، وتعرف الهضبة الشمالية بـ « **القبة** » ، والجنوبية بـ « **أبو سمراء** » . وتكاد القلعة تتوسط بينهما ، وتشكل الهضبتان الجهة الشرقية من المدينة ، وفي سفحها يمتد العمران في المرج المنبسط غرباً ليصل إلى الميناء عند ساحل البحر حيث يقوم القسم العمراني الثالث .

وقد تزايد سكان طرابلس في السنوات الأخيرة ليبلغوا نيفاً ونصف مليون نسمة ، أربعة أخماسهم من المسلمين يمثلهم أربعة نواب في المجلس النيابي ، بالإضافة إلى نائب عن طائفة الروم الأرثوذكس الذين يشكلون الخمس الباقي من سكانها . **وهي تبعد عن بيروت ٨٢ كيلومتراً** ، وتحتضن وسط بساتينها « **معرض لبنان الدولي** » الذي ينتظر أن يبدأ عمله في السنة القادمة .

وإذا كانت الحرب اللبنانية الأخيرة قد أفرزت مساوئ كثيرة ، فإن الحسنة الوحيدة التي أفرزتها هي إقامة فروع للجامعة اللبنانية في « القبة » بطرابلس ، تضم كليات : الآداب والعلوم الإنسانية ، والحقوق والعلوم السياسية ، والعلوم الاجتماعية ، والهندسة ، والعلوم الطبيعية ، وهي تستعد لاستقبال كليتي : إدارة الأعمال ، والفنون ، في العام القادم . ومن كتّاب « **الفيصل** » من أساتذة الجامعة اللبنانية في طرابلس كاتب هذا الموضوع **الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، والدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ، والدكتور مصطفى الرافعي ، والدكتور عبد الحميد جيدة .**

وتتألف شوارع طرابلس الفسيحة الحديثة ، الجميلة بمبانيها الفخمة العالية ، وأزهارها وأشجارها المتناسقة ، مع أسواقها القديمة الضيقة المزدحمة بالناس والبضائع الوطنية والمستوردة ، ومعالمها التاريخية من صليبية ، ومماليكية ، وعثمانية ، أشهرها ، **القلعة ، والجامع المنصوري الكبير ، وجامع طينال ، وجامع البرطاسي ، وجامع العطار ، والمدرسة القرطاوية ، والنورية ، والناصرية ، وخان الخياطين ، وخان المصريين ، وخان العسكر ، وخان الصابون ، وخان التماثيلي ، وحمام عز الدين ، وحمام النوري ، والحمام الجديد ، وبرج السباع ، وبرج عز الدين ، وبرج الشيخ عفان ، وبرج رأس النهر ، والتكية المولوية ، وقناطر البرنس ، وسبيل التينة ، وسوق حراج ، وخانقاه الصالحة ، وساعة التل . . .**

وتفتخر طرابلس بأنها قدمت للفكر الإسلامي أعلاماً علماء تركوا



★ النقش والزخرفة على الفضيات والنحاسيات في سوق النحاسين ★

بصماتهم الواضحة في عالم الفكر والدعوة الإسلامية والأدب والسياسة الذين كان في مقدمتهم : « **محمد رشيد رضا** » صاحب « المنار » ، و « **حسين الجسر** » صاحب « الرسالة الحميدية » و « **نديم الجسر** » صاحب « قصة الإيمان » و « **عبد القادر المغربي** » عضو المجمع العلمي بدمشق والقاهرة والمجامع العلمية في أوروبا ، و « **مصطفى صادق الرافعي** » و « **عبد الرحمن الرافعي** » و « **أمين الرافعي** » الذين لمعوا في سماء مصر الكنانة .

المصادر

(١) Phoenicia-Hill, BMC-P. 119-London 1910

(٢) Histoire de Tripoli-Hassan Sarkis-P. 93-Liban 1971

(٣) قمنا بتحقيق جميع مخطوطاته التي وصلتنا ، وصدرت عن دار الكتاب العربي في بيروت ١٩٨٠ م .

(٤) البلدان ـ اليعقوبي ـ نشره دي غويه ـ ص ٣٢٧ ـ ليون ١٨٩١ م .

(٥) History of Byzantine-George Finlay-From Doc XVI, to MLVII-Book II, CH. I S2-A.D. 886-912-P. 331- Oxford 1877

(٦) رصيد التاريخ ـ رينيه غروسه ، ترجمة محمد خليل باشا ، ج ٢/١٠١ ، القاهرة .

(٧) سفرنامه ـ ناصر خسرو علوي ، ترجمة د . يحيى الخشاب ، ، ص ٤٧ ، بيروت ١٩٧٠ م .

(٨) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ الإدريسي ، تحقيق جوان جيلد مايستر ، ص ١٧ ، بون ١٨٨٥ م ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ـ د . عمر تدمري ، ج ١ ، طرابلس ١٩٧٨ م .

(٩) الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري ـ ابن العديم الحلبي ـ مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٤١٩٣ تاريخ (تيمور) ـ ص ٥٠ .

(١٠) Les Bibliotheques Arabes-Youssef Eche- p. 117-Damas 1967

(١١) La Syrie, Préecis historique-Lammens- P. 220-Beyrouth 1921

(١٢) علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ـ دي لاسي أوليري ، ترجمة د . وهيب كامل ، ص ٢٦٦ ، القاهرة ١٩٦٢ م ، الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ـ عمر تدمري ـ بيروت ١٩٧٣ م .

(١٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ ابن فضل الله العمري ، مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ ، ج ٢ ق ٤٤٨/١ .

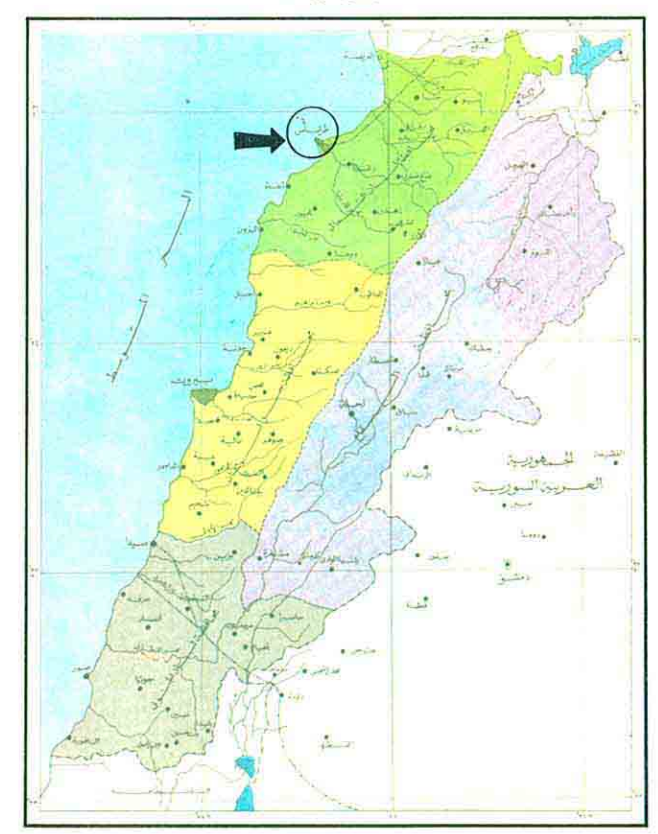
(١٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ـ نشره مهرن ، ص ٢٠٧ ، ليبزغ ١٩٣٣ م .

(١٥) درة الأسلاك في دولة الأتراك ـ ابن حبيب الحلبي ، مصور بدار الكتب المصرية رقم ٦١٧٠ ح ، ج ٣٩١/٢ .

(١٦) مهذب رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٢ .

(١٧) التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية ـ عبد الغني النابلسي ، نشرها هربرت بوسه ، ص ٧٢ ، بيروت ١٩٧١ م ، تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك ـ د . عمر تدمري ـ طرابلس ١٩٧٤ م .

★ طرابلس على الخارطة ★



الآن نُمَكّنُكَ
مِن الدِّراسَة الفنية الحَديثة

القوات البَحريـــــــة السّعُودية

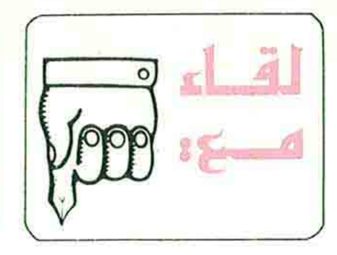
تفتح باب القبول لحملة الكفاءة المتوسطة ومعيدي الكفاءة المتوسطة وذلك للدراسة الفنية الحديثة في مختلف التخصصات بمركز التدريب البحري بالدمام وتؤمن لك دخلا يحقق طموحك.





للمراجعة - اتصل
بأحد المراكز الآتية:

المنطقة الوسطى : مكتب القوات البحرية بوزارة الدفاع والطيران بالرياض.
المنطقة الشرقية : قسم التجنيد بالقوات البحرية بالدمام.
المنطقة الغربية : إدارة الشئون البحرية بقيادة المنطقة الغربية بجدة.
المنطقة الجنوبية : مندوب القوات البحرية بقيادة المنطقة الجنوبية بخميس مشيط.
بقية المناطق : أقرب قيادة عسكرية.





أعد الحوار
إبراهيم عبدالله مفتاح

شاب في مقتبل العمر ، يكتب الشعر ويؤلف القصة ويتعامل مع المقالة ، في آرائه جرأة الشبان ، وفي حديثه دعوة إلى التجديد والانطلاق على أساس من التراث والجذور .

طموحاته إلى الجديد وتطلعاته إلى الأجود تجعلانه ينادي بالخروج من إطار القصيدة الخليلية إلى القصيدة المنثورة اعتقاداً منه بأنها قصيدة المستقبل التي تستطيع أن تعطي الشاعر أفقاً أوسع ومدى أبعد للتعبير عما يريد . لكن ذلك ـ في رأيه ـ لن يتحقق إلا عندما يصبح ذوق القارىء العربي أكثر تطوراً وأقدر على تقبل موسيقى الشعر الحديث بعيداً عن تأثيرات الرنين وشدة الايقاعات التي تحدثها القصيدة الخليلية .

الإعلام والأدب

اتحاد الأدباء

★ متى تأسس نادي اتحاد الأدباء والكتَّاب اليمنيين ؟ وما أهدافه ؟ وما معطياته حتى الآن ؟

★★ تأسس نادي اتحاد الأدباء والكتَّاب اليمنيين ـ فرع صنعاء ـ منذ ثلاث سنوات مضت ، ويمارس هذا الاتحاد الكثير من النشاطات الأدبية أهمها الأماسي الشعرية والثقافية والندوات التي تشمل وتتناول العديد من الموضوعات المتعلقة بقضايا الفكر والثقافة وما يرتبط بها ، إلى جانب أنها تناقش في بعض الندوات وحسب برنامج معد قد يكون فصلياً وقد يكون أسبوعياً حسب الظروف ، ونحن الآن نعد برنامجاً لثلاثة شهور للسنة الجديدة ١٩٨٠ م .

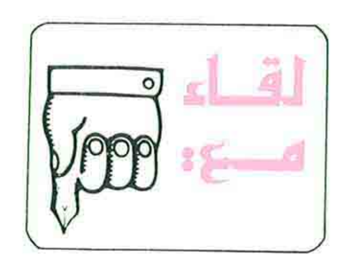
كما أن من سياسة الاتحاد تناول الكتب التي تصدرها المطابع اليمنية بحيث تشكل لجنة من أربعة أو خمسة أشخاص يكلفون بتناول كتاب معين وتقويمه من جوانبه المختلفة ، فإذا كانت قصة تُتناول من حيث موضوعها ومضمونها ومن حيث الفنية والتكنيك القصصي ، وإذا الكتاب شعراً فيتناول أيضاً من جوانبه التي تستحق الدراسة والاستقصاء ، أي أن عدداً من الكتَّاب يدرسون هذا الكتاب ثم يلتقون ليعطوا آراءهم وأفكارهم حوله في أمسية من الأمسيات التي ينظمها الاتحاد ، وقد نجحت هذه الأماسي وأحدثت نوعاً من الإثارة في الواقع الأدبي حيث أعادت له حياته التي كان يتمتع بها في فترة من الفترات لأن الحياة الأدبية تمر بها فترات تعيش فيها نوعاً من الانطلاق ثم يأتي عليها ركود ، وهذه سنة الحياة ـ كما أعتقد ـ وللأسف فقد كانت السنة الماضية من سنوات الركود وكانت السنتان اللتان قبلها أي التي أعقبت تأسيس الفرع كان فيهما نشاط جيد ، وهذا النشاط كان وليد عطاءات أدبية من عديد من الأدباء والكتاب .

والاتحاد يحاول أن يتبنى الأدباء والكتاب الواعدين بحيث يحتضن ما ينتجون ويقدمه للنشر سواء للصحافة الموجودة التي من بينها « **مجلة الحكمة** » ومجلة « **اليمن الجديد** » وهي مجلة اجتماعية حيث نحاول من خلال هذه المجلات أن يأخذ الأدباء الشبان فرصتهم للنشر والاحتكاك بالمتلقي وبالناقد .

الأدب اليمني

★ أين يقع الأدب اليمني اليوم على خارطة الأدب العربي المعاصر ؟

★★ أستطيع أن أقول إن الأدب اليمني جزء لا يتجزأ عن الحركة



الأدبية في الوطن العربي ، يواكبها ويتأثر بها ، ويؤثر فيها . هذا لا شك فيه وخاصة أن لدينا أدباء ونقاداً وشعراء كباراً أسهموا في كثير من المؤتمرات واللقاءات الأدبية العربية ، وأسهموا أيضاً في إثراء المكتبة العربية مثل **الدكتور عبد العزيز المقالح** ، والأستاذ الشاعر **عبد الله البردوني** ، والدكتور **أبو بكر السقاف** ، **والأستاذ الحضراني** ، **وعبد الرحمن قاضي وعبد الودود سيف** ، فهؤلاء شعراء لم يقتصر عطاؤهم على الساحة الأدبية اليمنية وإنما امتد أيضاً إلى الساحة العربية واحتكوا بمحافل أدبية فكانت لهم اسهامات كبيرة .

وهناك أيضاً اسهامات في مجال القصة اليمنية باعتبارها جزء من القصة العربية مرت بمراحل التطور التي مرت بها القصة في أي بلد عربي . صحيح أنها حديثة النشأة حيث لم نعرفها بشكل دقيق إلا من عشرين سنة تقريباً ، وأعني بذلك القصة القصيرة التي بدأت من حيث انتهى الفن القصصي أعني مدرسة **محمود تيمور** وما تلاها . والآن كثير من قصّاصينا يكتبون مثل **زكريا تامر ويوسف إدريس** وغيرهم من القصاصين الكبار .

أيضاً القصيدة تعاني نفس ما تعانيه القصيدة العربية سواء في **المملكة العربية السعودية** أو في **الكويت** أو في **العراق** أو في **مصر** فهي تمر بمرحلة حياتية واحدة . هناك صراع بين القديم والحديث ، هناك صراع بين الشعراء البيتيين وبين الشعراء التفعيليين وبين شعراء النثر والواقع الأدبي اليمني أو العربي عموماً ، إذا حاولنا أن نرصده فإننا سنجد فيه هذه التكونات قائمة ، وهذا دليل على أن هناك احتكاكاً وأنه لا توجد حواجز وأن التأثيرات والقراءات متبادلة ، وهذا بطبيعة الحال يؤكد الوحدة الفكرية والثقافية في عالمنا العربي .

حسن أحمد اللوزي في سطور

- من مواليد مدينة صنعاء ١٩٤٩ م .
- ليسانس في الشريعة والقانون ــ جامعة القاهرة .
- عمل مديراً عاماً لمكتب رئيس الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة ، وعضو تحرير في مجلة « اليمن الجديد » ووكيلاً لوزارة الإعلام لقطاع الإعلام .
- يعمل حالياً نائباً لوزير الإعلام والثقافة ورئيساً لتحرير مجلة « معين » .

● مؤلفاته :

★ مجموعة قصصية بعنوان « المرأة التي ركضت في وهج الشمس » .

★ مجموعة شعرية بعنوان « أشعار للمرأة الصعبة » ، وديوان مشترك مع شاعر فلسطين بعنوان « أوراق اعتماد لدى المقصلة » ، كتاب بعنوان « تراتيل حالمة » .

● نشاطاته :

★ رئيس سكرتارية اتحاد الأدباء اليمنيين (فرع صنعاء) .

★ رئيس نادي الوحدة الرياضي والثقافي .





الذي نتمناه أن تشهد هذه الوحدة المزيد من الاستثمار والمزيد من التقارب ، وهذه مهمة تتحمل مسؤوليتها **وسائل الإعلام العربية** والصحافة العربية .

التخصص والأدب

★ يتهم الجيل الحاضر بأنه أقل عطاء وأقل جودة ونضجاً من الأجيال السابقة . هل من تعليل لهذا الاتهام إذا كان صحيحاً ؟

★★ المناخ العام والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية جميعها لها تأثيراتها على الحركة الأدبية سلباً وإيجاباً . عندما يكون هناك ازدهار في الحياة العامة فإنه يعكس نفسه على العمل الأدبي والثقافي .

أيضاً عندما تمر الأمة بنكسات وظروف احباطات ــ لا سمح الله ــ فإن هذه الظروف تعكس نفسها على حركة الأدب وعلى العمل الأدبي بشكل مباشر بحيث يأتي معبراً عن نفسية محبطة ، وعن قلق ناتج عن نوعية الحياة التي نعيشها .

فالظاهرة في الواقع هي ظاهرة العصر الذي نحياه والظروف التي تمر بها الأمة العربية . لكننا لا نستطيع أن نتهم المنتمين إلى قطاع الإبداع في هذه المرحلة بأنهم مقصرون أو أنهم غير قادرين على العطاء لأنهم محكومون بظروف ومتغيرات ومحكومون **بالتخصص** . مجالات التخصص أصبحت أكثر فالرجل القاموسي **كالعقاد وطه حسين** انتهى . لكننا اليوم نجد الشاعر الذي يكتب الشعر فقط ، كذلك نجد الشاعر ونجد القاص ونجد الروائي ، فهذه شخصيات اكتملت تقريباً وجانب التخصص أصبح لا يستطيع إشباعه شخص واحد بمعنى أن وسائل الإعلام والصحافة هي عبارة عن مصب يمتص الكثير من العطاءات .

كثير من القصاصين الذين كان من المفروض أن نقرأ قصصهم بشكل منتظم في كتب أو في مجلات نجد أنهم مأخوذون **بالتلفزيون والإذاعة** وما يقدمونه فيها من مسلسلات ، **فالوسائل الإعلامية في هذا العصر تأكل أعمال الأدباء وتأخذ الكثير من وقتهم ، حيث صاروا يعطونها أكثر مما يعطون للصحافة أو يخرجونه في مجموعات أو كتب** . بطبيعة الحال هذه ظاهرة أعتقد أنها من الأسباب التي جعلت في الظاهر أن عطاءات الأدباء والشعراء محدودة الآن . لكن لو قسناها بالإنتاج فأعتقد أنها لم تكن محدودة بل ربما تجعل حصيلتهم أكثر .

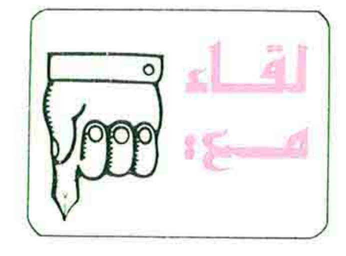
★ أيهم أكثر بروزاً على الساحة الأدبية في اليمن القصيدة ؟ أم المقالة ؟ أم القصة ؟ ولماذا ؟

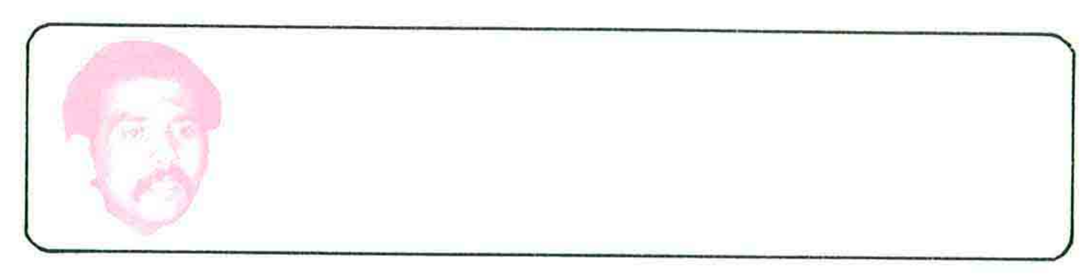
★★ يبدو في الواقع أن **المقالة** أكثر بروزاً لأنها لم تؤطر في قانون معين أو في شكل معين . فأنا مثلاً عندما أكتب قصة ألتزم بتكنيك وشكل محددين ، لكن عندما أكتب موضوعاً فأنا مطلق الحرية في اختياره وفي طوله أو قصره ، وهذا يختلف عندما أكتب قصة أو قصيدة ، فأنا في هذه الحالة أقيد نفسي من جهة ومن جهة أخرى هذا لا يجعلني سريع الإجابة لطلب الصحافة ، وأنا هنا أريد أن أؤكد على النقطة الصادقة .

فمثلاً في **المملكة العربية السعودية** ، قبل أربع سنوات ، لم تكن الصحف والمجلات موجودة كما هي عليه الآن وهذا أدى إلى أن الكاتب السعودي أصبح مطلوباً منه أن يكتب للعديد من هذه الصحف والمجلات ، لأنها كلها بحاجة إلى كتَّاب ، والكاتب في هذه الحال لا يسعه إلا أن يلجأ إلى كتابة المقالات والانطباعات طالما هو قادر ومتمكن من لغته وأفكاره ، لأن ذلك أسهل عليه من الكتابة في مجال القصة أو القصيدة اللتان تحتاجان إلى تكنيك معين وشكل معين ــ كما ذكرت سابقاً ــ وتحتاجان أيضاً إلى معاناة .

كثير من الكتَّاب في البلاد العربية يكتبون مقالات وأحاديث ثم يجمعونها بعد نشرها في الصحف ويصدرونها في كتب . لذا فإنه مهما يكن من جودة في هذا المؤلف فإنه لا يكون كالكاتب الذي كتب من خلال رؤية واحدة ومناخ واحد ، لأن الكتاب الأول قد يحتوي على موضوعات متنافرة كالتنافر الذي يحدث بين موضوع كتب في هذا العام وموضوع آخر كتب في العام الذي قبله ، لأن كل موضوع كتب حسب مناخ خاص وظروف خاصة .

لكن الأمر يختلف عندما أتفرغ سنة كاملة لموضوع واحد **كالحركة القصصية في اليمن** ، مثلاً ، فأنا في هذه الحالة سأعيش مناخاً معيناً يتمثل العطاء القصصي حينئذ ، عندما أكتب سأشعر بأن الكتاب خرج مترابطاً من البداية إلى النهاية . لكن المطابع الآن بحاجة إلى العطاء





الأسرع حيث تلتهم وتصدر ، فالأدباء والكتّاب ــ من هذا المنطلق ــ لجأوا إلى أن يكتبوا المقالات السريعة ليجدوها بعد ذلك في الصحف أسهل جمعاً ثم يسلمونها إلى المطابع لتطبع في كتب .

المطابع في اليمن

★ هل توجد مطابع في اليمن ؟

★★ للأسف الشديد لا توجد مطابع في اليمن ، وقد كانت لدينا مطبعة تفي بحاجة البلاد من العمل الطباعي لكنها لسوء الحظ احترقت ، ولذا فإننا نحاول أن نطبع الكثير من المجلات وحتى الشهرية منها خارج البلاد ، وكذلك الحال بالنسبة للكتب فنحن نطبع في **بيروت** ونطبع في **الكويت** وفي **سورية** ، ونتمنى في المستقبل أن تكون لدينا مطابع ، لأنه يوجد الآن مشروع طباعي كبير أسهمت **المملكة العربية السعودية** ممثلة في **وزارة الإعلام** بدعمه ، وقد تم شراء مطبعة كبيرة كما يجري إكمال البناء الخاص بها ، ولعل هذه المطبعة تلعب دوراً كبيراً في حل ما نعانيه من مشاكل تتعلق بالطباعة .

عودة إلى الشعر

★ أيهما أرجح كفة في المستقبل القصيدة الخليلية ؟ أم القصيدة الحديثة ؟

★★ ربما يكون لي رأيي الخاص في هذا الموضوع ، فنحن إذا أردنا المستقبل فالمستقبل **لقصيدة النثر** ، بمعنى أن هذه القصيدة أظهرت أنها أكثر استيعاباً لابتكارات اللغة والتجديد في صورها وأكثر استشراقاً لآفاق كبيرة يمكنها أن تجاري أحلام أي شاعر أو أي مبدع ، **وأنا أقول هذا من خلال تجربة لأنني كتبت القصيدة الخليلية وكتبت قصيدة التفعيلة وأكتب قصيدة النثر** التي أحس فيها ذلك الإنسان الذي يجري في براري واسعة بحيث أستطيع أن أسجل كل ما يعنّ لي وكل ما يخطر عليّ في لحظة الإبداع دون قلق ودون خوف من أنه سيخرج على الوزن طالما أحسست بأنه داخل في دفء التجربة ويعبر عن الموقف الذي أردته من حيث تكامل الصورة حيث تتوالد الجمل من بعضها عبر معاناة الموقف الذي أريد انتقاله إلى تجربة أخرى إلى المتلقي .

هذا ما أحسه عندما أكتب **قصيدة النثر** وهو تقريباً نفس الإحساس الذي ينتابني عندما أكتب **قصيدة التفعيلة** إلا أنني هنا أشعر بوجود هوة تحول بيني وبين ما أريد ، فأضطر إلى استبدال كلمة بكلمة أخرى رغم أنني لا أريد ذلك وحينئذٍ أحس وجدانياً بأن الكلمة التي أضطررت إلى استبدالها أصدق تعبيراً عن رؤياي وعما أردت الإفصاح عنه .

هذا هو العيب الذي أحسه في التفعيلة إضافة إلى أن القصيدة الخليلية أشد خنقاً للتجربة الشعرية . الذين يكتبون على منوال **الخليل ابن أحمد** مقيدون بذوق موروث يحسون بأن الخروج عنه خروج عن المألوف . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ــ وليس هذا حكماً عاماً ــ فهناك شعراء كثيرون يكتبون القصيدة الخليلية ويبدعون إلا أن هذا الشعر كثيراً ما يأتي مباشراً وكثيراً ما يأتي أشبه بالنص .

الخوف من الجمهور

★ أنصار الشعر الخليلي يدللون على عجز الشعر الحديث بأن كتّابه المبرزين عندما تعرض لهم مناسبة لها أهميتها يعودون إلى القصيدة البيتية .

★★ السبب في ذلك أن هؤلاء الشعراء يخافون الجمهور ، لأن هذا الجمهور نما وتكون ذوقه من خلال تشربه للقصيدة الموزونة والمقفاة ، فهو يريد أن يسمع رنيناً وطبلة تقرع ووقفات معينة . لكن هذا لا يعني إبقاء هذا الذوق في مكانه بل لا بد أن نحركه ونجعله يتفاعل مع الحياة .

الإنسان العربي لم يعد ذلك الإنسان الذي يعيش في الخيمة . لقد أصبح إنساناً آخر يعيش ضمن متغيرات العصر فهو لم يعد يركب الجمل أو البغل كما كان أجداده في السابق وإنما ــ كما قلت ــ أصبح إنساناً آخر .

اللغة ليست كائناً جامداً ولكنها كائن اجتماعي متطور لها تكويناتها سواء في الأسلوب النثري أو الأسلوب الشعري فهي لا بد أن تنمو كما أن أذواق الناس يجب أن تنمو كذلك ، والذي يكفل ذلك هو حدوث المزيد من التقاء الشعراء التفعيليين وغيرهم بالجمهور والاحتكاك به ومحاولة تحريك ذوقه إلى الأمام كل ذلك سيجعل المستقبل لمن ينظر إلى المستقبل .

هذا لا يعني أننا نتجاوز كل ما هو موروث لأن الجذور والأصالة شيء أساسي لا يمكن الاستغناء عنه ولا بد أن يكون النقطة التي ننطلق منها لكن المردود أو الثمرة لا بد أن تأتي بطعم يختلف عن الثمار السابقة وإلا لم تكن ممتعة .

كثرة وقوع الحافر على الحافر في القصيدة الخليلية يحتم علينا الانطلاق إلى صور وتركيبات ومعانٍ جديدة لكي تتجدد حياتنا .



الذي يهمنا من الرواية كفن من فنون التعبير، بماهية الرواية، وبعض عناصرها الفنية التي تفرق بينها وبين القصة القصيرة والمسرحية والقصيدة والملحمة. كما يهمنا مهمة الرواية، ودور الكاتب الروائي، والشخصية الروائية، والحدث الدرامي في الرواية، وعلاقة الشخصية بالحدث، ثم علاقة الرواية بالواقع. ويهمنا بعد هذا وذاك القول بأن العلاقة بين الشخصية والحدث هي علاقة تلازم ووجوب، وأن ذاتيتها تتحدد داخل الرواية إذا وجدا في حيز من المكان والزمان.

الرواية العربية كفن من فنون التعبير

بقلم: د. سيد حامد النساج

فقد عرّف «**لوك**» الهوية الشخصية Personal Indentity بأنها هوية الشعور من خلال امتداد الزمن. وكتب يقول: «**إن الأفكار تغدو عامة إذا انقطعت عنها عوامل الزمان والمكان**». فهي لا تصبح خاصة إلا إذا تحدد عاملا الزمان والمكان. وهذا ينطبق على شخصيات الرواية وأحداثها. لا بد من وجود خلفية من الزمان والمكان المعينين. ويذهب «**ا. م. فورستر**» إلى أن «**تصوير الحياة من خلال الزمن**» هو الدور الذي أضافته الرواية إلى الوظيفة القديمة للأدب، وهي تصوير الحياة من خلال القيم.

معنى هذا أن الرواية تولي **البعد الزمني** أهمية بالغة. وجاء هذا خروجاً على التقليد الأدبي السابق، الذي كان يستعمل القصص التي لا زمن لها، لتعكس الحقائق الخلقية التي لا تتغير. وكذلك **تتميز عقدة الرواية عن أغلب الحكايات السابقة؛ باستعمالها الخبرة الماضية على أنها الدافع أو السبب للأفعال الحاضرة**. حيث يحل نوع من العلاقة السببية التي تؤدي وظيفتها ضمن إطار الزمن محل اعتماد القصص القديمة على التنكر، والمصادفات، والمفاجآت، ومن شأن هذا العمل أن يمنح الرواية تركيباً أكثر رصانة. **ولعل أهم من ذلك استعانة الرواية بالبعد الزمني، وأثر ذلك في الشخصية**.

وعلى العموم، فإن الرواية قد اهتمت أكثر من غيرها من الأشكال الأدبية، بتطوير شخصياتها وأحداثها بمرور الزمن. وتصوير الرواية للحياة اليومية بصورة مفصلة، يعتمد على سيطرتها على البعد الزمني. **وأحياناً، تكون الرواية حرة في الزمان، حيث يكون المكان محدوداً. وأخرى تكون محدودة في الزمان عندما يكون المكان حراً**.

لغة الروائي

أما الأداة الوحيدة التي يستعين بها الكاتب الروائي في صنعته، فإنها: **اللغة**. إذ إنه لا يملك غيرها. **فالرواية فن درامي أساسه اللغة: لغة السرد، ولغة الحوار**. ولما كانت الرواية الجيدة، هي دراما جيدة. ولما كانت كل دراما تأخذ مكانها على خشبة المسرح؛ ولما كانت كل المسارح مظلمة؛ فإن أشد المسارح إظلاماً هو الذي تمثل عليه

دراما الرواية . إنه يخلو من الضوء تماماً ، إلا من نور ألفاظ الكاتب الروائي . فالكاتب المسرحي يقدم قصته بواسطة الممثلين الذين ينطقون عباراته ، ويمثلون الحركات التي تتضمنها هذه العبارات . بالإضافة إلى أنه يملك تحت تصرفه موارد المناظر المسرحية ، والخلفية ، والوسائل المرئية المشابهة ، وموارد أخرى حقيقية مثل الأثاث بالأحجام والأشكال التي يريدها ، والتليفونات ، والتليفزيون ، وكل ما يمكن إحضاره على المسرح . ويستطيع أن يستخدم مصادر الإضاءة ، ليصطنع تأثيراً حقيقياً للضوء . كما أنه يستطيع أن يجعل المضمون العاطفي سارياً وواقعاً في مشاهده . ولديه وسائل آلية كثيرة يمكن أن تستخدم بالفعل ، كالمؤثرات الصوتية ، والموسيقى ، وسقوط مياه في مشهد وكأن السماء تمطر .

كاتب الرواية يؤدي هذه الأعمال جميعاً ، ويحل محل تلك الوسائل والأدوات ، بسلاح واحد هو : **اللغة** . ومن هنا تبدو أهميتها الشديدة ، وخطورة دورها . فهي تقوم بكل ما تقوم به الفنون المساعدة للمسرح تمثيلاً وإخراجاً . **والرواية تؤكد على أن تكون وظيفة اللغة هي تمثيل الحركة ، بالسرد ، وبالحوار معاً** . وهي الدلالة على الأشياء ؛ بالاعتماد على الوصف والشرح والتحليل والتحديد . وهي القدرة على توصيل عاطفة الكاتب ورؤيته للحياة ونظرته للمجتمع . وذلك باستخدام النثر العادي السهل ، وليس بالاعتماد على الأناقة والزخرفة . . نثر يحفل بالحركة ، ولا يلتفت إلى اللفظة بجرسها وغرابتها وفخامتها . وإذا كانت لغة الأدب لغة خاصة إلى حد كبير في الشعر ؛ وإلى حد ملحوظ بالنثر الفني ؛ فإن لغة الرواية ينبغي ألا تشغل القارئ بأي شكل من الأشكال . وقد ساعدتها الصحافة على ذلك حين قدمت لها المناخ الطبيعي كي تتطور .

وتفسر هذه الحقيقة ظاهرتين : **أولاهما** : أن « ترجمة الرواية أسهل من ترجمة غيرها من الأشكال الأدبية . **وثانيتهما** : أن كثيراً من الرواد العالميين في ميدان الرواية ، ومنهم : **ريتشارد سون ، وتوماس هاردي ، وتولستوي ، ودستويفسكي** ، غالباً ما كانوا يكتبون رواياتهم بلغة خالية من الأناقة والبهرجة . وربما كانت لغة خشنة في بعض الأحيان » . وقد يدل هذا من بعض الوجوه على أن الرواية لم تسلك طريقها الحقيقي نحو الظهور ، ثم الرواج ، والانتشار ؛ إلا بعد أن تخلصت اللغة تماماً من أثقال المحسنات البديعية ، في أواخر القرن السابع عشر . حين بدأ النثر يؤدي مهمة توصيل الأحداث والأفكار إلى ذهن القارئ توصيلاً مباشراً . ولم يكن إلا نثراً علمياً بسيطاً صالحاً للتفكير والتعبير . وإدراكاً من الدولة ــ **في إنجلترا** ــ لأهمية هذا النثر السهل ، أصدرت ترجمة معتمدة للإنجيل في سنة ١٦١١ م ، في أسلوب مبسط ، يعتمد على حصيلة الرجل العادي من الكلمات والألفاظ والعبارات والجمل .

وفي **عالمنا العربي** ، شقت الرواية الفنية سبيلها نحو الذيوع عن طريق الجمهرة القارئة ، بعدما رفضت الخضوع لسيطرة القيود اللغوية التي شلت الكتابة والتفكير فترة طويلة من الزمن . وبعد أن رفضت الارتماء في أحضان **المقامة العربية** ، أو الانبهار بالتواءاتها الأسلوبية . ولا يعني هذا أبداً ــ **فيما أظن** ــ إلا شيئاً واحداً : هو أن اللغة البسيطة ، المفهومة ، المقبولة ؛ هي عماد النسيج الروائي . وهي التي تقربه من الجماهير المتلقية ، وتحبب الجماهير فيه . إذ إن كاتب الرواية لا يؤلف روايته لتقرأها تلك القلة المتخصصة في اللغة ، أو القادرة على تتبعه في مساربه وقواميسه ومعاجمه . والبساطة هنا لا تعني عدم الدقة والإنضباط في الاستخدام . أو عدم الانتقاء والاختيار . أو عدم الاستقامة والسلامة اللغوية . وإنما تعني ــ بوضوح ــ عدم الجري وراء الغريب والشاذ من الألفاظ والكلمات . وعدم الحرص على أن تكون « **اللغة** » غاية في ذاتها . دون أن تشير إلى شيء حيوي ، ودون أن توحي بفكرة ، ودون أن تلقي ظلاً وانطباعاً ، ودون أن تؤدي إلى تطور الحدث ، أو تضيف بعداً جديداً .

بساطة اللغة ومعقوليتها لا تغفر التفكك ، وعدم السلامة والاستقامة . فلغة الرواية يجب أن تتوافق توافقاً ومدى المطابقة بين السلامة اللغوية ، والجودة الفنية ، ولست مع الناقد الأمريكي المعاصر « **البرت كوك** » الذي يدعي أنه ليس شرطاً أن يتوافر مثل هذا التوافق والتطابق ، فقد تكون هناك رواية جيدة بأسلوب ركيك كما يقول . إن إجادة الكتابة جزء جوهري من عدة الروائي . وهي لا تقل أهمية عن قوة الإبداع ، والملاحظة ، والخيال ، ومعرفة الطبيعة الإنسانية ، والخصوبة ، والذكاء .

وإذا كان تاريخ الأدب العالمي قد أعطى كلاً من : **ديكنز ، وبلزاك ، وتولستوي** ، حقهم من التقدير الأدبي ؛ فإنه لم ينس أنهم كتبوا لغاتهم المحترمة بطريقة غير جيدة ، أو دون احتفال ، وربما بطريقة سيئة ، مستغلين قدراتهم الأخرى ، وحرصهم على التحرر من أسر القيود اللغوية . ومع ذلك فإنه من الأفضل أن تكون الكتابة بطريقة جيدة على أن تكون بلغة رديئة ، مفككة ، غير سوية .

ولما كنا قد استلزمنا المهارة الفنية في الصنعة الروائية ، وإحكام البناء ، والتصميم ، فإنه ليس صعباً أن يطالب الكاتب بسلامة لغته ، ودقة نسجها ، ومعرفة أصولها وقواعدها ، والاطلاع على تراثها . ثم ، يكتب لجمهوره الذي يتقبل حكمه في طواعية . هذا الجمهور العريض الذي يقرأ الصحيفة اليومية ، والمجلة الأسبوعية ، والذي هو على درجة ما من درجات الثقافة ، كانت الرواية أول شكل أدبي يحتك به . وكان هو الذي يحكم على الرواية رواجاً أو كساداً . كما كانت الرواية أداة الاتصال الأدبي بين الجماهير ؛ نظراً لانتشارها وتوزيعها .

السرد في الرواية

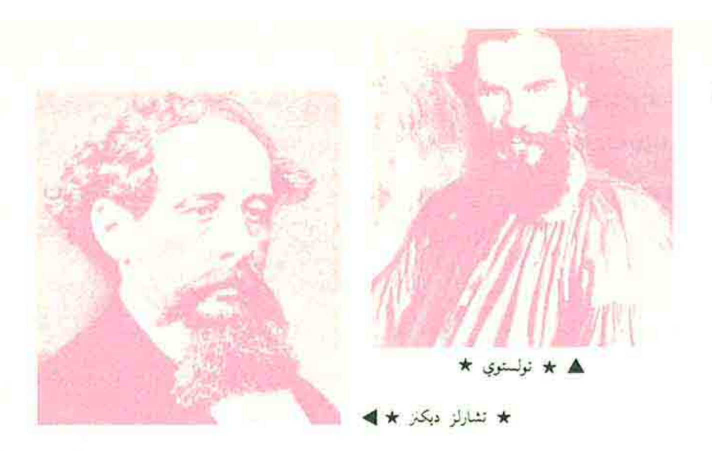
ونحن نعرف أن المسرح يقوم أساساً على « **الحوار** » . كما كانت الرواية ــ فيما مضى ــ تستند أصلاً إلى **السرد** . وإذا كان المسرح يستعين بالديكور والموسيقى وحركات الممثلين وإشاراتهم لسد حاجته إلى السرد ؛ **فإن كاتب الرواية أصبح يعتمد على السرد وعلى الحوار معاً** . يستخدم السرد في تقديم الحقائق ، أو تصوير المناظر ، أو تحليل المشاعر ، أو الشرح ، أو رسم الملامح ، أو التصوير . إنه وسيلة مناسبة للعرض

والإقناع ، أقرب إلى المنطق والقوانين العقلية للترابط . ومن ناحية أخرى أقرب إلى الرسم والقوانين العامة للوصف . إنه يميل إلى الاستعاضة عن العرض الحي ، بنظام من العرض الذهني ، وعن البراهين الجمالية ببراهين عقلية . ويبدو هذا واضحاً حينما تتصدى الرواية لمعالجة الماضي ، كما عاشه الناس . فإن السرد لا يهتم بالشخصيات ، أو بالتطور الحي للموقف ، أو العقدة النفسية ، أو نمو الشخصية وحركتها .

وتسرد الرواية أحياناً بضمير المتكلم منذ البداية حتى النهاية . حيث نلتقي مع الراوي ـ الشخصية الرئيسية ـ الذي يكون الكاتب نفسه في أغلب الأحيان . وهذه الطريقة تجعل القارئ ، يرى ويسمع ، من خلال عيني وأذني الكاتب . لأن هذا الأخير يحرص على تقديم كل عناصر الموضوع من وجهة نظره ، وفي الدائرة التي تقع تحت حواسه وإدراكه . وهنا يكون المجال متسعاً كي يلقي الحكم والمواعظ ، وكي يلتقط من الجزئيات والتفصيلات ما يراه ـ **من ناحيته** ـ واجباً . بينما يكون ـ **فنياً** ـ زائداً وغير ضروري . وقد يروق له أن يتحدث إلى القارئ أو الشخصيات الأخرى . وقد ينسى نفسه ، فيستطرد هنا ، أو يأتي على ذكر أشياء جانبية ، لا علاقة لها بالخيط الأساسي في الرواية . وفي استخدامه لضمير المتكلم « **أنا** » كثير من الذاتية ، مما قد يبعد عنه القراء الذين يرون في ذلك سلبية ، وهروباً من الإيجابية والجماعية . مهما لذ له أن يوجد نوعاً من التواطؤ مع القارئ ، باطلاعه ليس فقط على ما يفعل أو يفكر فيه ، بل كذلك على الشروط التي تتحكم في سلوكه . فهو تارة يشرح أسباب عمل محدد ، وتارة أخرى يكتفي بأن يشير إلى القارئ من طرف خفي ، ليشعره دائماً بأنه سيِّد الموقف .

ورغم أن كثيراً من الروائيين قد استخدموا هذه الطريقة ؛ فإن لها بعض المزايا والعيوب . من مزاياها أنها تجبر الكاتب على أن يلتزم بخيط السرد ، فلا يستطيع أن يخبرنا إلا بما شاهده هو بنفسه أو سمعه أو فعله . ومنها أنها قد تضفي على الرواية طابع المطابقة للواقع ، فتجعل القارئ يتعاطف مع الراوي ، إذ هو مجبر على هذا التعاطف ، ما دام الكاتب يدفعه إلى أن يركز اهتمامه فيه . ولكن من عيوب هذه الطريقة ، أن الراوي ، **وهو البطل في نفس الوقت** ، لا يستطيع أن يخبرك أنه وسيم وجذاب ، إلا إذا كان غير متواضع ، وهو خليق بأن يبدو مغروراً إذا حكى أعماله البطولية ؛ وغبياً إذا فشل في رؤية ما هو واضح للقارئ ، وهو أن البطلة تحبه مثلاً . وهناك عيب أكبر ، ذلك أن البطل ـ **الراوي** ـ الشخصية الرئيسية ، يحتمل أن يبدو باهتاً إذا ما قورن بالأشخاص المتصلين به . لأنه يرى نفسه بطريقة ذاتية ، بينما يرى الشخصيات الأخرى من الخارج رؤية موضوعية . وإذا رأى هذه الشخصيات في حدة درامية ، وإحساس من الدعابة ـ كما كان يفعل **شارلز ديكنز** ـ فإنه يجعلها تبرز حية ، بحيث تطغى على صورته هو نفسه .

وليس غريباً أن نجد الكاتب الذي يؤلف روايته الأولى ، يشغف وينبهر بهذه الطريقة ، فيجعل نفسه « **الشخصية المحورية** » في الرواية . فإذا بنا نراه يحقق فيها لنفسه أشياء خطيرة وهامة لم يحققها في واقع



▲ ★ تولستوي ★

★ تشارلز ديكنز ★ ◀

الحياة . حتى تصبح الرواية بمثابة اعترافات بأحلام اليقظة التي راودته . وفيها يتصور نفسه إمبراطوراً أو قديساً أو عاشقاً كبيراً أو سياسياً مرموقاً . ولأن مثل هذه الأحلام تنطوي على حماقات كثيرة ؛ فإننا نعثر على هراء كثير في بعض الروايات الأولى التي يؤلفها بعض الكتَّاب على هذا النحو .

ومن الكتَّاب من يتوسل بضمير الغائب . حيث يتوارى خلف شخصياته ، ويصنع أحداثه ، دون أن يشعرنا بذلك . ويحرك كل العناصر . ويمسك الخيوط جميعاً . وهو يقدم إلينا الشخصيات في موقف ، أو من خلال حدث ، من غير أن يفرض نفسه علينا وعليها . ذاته تكون مختفية بحذق . وجهة نظره مبثوثة بمهارة . رؤيته للحياة وموقفه من الواقع غير مفضوحة ، قد نتلمسها في مشهد هنا . أو على لسان شخصية هناك ، أو في مجرد اختيار الأحداث ، والشخصيات ، والمواقف . لكنها أبداً لا تقول : « **ها أنذا أعلن رأيي أو موقفي** » . إن الكاتب يستطيع أن يقول ما يريده من خلال ما يختاره وما يقدمه : بشكل موضوعي ، حيادي ، وبصنعة فنية ، وتكنيك محكم .

وقد كان **تولستوي** يعتبر كاتب الرواية بطلاً ، أو على الأقل فإنه يلعب دور البطل . والبطل لا يسفر عن وجهه لمن هم حوله قائلاً : ألا ترى معي أني قد أحسنت ؟ ! أو أني أبدعت وركبت وبنيت فوفقت ؟ !

لا شك أن الكاتب الذي يستخدم هذه الطريقة الثانية ، يبدو أكثر وعياً من شخصياته ، أو أشمل ثقافة ، وأعظم إدراكاً للأمور ، وإحاطة بما يدور حولها ، وبالظروف التي تتحكم في مصائرها . وهو أقرب إلى معرفة أدق خفاياها ، وأعقد مشكلاتها النفسية . وهو الذي يوجهها وفقاً للهدف الذي حدده لها . والخطة التي ينبغي أن تسير على هديها . بل أكثر من هذا ، إنه يضع نهايتها بقلمه ، إن فشلاً أو نجاحاً . إن موتاً أو انتصاراً . إن مرضاً أو انتحاراً . وهكذا . هو الذي يجعلها تنطق على هذا النحو دون غيره ، وتتفوه بتلك الكلمات دون سواها . فلو أنه كان يفعل ذلك كله ، بواسطة الطريقة الأولى لما استطاع . وكيف يوفق وهو واحد من الشخصيات يجري له ما حدث لغيره ؟! وفوق هذا وذاك ، فإنه هناك يفتقد عنصر الدراما ؛ بينما هو هنا لا يستطيع إلا أن يكون درامياً .

قلّما يستخدم الروائيون **ضمير المخاطب** في السرد . إذ به تنقلب الرواية إلى مجموعة من الخطب الزاعقة . وهو لا يمكن أن يخاطب إلا

القارئ . وإلا شخصية واحدة . ويصعب ـ عندئذ ـ تمثيل الحدث ، وتقديم الحركة ، وإضفاء الجو ! غير أنه **من الممكن استخدام الضمائر الثلاث** ، في محاولة للتغيير ، وتجديد الشكل ، أو لفت الانتباه إلى أكثر من وجهة نظر ، أو سرعة الحركة بنقل الكاميرا اللاقطة المصورة من شخص إلى آخر ، ومن زاوية إلى أخرى . وذلك لمزيد من الحيوية التي تصبغها سرعة الحركة والتنقل . ولجذب القارئ ، وتشويقه ، وإثارته ، والعمل على توتره إبان لحظات ترقبه وتتبعه لما يدور .

الحوار

ويعد « **الحوار** » جزءً من البناء العضوي للرواية . له ضرورته ، وحيويته . فهو يدل على الشخصية . ويحرك الحدث . ويساعد على حيوية المواقف . ومن ثم فإنه يلزم أن يكون دقيقاً . هادفاً إلى غاية مرسومة ومحددة . بحيث يكون ـ **بالفعل** ـ عاملاً هاماً من عوامل الكشف عن كل أبعاد الشخصية ، أو التطور بالموقف ، أو تجلية النفس الغامضة ، أو الوصول بالفكرة المراد التعبير عنها .

والحقيقة ، أن « **الحوار** » في الرواية ، من إبداع الكاتب نفسه ؛ بغض النظر عما يبدو فيه من حيوية وحرارة تجعله حديثاً فيه جدة . وعلى هذا فإنه يحتاج إلى مهارة خاصة في إدارته ، واختيار كلماته ، واتفاقها مع الشخصية ، وتناسبها مع الموقف . ولا شك أن الحوار الجيد في الرواية الجيدة ، يكشف عن معاناة مع الحرف ، والكلمة ، ودلالات الألفاظ . فهو من أدق وسائل الكاتب ، ومن أكثرها مزايا .

كما أن « **الحوار** » يحدد التوازن بين ما يقال وبين ما يستنتج ضمناً . فهو وسيلة مباشرة لتوجيه القارئ إلى الدراية والعلم ، أو إلى إدراك ما يرمي إليه الكاتب الروائي . فهو يساعد على تخيل أكثر مما في المضمون . وكلما نما « **الحوار** » وقوي « **الحدث** » ؛ كلما كان ذلك سبباً في الكشف عن حركة أخرى نحو الأمام . ويصبح القارئ ـ عندئذ ـ أمام أبعاد أخرى مختلفة من الشخصية ، والانفعال ، والمعنى . حيث يتحرك المشهد المكتوب ببراعة ، وتزداد الأبعاد مع التقدم من موقف إلى آخر ؛ لأن مضمون أي جزء يبرز مضموناً آخر بحسب علاقاته بما حدث من قبل ؛ ومضموناً ثالثاً بسبب علاقته بما سوف يحدث فيما بعد .

وموقفنا من لغة الحوار ، هو جزء من رأينا في لغة السرد . يلزم ، **أولا** ، ألا يكون مطولا فيبلغ الصفحة أو نصف الصفحة . بل ينبغي أن يكون مكثفاً ومركزاً وموحياً . ويتطلب **ثانياً** ألا يكون معرضاً لبلاغة الأسلوب ، وجمال الألفاظ ، ورنين موسيقاها . فإن ذلك يعوق القارئ عن تتبع الحركة . والحركة هي أساس الرواية . ويفترض **ثالثاً** ، أن يعمل على تقوية اقتناع القارئ وتقبله له باعتباره كلاماً إنسانياً . رغم كونه ليس كلاماً إنسانياً . لأنه يفتقد التنغيم ، والتفخيم ، والتعبير الوجهي ، والإشارة ، والمسايرة العضلية الدقيقة التي تضخم الحديث . ويشترط ـ **قبل هذا وذاك** ـ أن تكون لغته عربية سليمة ، بسيطة ، مفهومة .

والمسألة هنا لا تحتمل تأويلات سياسية أو قومية . ولكنها ترتبط أشد الارتباط بأن كل ما هو موجود في الواقع ، لا ينقل بحذافيره في الفن . وبأن على الكاتب أن يقوم بالاختيار والانتقاء والتنسيق . وأن للرواية منطقها الداخلي الخاص ، وبناءها المتميز ، الذي يستلزم مقومات وعناصر قد لا يكون توفرها في الواقع أمراً لازماً . وكيف بنا نقبل التيارات الحديثة في الفن والأدب والفلسفة وعلم النفس والسينما والمسرح ؛ ونرفض ـ في نفس الوقت ـ أن تكون لغة الحوار لغة فنية مقبولة . بل كيف بنا نقبل على قراءة الروايات المترجمة ، وحوارها منقول إلى لغتنا العربية ، بالفصحى وليس بالعامية .

قارئ الصحيفة اليومية أو المجلة الأسبوعية ، قادر على استيعاب « **الحوار** » باللغة العربية السليمة . وأعتقد أن البساطة في الأداء لا تتأتى إلا لخبير . إذ ليس كل كاتب قادراً على أن يشكل معاناته ، وتجاربه ، وثقافته ، وخبراته ، في أسلوب سهل ، ينفذ إلى قلب القارئ العادي ، وإلى القارئ المثقف على حد سواء . ولا أظن أننا أصبحنا في حاجة إلى تلك الازدواجية التكنيكية التي فقدت براءتها . فالكاتب يكتب روايته مرة لإقليمه المحلي حيث يقرؤه أبناء بلده ، ثم يفكر في طبعها على مستوى العالم العربي ؛ بعد أن يترجم حوارها العامي إلى اللغة العربية ، ليقرأها أبناء عمومته هنا أو هناك .

ولقد احتاج « **عبد الكريم غلاب** » الكاتب المغربي ، إلى أن يشرح في هامش روايته (**دفنا الماضي**) معظم ما نطق به شخوصه من حوار عامي . وذلك لأنه طبعها في بيروت ، لتوزع منها في كل أنحاء العالم العربي . أما **نجيب محفوظ** ؛ فإنه تغلب على هذه المشكلة . ولا أحد ينكر أنه روائي مقروء عربياً . وجمهوره هو الجمهور المتلقي العادي ، الذي لا يجد في حواره صعوبة .

ويشكل « **المونولوج الداخلي** » جزءً في موضوع الحوار . لكنه حوار من جانب واحد . أو قل إنه حوار مع النفس . تتوهم الشخصية أنه يدور بين أطراف متعددة ، من ماضيها ، أو من حاضرها ، أو من اختراعها ، أو من بطون التاريخ ، أو من أطراف العالم المعاصر . حيث تستحضر الشخصية المحورية إنساناً من هنا أو هناك ، وتحادثه في مونولوج متصل ، تتولى هي فيه الرد وتوجيه الأسئلة ؛ في خيط كثير العقد ، وفي إطار حديث مهموس . وهذا الأسلوب ما يزال يمارس إلى اليوم . بل إنه يحمل سمات الرواية الجديدة .

وفي كل عنصر من العناصر الفنية التي ذكرناها ، لا بد للكاتب من أن يتخلص من النتوءات والزيادات . وأن يعي دور كل كلمة ، وكل جزئية ، وكل صورة ، وكل مشهد . وهو لا يختلف عن الكاتب المسرحي هنا . فالأخير لا يقدر على استحضار قطة صغيرة على خشبة المسرح ، دون أن يكون لها دور ، وتأثير ، وهدف مقصود ومتعمد . فيختار حجمها ، وسنها ، ولونها ، وطبيعة حركتها . ويعيّن لها المنطقة التي تتحرك في إطارها ، والشخصية التي ترتبط بها ، أو تكشر عن أنيابها في وجهها . ويختار لها اللحظة التي تظهر فيها . وهي ـ بالتأكيد ـ تنسجم مع حالة نفسية أو موقف انفعالي أو عاطفي أو ما شابه ذلك .

وحرصاً من الرواية على وحدتها ، وتكامل أسسها البنائية ، وتماسك عناصرها ، تحذف كل ما يحول دون تحقيق الوحدة الفنية والموضوعية والشعورية ، وكل ما من شأنه أن يحدث اضطراباً واهتزازاً في البناء المعماري .

الصدق الفني

وفي الحكم على العمل الروائي الجيد ، يحتل عامل « **الصدق الفني** » مكاناً حاسماً . ولا يقصد به قياس النموذج البشري في العمل الروائي ، لمعرفة مدى مطابقته لملايين النماذج في الواقع الإنساني . كما أنه لا يستهدف الوقوف إزاء الحدث الروائي ، لتبيان ما إذا كان من الممكن وقوعه في الحياة العادية ؟ إنما هو تلمس مدى التماسك الداخلي بين عناصر الرواية **ـ كعمل فني ـ** والتماسك الخارجي بينها وبين المرحلة الحضارية التي يعيشها الكاتب . لعله شيء بعيد عن الصدق الأخلاقي ، أو الصدق الفوتوغرافي . لأنه يكشف زيف الشخصية ، أو افتعال الحدث ، على ضوء ارتباط هذه أو تلك ، ببقية العناصر المكونة للرواية ، وارتباط الرواية بالمكان وبالزمان وبالمرحلة التاريخية التي أنبتتها . فالفن **ـ عموماً ـ** نوع من التجرد لكشف الحقيقة ، بالحدس وبالوجدان . والفنان يتجاوز الحقائق الموجودة فعلاً ، بقوته الخارقة التي تخترق مسلمات الناس ، لترى رؤية جديدة . إن جوهر العمل الفني شيء أكبر من العوامل الداخلة في تركيبه وتكوينه ، والتي يمكن اعتبارها نقطة ابتداء له .

ليس الصدق الفني هو ما يدعيه الناقد الأمريكي المعاصر « **ألبرت كوك** » بأن تكون التفصيلات الملاحظة المرصودة منقولة عن الواقع ، ومن الحياة . وبأن تكون العقدة ذاتها متوافقة في وقعها الزمني وعلاقاتها الاجتماعية توافقاً أصيلاً مع الحياة . وليس الصدق الفني كذلك هو ما يراه « **إيان وات** » ممثلاً في **الواقعية الشكلية** Formal Realism ، التي تمنح للرواية حرية في محاكاة الخبرة البشرية بصورة مباشرة . فالحسنات الناتجة عن الصلة التفصيلية الوثيقة بالحياة الواقعية الشكلية لا تساعد على انتشار الرواية فحسب ، بل إنها ترتبط بأهم الصفات الأدبية المميزة لها ، كما يقول هو .

هناك فارق كبير بين أن نفهم طبيعة الواقع فهماً واضحاً ، وبين أن نطبق على الفن مقاييس مبتسرة تدور كما تدور الآلة ، فتعتصر من الفن حياته ، بل وخاص مادته تحت ستار الواقعية . وإن عملية الإبداع في الرواية ، هي عملية اشتقاق وتركيب جديدين ، وليست عملية نسخ أو نقل حرفي فوتوغرافي . فالكاتب ينبغي أن ينتخب لا أن يسجل . **والواقعية في الرواية ، هي هذا الاشتقاق الذي يرتفع بإدراك القارئ من خلال عمليتي الإبداع والانتخاب .**

كما أنه ليس من الضروري لكي توصف الرواية بالصدق ، أن تنقل وتقص وتسرد ما يحدث فعلاً بوضعه الذي هو عليه . بل يكفي أن تقدم وتختار ما يمكن حدوثه دون أن يوصف بالاستحالة أو عدم المعقولية . والقارئ ليس في حاجة إلى أن يرى ويعرف في الرواية شخصية يراها ويعرفها كل يوم ؛ لأنه يقبل على قراءة الرواية مدفوعاً برغبة في تخطي مفاهيمه اليومية إلى ما هو أعمق ؛ حتى إذا ما انتهى من قراءتها وعاد إلى حياته اليومية ، رأى الناس والأشياء والأحداث بعيون جديدة ، وبرؤية جديدة .

إن وظيفة الكاتب الروائي تكمن في قدرته على تصوير عاطفة الإنسان نحو الواقع ، ونظرته إليه ، وموقفه منه ، ورد فعله عليه . والواقع هنا ليس هو الواقع الآلي الثابت الجامد ؛ بل إنه الواقع في حركته الكلية ، حتى يستطيع الكاتب أن ينقل قارءه من الآلية إلى الحركة ، ومن الجمود إلى التغيير . ولكي يتحقق ذلك ، لا بد من أن ينبع إدراك الكاتب للواقع ، من تصور للعالم له صفة الشمول والتكامل والتحرك . وله في ذلك طريقته في التفكير والتفسير والنظر . وأن تكون رؤيته للواقع لا على أنه واقع مادي فحسب ؛ بل على أن الواقع كل متكامل ، من **مادة وروح . فكر ووجدان . موضوع وذات . عقل وعواطف . حس وخيال .** وذلك حتى لا تصدر روايته عن نظرة جزئية قاصرة ، ترى الموجودات والأشياء من خلالها وتهمل ما عداها .

هذه النظرة الكاملة للحياة وللإنسان ، ينبغي أن تكون موضوعية ، لا تعتمد على الغيب والمعميات ؛ بل ترتكز على أسس منطقية علمية لا غموض فيها ولا تعقيد . ويستلزم هذا بطبيعة الحال ، ضرورة توفر عنصر « **الوعي** » لدى الكاتب الروائي . وهو عنصر لازم لتحقيق وظيفة الرواية في المجتمع من ناحية ؛ ولتوفر خامات الواقع في « **شكل** » فني من ناحية أخرى ؛ حتى لا تظل هذه الخامات مساوية تماماً لما يعرفه كل القراء . ووعي الفنان بمجتمعه هو الذي يحدد قيمة نتاجه الروائي . إذ يجب عليه أن يكون على قدر من الوعي الاجتماعي السليم ؛ يمكنه من المشاركة في مشاكل عصره ، والمساهمة في تقدم المجتمع بفنه .

فالكاتب الروائي لا يؤلف روايته لمجرد أن يعرض نماذج لشخصيات ؛ أو ليحكي أخباراً ، أو ليقص شيئاً أي شيء ، وإنما هو يقصد إلى غاية ؛ لأنه **ـ أولا وقبل كل شيء ـ** مسؤول أمام الجماعة . ويجب أن يكون فنه في خدمة هذه الجماعة . لكن هذه الجماعة لا تسمح للكاتب الروائي مطلقاً أن يكتفي بترديد الأفكار في شكل رواية ، ربما دون وعي منه ، ودون تمحيص ، ودون اقتناع . فالأهداف الأخرى لا يجوز أن تطغى على الفن وأصوله وتقنياته .

لا بد أن يتحقق البناء الفني ، وتحريك الشخوص ، ودقة الربط بينها وبين ما تحمله أو تفصح عنه من معنى ؛ بحيث لا يجوز أن تسمى رواية ، أية كتابة لا تتخذ لها صورة فنية سليمة ، لمجرد أنها تتحدث عن هدف أو فكرة أو عقيدة حبيبة إلينا ، أثيرة لدينا . وهي **ـ من ناحية أخرى ـ** لا تجعل العناصر الفنية غاية مقصورة لذاتها ؛ وإنما تتخذها وسيلة تأثيرية لفهم الواقع وتفسيره ، وتتبع حركته لتغييره . ولعلها بذلك تحقق زواجاً شرعياً جميلاً واعياً ، بين خيوط المضمون وخيوط الشكل الفني .

وفي الرواية ، يلزم على كاتبها أن يدع شخصياته تفكر لنفسها ، وتتصرف من تلقاء نفسها ، وتتحدث بلسانها ، وتتحرك الحركة الطبيعية الملائمة لموقفها داخل العمل الروائي ؛ بدلا من أن يشدها إلى هدف ، أو يربطها إلى موقف لا تجري به حوادث الرواية وتجربتها .

معنى هذا أنه ليس ثمة ما يمنع الرواية لكي تخدم المجتمع والجماعة من

أن تحرص على أن تكون رواية فنية أولا وأخيراً . فإن حرصها على أن تكون عملاً فنياً لا يعني مطلقاً انفصالها عن المجتمع وقضاياه ومشاكله ؛ ولكن معناه الوحيد والمقبول ؛ هو أن تدعو الرواية للمجتمع بالطريقة الوحيدة التي تتقنها والتي تبرر بقاءها ، والتي لا يمكن أن تكون شيئاً غيرها : **ألا وهي ترجمة المجتمع إلى شكل روائي فني خالص .**

ونظراً لأن الرواية تأخذ بوجهة النظر الكلية منطلقاً لها ؛ فإنها تدخل في عناصرها **الشكل والمضمون ، والذات والموضوع** ؛ وتجعل من مهمتها أن تكون من أجل الحياة ومن أجل الفن معاً .

إزاء هذه الحقيقة ، ينبغي ألا تلغى الذات أبداً . وإنما توزع السلطة بينها وبين الموضوع . وعلى هذا لا تفقد الرواية ذاتية الكاتب المشروعة التي من شأنها أن تخصب العمل الروائي ، وتوجد فيه تنوعاً وتفرداً ، كما أن الموضوعية تهيئ له تقويماً صادقاً ومحايداً للتجربة الإنسانية . **كاتب الرواية الفنية الصادق ، إذن ، عليه مسؤوليات جد خطيرة . ولكي يواجهها ويتحملها ، يلزم أن يكون مسلحاً بثقافة شاملة اقتصادية واجتماعية وسياسية وفكرية . بالإضافة إلى معرفة بالفنون الأخرى كالسينما والموسيقى والفن التشكيلي . وقد دخلت هذه الفنون في نسيج الرواية الجديدة .** أن يكون واعياً بظروف مجتمعه ، مطلعاً على التراث الروائي العالمي : القديم والحديث والمعاصر ، ملماً بالاتجاهات الفنية العالمية ، وبالأساليب والمناهج والأشكال الروائية ، عارفاً سر حرفته وصنعته الفنية معرفة جيدة ، خبيراً بأدواته ، مدركاً أسرار لغته وقدرتها على التشكيل والتمثيل والتصوير ، بأيسر الطرق التي يمكن أن تصل عن طريقها إلى القارئ ، وأن يدرك أن فن الرواية وحده ، وليس أي شكل أدبي آخر ؛ هو أنسب الأشكال لصياغة رأيه أو التعبير عن موقفه أو أداء دوره في الحياة والمجتمع من حوله . وأن يكون لديه وقت عمل . لأن الرواية باعتبارها عملاً من أعمال البصيرة النافذة والمحللة ، المتأنية والمدققة ؛ وباعتبارها — أيضاً — قد تطرح زمناً يتفاوت طولا وقصراً ، فإنها تستلزم وقتاً ليس بالقصير ، كما تتطلب عقلية تركيبية جدلية . **ومن هنا تأتي صعوبة الرواية كما ينبع الخوف من محاولة الاقتراب من عالمها .**

وتبقى — بعدئذ — كلمة تتعلق بتصنيف الرواية . وقد قلنا إن « **أدوين موير** » في كتابه (**بناء الرواية**) ذكر منها : **رواية الحدث ، ورواية الشخصية ، ورواية الحقبة ، ثم الرواية التسجيلية .** وهو يعتمد في تقسيمه على غلبة عنصر من العناصر في الرواية ، واهتمام الكاتب به دون غيره ، وسيطرته على الرواية ككل .

ولست مع هذا الرأي . إذ إن الرواية الفنية ، لا بد وأن تتكامل فيها كل المقومات ، وتتوافر لها جميع الأسس والأصول الفنية . **والحكم على الرواية يكون : إما أنها رواية فنية وإما أنها غير فنية .**

ألوان الرواية

قد يكون مقبولا أن نصنف الروايات على ضوء اتجاهها الفني والموضوعي ؛ انطلاقاً مما يغلب عليها من ملامح مدرسة فنية معينة أو مذهب أدبي معين ، وعلى ضوء ما يهيمن على روايات الكاتب ككل . كأن نقول : **رواية رومانسية ، ورواية واقعية ، ورواية تجريدية .** وهنا يكون تحديد لون الرواية مبنياً على أساس الشكل والمضمون معاً . وليس على أساس الموضوع وحده .

ويضيف البعض نوعاً يسمونه « **الرواية الحوارية** » . وهي الرواية التي تعتمد على الحوار بصفة أساسية . وهي تستند إلى الأقوال التي ترسلها الشخصيات في مواقف جاهزة في ذهن الكاتب مسبقاً . ولا تسأل بعدئذ عن وصف أو تحليل أو استبطان أو تجسيد للأزمنة والأمكنة . وفي تصوري أن هذا اللون أبعد ما يكون عن الرواية الفنية . لقد اعتمد على عنصر وحيد من العناصر التي تشكل الأسس البنائية للرواية الفنية . والحوار جزء يتصل باللغة . فكيف به يؤدي بقية الأدوار ، عن بقية العناصر ؟! ولماذا الاصرار على وضعها ضمن الرواية ؟! نحن إن لم نشر إلى أنها « **رواية حوارية** » ما تعامل القارئ معها على أنها « **رواية** » على الإطلاق ، لأنها مسرحية مكتوبة ، تدخل في دائرة الأدب المسرحي . وهناك يصبح التعامل معها على ضوء أصول الكتابة المسرحية . أما إلصاق صفة « **الرواية** » عليها فإنه يبدو شاذاً . وهو ما لا نوافق عليه .

لون آخر ابتكره « **توفيق الحكيم** » في ١٩٧١ م ، عندما أصدر (**بنك القلق**) ووصفها بأنها : « **مسرواية** » . وهي محاولة للمزج بين فن المسرح ، وفن الرواية . نراه يأتي بمشهد مسرحي كامل ، يسبقه فصل روائي خال من الحوار ، يرويه راو . والأجزاء أو الفصول التي يرويها هذا الراوي تسير مرتبة ترتيباً تصاعدياً . الفصل الأول يليه الثاني ثم الثالث ، وهكذا حتى الفصل العاشر والأخير . أما المشاهد المسرحية ، فإنه يسميها « **مناظر** » ، يتبع كل منها الآخر حتى المنظر العاشر والأخير . والفصل يقوم على السرد بصورة رئيسية ، بينما يستند المشهد إلى الحوار بصفة ثابتة ، وقلما كان يخلط السرد بالحوار . ورغم هذه الصرامة في التقسيم ، والعدالة بين الفصول والمناظر ، التي تتساوى في العدد ، والكم ؛ فإن فكرة « **المسرواية** » غير واقعية ، اخترعها **توفيق الحكيم** اختراعاً .

كان بإمكان **توفيق الحكيم** أن يستمر في محاولته التجديدية الشكلية ، لو أنها وفقت في الوصول إلى القارئ والتأثير فيه . فالجانب الروائي افتقد كثيراً من العناصر التي تضفي عليه حيوية وتدفقاً ، والجانب المسرحي بدا كما لو كان مغلقاً على نفسه ، فلم يتم التزواج المطلوب بالشكل الذي يقنع القارئ ؛ بانسجام هذا الشكل مع الموضوع الذي هو غير واقعي من الأصل .

والحقيقة أن هذه التجربة لم تقدم عملاً يستحق البقاء . والدليل أنها لم تنجح — **كمحاولة** — ولم يفكر **توفيق الحكيم** نفسه في الاستمرار على السير في نفس الطريق . كما أنها لم تجد صدى وتأثيراً واستجابة لا من الكتاب ولا من النقاد ولا من القراء العاديين . لقد استخدم **توفيق الحكيم** العقل أكثر مما ينبغي . ولم يفده الحوار الذكي ، والإحكام المسرحي في المناظر — وهو ما تتميز به في مسرحياته — في أن يكتب لهذه المحاولة البقاء . ومن ثم فإنها إحدى تجارب **توفيق الحكيم** التي يفاجئ القراء بها ، ثم لا يحفل هو نفسه — بعدئذ — بها ، وبهم ، فتكون كبيضة الديك !

أغنية إلى بلادي

شعر: محمد منذر لطفي

ـ ١ ـ

بلادي .. ويعبق في خاطري ... من الياسمين الرؤى .. والعبيرْ ..!
وتُسكرني وشوشات النسيم ... وبوح هلال مُحب .. غريرْ
وليل تماوج فيه الضياء ... وهمَّ الظلام به أن يسيرْ
مضتْ تستحم الكواكب فيه ... فنجمٌ يرفُّ .. ونجم يطيرْ
تُسلسل عرس الهوى المخمليّ ... وشوقاً جديد الحضن الغديرْ
زرعتُكِ في خفقات الفؤاد ... فكنتِ .. وكان هوايَ الكبيرْ

ـ ٢ ـ

تُرى .. هل رأيتَ الصباح النديَّ ... يُقبِّلُ «وديانها» .. والجبالْ ..؟
وطيفَ النسيم .. النمو اللعوب ... تُسِرُّ له الغيد كلَّ الدلالْ ..؟
توشوشني حالماتُ الوراد ... وكم مرة حدَّثتني الظلالْ ..!
وفي موكب الشمس تبدو الحياة ... ملاعب ضوء .. ودنيا جمالْ
وكان «ببابلَ» سحر حرام ... فمن أين جئتِ بسحر حلالْ ..؟
لكِ الله يا بلد المُرقصات ... فحسنُك فوق الرؤى والخيالْ

ـ ٣ ـ

بلادي .. أُحبُّ غناء العنادل .. في روضكِ الحالم .. الزاهر
تُرى كلَّ يوم يرود المغانيَ «نيسانُ» في حسنه الساحر ..!
عشقتُ بعيني حبيبي سماءَكِ .. والظلَّ في طيفه العابر
أُحبكِ يا جنة العاشقين ... وقيثارةَ الشعر .. والشاعر
لتسق السماءُ مغاني الجمال ... ومهدَ الهوى الغامر .. الآسر
ليرعَ الإلهُ ثراكِ الحبيبَ ... فحبُّكِ ـ ما عشتُ ـ في خاطري



يحتل علم الاجتماع والدراسات الاجتماعية اليوم مكاناً مرموقاً بين العلوم الأكاديمية والدراسات التطبيقية . فقد شهد عصرنا الحاضر اكتمال مقومات علم الاجتماع وبلوغه مرتبة العلوم المنظمة التي تقوم على قوانين دقيقة ، وتعتمد للدراسة طرائق موضوعية علمية ، قوامها الملاحظة والاستنتاج واستقراء الظواهر والحقائق . وتمكن علماء الاجتماع المحدثين من صياغة نتائج دراساتهم وملاحظاتهم العلمية في صور كمية ورسوم بيانية وقوانين إحصائية ، وحققوا في بحوثهم الاجتماعية نتائج باهرة تجلت في تفسير الظاهرات الاجتماعية ، وتحديد العوامل المسببة لها والقوى المؤثرة فيها . وتمكنوا من التوقع بدقة علمية بكثير من الاتجاهات الاجتماعية ، فأسهموا بذلك في تيسير سبل دراسة المشكلات الاجتماعية ، كما ساعدوا على إيجاد الحلول المناسبة لكثير من المعضلات الاجتماعية .

وفي هذا البحث الوجيز سنحاول بيان بعض جوانب التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون الذي إليه يرجع الفضل الأول في إرساء قواعد علم الاجتماع ووضع أسسه الأولى .

التفكير الاجتماعي

الدراسات الاجتماعية

إن بداية تاريخ التفكير الاجتماعي تثير الجدل بين المشتغلين بالدراسات الاجتماعية . ويميل معظم الباحثين الغربيين ، تحيزاً منهم ، إلى تركيز اهتمامهم على التفكير الاجتماعي لدى **اليونان** باعتباره في رأيهم المنظم الأول . وهم بهذا يتجنون على الحقيقة العلمية التي تؤكد أن التفكير الاجتماعي كان معروفاً لدى الأمم الشرقية السابقة لليونان . وأياً كان الأمر فإن حداثة علم الاجتماع لا تنفي أن له أصولا بعيدة الجذور في تاريخ الفكر الإنساني .

ولعل السبب في تأخر وصول علم الاجتماع إلى مرتبة العلوم المعترف بها يعود إلى انسياق الإنسان في الحياة الاجتماعية ، وألفته لها واعتيادها وتسربها إلى أغوار نفسه . ذلك أن نشوء الفكر الإنساني في خضم الحياة الاجتماعية وانغماسه بها وألفته لاستمرارها واشتباكها ، جعله أوثق صلة واتصالا بهذه الحياة الاجتماعية حتى لا يكاد يجد لها انفصالا ، ولا يطيق منها بعاداً ، وعنها استقلالا . فمن البديهي والحالة هذه أن يصعب على الفكر أن يقف من الحياة الاجتماعية موقف الراصد لها ، المراقب لأحداثها ، الباحث عن شرائطها ، المتفحص لخصائصها ، والمتلمس لما تقتضيه من تعريفات العلم ومناهج الدراسة وفرضيات البحث العلمي .

وكما أن اختلاف المظاهر الطبيعية واضطراب نسقها واختلال نظامها ، حفز الفكر الإنساني إلى البحث في هذه المظاهر واكتناه غوامضها ، وتبين عللها ، وكذلك فإن اختلاف الحياة الاجتماعية ، واضطرابات النظم الاجتماعية ، وشيوع الفوضى وانتشار الفتن في المجتمعات الإنسانية في فترات متعاقبة من عمر التاريخ ، كانت مثار نشاط للملاحظات والدراسات الاجتماعية التي حاول فيها الفكر الإنساني أن يعي أسباب تلك الاختلافات والاضطرابات والعوامل المؤدية إليها ، والدوافع إلى الفتن والفوضى ، عساه يتجاوز ذلك كله بالفهم والإدراك .

نجد لذلك مثلاً في مختلف العصور في كتابات الرحالة والجغرافيين الذين زاروا مختلف البلاد وجابوا مختلف الأصقاع ، وشهدوا اختلاف الحياة الاجتماعية ، فوصفوا أحوال الأمم ، وحكوا عن اختلاف العادات والتقاليد والأعراف ، وقايسوا بينها هنا وهناك ، وأشاروا إلى اختلاف الحياة الاجتماعية باختلاف البلدان ، واختلاف النظم باختلاف الشعوب والأمم ، فوضعوا بذلك اللبنة الأولى في **مباحث علم الاجتماع المقارن .**

كما يدلنا الواقع على أن الدراسات الاجتماعية إنما نشطت ، مثلاً ، في **الحضارة اليونانية** بعد تلك الحروب التي نشبت بين **أثينة وإسبارطة** ، فأنتجت لنا وفرة في الأفكار الاجتماعية عبر عنها فلاسفة اليونان ومفكروهم أمثال **السوفسطائيين وأفلاطون وأرسطو** . كما نشطت الدراسات الاجتماعية عند **العرب** ولا سيما في عهد **ابن خلدون** عندما اجتاحت الفتن السياسية والاضطرابات الداخلية العالم الإسلامي من مغربه إلى مشرقه . ونشطت هذه الدراسات أيضاً في زمن **أوغست كونت ، المفكر الفرنسي** ، الذي أراد أن يضع حداً ، هداه إليه تفكيره الاجتماعي ، لما خلّفته الثورة الفرنسية من اختلال واضطراب وفوضى .

ولعلنا لا نغالي إن قلنا إن ما يمر به العالم اليوم من حوادث وأحداث ، وما يشهده من فتن وقهر للإنسان على يد أخيه الإنسان ، يثير التفكير الاجتماعي لدى العديد من المهتمين والباحثين في علم الاجتماع ، الأمر الذي يعلل ويفسر كثرة الإنتاج المشاهد في وقتنا الحاضر في مجال الشؤون الاجتماعية ، بعد أن مر العالم بحربين مدمرتين قضتا على أرواح الملايين من البشر ، وما يزال يرزح تحت نير الخوف من حرب ثالثة لا تبقي ولا تذر .

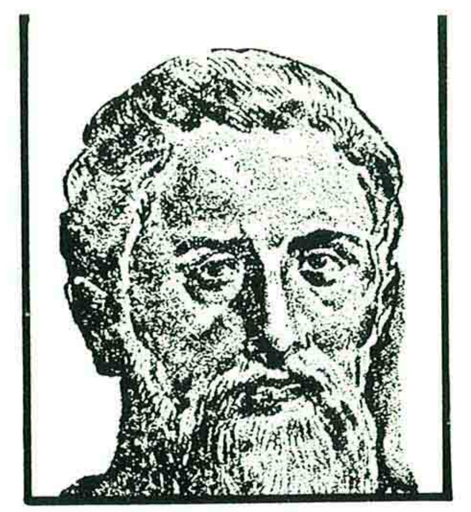




★ ابن خلدون ★



★ أرسطو ★



★ أفلاطون ★

عند ابن خلدون

بقلم: د. أحمد منير مصلح

يتضح من هذا كله أن ثمة فرقاً بين الدراسات الاجتماعية التي كانت تدعو إليها أسباب خاصة أو ملاحظات عابرة، وبين علم الاجتماع كعلم يقوم على أصول العلم الموضوعية. وبكلام آخر: **إن التفكير في القضايا الاجتماعية وفي علاقات الناس بعضهم ببعض قديم جداً يكاد يكافئ قدم الإنسان نفسه، أما علم الاجتماع ـ كعلم ـ فإنه علم حديث. فمتى بدأ هذا العلم، ومن أرسى قواعده؟**

تأسيس علم الاجتماع

يعتبر كثير من المفكرين المنصفين أن علم الاجتماع إنما تأسس على يد المفكر العربي المسلم ابن خلدون (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م ـ ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م). وابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون. ويقول ابن خلدون عن نسبه... «ونسبنا في **حضرموت**، من عرب اليمن، إلى **وائل بن حجر**، من أقيال العرب، معروف وله صحبة...»[١] فهو إذن ينتسب إلى أسرة عربية الأصل يمنية متحدرة من ملوك كندة، كانت تنزل حضرموت. فلما ظهر الإسلام واتسع الفتح فشمل **إسبانيا** هاجر إليها أحد أجداد ابن خلدون واسمه خالد بن عثمان ابن هانئ بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر المعروف بخلدون[٢]. ويلاحظ هنا أن اسم خالد قد أبدل خلدوناً. ومثل هذا الابدال يلحق الاسم فيفيد التفخيم أو التصغير أو التحبب. وتوطنت أسرة ابن خلدون في **إشبيلية** حتى قرب سقوط هذه المدينة في أيدي الإسبان، فأجلت عنها، في جملة الأسر التي أجلت، إلى **تونس** حيث ولد ابن خلدون ونشأ. ولما بلغ السابعة عشرة من عمر هلك أبوه بالطاعون الذي اجتاح في ذلك العهد أوروبا وبعض البلاد الإسلامية.

نال ابن خلدون حظاً كبيراً من الثقافة التي كانت سائدة في زمانه. استظهر **القرآن الكريم** وقرأه على شيخه **أبي عبد الله محمد بن سعيد بن برال الأنصاري**، وكان إماماً في **القراءات** لا يلحق شأوه. ودرس على شيخه هذا كتباً كثيرة، منها كتاب التسهيل **لابن مالك** ومختصر **ابن الحاجب** في الفقه، كما تعلم صناعة العربية على والده وعلى أساتذة تونس ومنهم **الشيخ أبو عبد الله محمد بن العربي الحصايري**، وكان إماماً في النحو، **وأبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي، وأبو العباس أحمد بن القصار** وغيرهم. كما لازم مجلس إمام المحدثين بتونس، **شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي**، وحصل منه على اجازة عامة.

وأخذ الفقه بتونس عن جماعة، منهم **أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني، وأبو القاسم محمد القصير**. وكان يحضر أيضاً مجلس قاضي الجماعة الشيخ الإمام **أبي عبد الله محمد بن عبد السلام**، وسمع منه كتاب الموطأ للإمام مالك...[٣].

كان للظروف التي عاشها ابن خلدون تأثير في تفكيره الاجتماعي. وكان به نزوع إلى المغامرات السياسية، قد يكون موروثاً عن أسرته التي عرف عن أفرادها اشتغال الكثيرين منهم بالسياسة. وكان العصر الذي عاش فيه مشحوناً بالاضطرابات. فكانت إفريقية الشمالية وإسبانيا منذ أواخر القرن الهجري السابع تتوزعها الثورات والحروب العنيفة.

دخل ابن خلدون أول الأمر في خدمة أمير تونس ، ولما يتم العشرين من عمره . تولى عنده كتابة (العلامة) أي **ديوان الرسائل** ـ أو المكتب العام ـ ثم انتقل إلى **مراكش** ، واتصل بسلطانها ، ثم انتقل إلى سلاطين المغرب وإسبانيا « يرفعه غمار السياسة وكيد المؤامرات تارة حتى يجعلاه وزيراً أو حاجباً ، وهو يعادل رئيس الوزراء اليوم ، ويخفضانه أخرى حتى يدفعا به إلى أعماق السجن »[٤] . فسئم الحياة السياسية ومل صروفها فاعتزلها سبع سنين (٧٧٦ هـ/ ١٣٧٥ م ـ ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢ م) قضى الأربع الأولى منها عند أصدقائه قريباً من **مدينة بتاوغزوت في الجزائر** . وفي ذلك المكان النائي المنعزل كتب ابن خلدون مقدمته المشهورة في مدة خمسة أشهر ، ثم نقحها وبدأ بكتابة تاريخه . ثم رحل إلى المشرق وأقام **بالقاهرة** يعلم فيها الفقه المالكي ويتولى القضاء المالكي ، وأرسل إلى أسرته لتلحق به فغرقت في الطريق . ولم يغادر مصر ما عدا حجة حجها إلى **مكة** حتى هجوم **تيمورلنك** على **سورية** ، حيث قام بمهمة السفارة ومفاوضة تيمورلنك فلم يفلح في سفارته ، ثم رجع إلى مصر وبقي فيها حتى وفاته .

من هذا العرض السريع يتبين لنا أن العصر الذي عاش فيه ابن خلدون كان مشحوناً بالاضطرابات والفوضى والفتن . ففي الأندلس كانت الدولة العربية الإسلامية يتقلص ظلها تدريجياً . وفي إفريقيا الشمالية كانت الفتن والمنازعات على أشدها ، فلما جاء إلى المشرق شهد اكتساح الطاغية تيمورلنك له . وهكذا ، كانت الحال المضطربة التي خيمت على عصره دافعاً إلى التفكير في الحياة الاجتماعية وتفهم مجرى التاريخ . وهذا بالفعل ما حاوله ابن خلدون .

مقدمة ابن خلدون

ترجع شهرة ابن خلدون إلى مقدمته التي هي جزء من كتابه الذي ألفه في التاريخ العام وسماه « **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** » . وهذا الكتاب في الأصل مقسوم إلى مقدمة وثلاثة كتب . هي :

ا ـ المقدمة في **فضل علم التاريخ** وتحقيق مذاهبه والالماع بمغالط المؤرخين .

ب ـ الكتاب الأول في **العمران** وذكر ما يعرض له من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما إلى ذلك من العلل والأسباب .

جـ ـ الكتاب الثاني في **أخبار العرب وأجيالهم ودولهم** منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد (القرن الثامن الهجري أو الرابع عشر الميلادي) وفيه الالماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبني إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والفرنجة .

د ـ الكتاب الثالث في **أخبار البربر ومن إليهم من زناتة** وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول .

إن المقدمة والكتاب الأول هما المعروفان باسم « **مقدمة ابن خلدون** » ، وسنقصر الكلام على هذه المقدمة ، لأنها وحدها ذات القيمة من وجهتي فلسفة التاريخ والدراسات الاجتماعية .

استعرض ابن خلدون كتب المؤرخين قبله ، وكشف عن مواضع الضعف فيها ونقدها وأبان مدى الانحطاط الذي نزل بالتاريخ . ووجد أن ثمة حاجة ماسة إلى كتاب في التاريخ يقوم على أساس جديد ومبادئ جديدة ومنهج جديد ، يعتمد الشرح والتحليل وتعليل الحوادث . . . لقد كان ابن خلدون إذن شاعراً بطرافة الموضوع الذي تصدى لمعالجته في مقدمته وبجدة هذه المعالجة واعتماده طريقة علمية تقوم على البحث الموضوعي والكشف عن تطور الاجتماع الإنساني والتماس قوانينه ، ولعله كان على حق وهو يصف كتابه هذا بشيء من الفخار المشروع إذ يقول :

« فأنشأت في التاريخ كتاباً ، رفعت به عن الأحوال الناشئة من الأجيال حجاباً ، وفصلته في الأخبار والاعتبار باباً باباً ، وأبديت فيه لأولية الدول والعمران عللاً وأسباباً ، وبنيته على أخبار الأمم الذين عمروا المغرب في هذه الأعصار ، وملؤوا أكناف الضواحي منه والأمصار ، وما كان لهم من الدول الطوال أو القصار ، ومن سلف لهم من الملوك والأنصار ، وهم العرب والبربر ، إذ هما الجيلان اللذان عرف بالمغرب مأواهما ، وطال فيه على الأحقاب مثواهما ، حتى لا يكاد يتصور فيه ما عداهما ، ولا يعرف أهله من الأجيال الآدميين سواهما ، فهذبت مناحيه تهذيباً ، وقربته لأفهام العلماء والخاصة تقريباً ، وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً ، واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً ، وطريقة مبتدعة وأسلوباً ، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها ، حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك »[٥] .

الطرافة والابتكار واضحتان في هذه الفقرات وضوح الحقيقة القائلة إن الاعتبارات الاجتماعية التي ينتهي ابن خلدون إليها إنما استخلصها من أحوال الأمم الذين عمروا المغرب في عصره خاصة وهم العرب والبربر . فالطريقة التي تمحص بها الواقع عند ابن خلدون ترجع إلى أصل واحد هو « وجوب البحث بطريقة نظرية عما إذا كانت واقعة من الوقائع ممكنة في ذاتها وعما إذا لم تكن مناقضة لطبائع العمران وعما إذا كانت متفقة مع الزمان والمكان اللذين حدثت فيهما »[٦] .

يقول ابن خلدون في هذا الصدد : « **إن القانون في تمييز الحق من الباطل في الإخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته . . .** »[٧] وكأن ابن خلدون يريد أن يشير إلى أن الاعتبارات الاجتماعية ـ على عمومها وصحتها ـ متعلقة بالمكان والزمان ، وهذه درجة في التحفظ العلمي جديرة بالتنويه[٨] .

ويتابع ابن خلدون كلامه في مقدمته فيقول : « وكأن هذا علم مستقل بنفسه ، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني ، وذو

مسائل وهو بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال الذاتية واحدة بعد أخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً »[٩] .

وهكذا ، فإن ابن خلدون يقرر في صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد واستكماله المقومات المنطقية التي يجب توافرها في كل علم من العلوم من حيث الموضوع والمنهج والغاية التي يهدف إليها . فهو يقول : « واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة ، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص ، وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية ، فإن موضوع الخطابة إنما هو الأقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو صدهم عنه . ولا هو أيضاً علم السياسة المدنية ، إذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه ، فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه ، وكأنه علم مستنبط النشأة . . . »[١٠] .

ويعجب ابن خلدون من أن العلماء الذين سبقوه لم يهتدوا إلى هذا العلم كما يعجب من عدم بحثهم عنه ، ولكنه يستدرك استدراك العلماء المدققين ، فهو يقول : « ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة ، وما أدري ألغفلتهم عن ذلك ــ وليس الظن بهم ــ أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا ، فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون ، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل . . . »[١١] .

أما **الدكتور مصطفى الخشاب** ، في كتابه « علم الاجتماع ومدارسه » الكتاب الأول ، وموضوعه تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره ، ص ١٣٧ ــ ١٣٨ ، فإنه يرى في قول ابن خلدون هذا تجنياً على « دراسات **أرسطو** بصفة خاصة التي لا بد أن يكون ابن خلدون قد عرفها وتأثر ببعضها » .

بيد أن ابن خلدون نفسه يعلن أنه لم يحذ حذو أحد في هذا المضمار ، إذ هو يقول : « وأنت إذا تأملت كلامنا في فصل الدول والممالك وأعطيته حقه من التصفح والتفهم عثرت في أثنائه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل إجمالها مستوفى بيناً بأوعب بيان وأوضح دليل وبرهان أطلعنا الله عليه من غير تعليم أرسطو ولا افادة موباذان . . . ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً وأعثرنا على علم جعلنا سن بكره وجهينة خبره ، فإن كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية ، وإن فاتني شيء في إحصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق إصلاحه ولي الفضل لأني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق ، والله يهدي بنوره من يشاء »[١٢] .

بعض الآراء الواردة في مقدمة ابن خلدون

يفتتح ابن خلدون كتابه الأول في طبيعة العمران بقوله : « إنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال »[١٣] . ثم يبين كيف يمكن للكذب أن يتطرق إلى الخبر التاريخي ، وينتهي إلى حقيقة علمية مفادها أن مجرد النقل التاريخي لا يكفي بل لا بد من عرض محتويات الأخبار التاريخية على معيار العقل والبرهان وشواهد التجربة والواقع ، وقياس الحوادث التاريخية بأشباهها لتصفيتها من الشوائب والزيف والافتراء ، ولا بد من ربط هذه الحوادث بأسبابها .

ويذهب ابن خلدون ، كغيره ممن سبقه من العلماء ، إلى أن الاجتماع الإنساني ضروري ، وذلك التماساً للغذاء بالتعاون على تحصيله من جهة ، ولدفع عوادي الحيوانات المفترسة من جهة أخرى . وفي هذا يقول : « إن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه . . . فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم . . . وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه . . . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة لها ، فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركبه الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ، ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر . وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه »[١٤] .

ومتى تم اجتماع البشر تم عمران العالم بهم فأصبحوا بحاجة إلى « وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض . . . فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا أن للإنسان خاصة طبيعية ولا بد لهم منها »[١٥] .

ويفرق ابن خلدون بين الاجتماع الإنساني وضرورة السلطة فيه وبين ما لوحظ لدى بعض الحيوانات من اجتماع يرئسه واحد منها متميز عنهم في خلقه وجثمانه ، على أساس الاختلاف في الأساس الذي يقوم عليه ذلك الاجتماع وتستند إليه تلك السلطة . فهو في الحيوانات يقوم على مقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة . كما يبين ابن خلدون عدم صواب الرأي القائل بالأصل الديني للسلطة « إذ الوجود وحياة البشر قد تم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته . فأهل الكتاب والمتبعون للأنبياء قليلون بالنسبة إلى المجوس الذين ليس لهم كتاب فإنهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والآثار فضلاً عن الحياة . . . »[١٦] .

كما يبحث ابن خلدون في اختلاف الأقاليم في اعتدالها وانحرافها وتأثير

الهواء في ألوان البشر وفي أخلاقهم وفي الكثير من أحوالهم .

وفي بحثه لتطور المجتمع يقرر ابن خلدون شكلين للمجتمع : **البدو والحضر** ، ويراهما طبيعيين ويقارن بينهما لينتهي إلى أن « البدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما ، لأن أول مطالب الإنسان الضروري ، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذا كان الضروري حاصلاً . فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة »[١٧] .

وفي مكان آخر من كتابه يبحث ابن خلدون عن تطور الدولة وحياتها فيجد لها أعماراً طبيعية تتبع نفسيات الأجيال المتعاقبة ، وينتهي من دراسته تلك إلى تقرير قانون دوري لحياة الدول . ففي الفصل الذي عقده بعنوان « في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص » يقول : « إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال ، لأن **الجيل الأول** لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد ، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم ، فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون .

والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ، ومن الشظف إلى الترف والخصب ، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة ، فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ، ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم .

أما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ، ويبلغ بهم الترف غايته بما تفتقوه من النعيم وغضارة العيش ، فيصيرون عيالاً على الدولة ، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم ، وتسقط العصبية بالجملة ، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ، ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها . . . فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته ، فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ، ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء ، حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت »[١٨] .

غير أن ابن خلدون يدرك ، فضلاً عن ذلك ، أن أعمار الدول الكبيرة لا تنطبق على ما قدره لها ، فنجده يعقد فصلاً « في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة »[١٩] ، يذكر فيه اختلاف أعمار الدول بالنسبة إلى كثرة القائمين بها وقلتهم .

هذا غيض من فيض مما يمكن أن يقال عن ابن خلدون في مجال الدراسات الاجتماعية وتأسيس علم الاجتماع . والواقع أن الكلام يطول جداً إن نحن رحنا نستقصي جملة أفكاره ومجمل آرائه في هذا الخصوص .

ومع ذلك فإننا نشير اشارة عابرة إلى بعض الدراسات التي قام بها عدد من المفكرين حول التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون . ومن هذه الدراسات يتبين لنا أن بعض الباحثين قد وجدوا فيما كتب ابن خلدون الكثير من بذور النظريات الاجتماعية التي تبدو للقارئ العادي في أيامنا هذه أنها نظريات اجتماعية حديثة قال بها مفكرو الغرب ، على حين أنها وردت في كتابات ابن خلدون قبل أن يولد المفكرون الغربيون الذين كتبوا عنها بزمن طويل طويل . . . ، وفيما يلي بعض الأمثلة :[٢٠] .

١ ــ يقول ابن خلدون : « إن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم بالمعاش »[٢١] وهو بهذا القول يذهب مذهب تعليل الحوادث الاجتماعية بعوامل اقتصادية ، فيسبق بذلك كارل ماركس بقرون عديدة إذ ينوه بأهمية العوامل الاقتصادية . كما أن ابن خلدون يسبق ماركس في الكلام عن « **الصيرورة** » أي التبدل في الحوادث الاجتماعية ، عندما يقول : « وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال . وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول »[٢٢] . وكأني بابن خلدون يعتمد **المنطق الجدلي** عندما يعلل الحوادث الاجتماعية تعليلاً يستند إلى تضارب العادات وتفاوتها والتركيب بينها ، إذ يقول : « والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الأمثلة الحكمية : الناس على دين الملك وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر فلا بد من أن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك ، فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول ، فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضاً بعض الشيء ، وكانت للأولى أشد مخالفة . ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة . فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة ، والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة »[٢٣] .

كما يسبق ابن خلدون **المدرسة الشكلية الألمانية** في علم الاجتماع التي ترى أن للمجتمع شكلين هما « العشير والمجتمع » ، وقد مر معنا أن ابن خلدون يرى أن شكلي المجتمع هما البدو والحضر وأن البدو سابق على الحضر .

ويسبق ابن خلدون أيضاً **العالم الفرنسي « تارد »** عندما يلجأ إلى **الاعتبارات النفسية** يعلل بها الحوادث الاجتماعية . إذ يعقد فصلاً « في أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده »[٢٤] . ونقرأ لابن خلدون فيخيل إلينا أننا نقرأ لعالم من علماء النفس في عصرنا الحديث ، إذ يقول : « إن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو الكمال الغالب . فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء ، أو لما تراه ، والله أعلم ، من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحله من العوائد

والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب . وهذا راجع للأول ، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها ، بل وفي سائر أحواله . وانظر في ذلك إلى الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً ، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم »[٢٥]

إن امتياز ابن خلدون على عالم النفس الفرنسي تارد في أنه لم يسرف مثله في رد جميع الحوادث الاجتماعية إلى اعتبارات نفسية ، بل اكتفى ببيان أهمية الاقتداء في الحياة الاجتماعية وبتسجيل جزء من الجانب النفسي للظاهرة الاجتماعية .

ينظر ابن خلدون إلى الظاهرة الاجتماعية من زاوية أخرى ، فيعلل الأمور الاجتماعية بأمور اجتماعية مثلها ، فيعقد فصلاً « في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة » ، « والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمانع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها . . . ويعكس هذا أيضاً الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وازعاً لقلة الهرج والانتقاض »[٢٦] .

وبهذا يسبق ابن خلدون **مدرسة دوركايهم الاجتماعية** باعتماده **التعليل المورفولوجي** للظاهرات الاجتماعية ، كما يسبقه أيضاً في الإشارة إلى « **القسر الاجتماعي** » الذي تتصف به الظاهرات الاجتماعية ولا سيما القائمة منها على الاقتداء والعادات . يقول ابن خلدون : « والعوائد منزلة طبيعية أخرى فإن من أدرك مثلاً أباه وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتحلون بالذهب في السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس إذ العوائد حينئذ تمنعه وتقبح عيه مرتكبه ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه »[٢٧] .

ويسبق ابن خلدون أساطين الاقتصاد السياسي في العصر الحديث عندما يربط الحضارة باتساع العمران ، فيقول : « والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل . »[٢٨] .

ولا بد لنا في نهاية هذا البحث الوجيز عن ابن خلدون من القول إن فضل هذا المفكر العربي المسلم إنما يرجع لا إلى مختلف الآراء التي وردت في مقدمته ـ واجتزأنا بعضاً منها ـ وحسب ، بل إلى مجموع هذه الآراء وإلى جودة صوغها وترتيبها ، وفوق ذلك كله إلى الطريقة العلمية التي انتهجها في بحثه موضوعات علم الاجتماع ، أو ما سماه « علم العمران » .

إن فيما سبق الدليل الواضح على أن ابن خلدون هو المؤسس لعلم الاجتماع ، وأنه كان واعياً لهذا التأسيس ، ويكفيه فخراً أن الكثير من النظريات الحديثة التي تدرس في كبريات جامعات العالم اليوم سبق له أن أشار إليها وأوضح صفاتها وبين أسبابها واستشهد عليها بأدلة من واقع الحياة الاجتماعية . كما يكفيه فخراً أنه وضع الأساس العلمي لكثير من البحوث والنظريات الاجتماعية الحديثة .

إن عدداً من الباحثين المنصفين قد أقر لابن خلدون بفضله هذا ، إلا أن بعضهم تحيز ضده عندما نعته « بالجبرية » ، وهي النعت الذي ما يفتأ الغربيون ينعتون به المسلمين ، جهلاً منهم بمعنى الدين الإسلامي وبمعنى « الإسلام » . ذلك أن الإنسان المسلم العالم والباحث إنما يعتمد الطريقة العلمية الموضوعية في البحث عن الحقيقة وهو مدرك تمام الإدراك « أن الظن لا يغني عن الحق شيئاً » ، وأن ﴿ **وفوق كل ذي علم عليم** ﴾ ، وأن الله سبحانه وتعالى ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ . . .

الهوامش

١ ـ « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » ، تأليف عبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ١ .

٢ ـ المرجع السابق ، ص ٣ .

٣ ـ المرجع السابق ص ١٥ ـ ٢٠ .

٤ ـ الدكتور عبد الكريم اليافي « تمهيد في علم الاجتماع » ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م ، ص ٨٨ .

٥ ـ خطبة المقدمة ، « مقدمة ابن خلدون » ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، (لا تحمل تاريخاً) ص ٦ .

٦ ـ الدكتور مصطفى الخشاب ، « علم الاجتماع ومدارسه » ـ الكتاب الأول : تاريخ التطور الاجتماعي وتطوره ، (نقلاً عن الدكتور طه حسين في كتابه « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ») ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٣٦ .

٧ ـ المقدمة ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

٨ ـ « تمهيد في علم الاجتماع » ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

٩ ـ المقدمة ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

١٠ ـ الكتاب الأول في طبيعة العمران ـ مقدمة ابن خلدون ـ مرجع سابق ، ص ٣٨ .

١١ ـ المرجع السابق والصفحة نفسها .

١٢ ـ المرجع السابق ، ص ٤٠ .

١٣ ـ المرجع السابق ، ص ٣٥ .

١٤ ـ المرجع السابق ، ص ٤٢ .

١٥ ـ المرجع السابق ، ص ٤٣ .

١٦ ـ المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

١٧ ـ المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

١٨ ـ المقدمة ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

١٩ ـ المقدمة ، ص ١٦٣ .

٢٠ ـ يمكن الرجوع إلى نماذج من هذه الأمثلة في كتاب الدكتور عبد الكريم اليافي ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ وما بعدها .

٢١ ـ المقدمة ، ص ١٢٠ .

٢٢ ـ المقدمة ، ص ٢٨ .

٢٣ ـ المقدمة ، ص ٢٩ .

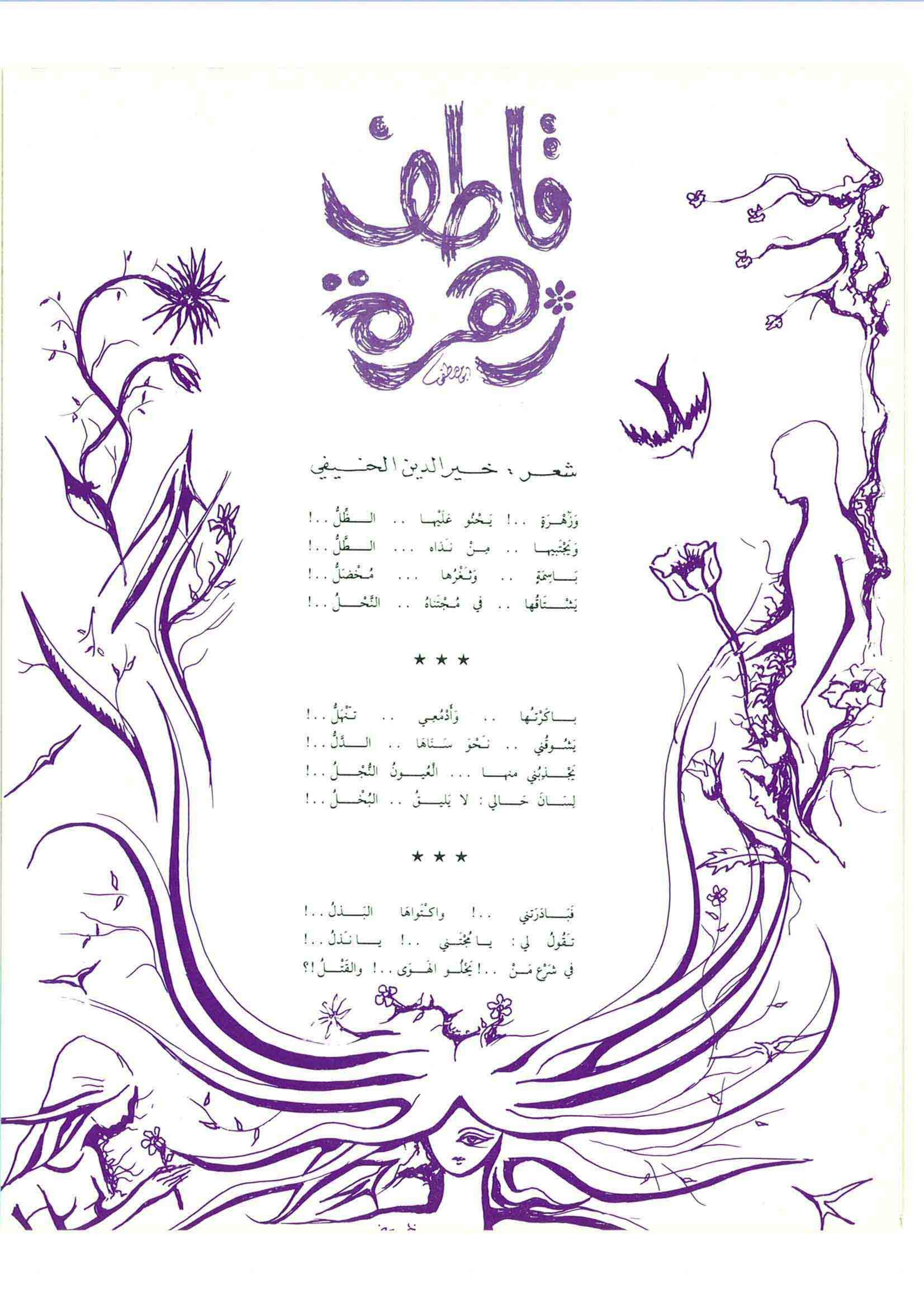
٢٤ ـ المقدمة ، ص ١٤٧ .

٢٥ ـ المقدمة ، ص ١٤٧ .

٢٦ ـ المقدمة ، ص ١٦٤ .

٢٧ ـ المقدمة ، ص ٢٩٤ .

٢٨ ـ المقدمة ، فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .



قاطف زهرة

شعر : خير الدين الحنيفي

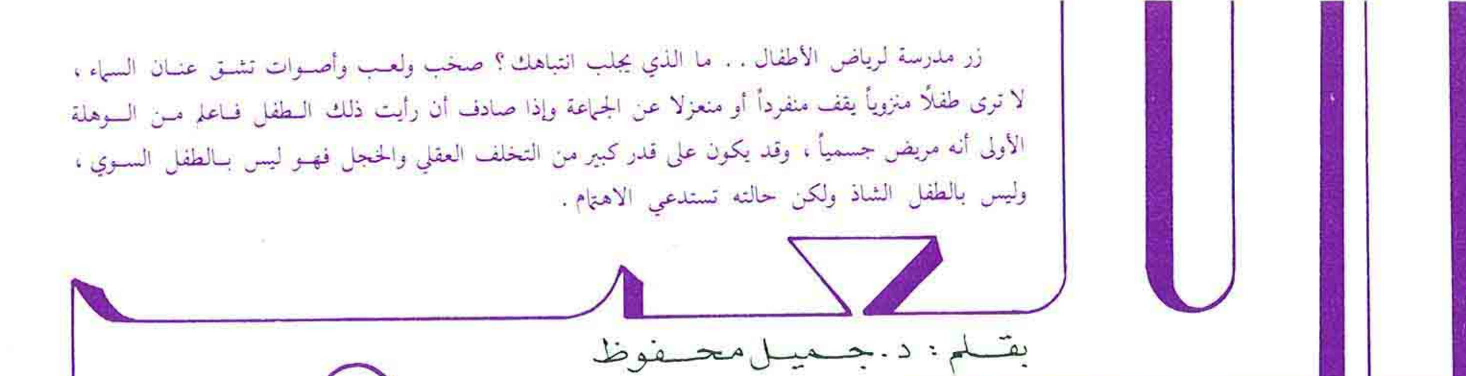
وَزَهْــرَةٍ ..! يَـحْنُو عَلَيْهـا .. الـــظَّلُّ ..!
وَيَجْتَبيهـا .. مِـنْ نَدَاه ... الـــطَّلُّ ..!
بَـاسِمَةٍ .. وَثَغْرُها ... مُـخْضَلُّ ..!
يَشْتَـاقُها .. فِي مُـجْتَناهُ .. النَّحْـلُ ..!

★ ★ ★

بـاكَرْتُها .. وَأَدْمُعِي .. تَنْهَلُّ ..!
يَشُـوقُنِي .. نَـحْوَ سَنَاهَا .. الـدَّلُّ ..!
يَجْـذِبُنِي منهـا ... الْعُيـونُ النُّجْـلُ ..!
لِسَانَ حَـالِي : لا يَليـقُ .. الْبُخْـلُ ..!

★ ★ ★

فَبَـادَرَتْنِي ..! واكـْتَواهَا البَـذلُ ..!
تَـقُولُ لِي : يـا مُجْتَـنِي ..! يـا نَـذلُ ..!
فِي شَرْعِ مَـنْ ..! يَحْلُـو الهَـوَى ..! والقَتْـلُ !؟



زر مدرسة لرياض الأطفال . . ما الذي يجلب انتباهك ؟ صخب ولعب وأصوات تشق عنان السماء ، لا ترى طفلاً منزوياً يقف منفرداً أو منعزلا عن الجماعة وإذا صادف أن رأيت ذلك الطفل فاعلم من الوهلة الأولى أنه مريض جسمياً ، وقد يكون على قدر كبير من التخلف العقلي والخجل فهو ليس بالطفل السوي ، وليس بالطفل الشاذ ولكن حالته تستدعي الاهتمام .

الأولاد في رياض الأطفال يبذلون الجهد العنيف أثناء اللعب ولا يرتوي أحدهم حتى يستنفذ قواه فيتعب ويلجأ إلى الراحة عندما يرن الجرس ويخلد إلى الهدوء . ولكن عندما نتابع فعالياته في الصف . . . نرى أنه يغتبط باشادة أبنية من المكعبات ثم تقويضها ، وتشرق أساريره عندما يوفق في جمع أجزاء لوحة قد جزئت مسبقاً أجزاء كثيرة ، ويعيدها صورة كاملة لما كانت عليه . إنه يُعمل فكراً وانتباهاً ولكنه يلعب . . . لماذا يلعب ؟؟ لأنه يتوصل إلى حلول أثناء هذا اللعب تثلج صدره فرحاً ، وتجلب الطمأنينة إلى نفسه .

لاحظ أولاداً في حديقة من حدائق الأطفال يلعبون ويمرحون ويتسلقون بعض السلالم ثم يهبطون وهم يصرخون مدلّلين بذلك على سرورهم وغبطتهم بما يعملون ، كلهم حركة وحيوية ، وجوههم تشرق غبطة ، وأساريرهم تتفجر هناءة ورضى . . يلعبون ولا يعرفون للهدوء معنى ، يلعبون ويلعبون إلى أن توقفهم عن حرارتهم هذه عقارب الساعة فتدعوهم أمهاتهم للعودة إلى الدار . . فقد حان وقت الطعام وآن لهم أن يعودوا إلى بيوتهم .

وإذا قمت بزيارة إلى مدرسة ابتدائية فإنك لا ترى في الفرص بين الدروس ولا تسمع إلا الضجة والعدو العشوائي لأولاد لا همّ لهم سوى كسب الوقت في صرف أكبر قسط ممكن من الجهد في الحركة واللعب .

وإذا صادف أن زرت مدرسة حديثة يقوم طلابها بنشاطاتهم الرياضية ، فإنك سوف تراهم فرقاً يقودهم حكم يلعبون مختلف الألعاب الرياضية . فمنهم من يمارس لعبة « **كرة القدم** » ومنهم من يشغف بلعبة « **كرة السلة** » ومنهم من يلعب « **بكرة التنس** » وآخرون يلعبون **بكرة المنضدة** والبعض الآخر يمارس « **لعبة الكرة الطائرة** » والقليل هم ممن لا يلعبون ولكنهم يشجعون ويصرفون جهداً ووقتاً في التشجيع وهذا الحماس نوع من اللعب . والشيوخ في بعض البلاد يلعبون بالكرة الخشبية فيقذفون بها لتلمس بعض الكرات ثم تقع في « حفرة » خاصة لذلك . يتم هذا النوع من اللعب على المرج في الغابات القريبة من المدن والأولاد يلعبون كلٌ حسب رغبته وسنه ، والنساء يتسلين بألعاب خاصة بهن ، فكلٌ يلعب على شاكلته . وهناك ألعاب الفروسية التي يتبارى فيها الشباب ، ويظهر كل واحد براعته .

الجنين في بطن أمه يتحرك فينمو . . ولنجز لأنفسنا بتسمية هذه الحركة لعباً .

الرضيع يتحرك ويُكثر من الحركة ثم ينمو فهو يلعب .

الطفل لا ينقطع عن الحركة ، وليست هذه الحركة بالنسبة لعضويته إلا نوعاً من تمرين العضوية لجعلها قابلة للحركة الجيدة ، للحركة المناسبة في الظروف المختلفة . إن الحركة لدى الطفل من مقومات نموه وكلما كانت الحركة عفوية في بيئة سعيدة يكون النمو أفضل ، وتصبح الحركة أكثر ملاءمة .

الحركة هذه لعب يساعد على نمو العضوية وتكامل الملكات العقلية في طور النمو . الولد يلعب في الدار إلى أن يتعب منه ذووه ويلعب في الشارع ، ويلعب في المدرسة . فحياة الطفولة وما يتبعها من تطور **فيزيولوجي** ونمو في الأجهزة الحيوية هي لعب متواصل ، والتعلم في هذه المرحلة نوع من اللعب . ولا يتم نضج الوظائف الحيوية إلا باللعب .

أهمية اللعب

وقد لاحظ أهمية اللعب في تربية الأطفال كبار علماء النفس فاستغلوا هذا الميل الغريزي للعب في تفتح الذكاء ونمو الملكات العقلية . ولما كانت الحواس هي الأدوات الناقلة لجميع المؤثرات الخارجية فبدأوا ، بالنسبة لتربية الطفل ، بألعاب تربوية كالمربية الايطالية « **مدام مونتسّوري** » فابتكرت هذه المربية ألعاباً لدور حضانتها « **كازادي بامبيني** » تنمي حواس الطفل الخمس وتصقلها وتجعلها قادرة على التلقي ونقل الإحساسات إلى الدماغ . **إذن كانت مهمة ألعابها ، استيعاب المؤثرات الخارجية وإدراكها حسياً وإجمالياً ، وتحليلها في الدماغ وفهمها ثم إدراكها عقلياً ، أي كان الهدف من ألعابها الفهم الحيّ البدائي أولا ثم الانتقال تدريجياً إلى الفهم المجرد** .

كانت ألعابها مصنفة بشكل يسمح لكل حاسة بالتمرين ، **كحاسة الشم** مثلاً ، فكانت من جملة ألعابها مجموعة من الروائح التي يجب التمييز بينها وكذلك الألوان بالنسبة للعين وكذلك الأوزان بالنسبة لليد وكذلك الأصوات للأذن .

ورغم أن الأدوات التي استخدمتها كانت مصطنعة فهي مفيدة وتوقظ لدى الأطفال ملكات مختلفة هامة في التدرج في التعلم . فبعض الوسائل خاصة بالحواس ولكن البعض الآخر يهدف إلى تدريب الملكات العقلية على مبادئ الحساب ومبادئ القراءة والكتابة ، ومبادئ السلوك الأخلاقي .

وقد كثرت انتقادات المربين لأسلوب مونتسّوري لكونه اصطناعياً مما دفع المربي البلجيكي الكبير الدكتور « **ديكرولي** » إلى ابتكار أساليب مأخوذة من الحياة ومن الطبيعة لينمي في طلابه حواسهم ويقودهم نحو التعلم ولكن بطريقة سماها « **الطريقة الكلية** » أو « **البصرية** » ، واعتمد في فلسفته على **المبدأ الكلي** في الإدراك وعلى **المدركات الطبيعية** البعيدة عن التكلف .

فالإنسان يدرك للوهلة الأولى عن طريق حواسه : البصر والسمع والشم وغيرها بصورة كلية ، فالولد يتعرف على أمه من النظرة الأولى دون أن يحتاج إلى تحليل لشكلها ولتقاطيع وجهها ولنبرات صوتها . فهي **معرفة كلية**

وإدراك كلي .

ويتعرف على دميته بنفس الطريقة . ويتعلم نغماً دون أن يدرك تفصيلات **النوطة** ويتذكر والده ويسرع إليه ليلقي بنفسه بين ذراعيه رغم طول انقطاعه عنه بسبب سفر ما . يتعرف على شكله وشخصه بصورة إجمالية دون التدقيق في التفاصيل من أجزاء وجهه .

يدرك الطفل إدراكاً كلياً كالكبار تماماً إذ لا يتمكن من القيام بتحليل ذهني لأي مشهد ولأية حادثة ، ولذا فقد ابتكر الدكتور البلجيكي طريقته في القراءة الكلية .

فيبدأ الولد بتعلم الجمل ثم يقسمها بمساعدة المعلم أو المعلمة إلى كلمات ثم مقاطع ثم إلى كلمات ثم يقسم كل كلمة إلى مقاطع ثم إلى حروف ، وبعد أن تم هذه العملية ويتمرس عليها الولد « **عملية التحليل** » يعود بعد ذلك إلى التركيب . فيبدأ بالحرف ليجمعه مع غيره ثم المقاطع ثم الكلمات ثم الجمل ليصبح التركيب تاماً . يتم كل ذلك بإطار من اللهو والحركة التي تشبه اللعب .

ويعود الإدراك كلياً ولكن بعد التعرف على الأجزاء . إن هذا الأسلوب يعتمد على معطيات علم النفس وبخاصة « **النظرية الجشطالتية** » .

وهكذا الأمر في تعليم مبادئ الحساب ، فيستخدم في هذه الطريقة الوسائل الطبيعية من فواكه ، وطيور وغيرها . إنها تستخدم الوسائل الموجودة في الطبيعة والتي هي مؤثرة تأثيراً دائماً ومباشراً في حواس الطفل والولد . فيتعلم الأولاد من ملاحظة النبات والحيوان في بيئتها الطبيعية ويلاحظ الأنواء ويتأثر بالبرد والمطر والرياح والشمس ويتمكن من إجراء مقارنات ويتوصل إلى أحكام . ويتم كل ذلك بفعاليات مسلية تشبه اللعب .

ويرغب الدكتور البلجيكي أن يحصل الولد على معارفه بنفسه عن طريق **الفعالية السارة** وعن طريق **العمل الحر والملاحظة المباشرة** وبأسلوب فيه **لعب وشوق** إلى اكتشاف المجهول .

الأساس إذن في فعالية الطفل ، الشوق ، واللعب ، وحرية العمل .

قلنا فيتعلم الولد مبادئ القراءة والكتابة والحساب عن طريق الوسائل المعينة . فبالنسبة للدكتورة مونتسوري تكون هذه الوسائل من صنع المعلم لذا فتتصف بالجمود وأنها مصطنعة . ولكنها بالنسبة للدكتور ديكرولي فهي وسائل مأخوذة من الطبيعة وتستخدم في بيئتها الطبيعية .

التجارب والملاحظة

فالطفل مثلاً يستقل بقطعة أرض مستطيلة الشكل أو مربعة فيحرثها طوعاً وهو لعوب ضحوك ثم يجعلها مستوية أو خطوطاً متوازية ثم يمدها ويتركها مدة معرضة للشمس إلى أن تصبح جاهزة للبدار فيقذف فيها البذور يتم كل ذلك بإرشاد المعلم أو المعلمة ثم تسق الأرض ، وينبت الزرع ، فيسمح للولد بمراقبة تطور هذه النباتات كل يوم في الصباح وفي المساء وكلما شاء إذا أراد . ويقوم بذلك بحرية تامة ويجب تسجيل تواريخ جميع التغيرات التي تطرأ على نمو الزرع .

ويمكن اتباع نفس الأسلوب في المشاهدة بالنسبة لبيض الدجاج وحضنه وعدد الأيام الذي يفقس فيه وملاحظة خروج الصوص من البيضة وطريقة التقاطه للحب ، وحمايته من قبل أمه الدجاجة ، وكذلك الأمر في ملاحظة بيض دود القز وكيفية التفقيس ثم طريقته في التغذية ثم نموه وصنع الشرنقة والخروج منها ، ويجب تسجيل تواريخ جميع التحولات التي تطرأ على نمو الدود .

إن هذه الأعمال التي يفترض الدكتور ديكرولي أنها تم عن طريق اللعب والعمل السار الذي يحبب الولد بعمله . والفكرة الأساسية في فعالياته هذه هي أن يحصل على مكتسباته العلمية بشكل (**كلي**) عن طريق اللعب وبرغبة وحرية .

أليست الزراعة وتربية الدواجن هي من عمل الكبار ، فإذا ما قام بها الأولاد ألا يشعرون بأنهم يلعبون وينتجون بنفس الوقت ؟

في جميع هذه الأمثلة يعتقد المربي البلجيكي بأنه إذا كانت مقومات العمل هي الحرية والرغبة والحافز بأسلوب فيه **لعب ومسرة** للطفل تكون النتيجة التي يحصل عليها الأولاد **هي تقويم حركاتهم وتقوية حواسهم وحسن استخدامها في الأعمال المفيدة التي تسمح لهم بالملاحظة المباشرة وإجراء مقارنات واستنتاج حقائق لا يمكن فهمها عن طريق شرح المعلم أو الأهل . فتصبح طريقة التعلم طبيعية بأسلوب مشوق يميل إليه الطفل ويسعى إليه .**

قادنا إلى أسلوب التعلم هذا المقارنة بين الأدوات التربوية التي رغبت الدكتورة مونتسوري في استخدامها لتنمية الحواس ، وهي أدوات اصطناعية تعرضت لكثير من النقد فرغب المربي البلجيكي في تنمية الحواس بطريقة أخرى تعتمد على الوسائل المأخوذة عن الطبيعة بشكل حر وبأسلوب فيه لعب ومرح .

وعلى كل حال فقد جُعلت ركائز الطريقتين ألعاباً تربوية يقوم الولد فيها برغبة وحرية ، فوسائل مونتسوري مرصوفة في الخزائن : للولد كل الحرية في اختيار ما يشاء منها فيعبث بها ثم يعيد وضعها في الصناديق ويرتبها في أماكنها في الخزائن ، وأسلوب ديكرولي يسمح للولد بالحياة مع الطبيعة في الهواء الطلق ، فينزل إلى الحديقة عندما يشاء ويعشب مسكبته ، ويقلع منها النباتات الزائدة ويسند بقصبة ما يحتاج منها ، ويسقيها ويهتم بها .

يجب أن نفهم مما تقدم بأن الصفة التي تميز حياة الطفل **هي اللعب** ، فاللعب تسلية ومرح واللعب **تعلم وتدرج في اكتشاف الحقائق** ، ونضج جميع القوى الكامنة في الوظائف الحيوية والوظائف النفسية وظهورها يتم عن طريق اللعب . فالولد يمشي في بداية الأمر ويقع ويستند على الجدران ويقع ويحبو ويحاول التسلق على أريكة فلا يفلح ، ويقوم بمحاولات كثيرة تمسك بحبل معلق على الجدار أو غيره فيفشل . المحاولات كلها تمارين للوظائف كي تصبح قويّة .

الوظائف تنضج يوماً بعد يوم ، ونضجها يساعد على إتقان الحركة وبالمقابل فإن الحركة تساعد على تقوية الوظائف وأن هذه الحركة الدائمة تظهر في اللعب الذي يسمح للعضوية باكتساب القوة والمرونة ويسمح للقوى والملكات العقلية بالنمو أيضاً . فاللعب تربية وحافز كبير في تنمية هذه الملكات وفي نمو الذكاء واكتساب خبرات أي في اكتساب معارف جديدة تضاف إلى السابقة لتجعل من الطفل إنساناً مسلحاً بجميع القوى العقلية والنفسية التي تقود خطاه في معترك الحياة نحو المعرفة .

وإن النتائج التي حصل عليها المربون باستخدام الوسائل المعينة المسماة « الألعاب التربوية » هي نتائج واضحة ـــ وقد أثبتت التجارب بأن الولد الذي سمحت له الظروف باستخدام الوسائل المعينة يتصرّف بمرونة وسرعة خاطر بشكل أفضل من غيره ، لا سيا وأنه يعيش سعيداً باسماً في أكثر الأحيان .

وكلما اتخذ التعليم شكل ألعاب كلما كانت النتائج مضمونة

والحرية في العمل أساس في اللعب وفي التعليم . قام أحد الأساتذة في السوربون وهو السيد **كوزينه** ــ بتجربة على ابنه بالذات ، فلم يرسله إلى المدارس مطلقاً وترك له حرية البحث والاطلاع وهيأ له وسائل تعليميّة « **ألعاب تربوية** » كافية وكتباً تبحث عن جميع ما يحتاج إليه الولد في سن التعليم الابتدائي وجعل من نفسه مرشداً وملبياً لتساؤلات ابنه ، وترك له حرية العبث بجميع هذه الوسائل وهذه الكتب .

فراح الولد بحثاً وحلاً لجميع التساؤلات التي تعرض له في الحياة اليومية . كان يتدرج من مشكلة إلى أخرى ، وعندما يصعب عليه أمر كان يلجأ إلى والده، فيدله على المرجع أو على التجربة أو على الوسيلة المعينة أو على معمل في **باريس** لزيارته وإيجاد حل العقدة . . وهكذا فإن المعارف تتكون وتتجمع لديه واحدة بجانب أخرى إلى أن نمت مداركه وقويت ملكة الملاحظة لديه وملكة إيجاد الحل المناسب وكثرت ثروته العلمية بشكل مذهل وأصبح ولداً بحاثة واجتاز امتحان شهادة الدراسة الابتدائية بتفوق .

ومرد كل ذلك إلى حرية العمل عن **طريق اللعب** في البداية والتفكير الجدّي الرصين بعد ذلك .

إن هذه التجربة رائدة ولكنها ليست عملية ولا يتمكن كل أب من تأمين وسائل للايضاح كافية من أدوات للنجارة وأخرى للرسم والنحت ثم مراجع مع خبرات وثقافة الوالد التي يجب أن تكون على مستوى تربوي رفيع . ولذا فإنها أوحت للمربين فقط ضرورة تغيير أساليبهم التربوية . وإعطاء الحرية الكافية للطلاب في اللعب والعبث أولا ثم البحث والدراسة في الكتب المدرسية وغيرها من المراجع ثانياً ، ثم زيارة المعامل .

إذن فالتجربة رائدة ، والفائدة منها كبيرة ، فقد أثبتت أن العمل الحر الذي يقوم به الولد بشغف ولذة ، يرافقه نهم من اللعب هو عمل مثمر ومثقف ويغني العقل بالخبرات وينمي الملكات العقلية .

اللعب وظيفة طبيعية يتصف بها الإنسان والحيوان على السواء وهي ضرورية لنمو الوظائف العضوية كما أنها ضرورية لنمو الوظائف العقلية والنفسية عند الإنسان .

الحيوانات واللعب

ألا ترى أن صغار الحيوان كصغار الخيل والكلاب والقطط تلعب فتجري وتقفز ويعض بعضها البعض الآخر ، وتلهو كما يلهو صغار الإنسان . . لا يجتمع صغيران إلا ويداعب أحدهما الآخر ، وقد تنقلب المداعبة قتالا في بعض الأحيان ، ولكن ينتهي كل شيء بمصالحة ومحبة .

يتقدم الولد بالسن فيتحول اللعب من لعب بالوسائل التعليمية إلى اللعب الكبير على اختلاف أشكاله : كاللعب المنفرد : التنس ، السباحة ، واللعب المشترك الجماعي : كرة القدم ، كرة السلة ، كرة الطائرة ، كرة اليد ، واللعب بالنسبة للكبار يصبح لعباً للاحتفاظ بالحيوية فقط فهو لعب هادئ مسل ومنشط خفيف ، الغاية منه تحريك الدم في الشرايين ، ومساعدة المفاصل على الحركة المرنة وتنشيط التنفس وإبقاء الجسم مرناً يقوم بنشاطاته العضلية والفكرية دون مشقة . فنشاط الدورة الدموية يؤدي بالتالي إلى نشاط عام فينسى الشيخ مشاغل الحياة والهموم اليومية ، ويلجأ الكبار في بعض الأحيان إلى ألعاب التسلية فكل ما ينشط الفكر هو تسلية .

نخلص إلى تكرار الحكمة : **العقل السليم في الجسم السليم** : والجسم السليم لا يكون سليماً إلا إذا مارس صاحبه الألعاب الرياضية وسلم من الأمراض أيضاً .

وممن عني بدراسة اللعب عند الأطفال من كبار المربين « **كلاباريد** » السويسري وله في هذا الموضوع آراء وجولات وممن أدخله في طريقته التعليمية العالم ــ **فره نه** ــ وقد جعلت جميع مناهج التدريس في جميع الصفوف تعتمد على اللعب كمدرسة **ده روش الفرنسية** التي تخرج منها طلاب ناجحون في الحياة العملية .

إن التدريس في أمريكا يتصف بكونه عملياً تتخلله روح المرح والرغبة في الانتاج .

العمل الحر والحركة الكشفية

ولأدعم نظريتي بأن العمل الحر الذي يتصف باللعب والمرح هو عمل منتج وأسلوب رفيع وأكيد في تربية حواس الطفل التي تنقله من المعرفة الحسية إلى الإدراك المجرد أقول :

أن مؤسس الحركة الكشفية العالمية اللورد **روبرت بادن بول** أدرك حماس الأولاد واندفاعهم عندما نستخدم مواهبهم في اللعب في أعمال جدية ، فقد كلف الصغار في حروبه مع **البوير** في جنوب إفريقيا بنقل البريد من معسكر إلى آخر أثناء الحروب فقاموا بالمهمة وهم في منتهى الشجاعة والسرور .

وعندما لاحظ ذلك جمع هذه الملاحظات إلى غيرها من ملاحظاته على سلوك الأولاد وعلى ألعابهم فتمكنت منه حينذاك فكرة التربية في الهواء الطلق مع الطبيعة تربية حرة يستنفد فيها الولد كل طاقاته من أجل التأقلم مع المحيط وحل المصاعب التي تعترض سبيله ، حلاً معتمداً فيه على خبراته السابقة ويشعر بأن في فعالياته لذة وسرور لأن هذه الأعمال لا تفرض عليه فرضاً من قبل الكبار ، هو الأسلوب التربوي الحكيم .

ولا ننسى أن **بادن باول** خدم في الجندية في **الهند** قبل أن ينتقل إلى إفريقيا فتعلم الكثير عن الأولاد وتمكنت منه **فكرة استخدام الفعاليات الحرة المسلية في تربية رجال المستقبل** ، ولذا فإنه أراد للولد ــ تربية تامة ــ واعتقد بأنه لا يحصل عليها إلا عن طريق اللعب ، فجعل من نظامه الكشفي مجموعة من الفعاليات التي تعجب الصغار كثيراً وتسهم في إغناء تجاربهم الحسية بالدرجة الأولى ثم تمرين الملكات العقلية على الحكم والمحاكمة في قلب الطبيعة .

إن هذه الفعاليات المضحكة التي قد تصل إلى حد السخافة بالنسبة للراشد الرصين الذي ينظر للأمور بصورة جدية ولا يرضى باللعب شاغلاً لأولاده هي ذاتها فعاليات هامة في تربية الناشئ .

إن الحركة الكشفية ببيئتها المرحة وألبسة أعضائها الخفيفة الرشيقة المضحكة انتشرت في جميع أنحاء العالم بسرعة مذهلة ، فقد قبلت بها كل المؤسسات التي تعنى بالشبيبة ، بتنظيمات محلية .

يبرز مما تقدم بأن تنظيمات الشباب في جميع بلاد العالم أمر قد انتبه إليه المسؤولون فجمعوا هذه الطاقات في إطار من الأخوة ، والنشاط الرياضي والفكري وهيأوا لها الجو الطبيعي في الفعاليات التي يجب أن تصقل الجسم والنفس وتسمح باكتساب المعارف والخبرات وتسمح بتكوين رجال الأمة تكويناً تاماً من حيث القوة البدنية والقوة النفسية وتكامل الملكات العقلية كل ذلك في إطار من اللعب والمرح .



الشاعر الذي جاهر بفكرة "الشعر الخالص" في اسبانيا

حصل على جائزة نوبل في الآداب سنة ١٩٥٦

بقلم: محمد القاضي

حياتــه

شاعر وناثر اسباني. ولد بقرية «**موكير**» MOGUER منطقة «اويلبا» يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٨١م.

درس في المدرسة اليسوعية بمدينة «**بويرتودي سانتا ماريا** PUERTODE SANTA MARIA اقليم قادس بجنوب **اسبانيا** .. كما تلقى دراسته العليا بجامعة اسبيليا.

بدأ الكتابة وهو في سن الرابعة عشرة فنشر في الصحف والمجلات **الاندلسية** ومجلات **مدريد**.

في سنة ١٨٩٩ قدم الى مدريد ونشر اول دواوينه الشعرية «**انفاس بنفسجية**» سنة ١٩٠٠. وعاش في عاصمة اسبانيا خمس سنوات ولكنه عرف خلال هذه الفترة بانطوائيته وكراهيته للمنتديات والمجالس الادبية.

ومن اسبانيا قام بعدة رحلات الى **فرنسا وسويسرا وايطاليا** فضلاً عن سياحاته في داخل اسبانيا. ثم رجع الى قريته «موكر» فلزمها سبع سنوات.

في سنة ١٩١٦ سافر الى نيويورك حيث تزوج من الكاتبة «**زنوبيا كامبروبي أيمار**» التي اصبحت منذ هذا التاريخ ملهمته وذراعه الايمن في اعماله.

وبعد اقامة اخرى في اسبانيا هاجر نهائياً الى **امريكا** فعاش فترة فيها ثم استقر في بويرتوريكو PUERTO RICO حيث توفي سنة ١٩٥٨ بعد ان **حصل على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٥٦**.

من مؤلفاته

«**انفاس بنفسجية**» ١٩٠٠، و«**اغان حزينة**» ١٩٠٣، و«**حدائق بعيدة**» ١٩٠٤، و«**الاوراق الخضراء**» ١٩٠٩، و«**القصائد السحرية**» ١٩١١، و«**باستوراليس**» ١٩١١، و«**متاهة**» ١٩١٣، و«**انا وبلاتيرو**» ١٩١٧. وهو من اشهر كتبه النثرية و«بلاتيرو» اسم حماره الذي يدور عليه موضوع الكتاب، وقد ترجم الى جل اللغات الحية ويعد من أدب الاطفال العالمي.

«**يوميات شاعر حديث العهد بالزواج**» ١٩١٧م و«**ابديات**» ١٩١٨م و«**الحجر والسماء**» ١٩١٩م.

كما ترجم بتعاون مع زوجته «زنوبيا كامبروبي ايمار» الكتب التالية: «**حياة بتهوفن لرومين رولاند**» و«**فرسان نحو البحر لجوهن م. سينخي**» و«**ساعي بريد الملك لطاغور**».

شعره

يعتبر «خوان رامون خيمينت» حلقة وصل بين جيل الثامن والتسعين وجيل السابع والعشرين.

جيل الثامن والتسعين: وهو جيل من الادباء والمفكرين عرفوا بهذا الاسم الذي اطلق عليهم اثر **حرب كوبا** التي نشبت بين اسبانيا والولايات المتحدة الامريكية عام ثمانية وتسعين من القرن الماضي وانتهت هذه الحرب بخسارة اسبانيا لآخر مستعمراتها في امريكا اللاتينية. فقد هزت تلك الانتكاسة الهائلة ضمائر الطبقة

المثقفة في اسبانيا وحملتهم على ان يعيدوا النظر في ماضي بلادهم وحاضرها. وكان هذا الجيل من المفكرين والادباء عميق الاحساس بمشكلات البلاد بما فيها مشكلة الادب والخلق الفني والقيم الجمالية. فنادوا باصلاح فكري شامل عميق الجذور لا للأدب فحسب بل لكل نواحي الحياة في اسبانيا (سياسية واجتماعية وتعليمية واقتصادية) ولهذا **فقد كان ادباء هذا الجيل اكثر ارتباطاً بواقع حياتهم ونبضاتها.**

جيل السابع والعشرين: وهو جيل من الشعراء الاسبان كانت تجمعهم صداقة متينة ويؤلف بينهم اسلوب مشترك.

ان سنة ١٩٢٧ التي اطلق اسمها على هذا الجيل مهمة لسببين ففيها **أولاً** ظهرت هذه المجموعة من الشعراء الشبان أمام الجمهور لاول مرة في معهد اشبيليا: بفضل سخاء **اجناسيو سانشيت ميخياس**، مصارع الثيران والكاتب المشهور والصديق المخلص لكل اعضاء المجموعة. وفيها **ثانياً** كون هؤلاء الشبان مجموعة جد متراصة، فواجهوا أمام الملأ عنف النقد الرسمي الاكاديمي، جاعلين اساس المعركة الشاعر «**غونغورا**» المدهش الباروكي وذلك بسبب الاحتفال بمرور المائة الثالثة على وفاته.

ان وقائع هذين الحدثين وصفها «**دامسو الونصو**» شاعر واستاذ جامعي ولد في ١٨٩٨ بجلال، فإلى كتبه يرجع القارئ الذي يرغب في أدق التفاصيل.

بدأ «خوان رامون خيمينت» حياته الشعرية منطلقاً من الاتجاه الحديث ولكن أثر هذا الاتجاه لم يستمر الا خلال الدور الاول من حياته بل في الانتاج المبكر لهذا الدور اذ انه ظل يعمل على التخلص من كل نفوذ خارجي حتى من نفوذ ذلك المذهب الذي طبع بواكير شعره ملتمساً شخصيته المستقلة.

وقد انفق حياته الطويلة كلها في التطور بشعره والارتقاء به وقد مضى هذا التطور خلال ادوار ثلاثة مرتبطة بعضها ببعض ارتباط مراحل النمو في حياة الكائن الحي.

الدور الاول

وهو الذي يضم ما نظمه من شعر بين سنتي ١٩٠٠–١٩١٧ وهو قدر كبير نشره الشاعر في **ثمانية وعشرين ديواناً**. وفي شعر هذا الدور ولاسيما في الدواوين الاولى ترى غلبة **الجرس الموسيقي** وقوة الاحساس باجواء المناظر الطبيعية وما فيها من الوان وظلال. وهذه الجوانب هي التي تربط بين خوان رامون خيمينت وبين الاتجاه الحديث غير انه يتجه شيئاً فشيئاً الى تحوير العناصر البصرية والى تجريد الشعر من الوانها الصارخة وكذلك الى استبعاد العناصر

الموسيقية ذات الوقع الجهير في محاولة الى ما كان الشاعر يرى انه «الشعر الخالص».

ولكن ماذا تعني فكرة الشعر الخالص؟

ان **بول فاليري** الشاعر الفرنسي يرى – كما يذكر ذلك «خورخي جيلين شاعر اسباني ولد سنة ١٨٩٣م» «**ان الشعر الخالص هو ما يبقى من الشعر بعد ان يشذب منه كل الذي ليس بشعر. وحين يفسر هذا القول كيميائياً، يصبح الخالص مرادفاً للبسيط**» انظر كتاب «الشعر الاسباني المعاصر». تأليف «**جيراردو ديبكو**» – بالاسبانية ص ٣٢٦–٣٢٧.

وهذا يعني ان الخالصية عند «خوان رامون خيمينت» وعند شعراء جيل السابع والعشرين تدل على احتقار كل شعر ذي موضوع وكل شعر حكائي يقوم على سرد وقائع بشرية. **ان الجمال والمتعة الجمالية كانا ولا يزالان اساس الاهمية عند الشعراء الخالصين وعليه فكل شعر انفعالي ينقل عاطفة بشرية او تجربة حياتية لا ينال عندهم حظاً من الاهمية.**

وقد كتب (خ. دي **ايزارو** في مجلة **الشمس** EL SOL) ان ما يسمى بالشعر الخالص POESIA PURA ما هو الا تدمير للواقع والحياة بالجري وراء الخيال بل ما هو الا مثل جميع الاشياء المتسامية التي سرعان ما تتبخر وتصير نادرة الوجود. وذكر ايضاً بأن كبار الشعراء امثال (**دانتي – فيرجيل – باندرا**) لم يكونوا ليحتقروا منابع الحياة اليومية كما لم يكونوا ليغفلوا المواقف السياسية والعاطفة الحزينة او التبشير بالافكار الفلسفية او الوطنية او الفلاحية.

ومن المؤكد ان الذين جاءوا بعد الشاعر خوان رامون خيمينت وبعد حركة الشعر الخالص لم يستسلموا بسهولة فقد هاجم «**خوان خوسي دومينتشينا**» على أعمدة مجلة «الشمس» كل الصابئين عن الحركة الخالصية كما هاجم انصار الشعر الاجتماعي اللاخالصي.

وقد افتتحت مجلة «**فارس الشعر الاخضر**» اول اعدادها بنداء ضد الشعر الخالص تحت عنوان «**حول شعر غير خالص**» كتبه الشاعر الكبير **بابلو نيرودا**. غير ان الابراج العاجية التي اقام فيها الشعراء الخالصون اذا كانت قد استمرت قائمة الى سنة ١٩٣٥م فان بقاءها كان مجرد فلول تفتت بسبب هجوم مجلة «فارس الشعر الاخضر» عليها وكان المقصود من هذا الهجوم اثارة غضب خوان رامون خيمينت الذي اعتبر الهجوم على الشعر الخالص كما لو كان هجوماً شخصياً على شعره نفسه – وهذا ما دفعه الى قطع علاقاته بجيل السابع والعشرين ذلك انه اعتبره شريكاً للشاعر التشيلي نيرودا في موقفه المعادي للخالصية وزاد في تصاعد شأن القطيعة،

ان الجيل وهو في اوج تطوره انضم اليه خيرة الشعراء الشبان – وعلى رأسهم الشاعر **ميكيل ايرنانديت** (١٩١٠–١٩٤٢) والذي نشر مقالة يكرم فيها نيرودا معتبراً أياه واحداً من اكثر المنجزات الشعرية حقيقية في اللغة الاسبانية.

الدور الثاني

يبدأ من سنة ١٩١٧ حينما نشر ديوانه «يوميات شاعر حديث العهد بالزواج» ويستمر حتى سنة ١٩٤٩م وهنا نجده يتجه الى التبسيط لا الى البساطة والى الاقتصاد في العناصر الشعرية وحذف كل ما يمكن ان يدخل في باب الزينة الظاهرية او الزخرف البلاغي ولكن هذا الاتجاه انما كان بهدف تكثيف **العصارة الغنائية** في شعره وتقطيرها الى ابعد حد ممكن وهكذا يتخيل ربة شعره وقد أتت اليه نقية لابسة ثوب البراءة فيحبها الشاعر غير انها تشرع بعد ذلك في التأنق ولا تزال حتى تصبح ملكة لها كنوز من فاخر الثياب ويرى الشاعر نفسه وقد كرهها دون وعي على انها تأتي اليه بعد ذلك وقد تجردت الا من ثوب براءتها القديم، ثم تخلع بعد ذلك هذا الثوب ايضاً فيجن الشاعر بها جنوناً ويصبح انها اصبحت له الى الابد. هكذا يصور لنا الشاعر مفهومه للشعر بل كأنه يحدد لنا تطور مساره الشعري واتجاهه المتصاعد الى **التجريد** الكامل حيث يصبح الشعر هو الغاية المطلقة.

الدور الثالث

وهو الذي تعكسه دواوينه التي نشرها منذ سنة ١٩٤٩ حتى وفاته. ويفتتح هذا الدور ديوانه «العاشق والمعشوق» DIOS DESERADO Y DESEANTE وهنا يصل خوان رامون خيمينت الى قمة ذلك العمل الذي استغرق حياته كلها وهو تجريد الشعر وتنقيته والوصول به الى ما كان يعتقد أنه «الشعر الخالص».

وعلى كل حال فان الشاعر خوان رامون خيمينت يعد من اكبر شعراء الابتداعيين الاسبان واعظم الشعراء الغنائيين الذين ظهروا في القرن العشرين فقد شغل الناس بشعره في داخل اسبانيا وخارجها على طول اكثر من نصف قرن. كما شغل شاعرنا العربي المتنبي قراء اللغة العربية اجيالاً واجيالاً نظراً لاهمية شعره.



مختارات من شعره

الربيع الأصفر

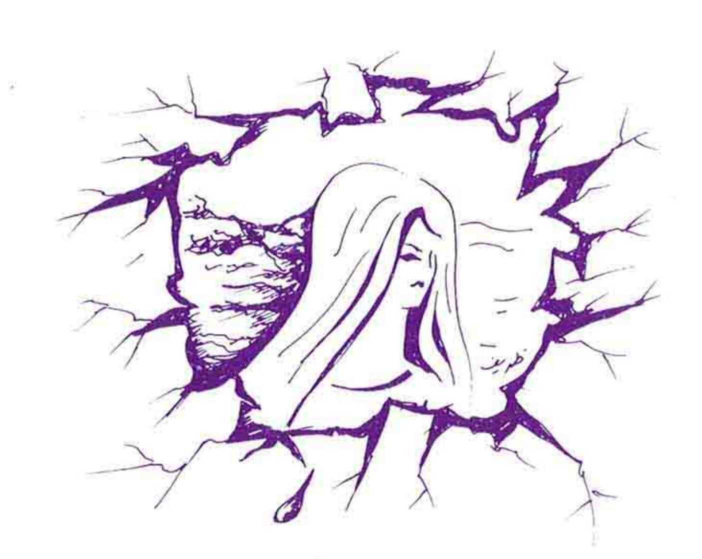
جاء شهر ابريل ملئ
ازهاره كلها صفراء
الجدول أصفر
السياج اصفر، الربوة
مقبرة الاطفال
ذلك البستان حيث عاش الحب
الشمس تصبغ العالم
بشعاعها الاصفر المتساقط
آه، عبر الزنابق المذهبة
الماء من الذهب الفاتر
الفراشات الصفراء
فوق الازهار الصفراء
اكاليل من الازهار الصفراء
تسلقت الاشجار
اليوم
كان نعمة عبقة من الذهب
في صحوة ذهبية من الحياة
بين عظام الموتى
فتح المالك أيديه الصفراء

الشعر

في البدء أتت خالصة
لابسة ثوب البراءة
واحببتها كأني طفل
ومن بعد ذلك شرعت
في ارتداء ثياب لا ادري ما هي
وشرعت انا في بغضها دون أن أعرف
وما زالت حتى اصبحت ملكة
لها كنوز من فاخر الثياب...
واستبد بي حنق في طعم الحنظل لا ادري ما سببه
ولكنها ذهبت عارية
وكنت ابتسم لها.
بقيت بثوب براءتها القديمة
وخلعت ايضاً ذلك الثوب
آه ياغرام حياتي
ياربة شعري..
أنت لي الى الابد



القطار



عند سقف العربة بلجة، من أين؟
تتلاشى النوافذ الزجاجية الكدرة
يبكون..
في الخارج بين السنى الذي يذهب ويأتي
توجد مؤامرة بين الجبال والظل
القرى من الضباب الخافت في الفجر
تشبه حلماً غامضاً لمروج مدخنة
توجد فوقنا الصخور الضخمة
توشك الوقوع قممها ضائعة في الزمن
القطار لا يقف .. وراء النوافذ الزجاجية المضاءة.
عبر الامطار المضجرة الحزينة
وقفت أمرأة مرتبكة، جميلة
تودعنا ..

وداعا
يتحدث الماء، مضجر ورتيب

ليليات

لن اعود وهذه الليلة الدافئة الساكنة
الصامتة. تدغدغ اجفان العالم، لينام
تحت اشعة القمر الوحيد
لن يكون جسدي هناك
ومن النافذة المفتوحة
ستدخل نسمة باردة
تسأل عن روحي..
لست ادري هل هناك من يحتفظ
بحضوري النبيل الطويل؟
وهل هناك من قبل ذكرياتي
المحفوظة بين الدموع والحنين؟
اما النجوم والازهار
والتنهدات والآمال
وحب في مماشي الحدائق
تحت ظلال فروع الشجر
وسيرن هذا البيان
في ليلة كمثل هذه الليلة الهادئة
ولن يوجد من يسمعه
والقمر، والقمر الحلو
يثني بالبياض الاشجار
ومن بين الاغصان
تصعد فوارة
من جواهر

الموت

اريد ان انام هذه الليلة
لانك انت ميت
نوم، نوم، نوم، متشابه
لحلمك الكامل.
هكذا لارى ان كنت سألحق بك
النوم. فجر المساء
نبع النهر، النوم
يومان يضيئان معاً
في لاشيء.
تياران يذهبان معاً، للنهاية
اثنان من الكل. اذا كان يعني هذا شيئاً
اثنان من لاشيء اذا كان الكل لا شيء.
اريد أن أنام موتتك

فراشة النور

فراشة النور
الجمال يهرب مني حينما اصل
الى وردتها.
وانا اجري اعمى البصر وراءها
واوشك على الامساك بها هنا وهناك
ولكن لا يبقى منها بين يدي
الا طريقة هروبها

هوامش

١ كتاب: «الشعر الاسباني المعاصر» بالاسبانية تأليف «جيراردو دييكو»

POESIA ESPANOLA CONEPORANEA. .
GERARDO DIEGO.
TAURUS. MADRID. 1974

انظر الصفحات الآتية ١٧٤-١٧٥-١٧٦.

٢ مجلة عالم الفكر – الكويت – العدد الثالث المجلد الثالث: اكتوبر – نوفمبر – ديسمبر ١٩٧٢ ص ٦٧٢ وما بعدها. «الفن القصصي المعاصر في اسبانيا» محمود علي مكي.

٣ اسبانيا من خلال ادبها – بالاسبانية

ESPANA EN SO LITERATURA
GUILLERMO DIAZ PLAZA. SALVAT. 30

انظر الصفحات الآتية ١٥١ – ١٥٢ – ١٥٣ – ١٥٤.

٤ مجلة آفاق عربية – السنة الثانية عدد ٣ نوفمبر ١٩٧٦ ص ٥٢ – ٥٣ – ٥٤. «مغامرة اسبانية – شعر جيل ١٩٢٧ – خوان لويس كانوا – ترجمة الدكتور محمد السرغيني.

٥ القصائد رقم: ١ – ٢ – ٣ – ٦ قمت بترجمتها عن الاسبانية انظر كتاب: الشعر الاسباني المعاصر بالاسبانية انظر الصفحات رقم ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٤، ٦٠٥ القصائد رقم ٤ – ٥ الاولى توجد مترجمة في مجلة المناهل المغربية عدد ٤ سنة ١٩٧٥ ص ٢٨٤ – ٢٨٥ والقصيدة الثانية توجد مترجمة في مجلة عالم الفكر – المجلد الرابع – العدد الثاني يوليو – اغسطس – سبتمبر ١٩٧٣ ص ٢٢٤ وهي من ديوان الشاعر «حجر وسماء».

٦ انظر المجلة الاسبانية: MUNDO HISPANICO عدد ٢٦٦ شهر مايو ١٩٧٠ NO. 266-MAYO. 1970 ص: ٢٠، ٢١، ٢٣.

ندوة العدد

النحو العربي ومحاولات التطوير

مسيرة طويلة قطعها النحو العربي منذ بدأ الإنسان العربي القديم صباحه بـ «عم صباحاً» ، ومنذ همس الشاعر بشعره واعتلى الخطيب منبر القول والخطابة .

ولسنا بصدد رصد هذه الخطوات ، فقد تكفل بذلك باحثون قدماء ومحدثون . ولعل في طليعة المحدثين المسهمين في تطوير الدرس النحوي :

إبراهيم مصطفى في (إحياء النحو) ، **وحفني ناصف** ، كذلك **الشاعر علي الجارم ومصطفى أمين** في (النحو الواضح في قواعد اللغة العربية للمدارس الثانوية) ، ثم توالت جهود **عباس حسن** في (اللغة والنحو بين القديم والحديث) ، **وعبد الرحمن أيوب** في (دراسات نقدية في النحو العربي) ، **وعبد العليم إبراهيم** في (النحو الوظيفي) ، **وعفيف دمشقية** في (المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي) ، **وعبده الراجحي** في (التطبيق النحوي) ، **وأمين السيد** في (علم النحو) ، **وصبحي الصالح** في (دراسات في فقه اللغة) ، **وعلي أبو المكارم** في (تقويم الفكر النحوي) ، **وفتحية توفيق صلاح** في (التيسير في النحو والصرف) ، وجهود علماء أجلاء أمثال : **إبراهيم أنيس ، وعبد السلام هارون ، وعبد الحميد طلب ، ومحمد عيد** وغيرهم .

ويبقى تساؤل : هل لا بد لحل أزمة النحو العربي المتفشية في ألسنة وأقلام خريجي المدارس والجامعات أن نخترع نحواً جديداً ، ونشجب ما بناه الأقدمون ؟

أم أن التطوير ينبع أصلاً وأساساً من بين حنايا القديم ؟

وهل تكمن المشكلة في المادة النحوية فقط ، أي طريقة عرضها في كتاب ؟ أم هناك مشاكل أخرى ترجع للمعلم وطريقته ؟

إن جهود المتقدمين أمثال **عبد العليم إبراهيم** في (الموجه الفني لتدريس اللغة العربية) ، وجهود الشباب العلمي أمثال **محمود الناقة ، وفتحي يونس** في كتابهما (أساسيات تعليم اللغة العربية) ، وغيرهم من علماء التربية ، ما قد يعين على حل الأزمة من الوجهة التربوية ، أي طريقة التدريس .

* * *

واليوم نلتقي بآراء لعلماء قالوا كلمتهم ومضى بعضهم وبقيت كلمته ، ونلتقي بآراء لباحثين اشتركوا في ندوتنا عن عطاء وتفضل .

* * *



★ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري ★



★ د. يوسف عز الدين ★



★ محمد رياض العشيري ★

تطور المدرس النحوي

●● **في الستينات من هذا القرن قام الدكتور حسن عون بإلقاء محاضرات حول هذا الموضوع في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية.**

وفي كتابه الذي يحمل العنوان نفسه والصادر عام ١٩٧٠م، نراه يمضي في ثلاثة أبواب هي:

١ ـ الدرس النحوي قبل سيبويه.

٢ ـ الدرس النحوي من سيبويه حتى الزمخشري.

٣ ـ تطور الدرس النحوي في عصر الزمخشري.

ويبين المؤلف منهجه في المقدمة.. يقول:

«**يتمثل في الذهن فكرتان واضحتان يستأثران بقدر كبير من التأمل، ويوجهان جانباً غير قليل من المجهود العقلي:**

● تنطوي الفكرة الأولى على أن نتخذ من هذا البحث ميداناً **للدراسة التركيبية** بمعنى أن نشرف على الموضوع، وننظر إلى عمومياته من أعلى، ونرقب سيره مع الزمن، ونسجل أخص سماته وأبرز ملامحه حتى ترتسم صورته الكلية أمام السامع أو القارئ، وتختفي منه **الأجزاء والتفاصيل** لتكون موضوعاً **للدراسة التحليلية** التي ظفرت بكثير من عناية علمائنا في اللغة والنحو والصرف، **فالدراسة التركيبية تتوقف على الإلمام الكامل بالمادة، وترمي إلى إثراء الثقافة العامة لدى الدارسين، وذلك عكس ما هو متبع ومنتظر من الدراسة التحليلية التي تهتم بالتفصيل والتفتيت والتعمق والغوص.**

وقد أصبح كلا النوعين من الدرس مطلوباً لذاته، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، وتنطوي الفكرة الثانية عن تتبع ظاهرة التطور في الدرس النحوي لدى العرب منذ نشأة هذا الدرس حتى الوقت الحاضر، آخذين في الاعتبار أمرين هامين:

★ **الأول**: أن كلمة «تطور» لا تعني بالضرورة التغير إلى ما هو أحسن، فقد يكون العكس، وقد يكون مجرد التغير دون نظر إلى تقييم أو مقارنة.

★ **الثاني**: أن هذا التطور لم يكن مديناً لبيئة أو لمدرسة كما ألفنا أن ندرس نحونا على أنه نتاج **مدرسة البصرة أو الكوفة أو بغداد**، ولكن في الواقع مدين لمجهود بعض علماء النحو وثمرة من ثمرات نشاطهم العقلي، ومن أجل ذلك سندرس ملامح هذا التطور في مدارس منسوبة إلى أصحابها من أئمة النحاة بدل أن تنسب إلى مدن عرفت بنشاطها في الدرس النحوي».

* * *

وصف الظواهر اللغوية

●● **يقول الدكتور إبراهيم السامرائي في مقدمة كتابه «النحو العربي نقد وبناء»**[1]:

«فإذا كان من حقنا أن نعرض للنحو مصلحين ناقدين، ليفهم أهل هذا العصر ولا سيما الناشئة منهم علم النحو، فعلينا أن نتخذ منهجاً جديداً في دراسته قائماً على **وصف الظواهر اللغوية**.

وإذا قلنا إن المنهج يقوم على وصف الظواهر اللغوية، فإن ذلك يعني العزوف عن كل ما يبتعد عن الوصف من التأويل والتعليل والتأمل، وينبغي على هذا أن نبطل **مسألة العلة والعامل** كما فعل نفر من قدامى النحويين. غير أن هؤلاء الأقدمين الذين أنكروا العامل لم يستطيعوا أن يقدموا منهجاً وصفياً، ولعل دعوة **ابن مضاء القرطبي** في رفض العامل كانت نتيجة أخذه **بالمذهب الظاهري** في الرأي، ومعنى هذا أنه لم يفكر في مقالته برفض العامل تفكيراً لغوياً قائماً على العربية وحدها.

إن المنهج الوصفي يبعد الكثير من المسائل النحوية كما بينا، إذ لا مكان في هذا المنهج الوصفي للإعراب التقديري مثلاً.

ومن أجل ذلك فقد اجتهدت في مباحثي أن أعرض للنحو العربي القديم فأبين ما فيه مما هو غريب عن المادة اللغوية ولأخلص من ذلك إلى



* عبد الحليم عبد الباسط *

حمل الدارسين على أن يكوّنوا نحواً جديداً يعين الناشئة على فهم هذه اللغة الكريمة » .

* * *

المقصود بالنحو العربي

●● **من السعودية يجيب أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري مشتركاً في الندوة بقوله :**

« النحو العربي قانون يحكم لغة العرب ويميز النطق بالمفردات والجمل وفقاً لتميز المعاني التي يريدها الناطق بهذه اللغة .

أي أن **النحو يوضح مراد المتكلم بلغة العرب . وقانون لغة العرب ـ وهو النحو ـ لم يضعه العقل البشري ابتكاراً ، وإنما وضعه استنباطاً من مختلف استعمالات العرب ، وهذا القانون قانون صادق منسجم مع لغة العرب لا يمكن تفسيرها أو النطق بها كما قالها العرب بغير هذا القانون** . والبرهان على صدق هذا القانون أنه مطرد في جميع النصوص المنقولة عن العرب ، وأن استنباطه مصاحب للسليقة العربية لو مال لعدّلته السليقة ، وأن اطراده لم يكن في تجربة مفكر ذكي أو عالم مستوعب من بضعة نصوص ، وإنما كان مطرداً في تجربة علماء ومفكرين كثيرين لا يستهان بعبقريتهم في شتى البقاع على مدى ثلاثة عشر قرناً . ثم إن هذا الاطراد صمد لتحدي عبقريات الأجيال لم يجدوا أي قاعدة نحوية معتسفة أو شاذة عن لغة العرب . هذا من ناحية قواعد النحو ، وهي مجال حديثنا .

أما تعليلات النحويين فمجال اجتهاد يختلف فيه العقل . **إذن ما قلته يؤكد أن القانون النحوي ضرورة حتمية يفرضها بقاء لغة العرب إن أريد لها البقاء ، وليس هو موضة تجديد أو شهوة ابتكار ينعم بها الناس فترة ثم يدركهم الملل فيلتمسون بديلاً منه** .

وإذا ما طرح موضوع **تطوير النحو للنقاش** فلننظر موضوع هذا التطوير :

فإن أريد به إيجاد وسائل تربوية حديثة أو أي وسيلة تيسر للناس فهم النحو في وقت أقل وجهد أيسر ، فهذا أمر مطلوب ومحبب ، بل واجب ؛ لأن تيسير العلوم وتقريبها للناس أمانة عامة في أعناق العلماء .

وقد يقتضي هذا النوع من التطوير تغييراً في الاصطلاح أو تهذيباً له أو اختصاراً منه أو إضافة إليه ، وهذا لا نحبذه إلا ببرهان يدل على أن المرغوب تطويره من الاصطلاح منطوٍ على ضرر ظاهر ، أو نقص ، أو فضول ، وأن الاصطلاح الجديد يضيف شيئاً ضرورياً أو كمالياً لم يكن في حسبان النحويين بشرط أن يكون مقتضى الاصطلاح الجديد مطرداً في لغة العرب ، وهذا يعني أن من يسعى لهذا التطوير يجب أن يجمع بين عبقرية الفكر وعمق الثقافة اللغوية بحيث يكون مستوعباً لقواعد النحو واصطلاحاته وعلله فاهماً لأسراره ومقاصده .

وحسب ثقافتي النحوية المتوسطة : أرى أن مجال التطوير محصور في إيجاد وسيلة تربوية تعلم العامة والناشئة أساسيات النحو الضرورية التي من لم يحذقها يكون ناقص الكفاءة العلمية ، ويكون تيسير هذه القواعد الجافة مصحوباً بالتعليل النحوي لكون الفاعل مرفوعاً وكون الحال منصوبة : لأن التفسير والتعليل مفتاح الذهن ، وهو الذي يغريه بطلب المزيد من القواعد .

أما العالم المجتهد المتخصص في علم النحو الذي يريد أن يكون حجة في تفسير كلام العرب واستجلاء مقاصده ، فهذا يأبى أن يحصر علمه في منهج متطور ، بل هو في مجال يحتاج إلى إضافته وتحريره واستدراكه دون أن يُقَوْلَب في منهج . وإن أريد بالتطوير هدم أساسيات النحو أو الاستغناء عن بعض ضرورياته ، أو الاستهانة بما فيه من فوارق دقيقة ذات أثر في تمييز لغة العرب ؛ فهذا لا يعني تطوير الوسيلة لفهم لغة قائمة ، وإنما يعني إيجاد وسيلة لفهم لغة مقترحة ، وهذه دعوى لا أتصور أن أدنى عربي يسوغها ؛ لأن أمة العرب منذ نزل **القرآن** بلغتها وأخبرت أن دينها خاتمة الأديان إلى أن تقوم الساعة : مرغمة على أن تبقى بهذا اللسان إلى يوم القيامة ، لأن **دين الله لا يفهم إلا بلغة العرب ، ولغة العرب لا تفهم إلا بالنحو** .

كما أن **بقاء لغة العرب ضمانة لبقاء كيان العرب ، لأن ضياع لغتهم تعطيل لفهم تاريخهم وعلومهم ودينهم وتراثهم المسجل بلغة العرب ونحوها** .

إن العقل البشري لم يولد وعنده قدرة مهيمنة يوجد بها الأشياء بالكاف والنون ، وإنما العقل البشري خَلْقٌ من مخلوقات الله يترى على مشاهدة الموجودات التي خلقها الله وعلى مشاهدة الوضعيات التي يسر الله لعقول الأجيال وضعها ، وتكون ميزة العقل بمقدار ما يفهم من أسرار الوجود .

وفي كون الله وأوضاع الناس ثوابت ومتغيرات . فإذا تحامق العقل في

تغيير الثوابت فذلك أمارة جنونه ، إذ لا دخل للعقل في اقتراح آدمي يبصر من قفاه بدل عينين قدامه ؛ لأن خلقة البشر من الثوابت في كون الله .

كذلك ثوابت الوضعيات لا دخل لاقتراح العقل فيها ، فإذا كان استمرار لغة العرب من الثوابت الوضعية والشرعية ، فليس من أخلاق العقل التفكير في ذلك ؛ ثم إن ذلك ليس بإمكانه ؛ لأن هذه القضية حتمية أمة لا تغيرها رغبة حفنة .

أما المتغيرات الوضعية التابعة لمزاج النفوس فأمر مباح للعقل أن يحوّر فيه ويطور ، فللعقل أن يبتكر وسائل لغموص الكلام وإيحائه ؛ لأن النفوس سئمت من الوضوح . ثم له أن يبتكر وسائل لوضوح الكلام ؛ لأن النفوس سئمت من الإلغاز .. وهكذا في شتى المتغيرات الوضعية . والله المستعان » .

مشكلات متعددة

●● وأجاب الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمع العلمي والأستاذ الزائر بكلية الآداب بجامعة الرياض بقوله :

« إن ضعف الطلاب والمفكرين وكثيراً من الأدباء في النحو واضح كل الوضوح في كل ما نقرأ أو نسمع في المذياع أو التلفاز حتى اضطررت أن أقدم مذكرة في اجتماع مجمعي ببغداد والقاهرة أعني هذا الضعف على هذا الجيل كله وأرجو تدارك الأمر . **ولعل أهم سبب يبعد الطلاب عن النحو كثرة الشوارد والشواهد وتعدد الحواشي والشروح أدت إلى بروز مشكلات فرعية لا تفيد الطلاب في حياتهم اليومية ، اهتم بها النحاة ناسين أن اللغة العربية مثل أية لغة حية حاجة اجتماعية تعبر عن رغباته وحاجاته ولن يقدر أن يعيش المجتمع المتطور بالألفاظ وحدها ، إنما ينبغي أن تكون اللغة قاعدتها المعاني ودقة التراكيب**[٢] .

وليست هذه المرة الأولى التي فكر العرب بتسهيل النحو ، فقد سبقنا العراق في الشرق والأندلس ، وجاء المرحوم أستاذنا **إبراهيم مصطفى** وحاول نصف المحاولة ، وفي العراق حاول **المجمع العلمي العراقي** تسهيل النحو ، ومن أبرز من حاول في العراق **الزميل الدكتور أحمد عبد الستار الجواري** ، **هذا يجب تضافر الجهود العربية وعقد مؤتمر لأساتذة النحو المعروفين مع مدرسي الثانويات لدراسة اختلاف الآراء النحوية وتأليف كتاب يهدف في تأليف تذوق حلاوة اللغة العربية والإحساس العميق بجمالها ورقة أساليبها ودقة معانيها ، وأن يعلم النحو ضمن التراكيب والتعابير الجميلة دون الفصل بين النحو واللغة ليكون الطالب قادراً على فهم لغته وتطبيق قواعدها وصقل ذوقه الأدبي .**

إن العمل يتطلب الحزم والإيمان ودراسة الأسباب التي أدت إلى **تفشي اللحن** وسوء التعبير بين جمهور المثقفين ، ومما أدى إلى هذا المستوى : **شيوع العامية** في قاعات العلم والتدريس في الثانويات والجامعات ، فالأستاذ في محاضرته في الطب يكون مسؤولا عن اللغة مثل أستاذ العربية في كلية الآداب ، كما شاعت في **الإذاعة والتلفاز** والمحاضرات العامة ، فقد حضرت ندوة في **جامعة الرياض** ألقى أحد المحاضرين كلمته المكتوبة ولم يقل كلمة واحدة سليمة ، فقد كان يرفع المجرور وينصب المرفوع ويكسر المنصوب وكأنه يوجه طلقات إلى ذوي الحمية على اللغة العربية ، والغريب أنه من المسؤولين الكبار في الصحافة العربية ، فترحمت على صحافة هذا أحد المسؤولين فيها .

ولا بد لي من التأكيد على ضرورة اختيار الشواهد الحية التي تمس حياة المتعلم المعاصرة ، فقد وجدنا بعض الشواهد في كتب النحو بحاجة إلى شرح جديد ليفهمها المتعلم ، وأن تكون حيادية في نصوصها تنشد تعليم الطلاب اللغة العربية أولا ودائماً .

ولا بد لتطبيق هذه النظريات من وجود معلم قوي في مادته مؤمن برسالته ، ليقوّم الأغلاط ويرفع من المستوى المتردي إذ إن ضعف المعلم أساس البلوى وقاعدة التردي » .

* * *

القضية لها جوانب متعددة

●● ومن القاهرة .. من جامعة عين شمس أجاب الأستاذ محمد رياض العشيري المدرس المساعد بكلية البنات من واقع دراسته المشكلة أثناء بحوثه في علم اللغة وقضاياه وتطبيقاته .. يقول :

« يشي عرض القضية في مثل هذه الصياغة (النحو العربي وضرورة تجديده) بأن ثمة مطلباً شديد الإلحاح إلى هذا التجديد ، وذلك أمر نقبله بشيء من الاحتراز ، إذ إن عرض تلك القضية على هذا النحو يضع كل نقيصة على كاهل (النحو العربي) ، بيد أن للمسألة جوانب أخرى يغفلها ـ كثيراً ـ من يعالجونها ، فقواعد النحو ـ باعتبارها مادة للدرس والتعلم ـ جانب واحد فحسب من عملية تعليم النحو ، يصحبها جوانب أخرى ، منها : طريقة التدريس ، والمدرس .

ومن هنا نجد أن النظرة الفاحصة لقضية (النحو العربي) تقتضي من الباحثين الدقة في نظر جوانبها كافة .

وعلى الرغم من هذا الملحظ الرئيسي فلن أتعرض ـ هنا ـ للمسألة

إلا من ناحية واحدة تشغلني ، ألا وهي (النحو العربي) ذاته . . وأضع تصوري على النحو التالي :

*** أولا** : لا خلاف ـ فيما أحسب ـ على أن **المقصود (بالنحو العربي) هو مجموعة القواعد المعيارية المستنبطة من كلام العرب خلال فترة زمنية بعينها ، وليست هذه القواعد اختراعاً دوّنه علماء اللغة ، بل ثمرة لجهد واسع المدى في جمع اللغة ، ثم استخلاص سننها التي لوحظ أن الكلام (المادة المجموعة) يلتزم بها في تركيبه .**

إلا أن هذه السنن ـ من بعد ـ أصبحت معياراً يقاس عليه كل كلام عربي حتى يومنا . لكن كيف نقوّم كلام اليوم بمعيار قام ـ أصلاً ـ على ما استقرئ من كلام الأمس البعيد ، واللغة ـ كما يقول دارسوها ـ كائن حي يتطور من عصر إلى عصر ؟

وهذا حقاً سؤال جوهري ، لكنه يسير إذ يشمل الجواب في طياته . ذلك أن اللغة ـ كما لاحظ الدارسون ـ كالكائن الحي ، يولد طفلاً ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يتم له الاكتمال . إلا أن أجهزة جسده ـ وهي نامية كذلك ـ لا تتغير ، فالقلب هو القلب والمعدة هي المعدة . . إلخ .

وهكذا اللغة كالجسد تنمو وتتطور منذ نشأتها ، وتنمو معها أجهزتها (أصواتها ، قواعدها الصرفية ، قواعدها النحوية . .) لكنها لا تتبدل أو تتغير .

وفي كل لغة من اللغات مجموعة من القواعد (أو الخصائص) التي تطبعها بطابع متميز من غيرها من الألسنة الأخرى ، هذه القواعد لا تتغير بفعل التطور إلا إذا قُضي عليها بعمد بيد أهليها أو بيد مُغيِّر أجنبي ، وتلك القواعد المشخَّصة تمثل قسطاً كبيراً مما يقوم عليه (معيار النحو) . ومن ثم فلا ضير إن بدا لنا تناقض بين (المعيار) و (ما يقوَّم به) أما القسط الأصغر من قواعد اللغة فهو خاضع للتغيير والتطور نتيجة لتأثير اللغات بعضها في بعض ، ولعل هذا القسط هو ما يمكن أن نجدد فيه .

*** ثانياً : ومهما تكن الدوافع وراء دعوات التجديد في النحو العربي ، فنحن بحاجة إلى التجديد حقاً لتظل اللغة مواكبة ـ أبداً ـ لحركة الإنسان على الأرض ونهضته الوثابة . فما هي السبيل إلى هذا التجديد المبتغى ؟**

لا أظن ـ البتة ـ أننا قادرون على تحقيق مثل هذا التجديد المراد دون أن تسبقه ـ في تصوري ـ خطوة رئيسة ، هي الدراسة :

ـ دراسة نظرية لتراثنا النحوي الذي لم يزل كثيره مخطوطاً أو منثوراً بين صفحات الكتب غير النحوية ، ثم التعرف الدقيق على نحاتنا ومناهجهم في المعالجة في ضوء من الدرس الحديث .

ـ دراسة عملية ـ واسعة المدى ـ لحصر أنماط الجملة العربية المختلفة من خلال مصدرين :

١ ـ كتب النحو (نستخرج منها هذه الأنماط كما حددها النحاة) .

٢ ـ النصوص اللغوية . وهذه النصوص يجب أن تشمل :

أ ـ القرآن الكريم .

ب ـ الحديث النبوي الشريف (في صحيحيه على الأقل) .

جـ ـ الأدب ومتونه المختلفة .

د ـ الصحافة والإذاعة والتلفاز (في برامجها العربية) .

ثم ينبغي أن تشمل هذه الدراسة العملية كل العصور ، منذ العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري .

ولينظر في الأنماط المستنبطة من هذه النصوص إلى :

ـ أكثرها شيوعاً ولماذا ؟

ـ أقلها شيوعاً ولماذا ؟ ومتى تقل نسبة شيوعها ، في عصر ما ، أو في بيئة ما ، أو في جنس أدبي دون غيره من الأجناس ؟

ـ الأنماط النادرة ، في أي العصور وجدت ، ولماذا ندرت أو هجرت في بعض البيئات ؟

وفي ضوء ما تكشف عنه هذه الدراسة يمكن أن يوضع نحو للعربية جديد مبني على أسس علمية منهجية .

على أنا يجب أن نلفت إلى أن هذا (النحو) الجديد لن يكون خالص الجدة والحداثة ، فقد سبقنا أعلامنا القدماء إلى مثل هذه التجربة ووضعوا نتائج بحثهم في ما كتبوا ، وإن كان جمعهم لنصوص اللغة قد تحكمت فيه ضوابط جعلت منه جمعاً غير علمي ، إذ حددوا سلفاً البيئات التي سيأخذون عنها ، ثم وقف جمعهم عند زمن محدد ولم يستمر . وكان في استخلاصهم للقواعد (أو قل الأنماط) خلط بين لغات القبائل المختلفة وبينها وبين اللغة المشتركة ، مما أنتج شواذ عدة ، وأنماطاً ليس لها من الشواهد إلا ما ندر ، بل غلبتهم القواعد حيناً فجعلوها حكماً للنصوص التي كان يجب أن تكون هي مصدراً للقاعدة وليست محكومة بها ولكن تجربتهم هذه كانت عملاً عظيماً في حينه .

وذلك كله ـ بعد ـ تصور وأمل نرجو الله تعالى أن يقيّد له من يجعل منه واقعاً » .

* * *

أهمية التطور

●● ويتحدث الأستاذ عبد الحليم عبد الباسط عن أهمية تطوير النحو العربي قائلاً :

« تبدو أهمية تطوير النحو العربي واضحة جلية إذا نظرنا إلى اتجاه

العلوم في العصر الحديث حيث يتضح فيها **ظاهرة التخصص والتمييز** ، بحيث أصبح كل علم منها له أسسه ومبادئه التي يقوم عليها دون أن تختلط به فروع أخرى من فروع العلم .

وإذا أنعمنا النظر في النحو العربي من حيث تقسيماته وتعليلاته ومن حيث نظرية العامل فيه ، ومن حيث اختلاف علمائه لوجدنا أن هذا العلم قد اختلط بعلوم أخرى فلسفية وعقائدية . وسنأخذ نظرية العامل ـ وهي لب ظاهرة الإعراب ـ مثالا لما نقول لندرك مدى هذا الخلط المقيت بين النحو وغيره من العلوم . فالنحاة يرون أن الحركات الإعرابية إنما هي أثر لمؤثر أوجدها ، والعقل لا يتصور وجودها دون هذا المؤثر ، وهم في ذلك متأثرون بما ورد في **علم الكلام** من أن لكل حادث محدثاً ، ولكل موجود موجداً ، فلا مخلوق بغير خالق ، ولا مصنوع بدون صانع .

وإذا راجعنا بعض قواعد النحاة في العامل هالنا هذا التوافق العجيب بينهم وبين آراء علماء الكلام ، فكما لا يصح أن يكون للأثر الواحد مؤثران يوجدانه معاً في وقت واحد لا يكون للمعمول الواحد عاملان ، وكما لا يوجد حادث بدون محدث فكذلك لا توجد حركة إعراب بدون عامل أوجدها ، ولا يصح أن توجد هي نفسها ، لأنه كما لا يستطيع المخلوق أن يخلق نفسه فكذلك يستحيل لتلك الحركة أن توجد بدون موجد .

ولا ضير على النحاة في الماضي من أن يكونوا قد عايشوا الجو الثقافي العام فتأثروا بعلوم شاعت وذاعت في أيامهم ، إنما العيب كل العيب أن نظل نحن متعبدين بذلك الخلط العجيب دون أن نواكب هذا العصر الذي نعيشه حيث تحددت العلوم وتميزت ، ولذا فإن تطوير النحو العربي أصبح الآن ضرورة تفرضها روح العصر الحديث الذي ينزع للتخصص والبعد عن الخلط والاضطراب .

كذلك تبدو أهمية تطوير النحو العربي إلى ما يؤديه من وظيفة في ضبط اللسان وتأليف الجمل ، ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ، ويسلم النطق من الخطأ في الكتابة ، ثم ما يؤديه من فهم التراث العربي والإسلامي فهماً صحيحاً يؤدي إلى تذوقه وتمثله أيضاً .

وإذا أردنا أن نبحث الآن عن هذه الوظيفة وهل هي متحققة أفجعتنا الحقيقة المرة بما يدعونا إلى بذل الجهد الضخم للتطوير . فإذا أردنا أن نلتمس الكلمة الصحيحة التي برئت من الخطأ النحوي لوجدناها في الكتب المؤلفة ، وفي بعض مقالات الصحف ، وفي الندوات العلمية التي ربما لا تخلو هي الأخرى من بعض الأخطاء .

وقد أخفق النحو العربي عن أن يؤدي وظيفته بسبب عوامل متعددة ، منها ما يتعلق بموضوعاته وطرق عرضها ، ومنها ما يرتبط بأسلوب دراسته وإعداد معلميه .

ويمكن لمن يريد التطوير أن يضع مستويين للدرس النحوي : أولهما الدرس النحوي للمراحل الدراسية بالمدارس والكليات غير المتخصصة ، والثاني الدرس النحوي للكليات والمعاهد العليا المتخصصة . أما المستوى الأخير فلن تمتد إليه يد التطوير بل يترك النحو فيه بمطولاته وشروحه وحواشيه ، على أن تكون دراسة مناهجه وأصوله مقدمة على أبوابه وفصوله .

أما المستوى الأول فمن الواجب أن يقوم الدرس النحوي فيه على مرحلتين :

● **الأولى :** وتستمد قواعدها من تلك اللغة المشتركة التي يفهمها العربي من المشرق العربي حتى مغربه ومن شماله حتى جنوبه ، وأقصد بها **لغة الصحافة والإذاعة** بما فيها من مقالات وأحاديث ، ومن تلك اللغة نعقد القواعد المبسطة التي يمكن أن يفهمها المثقف ، وبذلك نعمل على تبسيط قواعد النحو تبسيطاً يمكن أن يستفيد منه المتعلم أياً كان مستواه .

● **أما المرحلة الثانية** : فتستمد قواعدها من **لغة القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم** وكتب الأدب والتاريخ وسائر العلوم التي خلفها أجدادنا .

على أن هذا التطوير للدرس النحوي لا بد أن يصحبه إعداد جاد لمعلمي النحو ، إعداد مهني وإعداد فني ويمكن أن يستفاد في ذلك بمقررات مؤتمرات إعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي .

هذا ما نراه في أهمية تطوير النحو العربي وطريقته ، ولن نستطيع أن نحقق شيئاً من ذلك إلا إذا تضافرت الجهود وخلصت النيات وصدقت العزائم .

لقد قدم علماؤنا الأوائل مجهوداً ضخماً في جمع اللغة وتقعيدها ، وقد بذلوا ما في وسعهم لكي يكون منهجهم سليماً ـ من وجهة نظرهم ـ وقد تحملوا في ذلك الصعاب ، فلم تكن عندهم تلك الوسائل الحديثة التي توفر مجهودهم كما هي موجودة لدينا الآن .

ويبدو لي أنه متى اتضحت الرؤية وحدد الهدف من التطوير فإن كل شيء يصبح سهلاً ميسراً ، لكن ذلك يقتضي بذلا وعطاءً ومجهوداً ضخماً من قبل المتحمسين لهذا التطوير » .

الحــواشي

(١) دار الصادق بيروت ، ص ٨ ، والخاتمة .

(٢) للكاتب مقال نشر في هذه المجلة في العدد ٢٤ ، ص ٣١ .

رحلة في كتاب



الغد... لم يأت بعد!



تأليف:
ميشيل بونياتوسكي

عرض وتحليل:
جمال بدران

كلما وقف القارئ أمام واجهة عرض الكتب ، شدّته عناوين صارخة ، أو أخرى تدخل ضمن اهتماماته ، أو يجتذبه غلاف بريشة فنان . . صمّمه متشبعاً بما استوعبه من موضوع الكتاب ، ولا أقصد أن تكون لوحته معبرة عما قرأه ، أو موجهة إلى ما في مضمونه ، وإنما هي تستوقف الناظر ، تدعوه للمشاركة . . فتكون الوقفة مزيجاً من الإعجاب ومن التأمل .

وكتابنا بعنوانه وبلوحته هو من هذا النوع الإيجابي ، أصرّ الفنان أن يحدد مكاني أنا الواقف أسفل اللوحة ، بين المياه الساكنة ، ألمح نهايتها عند خط الأفق ، تداخلت ألوانها . . فلا تعرف إن كانت زرقة أو دكنة ، بينما بدا خلف الأفق طرف مقوّس لكوكب ، شابته تجعّدات باهتة ، لا تعرف لها كنهاً ، فلا هي بالمرتفعات ولا هي بالفواصل ، وإنما هي انحناءات من التيه ، زرقاء وبيضاء ، وهكذا توحي بالغيوب ومتاهاته ، أمام خلفية داكنة تماماً ، تملأ بقية اللوحة ، لا يفيقك من حلكتها إلا العنوان واسم مؤلفه ، **لتعرف أنك أمام كتاب المستقبل أو الغد . . الذي لم يأت بعد .**

● هذا الكتاب يشارك العالم كل فجر جديد، فهو يحلل القواعد البدئية التي كانت تقود الحياة والمجتمعات.. ثم يقف متسائلا عن الغد.. كيف يكون؟!

والمؤلف **ميشيل يونياتوسكي** ـ وزير الدولة الفرنسي سابقاً ـ كان قد ألّف منذ عشر سنوات كتاباً بعنوان « **اختيارات الأمل** » تحققت منه ـ إلى حد كبير ـ أمنيات كانت أقرب إلى التنبؤات ، مما ألزمه بضرورة إلقاء نظرة أكثر حداثة ، على ما تحقق ، وعلى ما ينتظر في السنين الآتية . . **بعيداً عن كهانة السياسة** ، أو **خطرفة التفلسف** .

. فهو يشارك العالم كل فجر جديد ، يحلّل القواعد البدئية التي كانت تقود الحياة والمجتمعات . . **ثم يقف متسائلاً عن الغد . . كيف يكون ؟ . .**

على ضوء اضطرابات العالم الحاضر ، هل بإمكان هذه القواعد الثابتة ، أن تؤدي دورها ثانية ، فتقوم دفعة واحدة ، بصنع النقلة من المجتمع الصناعي ـ المنهار تحت أبصارنا ـ إلى المجتمع العلمي والمثابر Jelematique ، إلى هذا الذي نرضى به ؟ .

إن مصاعب اللحظة الدقيقة ، أو المخاض المؤدي على وجه الخصوص إلى التغيّر الإنساني ، لا يعيرها المؤلف اهتماماً ، بقدر ما يهتم ـ في فصول مبتكرة ـ بالتوصل إلى حلول تسمح لنا بالهرب إلى مغامرات أكثر تأثيراً .

إنه يبدأ بإنسان ما قبل التاريخ ليصل إلى الإنسان المنسّق ، بأوروبا القائمة إلى **عصر الجغرافيا السياسية** ، بالحدود وحمايتها إلى **المحو الذري** ، من الفوضى الاقتصادية الدولية إلى الانهيار . . ومن ثم فلم تفته مشكلة تهمنا من الموضوعات الضخمة . ومعنى هذا فإن المؤلف ـ **لأول وهلة** ـ قد أفرغ كل ما في جعبته من أبحاث ومعلومات وتوقعات . . في بحث متفرد تماماً ، متأثراً بإحساسه بالحدث كمؤرخ وفيلسوف متمكن .

فهل يعيننا وضوحه على فهم تلاحم عالمنا ؟ فلنعرض لفصوله . ونرى . . .

إن عشر سنوات بين كتابه السابق وهذا الكتاب ، ليست بالكثير . . ومع ذلك فإن شروخاً من التصدع بدت ، مخلّفة للعالم الذي نعرفه نهاية واضحة . . في الوقت الذي يبرز فيه عالم جديد . **هذا العالم الجديد . . ماذا سيكون ؟** ، والسؤال يستدعي على الفور سؤالا آخر . . **ما هو دورنا في العالم الجديد ؟** . . ذلك لأنه ـ ربما ـ يكون الخضوع ، كما قد يكون التأثير والتوجيه . . بتعبير أنصار التحديث المأمول .

هذا التحديث أو هذه الحداثة . . **بماذا تنبئ ؟** . . إن أقطاب ثلاثة تفرض نفسها على انتباهنا . هي ـ للوهلة الأولى ـ الدخول في **المجتمع العلمي** ، ثم **الثورة المثابرة** ؛ وأخيراً **عالمية المشكلات الاقتصادية والسياسية** مع التأكيد على وجوب أسبقية البحث الشامل والوحدة الجامعة .

تلك هي الأقطاب الثلاثة التي قلب تحليلها الفكر ، عن موقعنا في العالم ، وعما ينتظر له بالقدر نفسه .

ثلاثة أقطاب ينعكس صداها باسم مخالف . . الوسط . . وسط فوق العالم نحن بسبيل تركه ، وسط فوق القواعد الراسخة . . الفعّالة . . التي اكتمل تنظيمها بتوجيهاتنا الحالية . بحياتنا كإنسان ومجتمعات ، حياة تحدد إيقاعات حركة كل ألف عام ، فتقاوم تصدّع الطبيعة ، وتقاوم ـ فيما بعد ـ كل حركة جديدة تحاول الهرب ـ من جهة ـ إلى قواعد ماضية ، وتجذبنا ـ من جهة ـ إلى اتساع مختلف . ذلك لأن المجتمع العلمي يفرز قوانينه الخاصة ، وهذا ما يوجب علينا أن نضعه نصب أعيننا .

إن المؤلف يحاول استشراف عالم الغد ، كما لو كان يتسلل ببطء من الضباب ، من مجرّة طيف المستقبل ، لكنه الآن ناصع بما نعلمه . فما قبل التاريخ ، وبدء التاريخ ، والتاريخ ذاته . . قد اصطدمت بثلاث ضربات



هائلة في عالمنا المرئي، قبل أن ترفع الستار عن الأزمنة التي حملت لنا التغيرات الشاذة والمخاطر الغامضة. فإذا نجح العالم، بهذه الضربات المنطلقة تتابعاً من كشّاف المرئيات الهائلة، لأعطى إحساساً بأنه ــ مع اضطرابه وخوائه الواضحين تماماً ــ يمكن أن يتجه نحو توحّده. عندما يصير هذا الإحساس حقيقة.. وهذا بالطبع متناقض مع ما يؤكده عنوان الكتاب الذي بين أيدينا، **ستصبح للمستقبل أسبقية كتابة جانب ما.. والآن**.

الحركة

قدّم المؤلف هذا الفصل بشعار للفيلسوف الإنجليزي **فرنسيس باكون** بقوله: «**لا تدبير لأمر في الطبيعة إلا بالانصياع لقوانينها**».

فالإنسان ليس حادثاً أعجوبياً، وليس مخلوقاً استثنائياً في الطبيعة.. إذ إن الأعجوبة هي في بزوغ الحياة.. فمنذ مليارات السنين، حدث في حقبة محدودة، غليان دوّار، يلفّ بلظاه حول مدار، حاله مثل كل الأشياء الأخرى. وانطلاقاً من هذا العنصر الأول للحياة، ترابط ما تلاه من تطور، كل في لزومه المنطقي. فالمنوال قد أدى دوره، بشكل معتاد، وطبقاً لقوانين دقيقة، خلال مليارات السنين، لكي يُفضي إلى العالم الذي نعرفه، وإلى الموضع الذي يشغله الإنسان.

إن النقطة الخفيّة هي نقطة المعجزة.. الإعجاز، إلا أن عملاً طويلاً من الاختيار، التطور، التحول، خضع دائماً لنواميس متماثلة، من خلال خمسة ملايين نوع ــ تقريبا ــ طافت على مدارنا، **هي التي انتهت اليوم إلى مليون نوع باق**.

ولفهم هذا البسْط للحياة، يستوجب الأمر إلقاء لمحة على تاريخها، وما من ريْب أن أفراداً يصيحون بقولهم دهشة، «**تاريخ التطور، وما قبل التاريخ هما منعطفات عقيمة بجانب رؤية سياسية لمشكلاتنا الحاضرة، وللعقبات الآخذة في التراكم للغد!!**».

لكن **يونياتوسكي** يردّ عليهم بقوله «**إنني أفكر بشكل آخر لأن.. تطوّر الحياة قد خضع منذ مئات الملايين من السنين لآلية دقيقة. سنوات التزمت بكل الأنواع، كائنات وآدميين. فقنّنت لكل تحوّلات الكائن الحي منذ البدء**».

ومن ثم فقواعد هذه اللعبة ــ على حد قوله ــ لا بدّ من الإلمام بها جيداً، واستيعابها في استخدامها بدون توقف. ولأن الإنسان الصامد كالطود يحتاج لها منذ الأزل، فهو ــ لأول وهلة ــ يحتاج لطبيعة حاسمة، لطبيعة لها موضوعاتها، مناهجها، هياكلها. **كل هذا يعني أن المجتمع العلمي الذي ندخله يبرر قواعده، ويعكسها أيضاً في بعض الأحيان. ومن ثم فعلينا أن نميّز الطيب منها لصوْنه بكل ثمن**.

كذلك ــ من وجه آخر ــ يقال إن المجتمع العلمي، يقتضينا التعامل مع قواعد جديدة أكثر تعقيداً وأكثر تبياناً عن تلك التي حكمت تقدمنا الحيوي حتى الآن. فالقوة العلمية الأسمى والتقنية للنوع الإنساني، قد أذنت له بالالتزام في إطار الحركة الهائلة للكائنات الحيّة. إنه قادر ــ اليوم ــ على تغيير القواعد للكائن الحي بنفسه. لكن هذه القدرة جعلته ينسى أن الإنسان ــ لكونه فرداً ــ مقتصر على نوع.. نوع فائز، لأنه عرف كيفية استخدام قواعد الحياة وأصولها. وتصبح الخطورة والمخاطرة ــ في مجتمع بلا ذاكرة ــ أن يحطم المعادلات الحيوية الأساسية دون أن يقيم قواعد أخرى.

الدويّ القاصف Big Bang

تعلو الضجة بقدر كبير حول ماضينا ، ونتكشف حقائق أكثر دقة . أما من جهة البدء ، من جهة ما قد سبق ، من جهة التصوّر لشكل مدارنا . . خضعنا للافتراضات العلمية والعامة أيضاً .

فمن الأصل . . **هل عالمنا هو النتيجة لانفجار ذري بدئي ؟ هل هو حالة ساكنة منذ زمن أزلي ؟ هل هو متجدد ، تكون المجرات فيه متناثرة بلا توقف ، ولكن كثافة مادة العالم تظل باقية بفضل ذرّات جديدة ؟ هل هذا منهج متطور – انطلاقاً من طاقة أولية – مانحاً المولد لمقادير متساوية من مادة ولا مادة متجمعة (ومتدافعة) في مجالين مختلفين ؟ .**

أين هذه الحركة الدائمة من تمدد المجرّات ثم انكماشها ، كنوع من « **تنفس** » دائم للعالم ؟

الكل ممكن ولا شيء مبرهن .

فالقضية الأكثر اجتذاباً هي ما يدور النقاش حولها باسم « **الدوي القاصف** » أو بوم الهائل . فالعالم المدعم بطاقة مشعّة (**آتية من أين ؟**) في درجة حرارة لا متناهية ، قد انفجرت وشرعت عناصرها في التمدد ، وإعادة التبريد .

وفي الحق ، إن الطاقة والمادة ، تبعاً لمبادئ **النسبية** هما صورتان لحقيقة بعينها ، قادرتان على التحول من واحدة لأخرى . فالمواد المعادة التبريد بالتمدد هي التي بقيت لمجرّاتنا ولمنهج الحياة الشمسية . هذا التمدد المتتابع يسمح بحساب التاريخ التقريبي للانفجار البدئي ، مبيّناً سرعة تباعد الكواكب . هذه التقريبية هي التي حسبت الخمسة عشر ملياراً من السنوات .

في هذا المنوال المتواصل لتبريد أسلوب حياتنا الشمسية . . تشكلت الأرض ، تبعاً لتصادم بين الشمس وبين كوكب آخر ، أو مصادمات الغبار الذري وعناصر الغاز ، أو كذلك في شكل من السديميّات منتزعة من الشمس التي كانت قد واصلت الدوران حول نفسها . في هذا الافتراض العلمي الأخير ، الأقل استحالة ، تعيد المواد الغازية تجمّدها وتتجه الأرض إلى درجة حرارة انخفضت جداً بالضغط (**تكثيف المعادن الصلبة**) .

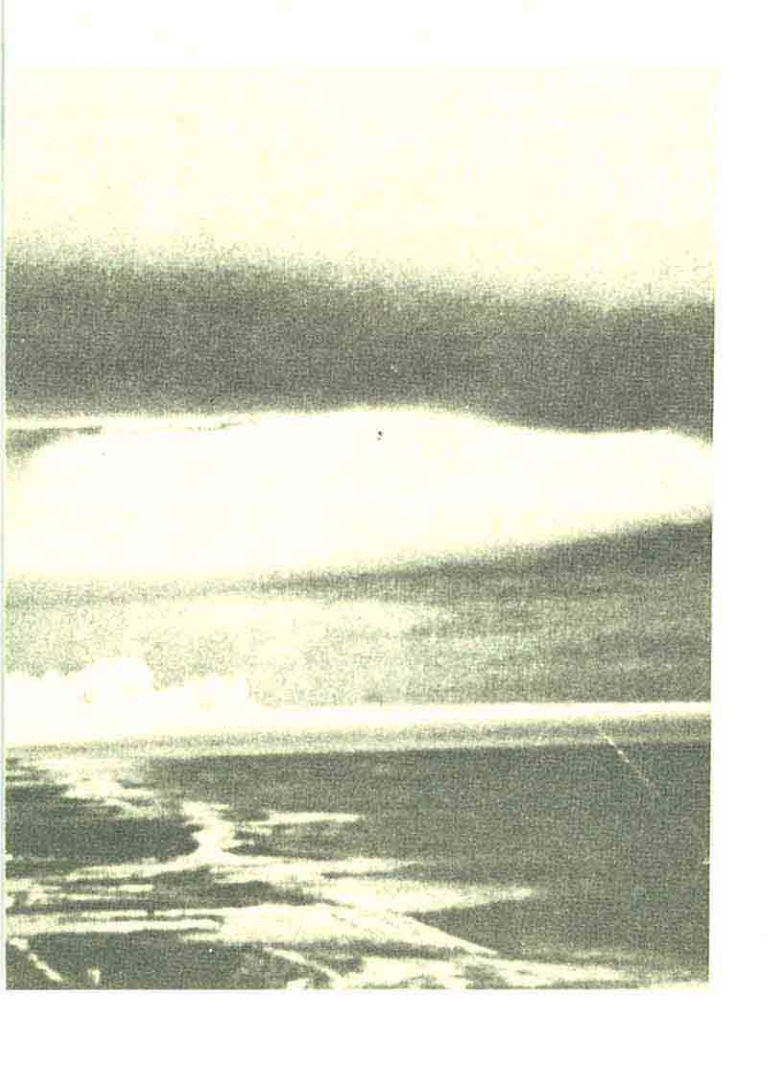
وعلى مدى مليونين من السنين ، واصلت الأرض الفوران والارتجاج ، فصعدت العناصر الأكثر خفة محمولة إلى السطح المنحدر بمسيلات محدّبة .

هكذا تشكلت – ببطء – أول كتلة صلبة فوق هذا السطح ، انقسمت – بدورها – شيئاً فشيئاً إلى قسمين ، مضت حوالي مئتي مليون سنة لتخليق القارات بنجاح ، كهذه التي نعرفها . وتلك التي وُجدت من قبل أقرب إلى الصور التي وُجدت منذ ٦٥ مليون سنة .

ظهور الحياة

أستدرك المؤلف بحثه العلمي هذا بقوله . . « **لكن الحياة كانت قد ظهرت على مدارنا من قبل ذلك بكثير ، ظهرت مبكراً جداً ، منذ ثلاثة مليارات من السنوات . ليست بالضرورة حياة هذا العنصر المستثنى** » .

ويواصل توضيح الفكرة فيقول : « **تكرار التجمع الاستثنائي لعناصر متفوقة وضرورية ، هو كالفرصة المستثناة بين كل العقبات القاهرة التي تجعل من الحياة على مدار آخر أمراً يبدو لنا مستحيلاً من قبل** » .



فلمساندة الأفكار، بين عشرات الآلاف من المعطيات، يجب تصوّر مقتضيات تكون معقدة من قبل بشكل غير محدود.. حتى تبدو أساسية أو بدئية:

- توافر **الماء** المكوّن من عناصر حيّة بنسبة تتراوح من ٦٠ إلى ٩٠٪.
- درجة **حرارة معينة، قصوى من ناحية (٦٥° للكائنات المعقدة، ١٠٠° للبكتيريا)، ودرجة دنيا من ناحية أخرى.**
- **توافر الأوكسجين** الذي يخلّص **الطاقة** الضرورية للنشاط، مرتبطاً بالكربون. وعلى النقيض، لو فكرنا في مليار من الوسائل الشمسية، وفي عصر جيولوجي متكون خلال مليار من السنوات، فإن عدد الممكنات، الصدف، المناوبات، ليبدو غير محدود.. بحيث أن غير الممكن يكون شكلاً ما من حياة، لم يكن ظاهراً في موضع آخر.. فمهما كانت صفة هذا «**الموضع الآخر**»، وُجد أن الحياة.. عن طريق أول مصادفة سعيدة، قد دعمت على الأرض من غليان ذرّات الكربون.

الجزيئات الكبيرة

لقد هيأ تركيب الجزيئات الكبيرة عملاً للأجسام البسيطة في الجو البدئي، كما يرسخ أيضاً عناصر مناخ المدارات الهامة: ماء، حامض الأمونيوم، غاز الميثين، والغاز الكربوني.

بهذه التركيبات تسيل الأجسام الأولى شيئاً فشيئاً إلى سلاسل كربونية بسيطة، فتشكل عدداً صغيراً من ذرّات **الكربون، والسكريات، والكحول، وحامض الأماين**. كل هذا.. تدحرج من **المحيطات** البدئية إلى **البحيرات** الساخنة، على مدى ثلاث ألف من السنوات.. ليبزغ بصيص الحياة، وتستقر كائناته.

من كل هذه التوضيحات ـ التي رآها المؤلف ضرورية لتهيئة ذهن القارئ ـ ينتقل إلى المجتمع أو النوع الاجتماعي، أو ما يسميه **يونياتوسكي «ما فوق الفرد»**، باعتبار أنه عرك الحياة الاجتماعية قبل الإنسان.. **فما هو أو بالأصح من هو؟** يجيبنا وزير الدولة بقوله.. «**هو المركب الذي يستمد منه كل عنصر نشاطاً خاصاً**» (الملكة، النحل، الزنبور؛ عائلة الشمبانزي النامية؛ قطيع الثدييات.. إلخ).

الحياة الاجتماعية

لا يهتم المؤلف بتعريفها، بقدر اهتمامه بمضاهاتها بخطوط نمو الحيوانيات العضوية، فيقول إنها هي الخطوط البيانية نفسها، بمعنى أنها تلك التي تسمح بوظائف جديدة لم يستطع الفرد أو الخلية المنعزلة أن تستكملها.

فالمجتمع إذن ذو فاعلية أعلى، هو أكثر وضوحاً من الوحدة. لكن الكمال الاجتماعي يتخذ مظاهر تبعاً لأنواعه.. فهو حيوي لدى الحشرات، حيوي ونفسي لدى الفقاريات، نفسي على وجه الخصوص لدى البشر.

ينتج مما سبق، أن تتحول المادة وتتقدم تبعاً لناموس دائم يمكننا به إحلال التواريخ: جزيئات أولية حيّة كبيرة (بين ٣ و ٤ مليارات من السنوات)، هلاميات أولية (ـ ١٢ مليون سنة)، مروراً بالفطريات البيضاء، الإسفنجيات، ثم الفقاريات الأولية (ـ ٦٠٠ مليون)، حيوانات لا فقارية (ـ ٥٠٠ سنة)، الأسماك الأولية ذات التكوين العظمي (ـ ٥١٠ ملايين)، النباتات الأولية الأرضية (ـ ٤٤٠ مليوناً)، الحشرات الأولى (ـ ٣٦٠ مليون)، الزواحف الأولى (ـ ٣٥٠ مليوناً)،

الديناصورات الأولى والثدييات الأولى (ـ ٢٣٠ مليوناً)، النباتات الأولى ذات الزهور والطيور الأولى (ـ ١٣٥ مليوناً)، القرديات الأولى (٧٠٠ مليون)، النسانيس الأولى (٣٥ مليوناً)، يبقى المنوال نفسه.

معنى هذا أن التطور الحيوي للكائن الحي يخضع لمبادئ دائمة:

●● **المطابقة:** فما هو مدى حدودها، الوحدة الحيوية، حتى الخلية الموحدة تتبع أحسن مطابقة ممكنة في نطاقها. في شكلها الأعلى فإن هذا الميل للمطابقة يتحول إلى تسلّط على الأنواع الأخرى.

●● **التخصيص:** يمتد مجهود المطابقة إلى بزوغ الخلايا، وحدات أو كائنات ممارسة، داخل مجموعة ومن أجل الفاعلية الأكثر عظمة من تلك الخلايا، لوظائف دقيقة.

●● **المركّب المتنامي:** ينبثق عن التخصيص، ويعيد المجموعة دائماً أكثر وضوحاً. إنه يقدّم الأنسجة النباتية كالحيوانية بإتقان، يقدم الوسيلة العصبية والأجهزة العقلية. فينمّي تفاعل الوسائل داخل الأنواع الاجتماعية، ويحرر الفرد الذي يبدو مستحقاً لدور منفرد.. لا لوحدة غير ذات أهمية. هذا الإلحاح على الحرية هو تقدم الفرد في حدود نطاقه حتى يفرغ من مهمته.

●● **ما فوق الفرد أو المجتمع:** مثلما رأينا الجزيء، والخلية، والتوالي والمجتمع، فإن العناصر أو الأفراد التي توجد على السطح السابق تتقدم في تماثل بالحالة المتوحدة، لتشكل مجموعة قادرة على إجابة أكثر قوة على تحديات النطاق المحيط.

نستخلص من هذا كله أن هذه الأسس هي التي تشكل الإطار العام للتطور، نعم هناك قواعد أخرى جانبية لكنها هامة أيضاً للتدخّل: كالاختيار الطبيعي، والميل للنمو الشامل، والعزل الجنسي للأنواع.. إلخ. إنها ذات قيمة لكنها تنطبق على الباطن فقط.

حركة الإنسان

من المسلّم به أن حركة الإنسان تدوّن ضمن إطار الحركة العامة للحياة. ولتمثّلها يجب أن نتذكر حقيقتين:

ـ **المبادئ والقواعد**، التي تصدّرت تطوّر وتحوّل الحياة، حتى في شكلها البدئي، تنطبق أيضا على تطوّر إنسان الكهوف والإنسان بعدئذ.

ـ **في تاريخ الإنسان الحيّ، أي الإنسان المسجّل لمدة محدودة..** تثقل كتلة الماضي الهائلة بكل وزنها فوق عشرات الملايين من السنوات للإنسان. هذه الكتلة قد أحكمت بالضرورة ما حدث، وستحكم بشدة مستقبله أيضاً.

لهذا فإن المؤلف يلجأ إلى المنهج الرياضي والاختزال.. في ضغط ما مرّت به الحياة كلها من سنوات التحول هذه.. فيقول «**إن ما قبل التاريخ، الغامض منه والمنسي على السواء، ليكمن اليوم أيضاً، وبشكل ملح، في جسد الإنسان، في ذهنه، في غرائزه، يكمن في كل صور طبيعته الإنسانية**». كما يواصل التوضيح بقوله «**إنه ـ في هذا الأمر ـ أداة تمثّل المكان، أداة شديدة الاختصار من تاريخ الإنسان داخل تاريخ الحياة المعتمد على ردّ الزمن المنصرم إلى الصواب منذ أن شكلت الأرض.. ربما منذ ٥ مليارات من السنوات، ردّها إلى مرق سنة واحدة**».

من عملية الاختزال هذه.. جعل اليوم منها مطابقاً لـ ١٣,٧٠٠,٠٠٠ سنة من التاريخ الأرضي. وكل ساعة مطابقة لـ ٥٧٠,٨٣٣ سنة. وكل دقيقة تتطابق مع ٩٥١,٣ سنة، وكل ثانية مع ١٥٨,٥ سنة تماماً. وعلى أساس هذه «السنة الموحدة» يعيد **يونياتوسكي** الأحداث الرئيسية لحركة الحياة، في بيان على النحو التالي:

أول يناير: تشكيل قشرة الأرض.

٢٦ مايو: ظهور الأميبا الحية.

١٨ أكتوبر: فطريات بحرية بيضاء وإسفنجيات.

١٧ نوفمبر: فقاريات أولى.

٢٤ نوفمبر: إسفنجيات وحيوانات لا فقارية مندثرة، فقاريات أولى.

٢٨ نوفمبر: نباتات أولى أرضية.

أول ديسمبر: أسماك أولى.

٤ ديسمبر: حشرات أولى.

٥ ديسمبر: زواحف أولى.

١٥ ديسمبر: ثدييات أولى وديناصورات أولى.

٢١ ديسمبر: طيور أولى، ونباتات مزهرة أولى، اندثار الديناصورات.

٢٣ ديسمبر: نسانيس أولى.

٢٩ ـ ٣٠ ديسمبر: كائنات أولى ذات طبيعة حية.. بروكونسول.

تخليق السلاسل المرتقية.

في اليوم الحادي والثلاثين من ديسمبر (كانون الأول) في هذه «**السنة الموحدة**»، في هذا اليوم الأخير تم التعرّف على خليط من الأحداث الهامة.

عندما قاربت الدقيقة الأخيرة من السنة الانتهاء.. حيث كان القنّاص وصائد الأسماك موجودين، صار الإنسان زارعاً ومربياً، وفي لمح البصر تنساب كل أحداث تاريخنا القريب؛ إمبراطوريات النيل، ودجلة، والفرات، الصين، الإسكندر، شرلمان، العصر الوسيط، النهضة، الاكتشافات الضخمة، بونابرت والحربان العظميان.. حتى حلّت سنة ١٩٧٨م، في أقل من ١٠/٢ من الثانية عند أواخر القرن وفي عام ٢٠٠٠م، يكون آخر حسابنا.

هنا يبدأ المؤلف في استشراف الغد.. متتبعاً المجتمعات منذ أن استقر الإنسان على أرض يزرعها ويفلحها، حيث وجد نفسه متمتعاً بثلاث هبات تميّزه عما عداه.. وهي.. **القدرة على الملاحظة**، أي تعلمه كيف يتدخل فيما يحيط بنا؛ ثم، **الميل إلى التطلع طواعية في محيطه وإلى تغييره**؛ وأخيراً، **انجذاب طبيعي للحياة في مجتمع، في الدنيا الحيّة**.. التي لم توجد قبله بطبيعة مركبة ومنظمة إلا لدى الحشرات.

لهذا فإنه وضع كل أنواع المجتمعات تحت عنوان «**حركة المجتمعات**».. وهي **المجتمع الزراعي، ومجتمعات الولايات الزراعية** حيث يطعّم التركيب الاجتماعي بوجود سلطة ريفية، وسلطات أخرى أكثر تطوراً مثل المدن الأولى وغيرها. ثم ينتقل إلى.. **مجتمع الدول الصناعية**.

فعندما صاحبت الاكتشافات النظرية تطبيقات عملية، نتجت عنها الفورة الصناعية. ونشرت الحضارة الصناعية إنجازاتها منذ عام ١٨٥٠م، فانقسمت الدول بين هذه التي تستخدم الطاقة البخارية وهذه التي استخدمت الفحم، الذي تزايدت كميات استخراجه من ٧٠٠ مليون طن عام ١٩٠٠م، حتى بلغت ١٨٠٠ مليون طن عام ١٩٥٨م.

كما تكاثرت الاكتشافات وتطبيقاتها في تتابع سريع.. بدءاً بإطلاق المنطاد، ومروراً بالهبوط بالمظلة من ارتفاع ألف متر، ثم **نظرية الذرّة، فالكهرومغناطيسية، التصوير، محرك البخار، التليفزيون**، المحرّك الآلي، **الموجات الكهربية، الطائرة، الراديو، محرّك** الديزل، **السينما، البارود**، النسبة العالمية، **الرادار، العقل الإلكتروني، المكبّر الإلكتروني، القنبلة الذرية**، أول طيران أسرع من الصوت، **أشعة لازر**. كلها اكتشافات تطبيقية، التزم فيها المؤلف بذكرها حسب ترتيبها الزمني بين عامي ١٧٨٣م، و١٩٥٨م.

وعلى الرغم من هذه الانقلابات الإعجازية التي تغلغلت في طريقة الحياة، في التفكير، في اتجاه الناس إلى عصر الصناعة، فإن أسس التطور تواصل القيام بدورها كاملاً فتبدو واضحة حتى في تطبيقها العالمي.

المجتمع العلمي مرحلة اليوم

إننا الآن في حالة عبور من المجتمع الصناعي إلى المجتمع العالمي.. إننا الآن في الحضارة العلمية، حالة التأهب لدخول المجتمع المنتظر عام ٢٠٠٠م، وما انتفاضاتنا الثقافية والاجتماعية الحادثة الآن إلا المخاض لمولد الجنين المنتظر، إنها كامنة فينا ومتأصلة في العمق وفي الجموع، ولم تعد أكثر من تطوّر متمهل يطبّق بأيدي النخبة الأقل عدداً، ومن ثم فهي أشبه بأمواج تدور في الأعماق لتلمس كل أجهزة المرصد، هذه الأمواج هي الإنتاج والفكر على السواء، هي أيضاً أوقات العمل والفراغ معاً، بل هي كذلك قوانين السلوك وأحلام الإنسان الخيالي. إنها هي التي تغيّر من الأساليب، ومن الرؤى وعلوم النفس.

ويزيد مؤلف الكتاب رؤيته وضوحاً، بأن يقدم بياناً مقارناً لملامح المجتمعين الصناعي والعلمي، ما معادن كل منهما السائدة، وعلى ضوء تحليل هذه الملامح ــ التي يلح على إيصالها لنا ــ يؤكد أننا حتماً سنجني ثمار المقارنة.. والبيان طويل نقتطع منه هذا النموذج لنلمس مدى جدية بحثه..

	المجتمع الصناعي	المجتمع العلمي
الطاقة:	كهرباء، نفط، فحم، محركات سرعة، محركات ضغط، محركات كهرباء.	طاقة نووية، ماء ثقيل، طاقة شمسية، حرارة أرضية، يورانيوم، بلوتونيوم.
مواد أولية:	حديد، صلب، نحاس، ألومنيوم.	بلاستيك، الممزوجات العالية. معادن جديدة: تيتانيوم، مغنسيوم.

من هذا النموذج المقتطع، يضطرنا الأمر إلى التساؤل.. **ماذا بعد؟ بعد اليوم**.. فلتأذن لي أيها القارئ العزيز، أن نقفز معاً عبر فصول كثيرة وتفاصيل أكثر.. فيها ثورة التنمية المثابرة، وجذور الأوروبيين أو بالأصح الهند ـ أوروبيين، ومدى تقبلهم لهذا الاستشراف العلمي. ولتأذن لي أيضاً بتخطي المشروعات الدولية الكبرى واستراتيجية الدول

العظمى ــ أو النخبة القليلة العدد ، لنتوقف قليلاً عند .... النظام الاقتصادي العالمي الجديد . .

ففيه لبّ الجواب ــ كما يقولون ــ . إن حطام رؤوس الأموال الناجم حالياً عن . . (**الفوضى والنظام الاقتصادي الدولي**) . . يعيد الحياة في أفكار « **النياكيزية** » وهم المترمّتون في رفض كل تجديد لهذا النظام الاقتصادي ، وهم جماعة ظهرت في فرنسا بعد عام ١٩٤٦ م ، واتسمت آراء أعضائها بالغباء والخوف ــ حسب قول المؤلف ــ الفطريين . ومن شعاراتها « **ليس من شيء إلا توقف كل شيء** » بمعنى أن الإصلاح الاقتصادي الوحيد المقبول هو إغلاق أسواقنا لحماية أنفسنا . وليس من شيء إلا زيادة الإعانات المالية . . إلخ . .

لا بدّ أمام إحياء مثل هذه الأفكار الساذجة ، والتي يجب تجاوزها ، أن يكون تحليل الظواهر الاقتصادية الحالية مستمراً وجاداً . . فها هو ــ على سبيل المثال ــ **ڤاليري جيسكار ديستان** ، منذ سنوات خلت (على وجه الدقة عام ١٩٧٢ م ، في مؤتمر الأمم المتحدة الذي انعقد في سنتياجو ، حاضرة شيلي ، يوم ١٤ أبريل (نيسان) ، قال عن التجارة والتنمية : « . . . **هي نوع من ضعف التنازل عن الحق ، حيث تبدو الوحدة الدولية فيها خائرة** » .

فعند الخروج من الحرب العالمية ، بدا الوضع بسيطاً : بقيت القوتان الأعظم وجهاً لوجه . فقسّم **مؤتمر يالتا** العالم تقسيماً مستبداً ، إذ وجدت الدول نفسها مقتسمة بدون مشاورتها بين معسكري التأثير . . **الولايات المتحدة الأميركية واتحاد الجمهوريات السوفييتية** . أخذ كل منها يحشد أعوانه في إطار محدد بالاحتلال أو الحماية .

ومنذ ثلاثين عاماً ، تغيّر العالم . . ظهرت إمبراطوريات صناعية جديدة . . دول عديدة في إفريقيا وفي آسيا . . توصلت إلى الاستقلال ، اكتشفت ثروات جديدة ، أثرت كل دولة على حدة ، فأثرت أكثر في الدول الأخرى . تطلعات ، آمال ، إباءات زلزلت رقعة شطرنج العالم ، تفجّرت حروب ، دخلت عوامل توازن جديدة .

عبر كل هذه الحركة الواسعة . ارتسمت دنيا أخرى تدين التيارين المتناقضين في الظاهر . دنيا احتوت على أقطاب متكاثرة . . . فلم يعد الأمر مقتصراً على الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، بل احتضنت أيضاً **أوروبا الغربية ، اليابان ، الصين** ، الدول المنتجة للبترول ، الدول الاشتراكية الأخرى غير الاتحاد السوفييتي ، الدول الآخذة بالتصنيع ، الدول اللانامية واللامنتجة للنفط . وبطبيعة الحال تحتوي كل واحدة من المجموعات على قوة خاصة ، لها احتياجات ، ذات تطلعات اقتصادية أو سياسية ، تعتنق دعوة مستقلة .

ويخصص المؤلف أوروبا الغربية بعد حديثه عن القطبين السابقين لها . . بقوله : بإمكان القيام بأدوار كثيرة في النظام الاقتصادي العالمي . ولا يحتاج الأمر إلا لمنطقة نقدية أوروبية هادئة بثقلها الخاص في حماية الدولار . . الدولار الأوروبي . . فلا يمكن الظن بأن الدولار وحده يستطيع أن يضمن تعويضات العالم الثالث لوقت طويل . ويحتاج إيجاد نقد أوروبي إلى تثبيت سعره ، وإيقاف التضخم في مختلف الدول الأوروبية . وبإمكان الإرادة الجماعية لهذه المجموعة الأوروبية أن نضع قوة حقيقية للعملة الأوروبية التي ستخضع حتماً للتوترات الحادة وللتوقعات .

ومن ثم ، فبإمكان العملة الأوروبية ، مع **الدولار والين** والعملات الأخرى أن تكون ممثلة لاقتصاديات قوية ، أن تشارك في إفساح المجال لقيمة نقدية دولية ، حيث كان غيابها مؤذياً جداً للعالم الثالث منذ نقص الدولار ، وبالتالي تصبح أوروبا محركاً هاماً للاقتصاد العالمي .

أما الإضافة الثانية التي يمكن أن تقدمها أوروبا كنظام سياسي فهي مساعدة دول العالم الثالث مثل : دعم دول المواد الأولية ، تنظيم أسواق الإنتاج والاحتياطيات . كما يمكنها تحسين مساعدتها المالية للدول الآخذة في النمو . هذا المجهود العملي ، لا يتم بالإيثار فقط ، وإنما بدفاع مدروس جيداً في إطار منافعنا الجماعية الحقيقية ، لاقتصاديات وأسواق العالم الثالث ، مزوّدة بإمكانات جديدة وضخمة لدول أخرى ، وعلى وجه الخصوص هذه الدول الداخلة في طريق التصنيع . . وهي على سبيل المثال . . **دول أميريكا اللاتينية** . . إذ انها لا تشكل للاقتصاد العالمي مشاكل فورية . فهي تجهّز المواد الأولية أو الطاقة ، وتلجأ في سبيل ذلك إلى المساعدات المالية من البنك الدولي .

هذه الدول يمكنها بالتأكيد أن تصطدم بعقبات في نطاقها الداخلي ، لكن توازن تعويضاتها هو في **الضمان الجماعي** . لكن مثل هذه الأقطار سوف تصبح تدريجياً منافسات لنا . . فهي تتزود بالمصانع التي سنضطر لبيعها لها بأحسن الشروط « **مفتاح يد** » أو « **ضمان رسمي** » .

وبعد . . فإن المؤلف لم يكلّ ولم ييأس من تأييد تحليلاته بشواهد من الحاضر ، من يومنا الذي نعيشه ، تارة في ميدان الاقتصاد ، وأخرى في ميدان السياسة والاجتماع ، وثالثة في ميادين العالم المتعددة . . على أمل أن نقف معه على عتبة الغد ، لا لنصفق إعجاباً بما وصل إليه ، وإنما لنخطو جميعاً معه عبر هذه العتبة . . إلى الغد الألفين . . **هل فهمنا هدفه ؟ . . لنا أن نعيد قراءة التحليل من أوله .**



موضوع خاص

الطاقة النووية
ماهيتها ومخاطرها

بقلم
د. فوزي أحمد الأحدب

في هذا البحث المقتضب، نحاول أن نعرض لمحات سريعة عن الطاقة النووية واستخداماتها السلمية ومحاذيرها؛ وقد اعتمدنا على أوثق المصادر العلمية محاولين أن نقدم صورة وافية ومختصرة عن هذا الموضوع دون أن نتعمق في الدقائق أو ندخل في التفاصيل.

ولا بد هنا من أن نسوق اعتذارنا إلى الأساتذة المختصين، ذلك أننا في محاولتنا تبسيط هذا الموضوع الذي يهم جمهرة من قرائنا، لم نتناول كل نواحيه لأنه موضوع طويل وشائك.

Courtesy of Carolina Power & Light Company, Raleigh, N. C.

★ الوقود المستهلك على شكل حزم مستطيلة يتم تغطيته آلياً في بحيرة التبريد ريثما يتم نقله بعيداً إلى مناطق غير مأهولة ★

العصر النووي

نحن نعيش في عصر الذرة، تلك الذرة التي تكمن فيها طاقات هائلة، استطاع الإنسان أن يستغلها عندما استطاع التوصل إلى **شطر الذرة وتحطيم النواة**. واستطاع الإنسان أن يستغل هذه الطاقة في صناعة أسلحة التدمير الشامل، كما استطاع أن يستخدمها بشكل سلمي، مسخراً إياها في أغراض كثيرة في حياته اليومية، فاستخدمها **في البحث العلمي وفي توليد الكهرباء** وإدارة محركات **الغواصات وفي الطب والزراعة والصناعة**. وهكذا فإن الطاقة النووية قدمت للإنسان الكثير، وما زالت تعده بالكثير.

وقد بدأ **العصر الذري** (النووي، وهو الأصح) سنة ١٩٤٥م، عندما تم **تفجير أول ثلاث قنابل ذرية**. ففي ١٦ تموز (يوليو) **١٩٤٥م**، تم تفجير أول قنبلة ذرية تجريبية في الولايات المتحدة بالقرب من **قاعدة (الامو غوردو) الجوية في نيو مكسيكو**. وفي السادس من آب (أغسطس) ١٩٤٥م، قامت قاذفة قنابل أميركية بإلقاء أول قنبلة على **مدينة (هيروشيما)**[1] في اليابان، واستطاعت تلك القنبلة الذرية الصغيرة أن تدمّر تماماً كل المباني في منطقة تتجاوز مساحتها أربعة أميال مربعة، وبلغ عدد القتلى والمصابين ما يزيد عن مائة ألف شخص، إضافة إلى انتشار كميات هائلة من الإشعاعات والغبار الذري الذي أدى إلى وفاة كثير من الناس في الأيام القليلة التي تلت الإنفجار. وبعد ثلاثة أيام من ذلك التاريخ، تم إلقاء قنبلة أخرى على **مدينة (ناغازاكي)**، أدت إلى استسلام **اليابان** على الفور.

وهكذا كانت القنبلة الذرية، أشد الأسلحة التي ابتكرها الإنسان للهلاك والإبادة، إيذاناً بمولد العصر النووي. وبدأت كلمات (الذرة والإشعاع والطاقة النووية) تتخذ مفاهيم جديدة لم تكن معروفة لدى عامة الناس.

وجدير بالذكر أن تلك المفاهيم كانت معروفة لدى قلة من العلماء منذ ما يزيد عن نصف قرن من الزمن قبل أول تفجير ذري. فقد عرف هؤلاء الأشعة السينية (أشعة × أو رونتجن) والذرات المشعة والنشاط الإشعاعي. وقد كانوا يدركون أن في **(نواة)** كل ذرة تكمن طاقة هائلة يمكن استخلاصها عن طريق تحطيم النواة أو فلقها.

ففي عام ١٨٩٥م، اكتشف الأستاذ **(ويلهيلم رونتجن)** Roentgen الأشعة السينية وأسماها **أشعة ×** أو **الأشعة المجهولة**؛ وقد استطاع أن يولدها عن طريق مصباح خاص مفرغ جزئياً من الهواء مع استخدامه جهداً كهربائياً عالياً. واكتشف (رونتجن) أن الأشعة تخترق الأجسام الصلبة كالمعادن والخشب وجسم الإنسان كما تستطيع أن تُسَوِّدَ أفلام التصوير كما لو أن تلك الأفلام قد تعرضت للضوء. واستطاع (رونتجن) أن يجمع بين خاصية اختراق الأشعة لجسم الإنسان وتأثيرها في ألواح التصوير، فاستخدمها في الطب لتصوير الأنسجة الصلبة داخل جسم الإنسان.

وأعقب ذلك اكتشاف الفيزيائي الفرنسي **(أنطوان بيكريل)** Becquerel أن بعض فلزات (اليورانيوم تطلق أشعة لها القدرة على اختراق الأجسام الصلبة، وبرهن على أن **(اليورانيوم)** معدن مشع بطبيعته. ثم اكتشف العلماء أن لهذه الإشعاعات ثلاثة أنواع ميزوا بينها بإطلاق الأحرف الأولى من الأبجدية اليونانية عليها **(ألفا وبيتا وغاما)**. ووجدوا أن خصائص **أشعة (غاما)** تقارب خصائص الأشعة السينية إلى حد بعيد. ثم عرفوا أن لتلك الإشعاعات تأثيرات ضارة على الخلية الحية والنسج في جسم الإنسان. وقد كان **العالم بيير كوري** Curie يعاني من حروق على ذراعه عندما تعرض **لأشعة الراديوم**. وقد ماتت زوجته **ماري كوري**، التي شاركته اكتشافاته، متأثرة بالإشعاعات التي تعرضت لها مدداً طويلة. كما أن كثيراً من العلماء الأوائل، الذين قاموا بتجارب على الأشعة السينية ماتوا متأثرين من هذه الإشعاعات، وبعضهم الآخر مات **بالسرطان** الذي سببه التعرض الطويل لهذه الأشعة.

وقد تنبه عامة الناس في الغرب إلى مخاطر الإشعاع عام ١٩٢٠م. فقد أصيبت مجموعة من النساء العاملات في أحد المصانع الخاصة بالطلاء بأعراض مرض غير معروف وأطلق عليه فيما بعد **(مرض التسمم الإشعاعي)**. وتبين أن العاملات قد ابتلعن كميات من المواد المشعة عندما كن يضعن فرشاة الدهان بين شفاههن وعلى ألسنتهن كي يستدق رأس الفرشاة من أجل الحصول على رسوم يدوية دقيقة. وقد تركز الراديوم المشع في عظامهن وأصبن بأورام سرطانية في العظام والفم، ومات بعضهن بعد ذلك بعدة سنوات، ومنهن من عمرت عقداً أو عقدين ثم ماتت متأثرة بالإشعاع.

وبعد التأكد من هذه المخاطر تم تشكيل لجنة سميت **(اللجنة الدولية للوقاية من الإشعاع)** مهمتها الأساسية تحديد كمية الإشعاع التي يمكن للفرد أن يتعرض لها دون خطر. وقد ازدادت أهمية هذا الموضوع بعد تفجير القنابل الأولى على اليابان، وأصبح أمر الإشعاعات والتلوث الذري لا يهم العلماء فحسب بل النوع الإنساني كافة.

واتجه العلماء إلى استخدام هذه الطاقة استخداماً سلمياً محاولين إيجاد حلول لأزمة الطاقة، كما أنتجوا نظائر مشعة جديدة لم تكن معروفة يتم استخدامها اليوم في سبيل خير الإنسان في شتى المجالات. وهكذا أدرك إنسان العصر النووي، **أن الذرة سلاح ذو حدين يمكن استخدامه للتدمير الشامل والإبادة، كما يمكن استخدامه في سبيل خير البشرية.**

ماهية الذرة

اشتقت كلمة «**الذرة**» Atom من الكلمة **الإغريقية** Atomos وهي تعني في الأساس **(الذي لا ينقسم)**، فقد تخيل حكماء الإغريق أننا لو أخذنا عنصراً ما وسحقناه، فإننا سنصل إلى أجزاء متناهية في الدقة لا يمكن سحقها، **تحتفظ كل ذرة منها بخواص ومقومات**

العنصر الأساسي الذي تؤلفه . وقد أثبت العلم الحديث أن ذرة عنصر ما تحتفظ بكافة خصائص العنصر الفيزيائية والكيميائية ، **فهي** الأساس أو الجوهر الذي يبنى منه العنصر . وأثبتت الكيمياء الحديثة وجود حوالي **مائة حالة بسيطة** للمادة تسمى **(العناصر)** elements ، وهذه العناصر لا يمكن تحليلها إلى أبسط منها .

فالحقائق الأولية للكيمياء تقول بأن ملايين المواد الموجودة حولنا ترجع إلى تلك العناصر البسيطة ، وتتألف المادة من عناصر أو تراكيب مختلفة للعناصر تعرف بـ **(المركّبات)** Compounds ، **فالفحم والأوكسجين والحديد** هي أمثلة على (العناصر) ، **والماء وغاز الفحم والسكر والملح** هي أمثلة على (المركّبات) ، ويمكن إعادة هذه المركبات إلى حالاتها العنصرية البسيطة عن طريق التحليل الكيميائي . والذرات المختلفة الأنواع **تتحد مع بعضها بطرق مختلفة** تبعاً لشروط قائمة أثناء حدوث التفاعل من حرارة وضغط وغير ذلك .

فمثلاً تتحد ذرات **الأوكسجين والهيدروجين** لتشكل الماء الذي نشربه ، كما يمكنها أن تتحد في شروط معينة لتشكل مركباً آخر هو **(ثاني أوكسيد الهيدروجين)** وهو سائل بعيد كل البعد عن الماء ، له خواص فيزيائية وكيميائية مختلفة تماماً . وهكذا تسمى أبسط وحدة تبنى منها العناصر (بالذرة) ، وهي في التعريف الكيميائي **أصغر جزء من المادة يمكن أن يتفاعل كيميائياً .**

والذرات دقيقة جداً لدرجة يصعب معها تخيل ما تبلغه من الدقة ، ولا يمكن رؤيتها حتى ولا بأقوى المجاهر ، وإنما تأتي معرفتنا لها عن طريق تتبع تصرفاتها وتفاعلاتها . وتتألف الذرة نفسها من وحدات أو جسيمات أدق منها وأصغر ، وهي ثلاثة جسيمات :

١ ـ **البروتون** proton ، وهو إيجابي الشحنة الكهربائية .

٢ ـ **النيوترون** neutron ، وهو متعادل أو حيادي من الناحية الكهربائية .

٣ ـ **الإلكترون** electron ، وهو سلبي الشحنة الكهربائية .

والذرة لها في مركزها (نواة) Nucleus تحتوي على **البروتونات والنيوترونات** ، وتدور حول هذا المركز الإلكترونات كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس في مدارات مختلفة .

وتختلف مقاسات ذرات العناصر تبعاً لكل عنصر ، فهي تتراوح بين ٠,٠٠٠٠٠٠١ من الملمتر لذرة الهيدروجين و ٠,٠٠٠٠٠٠٥ لذرة (السيزيوم) Cesium ، ويمكن لمليمتر واحد أن يحتوي من ٢ إلى ١٠ ملايين ذرة ! ويتركز حوالي ٩٥ بالمئة من كتلة الذرة في نواتها وحول النواة فراغات كبيرة نسبياً تسبح فيها الإلكترونات في مداراتها . ولو استطعنا الحصول على ذرة افتراضية بحجم رأس الدبوس لكان ثقلها ١١٧,٠٠٠ طن ! ولو ضغطنا الفراغات الكائنة بين أجزاء الذرات (وهذا ضرب من المستحيل) لاستطاع غطاء زجاجة الدواء أن يحتوي النوع الإنساني كله !

النظائر المشعة

تحتوي أية ذرة من ذرات عنصر ما على نفس العدد من **البروتونات والإلكترونات** ، فمثلاً تحتوي كل ذرة من ذرات عنصر **الفحم** على ٦ بروتونات في نواتها و ٦ إلكترونات تدور حولها . وكذلك تحتوي ذرات **الأوكسجين** على ٨ بروتونات و ٨ إلكترونات . وتختلف ذرات عنصر معين عن غيرها من ذرات نفس العنصر أحياناً بعدد النيوترونات ، مثال ذلك : تحتوي بعض ذرات الفحم على ٦ نيوترونات ويحتوي بعضها الآخر على ٧ نيوترونات ، وبعض ذرات الأوكسجين يحتوي على ٨ نيوترونات ، بينما يحتوي غيرها على ٩ نيوترونات . إنها ذرات لعنصر واحد مع اختلاف عدد النيوترونات في نوياتها ولذلك يطلق عليها **(نظائر)** Isotopes .

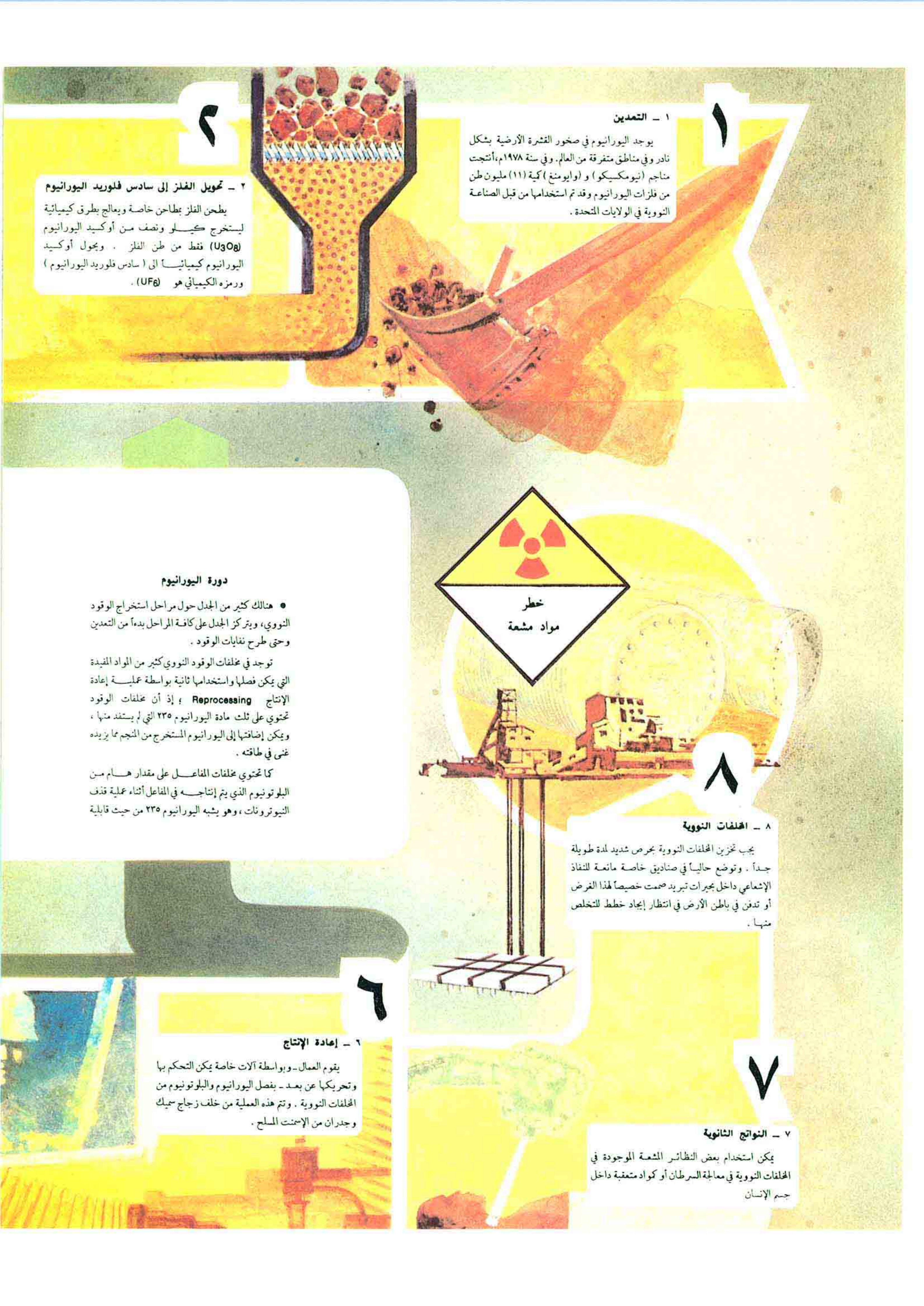
وعندما تكون نسبة البروتونات إلى النيوترونات واقعة ضمن حدود معينة تكون هذه النظائر ثابتة Stable من حيث تركيبها ، وفي بعض الأحيان تحتوي النواة على عدد من النيوترونات يفوق كثيراً عدد البروتونات ، أو قد يحدث العكس .

وتخضع النواة في مثل هذه الحالة لنوع جديد من **(إعادة الترتيب)** Rearrangement أو **(التعديل)** ، وهذا التفاعل النووي ينتج طاقة تظهر على شكل **إشعاعات إلكترو/مغناطيسية** ، أو على شكل دقائق أو جزيئات Particles حقيقية . وتسمى النظائر التي تطلق مثل هذه الإشعاعات بـ **(النظائر المشعة)** Radio Isotopes ، ويمكن أن نشير إلى عنصر من هذه العناصر باسم العنصر ورقم كتلته الذرية Mass number مثلاً : (كوبالت ـ ٦٠) Cobalt-60 للإشارة إلى نظير الكوبالت المشع الذي رقم كتلته ستين .

وعلى الغالب تنطلق من النظائر المشعة أثناء عملية تحولها decay ثلاثة أنواع من الإشعاعات هي دقائق ألفا وبيتا وإشعاعات غاما Gamma وذلك حسب نوع التعديل أو التحول الذي يتم في جوهر المادة ، أو بالأحرى في نويات ذراتها . وليست دقائق ألفا Alpha سوى **نويات غاز الهيليوم** ، وتتألف كل منها من ٢ بروتون و ٢ نيوترون . أما **دقائق بيتا** Beta فهي إلكترونات سلبية الشحنة على الغالب ، وقد تكون أحياناً إيجابية الشحنة ، وتدعى في هذه الحالة **(بوزترون)** Positrons . **أما إشعاعات غاما فهي شكل من أشكال الإشعاع الإلكترومغناطيسي . وتستخدم هذه الإشعاعات الخطيرة سلمياً انطلاقاً من أربعة مبادئ :**

١ ـ **الإشعاعات تؤثر في المادة :** وهذا ما يسمح لنا بتعقيم المواد والأدوات الطبية ، وتعقيم الطعام **(البسترة)** عن طريق إبادة الجراثيم وكافة أنواع البكتريات والخمائر **(الأنزيمات)** ، وكذلك إبادة الخلايا السرطانية وعلاج السرطان ، وإحداث تحولات Mutations في النباتات وغير ذلك .

٢ ـ **المادة تؤثر على الإشعاعات :** وهنا يستخدم هذا المبدأ

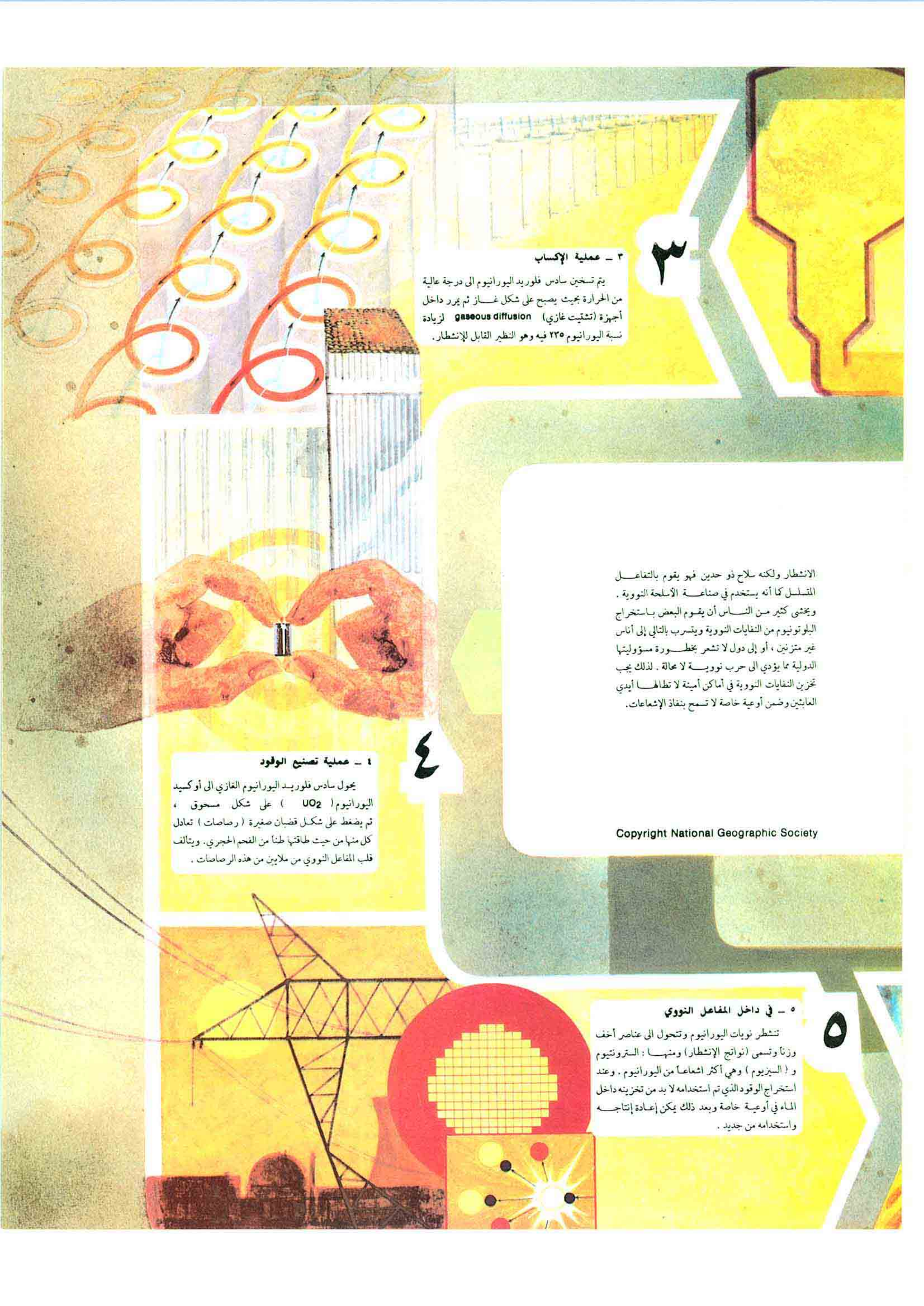


دورة اليورانيوم

• هنالك كثير من الجدل حول مراحل استخراج الوقود النووي، ويتركز الجدل على كافة المراحل بدءاً من التعدين وحتى طرح نفايات الوقود .

توجد في مخلفات الوقود النووي كثير من المواد المفيدة التي يمكن فصلها واستخدامها ثانية بواسطة عملية إعادة الإنتاج Reprocessing ؛ إذ أن مخلفات الوقود تحتوي على ثلث مادة اليورانيوم ٢٣٥ التي لم يستفد منها ، ويمكن إضافتها إلى اليورانيوم المستخرج من المنجم مما يزيده غنى في طاقته .

كما تحتوي مخلفات المفاعل على مقدار هام من البلوتونيوم الذي يتم إنتاجه في المفاعل أثناء عملية قذف النيوترونات ، وهو يشبه اليورانيوم ٢٣٥ من حيث قابلية



٣ ـ عملية الإكساب

يتم تسخين سادس فلوريد اليورانيوم الى درجة عالية من الحرارة بحيث يصبح على شكل غـــاز ثم يمرر داخل أجهزة (تشتيت غازي) gaseous diffusion لزيادة نسبة اليورانيوم ٢٣٥ فيه وهو النظير القابل للإنشطار.

٤ ـ عملية تصنيع الوقود

يحول سادس فلوريـد اليورانيوم الغازي الى أوكسيد اليورانيوم (UO_2) على شكل مسحوق ، ثم يضغط على شكـل قضبان صغيرة (رصاصات) تعادل كل منها من حيث طاقتها طناً من الفحم الحجري. ويتألف قلب المفاعل النووي من ملايين من هذه الرصاصات .

الانشطار ولكنه سلاح ذو حدين فهو يقوم بالتفاعـــل المتسلسل كما أنه يستخدم في صناعـــة الأسلحة النووية . ويخشى كثير مـن النـــاس أن يقـوم البعض بـاستخراج البلوتونيوم من النفايات النووية ويتسرب بالتالي إلى أناس غير متزنين ، أو إلى دول لا تشعر بخطـــورة مسؤوليتها الدولية مما يؤدي الى حرب نوويـــة لا محالة . لذلك يجب تخزين النفايات النووية في أماكن أمينة لا تطالهـــا أيدي العابثين وضمن أوعية خاصة لا تسمح بنفاذ الإشعاعات.

٥ ـ في داخل المفاعل النووي

تنشطر نويات اليورانيوم وتتحول الى عناصر أخف وزناً وتسمى (نواتج الإنشطار) ومنهـــا : السترونتيوم و (السيزيوم) وهي أكثر اشعاعاً من اليورانيوم . وعند استخراج الوقود الذي تم استخدامه لا بد من تخزينه داخل الماء في أوعيـة خاصة وبعد ذلك يمكن إعـادة إنتاجـــه واستخدامه من جديد .

في تطبيقات تختلف عن سابقتها ، مثل التصوير عبر أشياء غير شفافة واستخدام الأشعة السينية في التصوير الطبي ، وقياس سماكة أو كثافة الأجسام ، ودراسة تركيب الصخور والمواد المتبلورة ، واستخدام **الدروع الواقية** Shielding المانعة لنفاذ الإشعاعات لحماية أنفسنا منها .

٣ ــ **النشاط الإشعاعي يتعقب المادة :** تختلط النظائر المشعة بسهولة مع النظائر الثابتة وتستطيع تتبع تلك النظائر بالإشعاعات التي تطلقها عن طريق تتبع الخلائط الكيميائية التي تدخل في تركيبها ، وهكذا تستخدم النظائر في **البحوث البيولوجية** بمثابة (مقتفيات) tracers لتتبع مسار الأيض Metabolism للمواد الغذائية وكذلك للأدوية ، فيعطى الغذاء أو الدواء المميز labelled مع مقدار ضئيل من المادة المشعة للمريض ، ثم تؤخذ عينات من الدم والبول بل ومن الأنسجة أحياناً لتحديد مدى توزيع المادة المعطاة في الجسم .

٤ ــ **النشاط الإشعاعي ينتج حرارة :** وهذا ما يسمح باستخدام النظائر المشعة لتوليد الحرارة وتحويلها إلى طاقة كهربائية ، ويستخدم هذا المبدأ في المفاعلات النووية كما سيأتي .

ومن الخواص الغريبة للنظائر المشعة أن انحلال ذراتها متوزع من حيث الزمن ، أي أن الذرات لا تخضع كلها لعملية التحول نحو الاستقرار في نفس الوقت . ولا يستطيع العلماء حتى الآن معرفة سبب هذا التوزع الزمني للإنحلال . لكنهم يعرفون مسبقاً المعدل الذي يمكن لعملية الإنحلال أن تتم فيه . ويقيسون ذلك بما يسمى **(دورة نصف الحياة)** للنظير المشع ، وهو الزمن الذي تحتاجه نصف كمية المادة المشعة لكي تنحل وتتحول إلى العنصر التالي .

وهكذا يتوقف معدل التحول على مقدار المادة الموجودة ، فمن الغرام الواحد من الراديوم ٢٢٦ يتحول نصفه (أي ٥٠٠ ملليغرام) إلى (رادون) خلال فترة ١٦٢٢ سنة ، ولكن خلال ١٦٢٢ سنة التالية لا يتحول سوى ١٢٥ ميللغراماً ، وهكذا . وقد قيست دورة نصف الحياة half-life لمختلف العناصر المشعة ، وتختلف مددها من أجزاء من الثانية إلى ملايين السنين حسب نوع العنصر النظير .

وتوجد بعض النظائر في الأرض بشكل طبيعي ، ومنها **اليورانيوم** ــ ٢٣٥ ، **والراديوم** ــ ٢٢٦ ، **والبوتاسيوم** ــ ٤٠ ، **والربيديوم** ــ ٨٧ ، **والفحم** ــ ١٤ . وقد عرف الإنسان حتى اليوم ١٥٠٠ نظير مشع ولكن الذي يستخدم منها في الزراعة والطب والصناعة يبلغ حوالي مئة نظير . والنظائر التي صنعها الإنسان تسمى **(النظائر الصنعية)** Artificial radioisotopes .

الطاقة النووية

في عام ١٨٩٧ م ، أثبت **العالم (تومسون)** J. J. Thomson أن الإلكترونات يمكن تحويلها عن مساراتها حول النواة بواسطة **الحقل الكهربائي** . وبدأ مفهوم **(الذرة التي لا تنقسم)** يزول من الأذهان . وظهرت **نظرية (الكوانتوم)** Quantom على يد **(ماكس بلانك)** Planck وأقرها الرأي العلمي ، وهي تقول بأن طاقة الإشعاع تنطلق على شكل دفعات من الطاقة Packets أسماها **(كوانتا)** ، وذلك كما تنطلق الرصاصات من مدفع رشاش وعلى شكل مستمر .

وجاء بعد ذلك **العالم الألماني (ألبيرت آينشتاين)** ووضع معادلته الشهيرة : الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء ، وأثبت أن **كل كتلة يمكن أن تتحول إلى طاقة** ، ولكن الظواهر المعروفة في الكيمياء التقليدية والفيزياء الشائعة لا تسمح لنا بإدراك هذا الجانب من الفيزياء النسبية . وبناء على هذه النظرية فإن كل جسم يرسل حرارة ، أو يشع ضوءاً يفقد شيئاً من كتلته ، فالشمس ــ مثلاً ــ تقل كتلتها عشرة ملايين من الأطنان في الثانية ، نظراً لتحول هذه الكتلة إلى طاقة حرارية وضوئية ، وعلى العكس من ذلك : كل جسم يمتص طاقة تزداد كتلته .

وجاءت **تجارب (روثرفورد)** Rutherford في عام ١٩١٢ م ، ومن تلاه من العلماء لتؤكد أن الذرة تحتوي كل طاقتها في النواة ، وأن الإلكترونات السالبة تدور حول النواة الموجبة ، كما تدور الأرض حول الشمس بفعل الجاذبية . وظهر إلى الوجود علم جديد هو **الفيزياء النووية** .

وبرهن العلماء أيضاً أن الجسيمات الموجودة داخل النواة (البروتونات والنيوترونات) ترتبط فيما بينها بقوة التحام كبيرة إلى أقصى حد ، وهذه الطاقة الالتحامية مأخوذة من كتلة كل مقوم من مقومات النواة حسب معادلة آينشتاين ، والطاقة النووية ليست شيئاً آخر غير طاقة التلاحم هذه التي تربط مكونات النواة . وتبعاً لذلك إذا تحولت طاقة التلاحم لكتلة غرام واحد من المادة إلى طاقة نووية فإنها تناظر طاقة مقدارها ٢٥ مليون كيلوات في الساعة .

وثمة طريقتين للحصول على هذه الطاقة واستخلاصها ، إحداهما تحدث **تفاعلاً للإنشطار** Fission تتفكك فيه نويتان ثقيلتان إلى نويتين خفيفتين وهذا ما يحدث في **القنبلة الذرية ومفاعلات الإنشطار** ، والطريقة الثانية تجري **تفاعلاً للاندماج** Fusion تتجمع بفعله نويتان خفيفتان لتكون نويتين ثقيلتين وهذا ما يحدث في **القنبلة الهيدروجينية ومفاعلات الاندماج النووي** . وبعبارة أخرى نقول : **الانشطار النووي هو تحطيم ذرات بعض العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم ، أما الاندماج فهو اندماج نويتين خفيفتين مثل (الديوتيريوم)** deuterium و **(التريتيوم)** tritium التي هي من أنواع الهيدروجين .

وفي كلتا الحالتين **(الانشطار والاندماج)** ينتج التفاعل النووي مقداراً كبيراً من الطاقة . وللحصول على هذه التفاعلات لا بد من توافر شروط معينة لا مجال لبحثها هنا ، ولكن كل تفاعل نووي ينتج إشعاعات خطرة على الإنسان والحيوان والنبات والبيئة عموماً . ومع كل ما لهذه الطاقة من مخاطر ، يقوم العلماء بالبحث عن أفضل السبل للحد من مخاطرها والسيطرة عليها ، ويرون فيها الحل الأمثل عند نفاذ مصادر الطاقة التقليدية كالفحم والبترول .

وهكذا في هذا العالم المتعطش للطاقة ، أصبحت الطاقة النووية ذات أهمية كبرى في حياة ٤٤ دولة في الوقت الراهن ، وحتى منتصف عام ١٩٧٨ م ، رخصت اثنتان وعشرون دولة ٢٢٠ مفاعلاً نووياً تستطيع أن تولد مئة مليون كيلوات من الكهرباء ، كما يوجد ٣٢٠ مفاعلاً يتم بناؤها أو أنها تحت الطلب .

ومهما تكن ضخامة هذه الأرقام فإن المعارضة في **الدول المتقدمة** استطاعت أن تخفف من سرعة انتشار هذه المفاعلات . أما **الأقطار النامية** فإنها ما زالت تبحث عن المفاعلات النووية للاستفادة منها ، وكدليل على أنها دول ذات أهمية .

ومن تلك التسهيلات ـ عند الحصول على مفاعل نووي ـ إعادة تصنيع **الوقود الذري** Reprocessing وإنتاج (**البلوتونيوم**) الذي يستخدم في صنع القنبلة الذرية . وهذا ما يثير المخاوف والشكوك لدى الدول الأخرى .

اليورانيوم والتفاعل المتسلسل

معدن **اليورانيوم** Uranium من أهم العناصر المشعة الموجودة في الطبيعة ، وقد تمكن **العالم (كلابروت)** Klaproth من الحصول على **أوكسيد اليورانيوم** عام ١٧٨٩ م ، وتم استخراج المعدن نفسه في عام ١٨٤١ م . وتوجد فلزاته في القشرة الأرضية في الصخور والأحجار ، ولكنها تتركز في **كندا وجنوب إفريقيا والولايات المتحدة وفرنسا واستراليا والكونغو ووسط أوروبا والاتحاد السوفياتي** . وهو معدن **سحوب** (يمكن سحبه على شكل أسلاك) ، **وطروق** Malleable يسهل تشكيله . وهو من المعادن الثقيلة ، إذ يبلغ وزنه الذري ٢٣٨,٠٧ ، وينصهر في درجة ١١٣٣ مئوية . ومن الناحية الكيميائية فهو يتفاعل مع الأوكسجين **والهالوجينات** Halogenes مثل **الفلور والبروم واليود** ، كما يتحد مع غاز الهيدروجين في درجة ٣٠٠ مئوية مكوناً **هيدريد اليورانيوم** (UH_3) . أما **سادس فلوريد اليورانيوم** فهو مركب يغلي في درجة حرارة منخفضة ، وله أهمية كبيرة في فصل اليورانيوم ـ ٢٣٥ عن اليورانيوم ـ ٢٣٨ .

وتأتي أهمية هذا المعدن من استخدامه « وقوداً » في المفاعلات النووية ، وله نوعان من النظائر ، أحدهما اليورانيوم ـ ٢٣٥ الذي تقبل ذراته الإنشطار ، فإذا اصطدم نيوترون حر بنواة ذرة اليورانيوم ـ فإنه سينطلق منها نيوترون أو ثلاث نيوترونات تندفع بسرعة لتصطدم بنواة جديدة فتشطرها . وهكذا إذا حدث الإنشطار الأول لإحدى النويات عن طريق قذفها بأحد البروتونات ، فإن هذا الإنشطار يعطي ثلاث نيوترونات تصطدم بثلاث نويات جديدة وتسبب انشطارها ، وكل منها ستعطي ثلاث بروتونات جديدة ويصبح مجموعها ٩ بروتونات ، وهذه تتسبب في انشطار ٩ نويات أخرى ثم ٢٧ ثم ٨١ ثم ٢٤٣ وهلم جراً ، وهذا ما يسمى بـ **(التفاعل المتسلسل)** Chain reaction ، وإذا لم نتمكن من السيطرة على هذا النوع من التفاعل ، فإنه يحدث بسرعة كبيرة مع تفجير مفاجئ وانطلاق هائل للطاقة الحرارية والإشعاعات ، وهذا ما يحدث في القنبلة الذرية (أو النووية) ، وتستخدم المفاعلات الذرية نفس المبدأ ، وفي هذه الحالة يتم ضبط التفاعل والتحكم فيه عن طريق (ملطفات) Moderators مصنوعة من قضبان فحم الغرافيت ، وهي تحد من سرعته وتؤدي إلى استثمار طاقته الحرارية .

المفاعل النووي

جهاز ضخم ، بالغ التعقيد ، يهدف إلى إيجاد انشطار متوازن وتفاعل متسلسل يمكن ايقافه عند الحاجة . وتستخدم الطاقة الحرارية الناتجة في تبخير الماء المحيط بقلب المفاعل ، ويستخدم هذا البخار المضغوط في إدارة المحركات ذات العنفات (المحركات التوربينية) والتي تدير بدورها مولدات الكهرباء . والمبدأ العلمي الذي يقوم عليه بسيط جداً ، إلا أن وضعه موضع التطبيق استدعى قيام هندسة جديدة وعلم جديد .

يتألف قلب المفاعل من أعمدة سميكة يبلغ طول الواحد منها ١٢ قدماً ، ويتألف كل من هذه الأعمدة من أنابيب أقل سماكة ، يحتوي الواحد منها على ٢٠٠ رصاصة من اليورانيوم . وتعادل الرصاصات في قطرها قلم الحبر ويبلغ طولها أقل من نصف بوصة ، لكنها ذات طاقة جبارة ، بحيث تناظر كل منها في طاقتها طناً من الفحم الحجري أو أربعة براميل من النفط الخام ، ولا يتجاوز سعر الواحد عشرة دولارات .

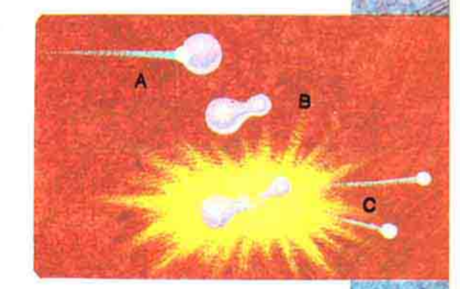
ويحتوي مفاعل الإنشطار النووي على عشرة آلاف قضيب وقود يبلغ ثقلها مئة طن . وتبلغ طاقة مفاعل كهذا مليون كيلوات من الكهرباء ، وهذه الكمية تفي باحتياجات مدينة حديثة يبلغ عدد سكانها ٦٠٠,٠٠٠ نسمة . ولكن حياة قلب المفاعل محدودة ، إذ يجب استبدال ثلث كمية الوقود سنوياً ، وتستخرج القضبان المستهلكة لتحل محلها قضبان جديدة . وحياة مفاعل كهذا تبلغ ٣٠ ـ ٤٠ سنة .

يحاط قلب المفاعل بآلاف الأطنان من المياه تدور حوله تحت ضغط عال ، حاملة معها الحرارة العالية المنطلقة من قلب المفاعل . وهكذا يحفظ الماء حرارة قلب المفاعل ضمن الحدود الطبيعية ، ويحد من انقذاف النيوترونات مما يساعد على الحد من سرعة التفاعل المتسلسل ، كما أنه يتحول إلى بخار مضغوط ـ **كما يحدث في القاطرة البخارية** ـ يمكن استغلال طاقة انفلاته في إدارة مراوح العنفات التوربينية . ويحيط بكل من قلب المفاعل والماء الذي حوله جدران فولاذية وإسمنتية سميكة تمنع خروج الإشعاعات إلى العالم الخارجي .

ويتم اختيار موقع المفاعل في مناطق قليلة الكثافة السكانية ، كما يتم رصد منتجات المزارع القريبة والمراعي ، وذلك للتأكد من أن نسبة الإشعاع المنطلق إلى خارج منطقة المفاعل لا تتجاوز الكميات المسموح بها . كما تحاط منطقة المفاعل من الخارج بسياج من الأسلاك ووسائل مراقبة ورصد وأجهزة إنذار إلكترونية وحراسة شديدة . ويتم تفتيش الداخلين إليه والخارجين منه . ويزود الداخل إلى المفاعل بألبسة مانعة

كيف يعمل المفاعل النووي؟

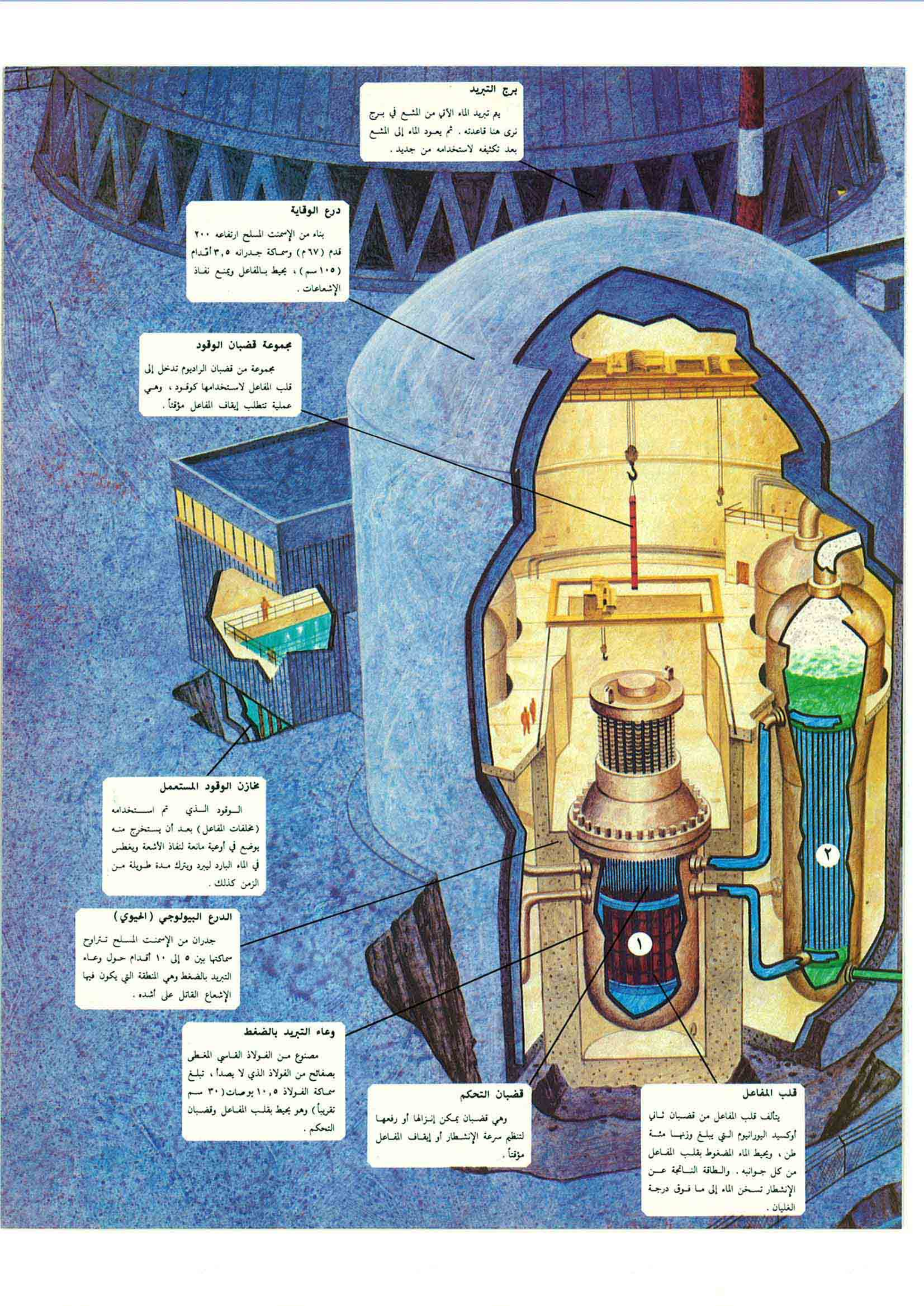
تنتج عملية انشطار اليورانيوم داخل المفاعل حرارة شديدة يمكن استغلالها في تسخين الماء وتحويله إلى بخار مضغوط ينفلت على فراشات العنفات التوربينية (على شكل مراوح ضخمة) فتدور العنفات بسرعة كبيرة ويمكن استغلال ذلك في تحريك المولدات الكهربائية. والجدير بالذكر أن شركات الكهرباء التقليدية تستخدم المصادر التقليدية للطاقة كالفحم والنفط في تسخين الماء وتحويله إلى بخار.



يوضح الشكل عملية إنشطار نووي في اليورانيوم ٢٣٥ إذ يصطدم أحد النيترونات (A) بالنواة (B) فيشطرها إلى قسمين وتتحرر بعض الطاقة على شكل حرارة وتنقذف إلى خارج النواة بعض النيترونات (C) كي تقوم بدورها بعملية قذف النويات الأخرى في ذرات اليورانيوم وهذا ما يسمى **بالتفاعل المتسلسل**. والحرارة الناتجة عن قلب المفاعل (انظر رقم ١ في الشكل) تسخن الماء المحيط به والذي يضخ تحت ضغط في أنابيت (رقم ٢) ليسخن الماء الموجود في المولد عن طريق التبادل الحراري، ويسمى هذا النوع من المفاعلات: مفاعل تسخين الماء المضغوط. وتحول الحرارة الماء إلى بخار يقوم بتدوير العنفات (رقم ٣) ذات الضغط العالي، أما البخار الأخف ضغطاً فإنه يتحول إلى العنفات التي تدور بالبخار ذو الضغط المنخفض (رقم ٤ و ٥)؛ أما المولد الكهربائي (رقم ٦) الذي تديره العنفات فإنه ينتج طاقة كهربائية يمكن نقلها عبر المحولات الكهربائية والأسلاك ذات الجهد (الفولت) العالي (رقم ٧) إلى المستهلكين. أما البخار الذي يدير العنفات فإنه يخرج منها بعد أن استنفد طاقته الحركية ويذهب إلى مبادلات التبريد (المشعات رقم ٨) حيث يتكاثف ويعود ماءً من جديد؛ ثم يعود إلى المفاعل ويتحول إلى بخار وهكذا.

وحدة التبريد الإضافي

تضخ كميات قليلة من الماء إلى المكثف الحراري لتعوض عن الماء الذي يفقد أثناء عملية التكاثف في برج التبريد.


برج التبريد
يتم تبريد الماء الآتي من المشع في برج نرى هنا قاعدته . ثم يعود الماء إلى المشع بعد تكثيفه لاستخدامه من جديد .
درع الوقاية
بناء من الإسمنت المسلح ارتفاعه ٢٠٠ قدم (٦٧م) وسماكة جدرانه ٣,٥ أقدام (١٠٥ سم) ، يحيط بالمفاعل ويمنع نفاذ الإشعاعات .
مجموعة قضبان الوقود
مجموعة من قضبان الراديوم تدخل إلى قلب المفاعل لاستخدامها كوقود ، وهي عملية تتطلب إيقاف المفاعل مؤقتاً .
مخازن الوقود المستعمل
الوقود الذي تم استخدامه (مخلفات المفاعل) بعد أن يستخرج منه يوضع في أوعية مانعة لنفاذ الأشعة ويغطس في الماء البارد ليبرد ويترك مدة طويلة من الزمن كذلك .
الدرع البيولوجي (الحيوي)
جدران من الإسمنت المسلح تتراوح سماكتها بين ٥ إلى ١٠ أقدام حول وعاء التبريد بالضغط وهي المنطقة التي يكون فيها الإشعاع القاتل على أشده .
وعاء التبريد بالضغط
مصنوع من الفولاذ القاسي المغطى بصفائح من الفولاذ الذي لا يصدأ ، تبلغ سماكة الفولاذ ١٠,٥ بوصات (٣٠ سم تقريباً) وهو يحيط بقلب المفاعل وقضبان التحكم .
قضبان التحكم
وهي قضبان يمكن إنزالها أو رفعها لتنظيم سرعة الإنشطار أو إيقاف المفاعل مؤقتاً .
قلب المفاعل
يتألف قلب المفاعل من قضبان ثاني أوكسيد اليورانيوم التي يبلغ وزنها مئة طن ، ويحيط الماء المضغوط بقلب المفاعل من كل جوانبه . والطاقة الناتجة عن الإنشطار تسخن الماء إلى ما فوق درجة الغليان .
١
٢

لنفاذ الإشعاعات مع مقياس صغير بحجم قلم الحبر ، يحدد كمية الإشعاع التي تلقاها العامل أو الزائر .

ويتم النزول إلى قرب الحفرة الكبيرة التي يستقر فيها قلب المفاعل ، عن طريق بوابات لا تسمح للهواء الملوث بالخروج ، ويمكن أن نرى قلب المفاعل والغلاف المحيط به على شكل قارورة ضخمة من الفولاذ السميك ، ويبلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم وقطرها الداخلي ١٤ قدماً ، ويبلغ وزن الغلاف لوحده ٤٠٠ طن . وهذا الوعاء مغمور في ماء يحيط به من كل جوانبه بسماكة ٩ أقدام . ويمكن أن نرى من بعيد ومن فتحات خاصة ، النار الذرية المتوهجة داخل قلب المفاعل .

ويجري الإنشطار النووي بآلات وأدوات تتحكم فيه ، فتحد منه أو تزيده ، عن طريق أجهزة غرفة المراقبة التي تتصل بساعاتها ومقاييسها آلاف الأسلاك بحيث يستطيع المراقبون معرفة ما يجري في داخل المفاعل على وجه الدقة . وهنالك روافع تقوم بإنزال قضبان التحكم والإيقاف المعلقة فوق قلب المفاعل ، إذا اقتضت الحال إيقاف المفاعل للصيانة أو استبدال قضبان الوقود مثلاً ، ويتم ذلك عن طريق التحكم عن بعد دون أن يمس العمال المواد المشعة والنفايات النووية الخطرة .

وقد صممت الروافع بحيث تعمل تلقائياً على إيقاف المفاعل وتقوم بإنزال قضبان الإيقاف إذا ارتفعت درجة حرارة قلب المفاعل عن المعدل الطبيعي . ويقوم المشرفون على المفاعل بالتأكد من أن كل الأجهزة سليمة ، ومنها أجهزة الإنذار والسلامة ، أربع مرات في السنة . أما النفايات ومخلفات المفاعل ، مثل قضبان الوقود المستهلكة التي تحتوي على مواد إشعاعية قاتلة ، فيتم تبريدها لعدة أشهر ، وربما لسنوات ، داخل بحيرات اصطناعية مملوءة بالمياه ، وتوضع هذه النفايات في أوعية خاصة لا تنفذ منها الأشعة تمهيداً للتخلص منها عن طريق دفنها في باطن الأرض في أماكن معروفة أو عن طريق القائها في أعماق المحيطات وفي أماكن محددة .

مخاطر المفاعلات النووية

لقد ساهمت المفاعلات النووية في الحد من أزمة الطاقة عن طريق توفير طاقة كهربائية رخيصة نسبياً . ولكن هذه المفاعلات لها كثير من المساوئ ، فهي تلوث المحيط بالإشعاعات وتعرض حياة الناس إلى أخطار هم في غنى عنها ، ولم يتمكن العلماء ، حتى اليوم ، من إنتاج طاقة نووية « نظيفة » .

ماذا لو توقف ماء التبريد عن الدوران أو انكسر أحد أنابيب البخار ؟

إن التفاعل النووي يستمر منتجاً حرارة هائلة تؤدي إلى صهر قلب المفاعل ، ويتم ذلك خلال ساعة أو ساعتين ، ثم يسقط قلب المفاعل ، بفعل الجاذبية الأرضية ، إلى قاع الغلاف ، ويحرق الفولاذ وجدران الإسمنت المسلح خلال يوم واحد ثم يغوص في باطن الأرض إلى عمق غير معروف وهو يلوث المياه السطحية والجوفية . كما أن الماء المضغوط المتسرب يشقق جدران غرفة المفاعل وتنطلق سحب مشعة وغبار ذري كثيف ، كما تنطلق غازات وأبخرة سامة مثل (**الكسينون**) Xenor ، **واليود المشع** ، ودقائق صلبة مثل (**سترونتيوم**) Strontium ، **والسيزيوم** Cesium . وكلما كانت طاقة المفاعل كبيرة زاد حجم تلك الغازات والدقائق . والمفاعل النووي الذي عمل لمدة ثلاث سنوات ينتج مواداً تعادل ألف قنبلة من نوع القنبلة التي ألقيت على (هيروشيما) .

وهكذا إذا حصل حادث كهذا فإن التلوث سيصيب مئات الأميال المربعة ، ويؤدي إلى خسائر كبيرة في الأرواح والعديد من أمراض التلوث الإشعاعي وإصابات السرطان ، ويعتمد ذلك على سرعة الرياح وكثافة السكان في المنطقة .

وقد يتساءل البعض : هل يمكن للمفاعل أن ينفجر انفجاراً ذرياً سريعاً كالقنبلة في مثل هذه الحالة ؟.. والجواب لا ، نظراً لأن اليورانيوم ــ ٢٣٥ ليس مشبعاً إلى درجة كافية للانفجار ، وجدير بالذكر أن **هذا الاحتمال قائم في بعض أنواع المفاعلات التي تستخدم نظام النيوترونات السريعة** . وخوفاً من حدوث حادث كهذا ، فقد زود كل مفاعل بـ ٤ ــ ٦ دارات تبريد احتياطية تعمل تلقائياً إذا توقف الماء في دارة التبريد الرئيسية . ومع ذلك فإن **حادثة مفاعل (ثري مايل آيلند)** Three Mile Island بالقرب من **مدينة (هاريسبرغ)** Harrisburg **في ولاية بنسلفانيا الأميركية ،** الذي حدث في ربيع عام ١٩٧٩ م ، قد روع الولايات المتحدة بأسرها ، فقد توقف جهاز التبريد الرئيسي عن العمل بسبب خطأ أحد العمال في المفاعل ، وقد فشلت دارات التبريد الاحتياطية في العمل . كما تم اخلاء المنطقة القريبة منه من السكان ، وبدأت بعض الأبخرة في التصاعد ، مما أثار القلق والرعب لدى السكان ، واستطاع المهندسون تشغيل دارة التبريد بعد عراك مع (المارد المدمر) استمر ثلاثة أسابيع .

ولم يكن هذا هو الحادث الأول في الولايات المتحدة ، بل إنه الحادث الذي يحمل الرقم ٢٨٣٥ في مفاعلات الولايات المتحدة التي يبلغ عددها ٧٢ مفاعلاً في الوقت الراهن . ومع زوال الكابوس الذي أرق الناس بدأت موجات الاحتجاج والسخط ضد المفاعلات النووية ، وأضحى الناس أكثر اقتناعاً بأن الطاقة النووية ليست هي الطاقة الأمثل .

ومن الواضح أن حادثة (هاريسبرغ) أصبحت درساً لا ينسى ، فقد صدرت تصريحات لكبار المسؤولين والعلماء تناقض بعضها ، وسادت الحيرة وعم القلق أثناء حصول الحادث . وتبين أن العلماء يجهلون سلوك قلب المفاعل إذا وضع في ظروف عمل غير عادية كانقطاع ماء التبريد عنه . كما أن (**الكمبيوتر**) وأجهزة القياس لم تكن قادرة على أداء عملها نظراً لأن حرارة قلب المفاعل ارتفعت إلى ٢٠٠٠ درجة مئوية . وقد تم تشكيل لجنة للتحقيق في هذا الحادث ستقوم برفع تقريرها للرئيس الأميركي مباشرة .

وكان لا بد لهذا الحادث من أن يحدث حتى يتنبه عامة الناس إلى مخاطر الاستخدام السلمي للطاقة النووية . وقد سبق هذا الحادث بقليل عرض **فيلم أميريكي** اسمه China Syndrome ، ويتلخص في أن أحد

المفاعلات النووية وبسبب انقطاع الماء عنه ــ كما حدث في (ثري مايل آيلند) تماماً ــ يغوص في الأرض ثم يعود ليظهر مرة إخرى في **الصين** . وقد قيل يوم ذاك إن هذا من قبيل الخرافة التي أحسن وضعها في إطار علمي .

وقد سبق لبعض العلماء أن قاموا بتقدير الخسائر فيما لو حدث حادث وخيم أدى إلى انصهار قلب المفاعل النووي ، وتتراوح هذه التقارير بين متفائل وبين متشدد ، وأحد تلك التقارير هو تقرير **(راسموسين)** Rasmussen الذي يقدر الاحتمالات التالية للخسائر (وهو تقرير متفائل جداً) :

- ٣٤٠٠ وفاة فورية .
- ٧٠٠٠ وفاة بالسرطان .
- ٤٠٠٠ حالة تشوهات وراثية خلقية للأجنة (ج جنين) ، تظهر في الجيل الأول أي لمدة ثلاثين سنة ، ويستمر ذلك فترة ١٥٠ سنة .
- ٦٠,٠٠٠ حالة ورم سرطاني في الغدة الدرقية تظهر في فترة تمتد من عشر سنوات إلى أربعين سنة .
- ٨٠٠٠ كيلومتر مربع من الأراضي الملوثة بالإشعاع والغبار الذري .
- ٧٠٠٠ مليون من الدولارات على شكل خسائر مادية .

ومهما تكن صحة هذه الأرقام ، فإنه من الممكن أن نضاعفها عشر مرات أو مئة مرة ، وذلك حسب الكثافة السكانية في منطقة المفاعل .

مخاطر الإشعاع والمخلفات النووية

بعض أنواع الإشعاعات ، كالنور العادي ، ليس لها مضار ، أما الإشعاعات المتأينة التي تنطلق من النظائر المشعة والمفاعلات وتجارب السلاح النووي والمخلفات النووية والأشعة السينية المستخدمة في التصوير الطبي ، فهي إشعاعات خطرة على الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية . ومع أن تلك الأشعة لا يمكن الإحساس بها أو رؤيتها ، فإنها تسبب تحولات خطيرة داخل الجسم الإنساني .

وهنالك نوعان من الإشعاعات المتأينة Ionized هي عبارة عن دقائق مشحونة كهربائياً :

النوع الأول منها يطلق عليه **دقائق (ألفا)** وهي نويات غاز الهيليوم كما مر معنا سابقاً . وتقطع دقائق ألفا عدة بوصات في الهواء قبل توقفها ولا تستطيع اختراق جلد الإنسان ، ولا ضرر منها طالما بقيت خارج الجسم . أما إذا دخلت الجسم عن طريق استنشاقها فإنها تركز طاقتها القوية على عضو حساس مثل الرئتين فتؤدي إلى تلف كبير في خلاياهما ، كما يمكن أن يؤدي ذلك إلى الوفاة أو سرطان الرئتين .

والنوع الثاني دقائق (بيتا) وهي إلكترونات شاردة فيمكنها أن تقطع عدة أقدام في الهواء قبل أن تتوقف ، ويمكنها اختراق جسم الإنسان إلى حد ما ، ويمكن ايقافها بواسطة صفحة رقيقة من الخشب أو المعدن . وهي تؤثر بشكل خاص على العظام والغدة الدرقية .

والنوع الثالث هو **إشعاع (غاما)** Gamma Rays وهي إشعاعات كهرطيسية فائقة الطاقة ، نفّاذة وتشبه الأشعة السينية X Rays فهي تخترق الجسم البشري بسهولة وتؤثر فيه بطاقتها الشديدة فتدمر نواة الخلية الحية .

ويحدث التلوث بالإشعاع من الخارج عن طريق الجلد ، كما يحدث عن طريق استنشاق الغبار الذري ، أو عن طريق الغذاء أو الماء الملوث به . ويبقى التلوث الإشعاعي في الجسم فترة تتراوح بين عدة أسابيع إلى سنوات طويلة حسب التلوث الحاصل وشدته .

وتقاس كمية التلوث الإشعاعي بوحدة يطلق عليها **(رم)** Rem وقد ثبت أن التعرض لـ ٦٠٠ رم يؤدي إلى الموت عاجلاً أو آجلاً . **وعلى الرغم من كافة وسائل الحيطة والسلامة العمالية ، يتعرض العاملون في الأشعة المتأينة للإشعاع بشكل مستمر .** ولا تجيز لجنة الطاقة الأميريكية بأن يتعرض جسم العامل لأكثر من ٥٠٠٠ ميلي رم (الميلبرم هو واحد بالألف من الرم سنوياً) . وتشير سجلات العمال إلى أنهم يتعرضون لأقل من هذا المعدل بكثير ، وهو يبقى في حدود ٧٠٠ ــ ٨٠٠ ميلي رم سنوياً .

أما بالنسبة للسكان خارج منطقة المفاعل فلا يجوز تعرضهم لأكثر من ٢٥ ميلي رم في السنة ، ومن الناحية العملية ، فإن ما يتعرض له السكان هو أدنى من هذا الحد . علماً أن هذه المعدلات الإشعاعية المسموح بها ما زالت مجالا للأخذ والرد بين العلماء .

وقد ثبت ، وبشكل قاطع ، أن ١٠٠ رم إذا تعرض لها الجسم خلال سنة واحدة تسبب مرض الإشعاع ، والتعرض لمقدار ١٠ رم سنوياً يؤدي إلى تلف في **العقد البلغمية** والطحال وتلف نخاع العظم ونقص في كريات الدم .

هذا ، ويعتقد بعض العلماء أن هنالك (عتبة) لا يكون فيها للإشعاع تأثير مستديم ، ويرى آخرون بأنه لا يوجد حد أدنى للإشعاع يكون معها عديم الضرر .

ومع ذلك يمكننا القول بأننا نسبح في بحر من الإشعاعات المتأينة ذات الطاقة الضعيفة ، على الرغم من أننا نجهل ذلك ، فمثلاً الأشعة الكونية تعرض الشخص الواحد القاطن في مدينة تقع على سطح البحر إلى ٤٠ ميلي رم سنوياً . وتزداد هذه النسبة بازدياد ارتفاع المكان .

ويتلقى الفرد ، إضافة لذلك ، مئة ميلي رم سنوياً من المواد المشعة الموجودة بشكل بسيط في القشرة الأرضية والمقالع والمناجم وأحجار البناء ، وتدخل هذه المواد إلى الجسم عن طريق الماء والغذاء وتؤدي إلى معدل إشعاعي لا يمكن التخلص منه .

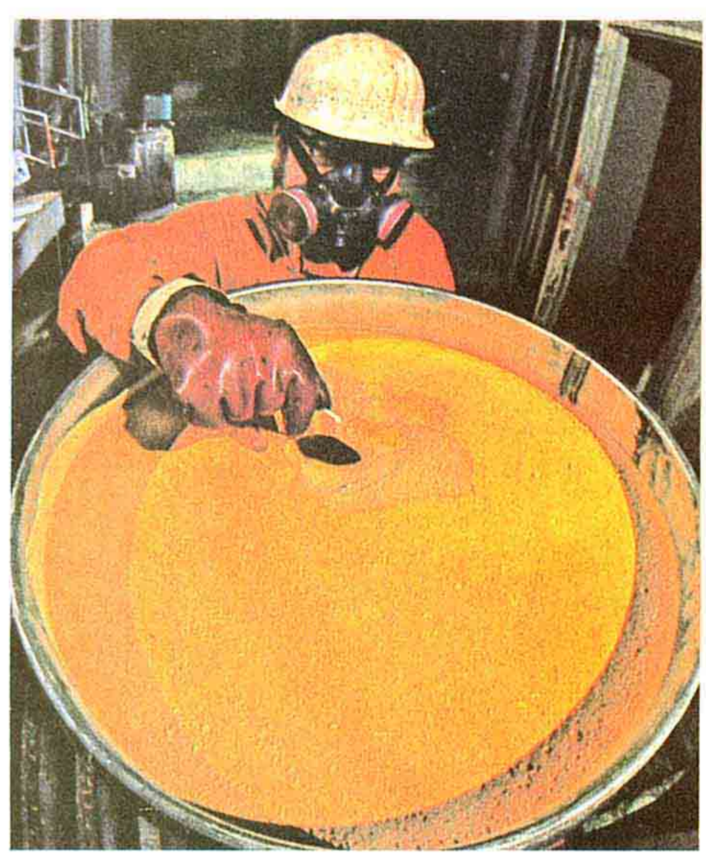
يضاف إلى ذلك ما يتعرض له الناس من إشعاعات متأينة من صنع الإنسان نفسه ، مثل الأشعة السينية التي تعطي الفرد الواحد ٧٠ ميلي رم سنوياً ، أما أجهزة التلفزيون والساعات التي تضيء ليلاً فتعطي واحد ميلي رم سنوياً للشخص . ويضيف المفاعل النووي الذي يعمل بصورة سليمة عدة ميلي رم سنوياً إلى هذا المعدل . وهكذا يتلقى الشخص من

هذه المصادر الطبيعية والصنعية ما يعادل ٢٠٠ ميلي رم في السنة .

ومهما كان مصدر الإشعاعات المتأينة فإنها تؤذي الخلايا عن طريق **(التأين)** Ionizing ، ويتم ذلك عن طريق (سحب) الإلكترونات من ذرات الخلايا في الجسم . وإذا كانت الإصابة خفيفة فإن الجسم يعيد بناء الخلايا التالفة ، أما إذا كان التلف كبيراً فإنه من المستحيل إصلاح أو بناء بديل لها .

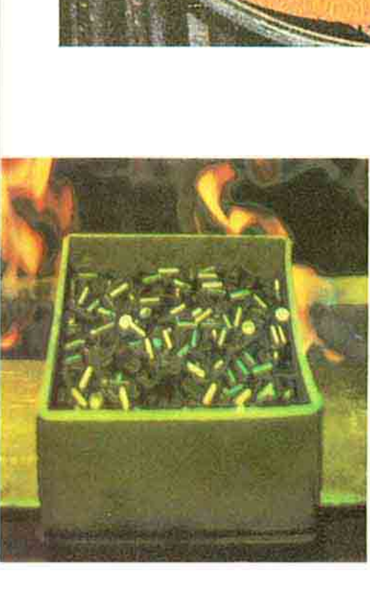
وأهم النتائج البيولوجية الوخيمة : المرض الطويل ، وتوقعات الوفاة في سن مبكرة ، واحتمال الإصابة بالسرطان ، ونقص في الصبغيات المورثة (الجينات) تظهر على شكل تشوهات ولادية خلقية في الأجيال القادمة .

ويلاحظ أن بعض أجزاء الجسم البشري لها حساسية خاصة للمواد المشعة ، ومنها الأعضاء التناسلية والغدة الدرقية ونخاع العظم . كما أن بعض المواد المشعة لها ميل خاص ، فالسترونتيوم ـــ ٩٠ مثلاً ، يؤثر في



★ مسحوق فلز اليورانيوم عند عملية الخلط ثم الاكساب لزيادة نسبة اليورانيوم ٢٣٥ الذي يغذي المفاعل النووي ★

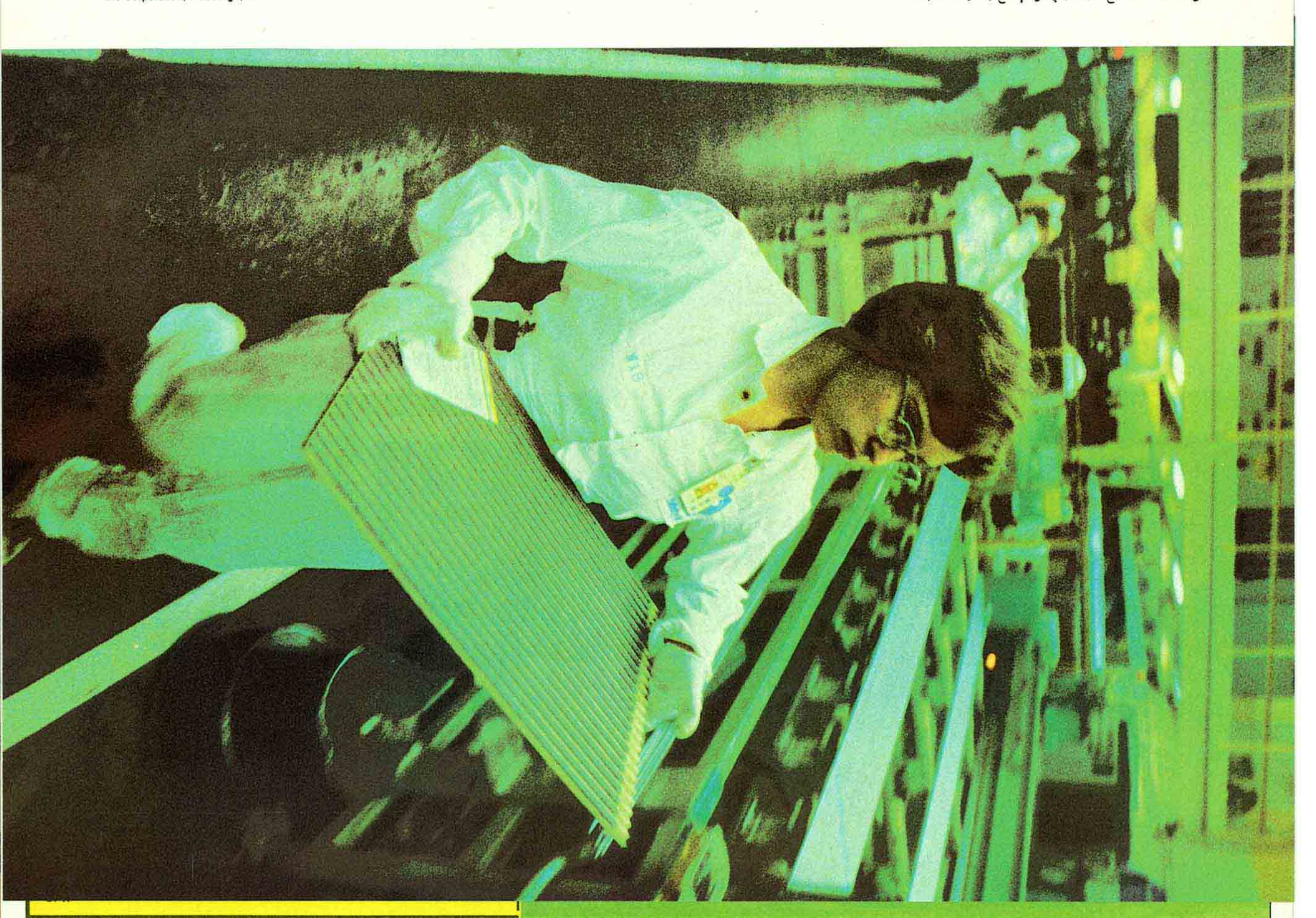
★ تصف رصاصات اليورانيوم طرفاً على طرف بحيث تشكل قضيباً معدنياً طويلاً ، وتشكل مجموعات القضبان حزمة تسمى (مجموعة وقود) وهي جزء من قلب المفاعل النووي ★

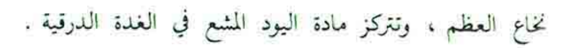


★ بعد تحويل فلز اليورانيوم إلى أوكسيد اليورانيوم يضغط على شكل رصاصات صغيرة وتم تقسيته عن طريق تسخينه داخل فرن ★

★ بعد عملية التقسية تكون رصاصات اليورانيوم مشعة بشكل خفيف ويمكن حملها على (صينية) خاصة مع حماية الأيدي من الإشعاع بالقفازات المناسبة ★

Courtesy of Westinghouse Electric Corporation, Pittsburgh, Pa.





نخاع العظم ، وتتركز مادة اليود المشع في الغدة الدرقية .

تساؤلات وانتقادات

يقول الفيزيائي النووي (**دال برادينبو**) ، الذي هجر عمله في أحد المفاعلات النووية لأن وسائل الوقاية ليست كافية :

« لست ضد الطاقة النووية ، بل إنني ضد أخطار الطاقة النووية القائمة في أيامنا هذه » .

وهذا يعني أنه لا بد من توفير الوقاية والسلامة عن طريق اتخاذ إجراءات جذرية جديدة ، منها : تدريب المهنيين والفنيين العاملين في المفاعلات ، وتطوير وتحسين أدوات القياس وأدوات التحكم ، ودراسة (سلوك) قلب المفاعل بعد وضعه في ظروف حرارية وضغطية وإشعاعية غير عادية ، يضاف إلى ذلك وضع مخططات لتهجير الناس من مناطق الخطر ، وتزويدهم بالمعلومات المتعلقة بذلك . ولا بد من إقامة تنسيق بين شركات الكهرباء التي تدير المفاعل والسلطات المحلية ؛ وكذلك لا بد من إيجاد الوسائل الكفيلة للتخلص من النفايات النووية التي تهدد الكائنات الحية على الأرض وفي المحيطات .

لقد تزعزعت ثقة الناس في الطاقة النووية بعد الحوادث الكثيرة في المفاعلات ليس في أمريكا فحسب بل في العالم كله . وهكذا يتبين لنا أن هذه الطاقة التي عقدت عليها آمال كبار قد خيبت الظن .

ونخلص من هذا كله إلى أن **الطاقة النووية طاقة فعالة ، ولكن مخاطرها كبيرة .** وهكذا بدأ العلماء البحث عن مصادر جديدة للطاقة مثل **الطاقة الشمسية** وحركات المد والجزر وحرارة باطن الأرض وتيارات الرياح مع العودة إلى المصادر التقليدية كالفحم والبترول . وما زال المستقبل قاتماً ومحيراً .. وما زالت الإجابات عن مستقبل الطاقة النووية يكتنفها ضباب كثيف .



Courtesy of MR. R. S. Dyer. office of Radiation Programs, Washington, D. C.

★ إحدى الطرق المستخدمة في الولايات المتحدة للتخلص من النفايات الذرية هي وضعها في أوعية خاصة في نقاط عميقة من المحيط. وبرميل المخلفات هذا يقبع على عمق (٢٨٠٠) م . وعلى بعد (١٩٠) كم ، من الساحل بالقرب من مدينتي ماريلند ـ ديلاور منذ ١٦ سنة . ويبدو أن بعض تلك الأوعية بدأت تسمح للمواد المشعة بالتسرب إلى مياه المحيط ★

Courtesy of the Society of Radiation and EnvironMental Research, Munich.

★ **التخلص من النفايات النووية الخطيرة** : تبقى النفايات النووية مشعة بشكل خطير ولآلاف عديدة من السنين . إحدى الطرق المستخدمة في ألمانيا هي وضع هذه المخلفات في براميل سميكة مانعة للنفاذ الإشعاعي في أحد مناجم الملح المهجورة بالقرب من Asse مما يثير احتجاجات سكان المنطقة أحياناً ★



الهوامش

(١) طالع العدد السادس عشر من مجلة (**الفيصل**) الصادر في شوال ١٣٩٨ هـ / سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٧٨ م ، موضوعاً عن آثار هذه القنبلة .

شكر وتنويه

ACKNOWLEDGEMENT

نشكر الأشخاص والجمعيات العلمية التي أمدتنا بالصور وبعض المعلومات الخاصة بهذا البحث والمذكورة أدناه .

We are deeply indebted to the following persons and Scientific Societies for their helpful cooperation and their kind permission to reproduce some illustrations related to our subject:

– National Geographic Society, Washington, D. C.

– Miss Barbara A. Shattuck, Illustrations Requests, National Geographic Magazine.

– Mr. James P. Daley, Manager, Power Systems Public Relations, Westinghouse Electric Corporation, PITTSBURGH, Pa.

– Mr. Robert S. Dyer, Office of Radiation Programs, U. S. Environmental Protection Agency, Washington, D. C.

– Mr. Robert J. Rutherford, Jr., Manager, Library & Information Research, Carolina Power & Light Company, N. C.

– Herr Hans K. Koebner, Editor/ Pupblic Affairs, Society of Radiotion and environmental Research, Munich, W. Germany

بعض المراجع

1- The Illustrated Encyclopedia of Science and Technology, Vol. 2

2- The Book of popular Science, Vol. 3, 9, 10

3- Purnell's Concise Encyclopedia.

4- Encyclopedia Universal is, Vol. 2

5- The New Caxton Encyclopedia, Vol. 2

6- Encyclopedia Britannica, Various Vols.

7- Compton's Encyclopedia, Vol. 3

8- How Things Work, Vol. 2

9- Science et Vie, No 741, Juin 1979

10- National Geographic, Vol 155, No 4, April 1979

11- On The Safety of Disposition of Radioactive Wastes in the Asse Salt Mine, GSF, München

12- Jahresbericht 1978 Kurzfassung, GSF, München.



قسيمة اشتراك

افتح ياسمسم

التاريخ / /١٩٨٠

ارجو قبول اشتراكي لمدة عام واحد (١٠ اعداد) بمجلة « افتح يا سمسم »

الاسم الثلاثي ______ العمر ______

العنوان ______

ص.ب. ______ المدينة ______

الدولة ______

١ ـ قص عند الخط المنقط ـ ارفق مع القسيمة ثمن الاشتراك السنوي حسب التسعيرة المخصصة لبلدك وذلك كما هو مبين في الجدول على القسيمة .

٢ ـ أودع القسيمة وثمن الاشتراك السنوي في حساب « مجلة افتح يا سمسم » لدى البنك المذكور .

٣ ـ يرجى من المشترك في العراق وقطر أو البلدان الأخرى أن يرفق مع قسيمته حوالة بريدية أو مصرفية محررة لأمر « مجلة افتح يا سمسم » ويرسلها الى « مجلة افتح يا سمسم » ص.ب. ٤٤٢٤٧ حولي ـ الكويت .

٤ ـ لا ترسل قيمة الاشتراك نقدا وذلك لتفادي ضياع نقودك بالبريد .

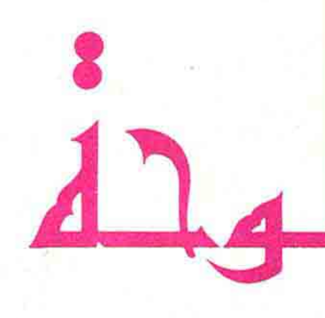
٥ ـ نرجو ان تمهلنا مدة ٤ الى ٦ اسابيع من وصول قسيمتك الينا الى يوم تسلمك الاعداد المطلوبة .

ثمن الاشتراك السنوي		يرسل الى :
البحرين	٨,٥٥٠ دنانير	بنك البحرين الوطني جميع فروعه رقم الحساب ٩٩٤١٨٣٩٨
السعودية	٧٦ ريالا*	البنك الاهلي التجاري جميع فروعه رقم الحساب ٤٤٦٤٨
الامارات	٨٥,٥٠ درهما*	بنك عُمان المحدود جميع فروعه رقم الحساب ١٧٠٦٨٢٣
الكويت	٥,٧٠٠ دنانير	بنك الكويت الوطني جميع فروعه رقم الحساب ٥-٨٩-٠٠٥
العراق	٦,٦٥٠ دنانير	افتح ياسمسم مجلة افتح يا سمسم ص.ب. ٤٤٢٤٧ حولي ـ الكويت
قطر	٨٥,٥٠ ريالا*	
البلدان الاخرى	٢٣,٧٥ دولارا* امريكيا*	

Concept

SAF

لوحة و فنان









• أنغام •

محمود الرضوان

تتميز الأعمال الأخيرة لمحمود الرضوان بالاتجاه إلى الأسلوب الزخرفي.. حيث يعطي الإحساس بالطبيعة الصامتة، مع التوصل في الأسلوب إلى الاتزان والثقة.

و«أنغام» إحدى لوحاته الأخيرة..

وهي لوحة ذات أسلوب زخرفي صامت تعتمد على المساحات والأشكال الهندسية المتشابهة ذات الألوان المتناسقة، مع التحليل المبسط للآلة الموسيقية، حيث تعطي إحساساً حقيقياً بالنغم..

مع استخدام بعض الأشكال الهندسية مثل الدائرة والمثلث كإضافات جمالية، بالإضافة إلى المربع وهو الوحدة الهندسية الرئيسية في اللوحة.. واستخدم بعض الوحدات الزخرفية كإضافات تراثية.

و«أنغام» هي ربط مبسط، وأسلوب لفني الرسم والموسيقى، وتعبير عن وحدتها مع الإحساس التام بالبيئة.

• ولد بالكويت عام ١٩٣٩م.

• درس بالمرحلة الابتدائية حيث بدأت موهبته منذ الصغر.

• درس بالمدرسة الثانوية، ثم التحق بمعهد التجارة بإنجلترا، لكنه لم ينس هوايته، بل أخذ ينميها بزيارته للمتاحف والمعارض الفنية.

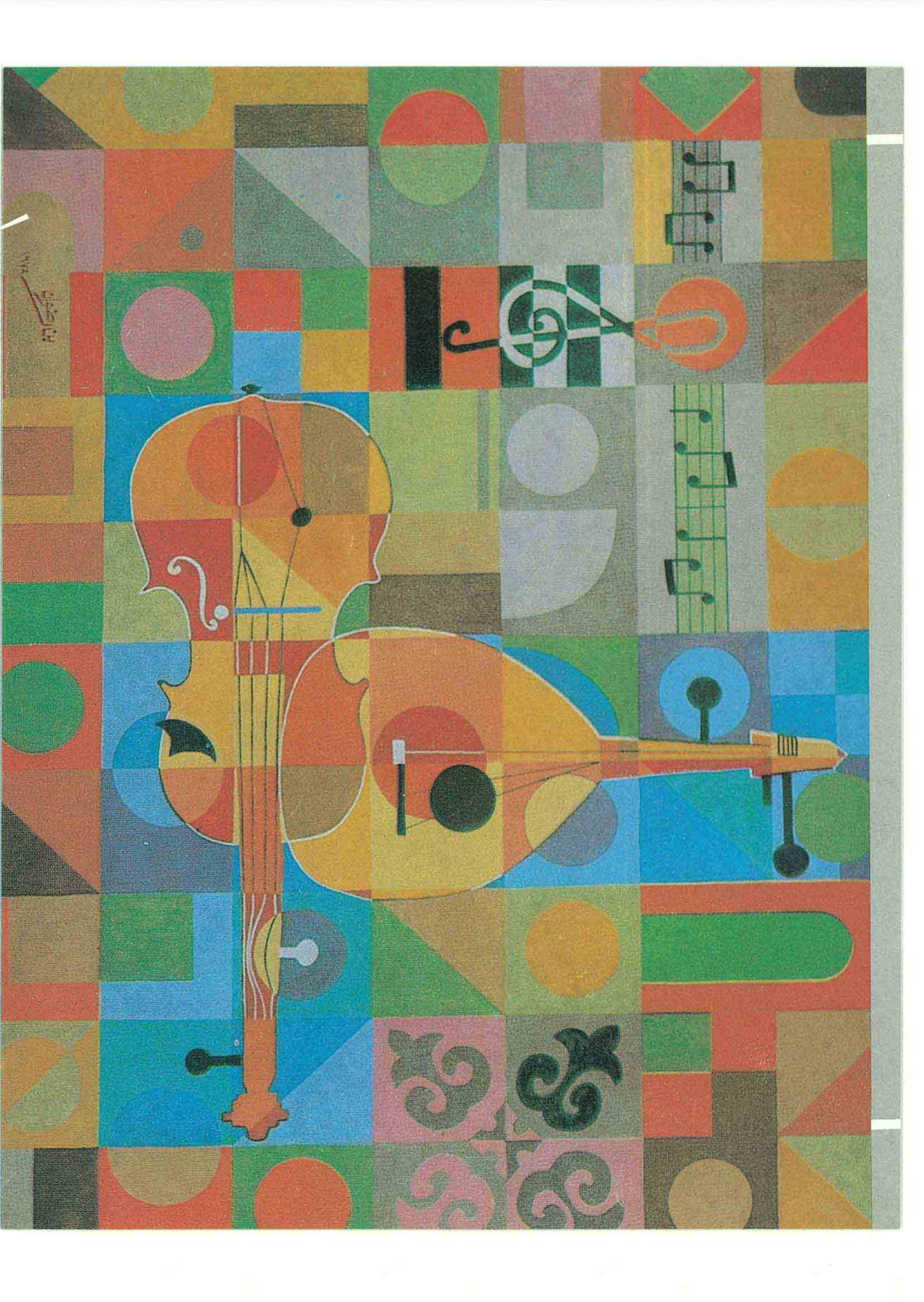
• كانت بداية فنه بالقلم الرصاص ثم الألوان المائية.. ثم اتجه إلى الرسم بالأسلوب الواقعي معتمداً على البيئة الكويتية في استنباط موضوعاته، فالبيئة هي الانطلاقة الفنية التي اتخذها هذا الفنان في أعماله الفنية الأولى.

• أخذ من بيئته الأولى البيوت الطينية والأزقة الضيقة والأطفال والنساء وكذلك اللؤلؤ والسفن وغيرها من الموضوعات.

• فضل أن يصقل هوايته وينميها فالتحق بكلية الفنون الجميلة «القسم الحر» في القاهرة عام ١٩٦٦م، وتخصص في التصوير.

• اشترك في معارض مع زملائه وعاد إلى وطنه بعد تخرجه وبدأ يشترك في المعارض داخل الكويت وفي البلاد العربية والأوروبية.

• استمد أغلب لوحاته من البيئة الكويتية من بحار وسفن الخليج ورسمها بأسلوب واقعي ممتزجاً بالطريقة التأثيرية.



الشاطئ الأزرق

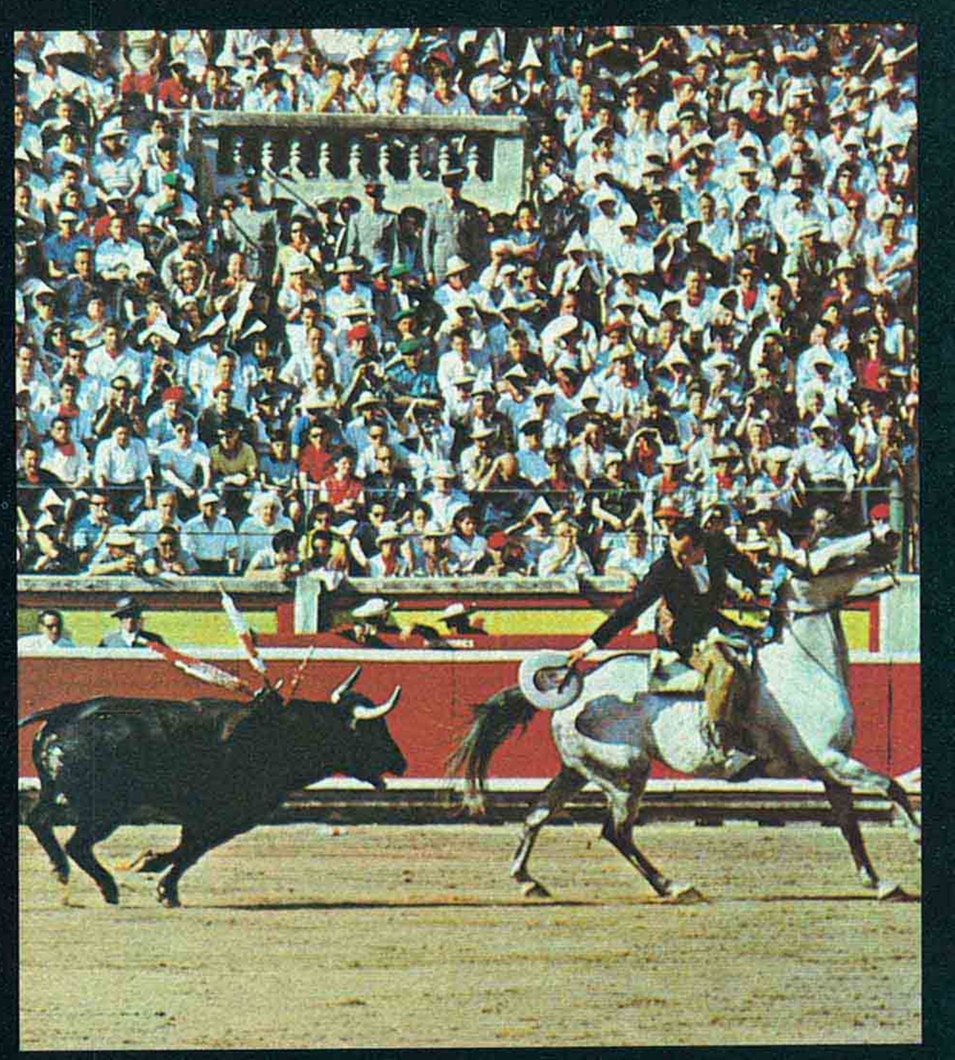
شعر: جهاد جميل الجيوسي

رمال الشاطئ الأزرق ... جمال سرمدٌ مطلق
تُصوَّر في مخيلتي ... رؤى في روعة الزنبق
فألثمها بلا شفةٍ .. ... وفي أمواجها أغرق
لها ظلٌ يتابعني ... ولي ظل بها يلحق
تثير عذابه الذكرى ... وتأسره فلا يطلق
عذابي في الهوى ألمٌ ... وقيد لظى قد استوثق
أتى بلهيبه قلبي ... فلا أبق ولا أشفق
ورغم صدوده المضني ... فباب الشوق لن يغلق
ولن أنسى مدى عمري ... رمال الشاطئ الأزرق
أأنساها وهل ينسى ... رحيق الحب من يعشق
أكذب فيك إحساسي ... وإحساسي هو الأصدق
وكنت ولم أزل أبداً ... لِجَنّي ثمارك الأسبق
عرفتك يا رمال البـ ... ـحر سراً غامضاً مغلق
قد استعصى على الصـ ... ـياد والأمواج والزورق



من عادات الشعوب

مصارعة الثيران في إسبانيا




★ مصارع على جواد في الشوط الأول من المصارعة ★

إذا كانت المباريات الرياضية ـ مثل كرة القدم ـ تعتبر من الألعاب الرياضية الشعبية التي عم انتشارها في أنحاء العالم ، فإن مصارعة الثيران تنفرد بها شبه الجزيرة الإيبرية[1] ؛ وهي ليست رياضة كما يظن البعض ، وليست امتحاناً لقوة المصارع أمام ثور هائج يعتبر من أشرس الحيوانات ، إنها مأساة (تراجيديا) ذات ثلاثة فصول ، تنتهي حتماً بموت الثور وربما بموت المصارع أحياناً .

ولهذا النوع من المصارعة هواته وعشاقه Aficionados ، ليس من الإسبان فقط بل من السياح الوافدين إلى إسبانيا من أصقاع العالم .

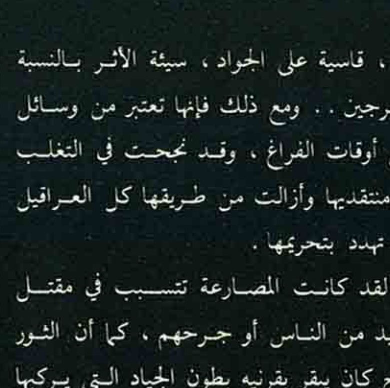
• تاريخ مصارعة الثيران •

قد يكون **لمصارعة الثيران** Corrida تاريخ يفوق في طوله أية رياضة أخرى . وقد **أظهرت الحفريات القديمة في جزيرة كريت** صوراً لأشخاص منهمكين في لعبة يبدو أنها كانت تقتضي مواجهة الثور والقبض على قرنيه والقفز من فوقه . ومن المحتمل أن (**يوليوس قيصر**) كان أول من قدم هذه اللعبة في روما ، مستخدماً رجالا وثيراناً من البلاد التي تعرف اليوم بـ (إسبانيا) . **وهكذا يتضح أن هذه اللعبة كانت معروفة منذ أكثر من ألفين من السنين** ، وظلت هي اللعبة المتميزة لدى الإسبان وجيرانهم البرتغاليين .

ويرى **عالم السلالات الألماني (فروبنيوس)** Frobenius أنها امتداد لطقوس قديمة من ديانات وثنية ، ويرى أن الثور فيها رمز قمري يصارع أسداً ـ رمز شمسي ـ كما جرت العادة غالباً في تمثيل ذلك في فنون المدنيات الشرقية القديمة .

ولعل مما يسترعي الانتباه أيضاً أن الإنسان في العصور الحجرية ، قد رسم الثيران على جدران الكهوف التي كان يأوي إليها . **وأقدم شهادة مدونة على وجود مصارعة الثيران في إسبانيا تعود إلى القرن الثامن الميلادي** . وفي القرن الرابع عشر كانت المصارعة تتم بالرماح ، وكان المصارعون يجابهون ثيراناً خطرة جداً لأنها تمرست بالمصارعة بدخولها الحلبة العديد من المرات .

وفي هذه المصارعة كثير من العنف والقسوة ، فهي لا إنسانية ، بغيضة ، قاسية على



الثور، قاسية على الجواد، سيئة الأثر بالنسبة للمتفرجين.. ومع ذلك فإنها تعتبر من وسائل شغل أوقات الفراغ، وقد نجحت في التغلب على منتقديها وأزالت من طريقها كل العراقيل التي تهدد بتحريمها.

لقد كانت المصارعة تتسبب في مقتل العديد من الناس أو جرحهم، كما أن الثور الهائج كان يبقر بقرنيه بطون الجياد التي يركبها المصارعون، وهكذا قام **البابا (بي الخامس)** Pie V بإصدار **قرار بابوي** Bulle سنة ١٥٦٧ م، يقضي بحرمان كل أمير مسيحي يسمح بإقامة مصارعة الثيران على أراضيه، وكان يرفض إقامة القداس الجنائزي على كل من يموت داخل حلبة المصارعة.. إلا أن موقف **الكنيسة الكاثوليكية** قد أصبح أكثر تساهلاً في أمر هذه المصارعة بشرط أن لا ينزل الثور إلى الحلبة إلا مرة واحدة فقط.. وهكذا قام **البابا الكسندر السادس** بتنظيم مصارعة للثيران في روما احتفالا باكتشاف قارة أمريكا.



★ مصارعون بثيابهم التقليدية المزركشة ★★ ◄

★ استعراض موكب المصارعين قبل بداية المصارعة ★ ▼



• طقوس ومأساة •

حافظت مصارعة الثيران على مظهرها المسرحي الذي يعود إلى القرن السابع عشر، لكنها بدأت تتغير وتتطور في نهاية القرن التاسع عشر. وقد قام كبار المصارعين بإعطائها شكلها النهائي الحالي، وأصبحت فناً له قواعده وأصوله.

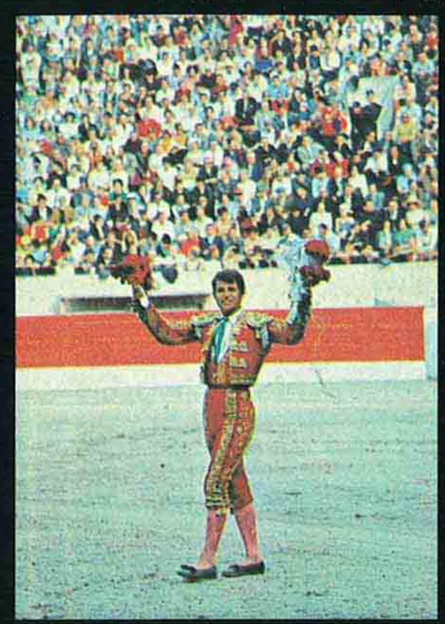
والمصارعون هم في الغالب من الطبقات الفقيرة وغالباً من أبناء **النَّوَر (الغجر)**. ويبدأ هؤلاء بالتدرب عادة بمصارعة العجول الصغيرة لإظهار مهارتهم أمام فتيات القرية. وهنالك مدربون يتعهدون هؤلاء بالتدريب على حركات المصارعة وعلى اكتساب المهارة التي تثير حماس الجماهير، وخاصة على الكيفية التي يتفادى بها المصارع نطحات الثور وضربات قرنيه. ويجب على المصارع أن يتمتع بلياقة بدنية فائقة وسرعة الحركة، وبمهارة لا يكتسبها إلا بالممارسة وذلك عن طريق انضمامه إلى جماعة مصارع كبير، فيقوم أولا بأدوار ثانوية في الحلبة حتى يأتي اليوم الذي يستطيع أن يثبت فيه أنه **مصارع رئيسي** Matador.

ولا شك أن كثيراً من السياح الأجانب الوافدين إلى إسبانيا يودون مشاهدة مصارعة الثيران كأحد المظاهر التي تختص بها إسبانيا، وهم من أوائل مشجعي هذه الرياضة؛ فتراهم يتدافعون نحو حلبة المصارعة، وكثير منهم يكتفون بزيارة واحدة، وبالرغم من الإشمئزاز الذي قد يصيبهم، لا يسعهم إنكار ما تنطوي عليه من فتنة بما تشتمل عليه من مراسم احتفال، وألوان خلابة، وشمس ساطعة، وثياب المصارعين المزركشة، وطريقة العرض المدهشة.

ويقول أحد المعلقين: «**ليس من السهل أن نفهم الطريقة التي يعبِّر بها الشعب الإسباني عن نفسه بواسطة مصارعة الثيران: إن هذا التحدي بين الرجل والثور يقوم على وحشية وقسوة من كلا الطرفين، يضاف إلى ذلك أن الإسباني يرى فيها برهاناً على رجولته وقوته ومهارته.. حيث يختلط الدم بالمأساة.. إنه يعيش لحظات رهيبة**



★ في ذكرى وفاة المصارع الشهير «إغناثيو نشيز ميخياس» الذي قتله أحد الثيران في ١١ آب (أغسطس) ١٩٣٤م، واخترق قرن الثور فخذ المصارع ★



★ المصارع الملقب بالقرطبي يحيي الجماهير. وصفته الصحافة بقولها إنه «متشرد يحول دماء الثيران إلى ذهب» ★

يتعرض فيها للموت ويتجلى فيها رد فعله تجاه حيوان شرس».

وتوجد في إسبانيا حالياً (٤١٠) من حلبات المصارعة Plaza de Toros، منها ثلاثين حلبة تتسع كل منها لأكثر من عشرة آلاف متفرج. أما **حلبة مدريد** فتتسع لثلاثة وعشرين ألف متفرج. وغالباً ما تكون المقاعد **محجوزة سلفاً**، بحيث يضطر المتفرج إلى شراء بطاقته من **السوق السوداء**. وعادة ما يحتل الصفوف الأولى الهواة الدائمون الذين يعرفون أصول اللعبة، ويتتبعون عن كثب حركات المصارع فيثنون عليه إذا أجاد.

وتقام حفلات المصارعة تحت رعاية محافظ المدينة، وهو يقوم بإعطاء إشارة افتتاح الحفل. وهنا ينطلق النفير الأول معلناً البداية، ويقوم فارسان يطلق عليهما اسم (**المفوضين**) بالدخول إلى الحلبة، ومهمتهما نقل رسالة رئيس الحفل بافتتاح المصارعة. ويليهما **طابور المصارعين** Matadors، ثم مساعديهم من حملة السهام وحملة الحراب. وبالطبع يقوم **المصارعون المساعدون** Toreros بأدوار مختلفة في بداية المباراة. أما المصارع الرئيسي فيقوم بمفرده بمصارعة الثور وقتله في نهاية المباراة.

• اختيار الثور •

هنالك شروط خاصة يجب توفرها في الثور: إذ يجب أن يبلغ من العمر أربع إلى خمس سنوات وأن لا يقل وزنه عن (٤٥٠) كيلاً. ويجب أن لا يعرف الخوف، بل إن سروره الأوحد هو القتال وقبول التحدي. ويتم فرز العجول بإرسال العجول الشجاعة لتربيتها كي تكون أشد ما تكون وحشية. والثور البالغ من العمر خمس سنوات يستطيع أن يضرب حصاناً وينطحه ويلقيه ـ مع الفارس الذي يمتطيه ـ خلف ظهره. ويمكنه أن يضرب الحصان بعد اللحاق به وأن يقذفه خمسة وعشرين متراً ومن ثم يمكنه أن يتلقفه ثانية بقرنيه، كما يستطيع الثور أن يدور حول نفسه بسرعة رهيبة وبخفة تعادل خفة الديك. **فمصارعة الثور تقوم أساساً على قوته. أما الثور الجبان فإنه يخرق قوانين المصارعة ولا يمتع المشاهدين لأنه قد يقتل في اللحظات الأولى من المباراة.**

وتقسم المصارعة إلى ثلاثة أشواط:

يسمى **الشوط الأول (المتشامخ)** Levantado، ويكون الثور فيه رافع الرأس مهاجماً بقرنيه كل ما يتحرك أمامه من إنسان أو حيوان. وفي هذه المرحلة يكون الثور قليل الخطر لأنه ينطح بخط مستقيم وبالقرنين معاً ودون تردد، ويستطيع المصارع المساعد أن يقوم بحركات في هذا الشوط قد لا يستطيع القيام بها في الشوط الثالث لأنها تعتبر ضرباً من الانتحار آنذاك.

أما **الشوط الثاني فيسمى (المتبختر)** Parado، وفيه يكون الثور أبطأ حركة ولا يهاجم أي شيء دونما هدف، بل إنه يتعرف على عدوه ويهجم عليه فجأة مسدداً قرنيه بشكل جيد.

أما **الشوط الثالث فيسمى (المتثاقل)** Aplomado، وهنا يصبح الثور بطيء الحركة خافض الرأس ولا يهاجم إلا إذا



★ مدرسة المصارعين .. تدريب الصغار على حركات المصارعة ★

هوجم ، ويجب على المصارع أن يبقى قريباً من الثور في هذا الشوط ، لأن الحيوان لا يرى بشكل جيد ، وهكذا يكون خطراً جداً لأن ردود فعله وطريقة هجومه تصبح غير متوقعة .

وفي الشوط الأول يفتح باب الحلبة وينطلق الثور مهرولا ضمن الحلبة متحدياً ، وهنا يقوم حاملا السهام بافتتاح المباراة وكل منهما يحرك عباءته المزركشة لجذب الثور إليه ، وما أن يتجه الثور إليه حتى يختبئ خلف حواجز خشبية لا يستطيع الثور أن يدخل إليها .. وهذه الطريقة تتيح للمصارع الرئيسي دراسة سلوك الثور والطريقة التي يهاجم بها .. وبعد ذلك يدخل المصارع ليقوم بمناوشة الثور بعباءته . ثم يدخل **حاملو الحراب** على صهوات الجياد التي ألبست دروعاً حديدية ، إذ إنه منذ عام ١٩٣٠ م ، أصبح في حكم الممنوع أن يدخل الحصان إلى الحلبة دون درع واقٍ ، وذلك لتجنيبه التعرض إلى الموت وكي لا يشمئز الحاضرون من منظر الدماء التي تسيل من الحصان .

ووظيفة حاملي الحراب هي أن يجرحوا الثور في كتفيه لإجباره على خفض رأسه وقرنيه ولتهدئة اندفاعه .. وعلى حامل الحربة أن يبرهن على رباطة جأشه فوق جواده ، ويقوم بقية أفراد الفريق بإلهاء الثور بالتلويح له بقبعاتهم أو بعباءاتهم .. بعد ذلك يقوم حاملو السهام بضرب الثور بسهمين يدويين في كتفيه . والسهم ذو رأس على شكل مرساة السفينة المدببة بحيث لا يسقط إذا انغرس في جلده . والغاية من ذلك هي إجبار الثور على استخدام قرنيه معاً . ومن أصول هذه المصارعة أنه لا يجوز أن ينغرس السهم في مكان جرح سابق .

ولا بد من التنويه أن هذه الأعمال خلال الشوطين الأول والثاني إنما هي تهيئة للقاء بين المصارع الرئيسي والثور الذي يكتسب مع كل لحظة تمر خبرة قتالية جديدة .

• ساعة الموت •

والمرحلة الثالثة ، أو الشوط الثالث ، تسمى **(ساعة الموت)** . ويبدأ هذا الشوط عندما يدوي النفير للمرة الثالثة ويدخل المصارع الرئيسي إلى الحلبة مسرعاً وفي إحدى يديه حسام وفي الثانية عباءة حمراء اللون .

ويقوم المصارع باختيار أحد الحاضرين لتقديم الثور على شرفه وينحني المصارع إنحناءة خفيفة ثم يقذف المصارع بقبعته إلى من اختاره .

وتتكون الحركات النهائية في هذا الشوط من عدة تمريرات ومحاورات مع الثور بقطعة النسيج الحمراء التي يهزها المصارع أمام ناظري الحيوان ، ويندفع الثور نحوها ـ والمصارع خلفها ـ وبكل خفة ينزلق جسم المصارع إلى أحد الجانبين وينطح الثور قطعة القماش .

وتهدف هذه الحركات إلى إظهار براعة المصارع ومدى تعرضه للخطر وحسن تفاديه إياه ، كما أنها من جهة أخرى تهدف إلى إنهاك الثور إلى أقصى حد ممكن ، حتى يبقى واقفاً دون حراك .

وبالطبع فإن هذا هو الجزء المثير من المصارعة ، فعلى الرغم من أن المصارع يحمل سيفه بيده فإنه لا يجوز له استخدامه إلى أن تحين اللحظة الحاسمة ، وهي وقوف الثور دون حراك رغم استثارته . وهنا يحيي المصارع رئيس الحفل ، ويرفع بيده اليمنى سيفه لضرب الثور ضربة قاضية واحدة ، يطعن بها الثور وينغرس الحسام حتى قبضته في الجانب الأيسر من العمود الفقري بين الفقرة الرقبية الثالثة والرابعة ، ويخر الثور صريعاً على الأرض جثة هامدة .

وإذا كانت المباراة خالية من المخادعة وجرت طبقاً للقواعد فإن الجمهور يصرخ استحساناً محيياً المصارع الشجاع بالهتاف ، وينحني المصارع لجماهيره ومعجبيه رافعاً كلتا يديه . أما الثور المسكين ، فيتم سحبه خارج الملعب بواسطة البغال . عند ذاك يقوم رئيس الحفل بتقديم إحدى أذني الثور أو كلتاهما للمصارع حسبما أبداه من شجاعة ومهارة .. أما إذا كانت المصارعة جيدة جداً أو تخللتها حركات وتمريرات جميلة وخطيرة ، فإن المصارع يحصل على ذيل الثور أيضاً !

وما زال الإسبان يعشقون هذه المصارعة ، ومن لم يتح له مشاهدتها على الطبيعة فإنه يشاهدها أمام الشاشة الصغيرة في بيته .

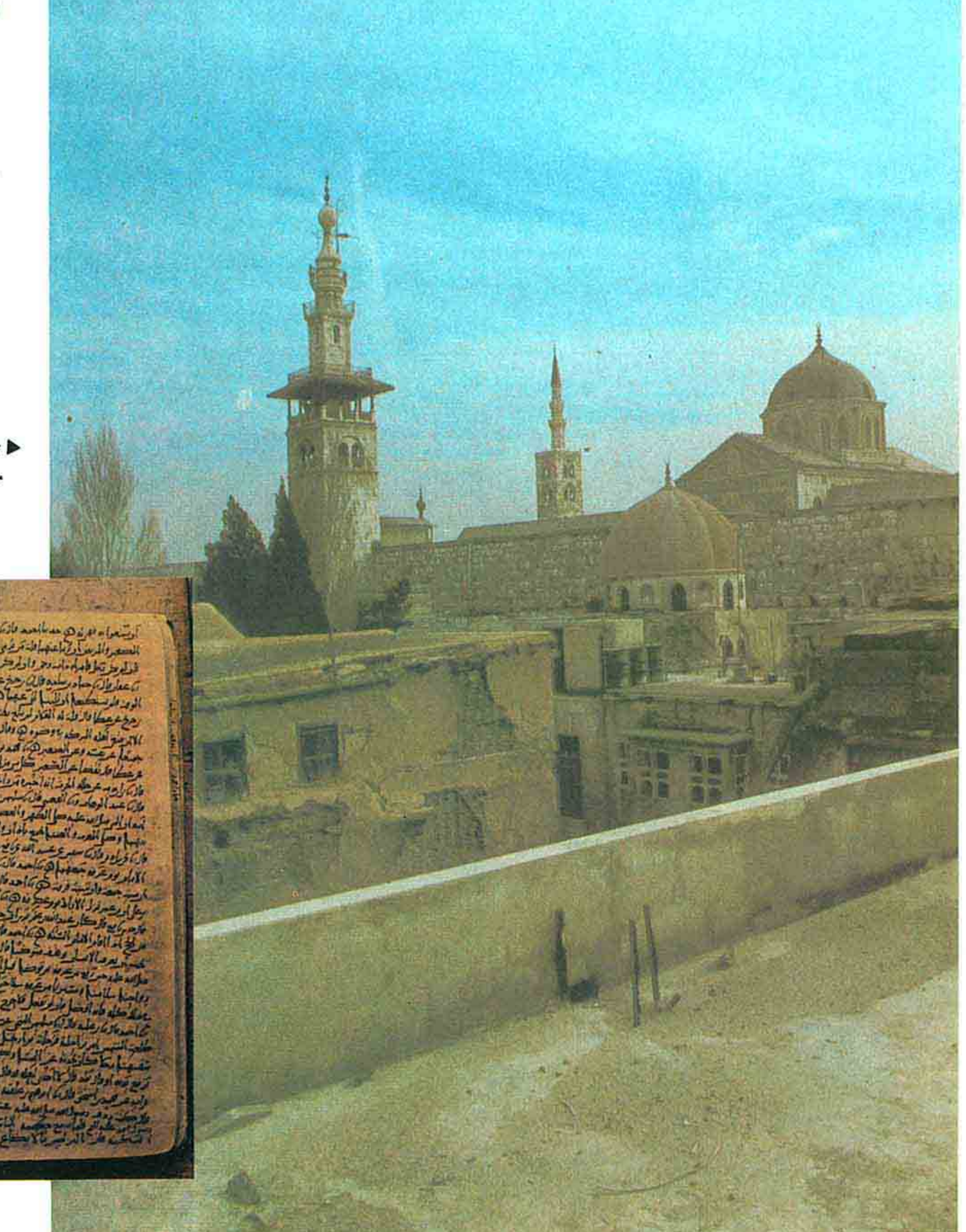
وحقيقة الأمر أنه لولا ما يتخلل العرض من منظر الدماء ومقتل الثور ، لكانت مصارعة الثيران ضرباً من ضروب التسلية . وفي بعض البلدان الأخرى **كفرنسا وأمريكا اللاتينية** ، لا تنتهي المصارعة بموت الثور . ولعل هذه الطريقة أفضل لاستمرار هذه المصارعة ولكونها أكثر إنسانية .

دار الكتب
الوطنية الظاهرية في دمشق

بقلم
أكرم صمودي

مَعلَمة من معالم دمشق .. ووجه من أوجه تاريخها العربي الإسلامي .. تربض في قلب المدينة القديمة وبين أسوارها ، وتظللها أفياء المسجد الأموي الكبير .

شاهدة ـ وأي شهادة ـ على زهو التاريخ العربي ، كأنها الجذوة المضيئة التي تأبى أن تحترق .



◀ ★ المسجد الأموي وتبدو أمامه قبة صلاح الدين كما تشاهد من مبنى الدار ★

★ صفحتان من مخطوطة مسند الإمام أحمد بن حنبل أقدم مخطوطات الظاهرية ★ ▼

نسبة الظاهرية

لعله من المفيد في البداية أن نقول : إن نسبة دار الكتب الوطنية الظاهرية ، تعود بنا إلى فترة من التاريخ العربي ، ليست بالقريبة ، وهي سنة (٦٥٨ هـ) ، إذ تولى **الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري** مُلك الدولة البحرية المملوكية .

ويعد الظاهر بيبرس من أبرز ملوك هذه الدولة ، لما امتلكه من حزم القيادة وشدتها ، وصفات المسالمة وسماحتها في آن واحد .

وقد تألق نجمه ، بعد أن أعتقه مولاه « **الملك الصالح** » **نجم الدين الأيوبي** ، وضمه إلى مماليكه البحرية ، فغدا فيما بعد قائداً باسلاً ، انتصر على الفرنجة في **موقعة** « **المنصورة** » ، وعلا اسمه في انتصاراته الكبيرة على التتار في موقعتي « **بيسان** » و « **عين جالوت** » .

ويدفعه طموحه إلى الانقلاب على « **قطز** » سلطان مصر والشام ، فيقتل الأخير ، ويتولى الظاهر بيبرس من بعده ملك الدولة البحرية المملوكية سنة (٦٥٨ هـ) ، زهاء سبعة عشر عاماً ، انضبطت خلالها أمور الدولة البحرية بفضل قيادته .

ولعل من أبرز ما عرف عن الظاهر بيبرس ، تقربه من العلماء ، وإجلاله أكابرهم . . روى **السيوطي**[1] « أنه حضر في يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ستين[2] إلى **دار العدل** في محاكمة في بئر بين يدي **القاضي تاج الدين بن بنت الأعز** ، فقام الناس سوى القاضي ، فإنه أشار إليه أن لا يقوم ، فقام هو وغريمه بين يدي القاضي وتداعيا ، وكان الحق بيد السلطان ، وله بينة عادلة به ، فانتزعت البئر من يد الغريم ، وهو أحد الأمراء . . » . كما يروى **أن ابن مالك النحوي** ، صاحب « **الألفية** » الشهيرة في النحو والصرف ، راسله من الشام ــ وكان الظاهر في القاهرة ــ يستعين به على اصلاح حاله ، فأعانه .

ومن المأثور عنه كذلك ، مكافحة الكبائر ، والتنكيل بمرتكبيها ، ونزوعه إلى إعادة مجد **الدولة العباسية** الواحدة من قبل ، فشرع يشيد الكثير من المنشآت العمرانية ، على نحو ما يروي لنا السيوطي أنه « . . هو الذي أكمل عمارة **المسجد النبوي** من الحريق ، وكان الخليفة **المستعصم** ، شرع فيه بعد أن احترق ، فقتل قبل أن يتم ، فجهز الظاهر في رمضان سنة إحدى وستين[3] صناعاً وأخشاباً وآلات . . ثم ساروا بها إلى **المدينة الشريفة** ، وأرسل منبراً ، فنصب هنالك ، وحج في سنة سبع وستين ، فغسل الكعبة بيده بماء الورد ، وزار المدينة الشريفة . . » .

وعلى هذا ، من البديهي أن يقال : إن فن هندسة العمارة من بناء قصور ومساجد ، وقباب ومدارس ، قد اضطرد ازدهاره ، واتسع نطاقه فخامة وزينة في عهد هذا السلطان الطموح .

ومن أبرز ما شيد من المدارس في أيامه « **المدرسة الظاهرية** » في **القاهرة** سنة (٦٦٠ هـ)[4] ، أما « **المدرسة الظاهرية** » **الدمشقية** ، التي نحن بصدد ذكرها ، فلعل نسبتها إلى الظاهر بيبرس نسبة شهرة ، بالرغم من أنها لم تكن من إنجازاته ، فقد بناها ابنه « **الملك السعيد** » **أبو المعالي ناصر الدين محمد بركه قان** ، إثر وفاة الأب ، والظن أن الظاهر قد يكون قد فكر بإنشاء مدرسة ظاهرية في دمشق ، على نحو ما أنشأ في القاهرة .

★ جريدة الجنة من أقدم الصحف العربية في قسم الدوريات ★

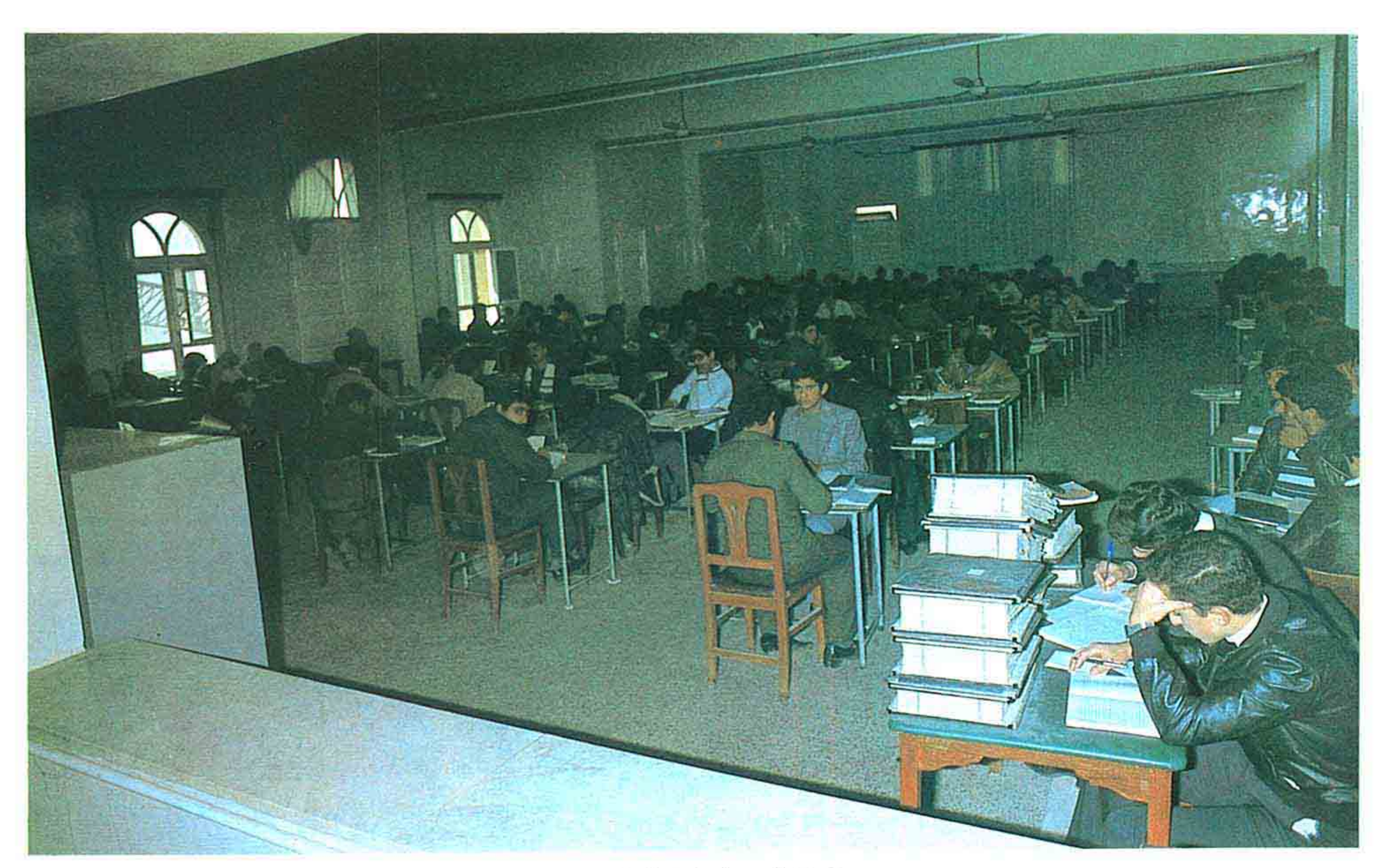
وفاة الظاهر بيبرس

بعد وفاة الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦ هـ) ، وتولي ابنه سلطنة **مصر والشام** ، شرع الأخير ببناء « الظاهرية » **مدرسة ودار حديث وقبة (تربة)** ، وكان ذلك في دمشق .

وقد ابتاع « الملك السعيد » دار **أحمد بن الحسين العقيق** ، وكانت من قبل منزلا للأيوبيين بدمشق ، يرودها أشراف الوافدين إلى المدينة . وبنيت القبة الظاهرية فيها ، ونقل جثمان الظاهر بيبرس ، بأمر من « الملك السعيد » إلى حيث بنيت[5] ، بالقرب من قبة **صلاح الدين الأيوبي** ، التي تجاور المسجد الأموي .

افتتاح المدرسة الظاهرية

بدئ التدريس في المدرسة الظاهرية سنة (٦٧٧ هـ) ، بالرغم من أن بناءها لم يكتمل بعد ، حتى إذا ذهب المُلك من يد « الملك السعيد » ، وخلع نفسه سنة (٦٧٨ هـ) ، وآل الحكم في النهاية إلى « **أتابكة** » **سيف الدين قلاوون** ، الذي خلع « **شلامش** » أخا « الملك السعيد » ــ وكان



★ قاعة الأمير مصطفى الشهابي للمطالعة العامة ★

شلامش هذا صغيراً على الملك ـ ولقب نفسه ـ أي أتابكة ـ «**بالملك المنصور**» ؛ أمر بإتمام بناء المدرسة الظاهرية، وسجل فوق بابها الرئيسي اسم بانيها «الملك السعيد» الذي توفي بعد خلعه بأشهر، ودفن إلى جوار أبيه «الظاهر بيبرس»[٦] .

وتحولت المدرسة إلى دار كتب

وتتتالى السنون، ويتوافد على المدرسة الظاهرية جهابذة علماء، حفلت الظاهرية بمجالسهم التي طالما ترددت فيها علوم الدين والدنيا . .[٧] حتى إذا قارب القرن الهجري الثالث عشر على الانتهاء (١٢٩٤ هـ)، تحولت الظاهرية إلى مدرسة ابتدائية باسم «**مدرسة الملك الظاهر**»، واستصدر الوالي التركي المصلح «**مدحت باشا**» عام (١٢٩٥ هـ)، قراراً بجمع الكتب وإيداعها المدرسة، بعد أن ألح عليه الغيورون من مشايخ دمشق آنذاك، ونبهوه إلى اختلاس الكتب المخطوطة وفقدانها من مدارس دمشق ومكتباتها، وكان منهم الشيخ **سليم البخاري**، والشيخ **طاهر الجزائري** مفتش المعارف في ولاية سورية آنذاك .

وبعد عزل «مدحت باشا» عن الولاية، وتولي «حمدي باشا» سنة (١٢٩٦ هـ)، يكتب هذا الأخير على باب القبة، التي اتخذت مستودع كتب وقاعة مطالعة «**فكم ساع لقاعد، سنة الله في خلقه**» .

ويقنع «حمدي باشا» بمشورة العلماء في اتخاذ الظاهرية داراً عامة للكتب، تجمع فيها الكتب الوقفية في تربة الملك الظاهر، وتكرس لفائدة المطالعين . وبذلك تحولت «مدرسة الملك الظاهر» الابتدائية، إلى ما سمّي آنذاك «**المكتبة العمومية**»، وأخذت في تغذيتها بالمخطوطات والكتب النادرة، غيرة العلماء، كالشيخ **طاهر الجزائري** وصحبه، إذ سعوا بدأب وإصرار إلى تكوين المكتبة، بالرغم من المتاعب الكثيرة التي لاقوها من بعض الجهلة . . وكان ما جُمع من مخطوطات في البداية من عشر مكتبات دمشقية هي : **المكتبة العمومية ٦٦٢ مخطوطة ـ مكتبة عبد الله باشا العظم ٤٦١ مخطوطة ـ مكتبة الخياطين ٣٧٥ مخطوطة ـ مكتبة الملا عثمان الكردي ٣١٢ مخطوطة ـ المكتبة السليمانية ١٣٠ مخطوطة ـ المكتبة المرادية ٢٦٠ مخطوطة ـ المكتبة السمساطية ٨١ مخطوطة ـ مكتبة بيت الخطابة في المسجد الأموي ٣٧٠ مخطوطة ـ مكتبة الأوقاف ٦٤ مخطوطة وأربعة كتب مطبوعة ـ مكتبة السياغوشية ١١ مخطوطة** . . يضاف إلى ذلك مخطوطات وكتب كثيرة، كانت النواة الأولى لثروة الظاهرية من الكتب في شتى أنواع العلوم . . وبلغت نحو (٢٤٥٣) مخطوطة وكتاباً .

الظاهرية وديوان المعارف

ازدادت أهمية «**ديوان المعارف**» في مطلع هذا القرن الميلادي،

إثر ازدياد حركة النهضة الفكرية في سورية والأقطار العربية الأخرى ، مما أدى إلى تقسيم « ديوان المعارف » في سورية إلى قسمين : **الأول يختص بأعمال المعارف العامة ، والثاني يختص بأمور اللغة والمكتبات والآثار .**

وقد صدر في تلك الفترة من عام (١٩١٩ م) قرار ، استقل بموجبه **المجمع العلمي العربي** عن المعارف ، على أنه بقي مرتبطاً **بالجامعة السورية** في معاملاته وأموره المالية ، وغدا مقره منذ ذلك الحين ـ وحتى الآن ـ في « **المدرسة العادلية الكبرى** » ، قُبالة مبنى الظاهرية ، وكان أول رئيس له المؤرخ العلامة **محمد كرد علي** ، الذي طلب إلحاق « **دار الكتب العربية** » بالمجمع ، وكان ذلك في العام ذاته . وبطالب المجمع بعد سنوات بانفصاله عن الجامعة السورية ، وبعد إلحاح القائمين عليه ، يصدر قرار بفصل المجمع ـ والمكتبة ابنته الأثيرة ـ عن الجامعة سنة (١٩٢٦ م) ، كما تم إلغاء المدرسة الابتدائية من مبنى المكتبة أواخر عام (١٩٢٧ م) ، مما هيأ للمجمع التفرغ للعناية بدار الكتب ، فاستهدى أصحاب مؤسسات النشر ورجال العلم ، فأهدي للظاهرية كثير من الكتب والمخطوطات ، كما عمل المجمع على استنساخ نوادر الكتب العربية من مكتبات عربية وعالمية . ومما زاد في رصيد الدار من الكتب أن المجمع قد بعث مدير المكتبة وقتذاك إلى مصر ، ليطلع على مناهج تنظيم المكتبات ، وعاد سفير المجمع بألف وستمئة كتاب .

وتجدر الإشارة إلى أن دار الكتب الظاهرية ، كانت تتبع مجمع اللغة العربية بدمشق منذ تأسيسه سنة (١٩١٩ م) ، وإن كانت الدار متقدمة على المجمع من حيث الزمن .

فقد تبعته ـ كما رأينا ـ في فترة تأسيسه ، حين كان أحد المرافق الثقافية الرئيسة في « ديوان المعارف » ، وانفصلت معه عن « الجامعة السورية » فألفا معاً هيئة علمية ثقافية واحدة ، تحكمها أنظمة مستقلة ، شأنها شأن الجامعات السورية اليوم ، فهي تتبع **وزارة التعليم العالي** في قوانينها العامة ، وتخضع لقوانينها المستقلة تدير بها شؤونها العلمية والإدارية . . وكذلك مجمع اللغة العربية الذي يرأسه اليوم العلامة الدكتور **حسني سبح** ، ويدير دار الكتب الوطنية الظاهرية بدوائرها المختلفة الأستاذ **ماجد الذهبي** .

الظاهرية اليوم

انتظمت أمور الدار منذ سنوات ، بعد أن أجري على بنائها بعض الإصلاح والتوسيع ، واستقرت شؤونها المكتبية ، قياساً إلى ما كانت عليه من قبل .

فمن حيث توسعة البناء ، أنشئت قاعة عامة للمطالعة ، سميت باسم الأمير **مصطفى الشهابي** رئيس المجمع السابق ، كذلك خصصت قاعة للباحثين من المؤلفين وأساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا ، سميت باسم الشيخ طاهر الجزائري أبرز مؤسسي الدار ، وتحتوي هذه القاعة مكتبة خاصة بها ، تضم الكتب الرئيسة التي يكثر استعمالها في بحوث



الآداب والفنون والعلوم المختلفة .

وفي الظاهرية اليوم ثلاث دوائر ، تعنى بالشؤون المكتبية للدار ، أما الأولى فهي **دائرة المخطوطات** التي كان مقرها في القبة الظاهرية نفسها ، وقد نقل إثر توسعة البناء إلى مستودع محدث خاص بالمخطوطات . وقد بلغ عدد المخطوطات في آخر إحصاء (عام ١٩٧٩ م) ، (١١٨٩٩) مخطوطة في العلوم المختلفة . . وأرى أن أبرز أهمية هذه المخطوطات من خلال إيراد أسماء عدد منها وتواريخ كتابتها :

- **مسائل الإمام أحمد بن حنبل** للإمام أحمد بن حنبل ، كتبت سنة (٢٦٦ هـ) ، وهي من أقدم المخطوطات المكتوبة على الورق إن لم تكن أقدمها .
- **سنن النسائي للإمام أحمد بن سعيد النسائي** ، كتبت سنة (٣٥٥ هـ) .
- **الموطأ** ، رواية **سويد بن سعيد** ، عن الإمام **مالك بن أنس** ، كتبت سنة (٤٤٣ هـ) .
- **المطر والسحاب لمحمد بن الحسين بن دريد الأزدي** ، كتبت سنة (٤٥٥ هـ) .

ومن المفيد أن نذكر هنا ، أن الاطلاع على مخطوطات الظاهرية ميسور لجميع الباحثين ، إذ يفد إلى الدار كثير من العرب والمستشرقين للإفادة من المخطوطات العربية .





★ ★ مستودع الدوريات ★



★ ماجد الذهبي مدير دار الكتب الوطنية الظاهرية ★ ★

وأما الدائرة الثانية ـ وهي أكبر الدوائر من حيث عدد الكتب ـ فهي **دائرة المطبوعات**، وتضم في مستودعيها الرئيسين أمهات الكتب العربية، وأعداداً كبيرة من الكتب العربية والأجنبية حديثة التأليف. وقد بلغ عدد الكتب المطبوعة (٦٥٩٢٨) كتاباً، تقع في (٨٠) ألف مجلد.

وثالثة دوائر الظاهرية ـ وهي رديفة دائرة المطبوعات ـ **دائرة الدوريات**، وتضم في مستودعها ما بلغ عدده حتى نهاية العام الماضي (٢٤٢١٦) صحيفة ومجلة ودورية عربية لنحو (١٣٠٠) عنوان قديم ومعاصر.. كذلك فقد بلغ عدد الدوريات الأجنبية المفهرسة في هذه الدائرة نحو (١٩٨٠٨) مجلات ودوريات أجنبية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المطبوعات، لا تقتصر على الأسماء المعاصرة، فثمة مطبوعات قديمة هامة. وعلى سبيل المثال؛ نلاحظ من الصحف العربية الأولى في تاريخ الصحافة العربية ما عرف بجريدة «**الجنّة**» وجريدة «**الجنان**»، ويعود تاريخ صدورهما إلى (١٨٧٠ م).. كذلك «**المقبس**» التي أصدرها الأستاذ محمد كرد علي في مصر، و«**المقتطف**» التي أصدرها **يعقوب صروف وفارس نمر** في نفس الفترة.. وكل هذه الدوريات مفهرسة ومجلدة حسب تسلسل أعدادها.

فهارس الكتب

ينظم هذه الأعداد الكبيرة من الكتب ثلاثة فهارس: أولها حسب اسم المؤلف في حروف الهجاء، وثانيها حسب تسلسل عناوين الكتب، وثالثها فهرس يصنف موضوعات الكتب حسب أنواع الآداب والفنون والعلوم في مجلدات مختلفة، منوهاً إلى تواريخ الطبع وأسماء المؤلفين والأرقام المعطاة للكتب في التسلسل العام.

* * *

مشكلة هامة

لعل مشكلة تزويد مكتبة كبيرة بما من الكتب الحديثة، لا يقتصر على دار الكتب الظاهرية، وإنما يتعداه إلى كثير من دور الكتب العربية، نظراً للتباعد الثقافي المؤسف بين أمصار العالم العربي. فما يصدر ي المغرب العربي مثلاً، لا يصل إلى المشرق بسهولة، وكذلك العكس، باستثناء ما يصل إلى بعض المتخصصين والبحاثة وسواهم، وهذا أمر لا يفي بالغرض.

ومشكلة الظاهرية ـ على ما تحدث لي بها مدير الدار الأستاذ **ماجد الذهبي** ـ تتمثل في هذا الأمر، إذ إن دور النشر العربية والمؤلفين العرب، قليل ما يخطر ببالهم تزويد الدار بنسخ عن المؤلفات الحديثة التي يصدرون عنها، مما يضطر الإدارة إلى البحث والسؤال عن الكتب الكثيرة التي تصدر كل يوم، فلا يحظون إلا بالقليل مما يصدر في الأقطار العربية المجاورة.

ولعل هذه ظاهرة غير مطمئنة في هذا المجال الثقافي الهام. وهنا لا يسعنا إلا أن نقول: **إن هذه العزلة الثقافية لا وجود لها على صعيد الثقافات العالمية التي تتباين اتجاهاتها**، وما يصل الأقطار العربية من المطبوعات الأجنبية الحديثة فيه دليل على ذلك.. فكيف بنا إذا علمنا ـ وهذا أمر بديهي ـ أن ما يصدر عن كتابنا العرب، ليس إلا نجوماً تدور في فلك الثقافة العربية الواحدة!!

وإذا كان في هذا دعوة مُلحة للكتّاب والناشرين العرب إلى تزويد مكتباتنا العربية بما يصدر عنهم؛ فإنها بعض الوفاء للأواصر الأخوية التي ضربت جذورها في أصول التاريخ العربي الإسلامي.

هوامش

(١) حسن المحاضرة للسيوطي، ٦٦/٢. انظر أخبار الملوك التي تعاقبت على مصر.

(٢) يعني سنة (٦٦٠ هـ)، وقد ورد التاريخ هكذا اختصاراً من المؤلف.

(٣) نفس المصدر السابق، ٦٧/٢.

(٤) نفس المصدر السابق، ١٤٠/٢.

(٥) انظر «النجوم الزاهرة»، ٢٦٣/٧، ط: دار الكتب المصرية.

(٦) تسمى ظاهرية الملك السعيد هذه «المدرسة الظاهرية الجوانية»، لأنه ثمة مدرسة ظاهرية «برانيّة»، بناها الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي.

(٧) اعتمد بالإضافة إلى ما سبق، كتاب للسيدة أسماء الحمصي بعنوان «المدرسة الظاهرية ـ دار الكتب الوطنية»، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق.



★ حسناء واقفة للفنان الياباني «آندو كايجيدو» في مطلع القرن ١٨ م ★

★ أشجار وأزهار الفصول الأربعة، رسم بالألوان على الحرير للفنان «ساكاي» ★

الفن الياباني التقليدي



★ صورة المحارب «هاتشيجان تارويوشين» رسم بالألوان على الحرير ـ أواخر القرن التاسع عشر ـ للفنان «كونتشواوويدا» ★

بقلم : علي دسوقي

● تمثل هذه الأعمال «روائع الفن الياباني التقليدي» خلال ثلاثة قرون من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر .

● مجموعة كبيرة من هذه الأعمال مرسومة على الحواجز (البرفانات) ، وكان الغرض الأساسي من هذه الحواجز صد تيارات الهواء وحجب الرؤية عن أعين المارة ، ثم تطور استخدام هذه الحواجز مع التطور المعماري الذي شهدته اليابان في العصور الوسطى وأصبحت هذه السواتر أهم النفائس والتحف ذات القيمة الفنية والتاريخية التي يزين بها اليابانيون منازلهم .





★ «محارب» رسم بالألوان على الورق للفنان «متسوكي توسا» ١٦١٧ـ ١٦٩١م ★

كنوز الإمبراطورية

● هناك في اليابان مجموعة أعمال يطلق عليها «**كنوز شوشوين الإمبراطورية**» إبان العصور القديمة في الفترة من ٧١٠ إلى ٩٧٤م، حين كانت الكنوز الخاصة بالإمبراطور تجمع عند وفاته وتودع في مبنى خاص بالبلاط. وتضم هذه الكنوز عدداً هائلاً من الأشغال الخشبية والأقمشة المصبوغة والمنسوجات التي تحمل **الطابع الفارسي**، وأغلب الظن أن تكون هذه الكنوز قد جلبت من **الصين** في القرن الأول الميلادي، بعد أن جلبتها الصين من **بلاد الشرق الأوسط** عبر القارة الآسيوية، ثم اجتازت من هناك بحر الصين الشرقي حتى وصلت إلى اليابان عن طريق الحرير. ولا شك أن هذه الأعمال قد تركت تأثيرات واضحة على إحساس الفنان الياباني بالقيم الجمالية لفنون الشرق الأوسط، بالإضافة إلى ما تحمله من دلائل على قيام علاقات قديمة بين اليابان ودول الشرق الأوسط منذ العصور القديمة.

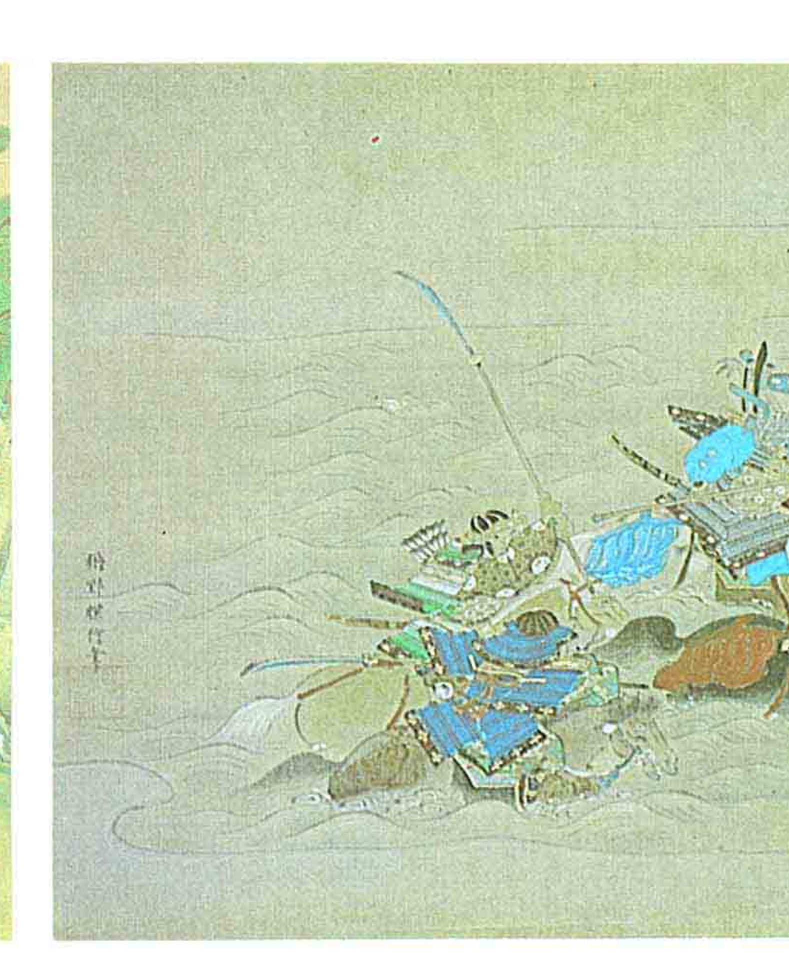
● كذلك تأثرت الفنون القديمة في اليابان بالثقافة الصينية، التي بدأت تتدفق إلى اليابان منذ بداية العصر القديم، وأخذ اليابانيون في اقتباس **رموز الهجاء الصينية** واستخدامها من اللغة اليابانية. وقد شقت الآداب الصينية والعلوم والفلسفة لكبار المفكرين الصينيين طريقها إلى اليابان، كما وصلت الأفكار البوذية إليها من **الهند** عن طريق الصين، وقد قام نظام الحكم في اليابان على أسس النظام الصيني، فقام اليابانيون بتخطيط المدن الكبرى في بلادهم على غرار العاصمة الصينية.

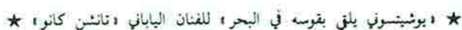
غير أن اليابان قد استطاعت بعد ذلك أن تتمثل ثقافة هذه الحضارات جميعاً وأن تكوّن لنفسها فناً ياباني الملامح والخصائص والسمات، وبدأ الفنان الياباني يتمثل الطبيعة اليابانية والبيئة من حوله.

● ترتبط معظم الأعمال التي يعالجها الفنانون اليابانيون بموضوعين أساسيين.

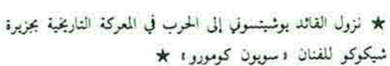
● أولهما: الحرص على تسجيل حياة الأبطال من المحاربين الكبار ورسم شخصياتهم بملامحهم المميزة والمتباينة مظهراً شجاعتهم وبراعتهم في فن القتال. ففي لوحة «**يوشيتسوني يلقي بقوسه في البحر**» نرى الفنان يصور القائد «يوشيتسوني» وهو يحاول استرداد قوس سقط منه في البحر بواسطة أداة لقطع العشب وهو موقف طارىء يتطلب من المحارب سرعة التصرف، ومن خلال جزئيات هذه اللوحة يحاول الفنان الياباني أن يظهر هذا الموقف بوضوح. وقد استطاع الفنان الياباني خلال تلك الفترة أن يقرب شكل المحارب الياباني الذي يطلق عليه في اللغة اليابانية اسم «**ساموراي**» لأذهان الناس. بالإضافة إلى تقريب ما تتسم به شخصيته من صفات مثل المهارة في فن القتال والشجاعة والشرف والزهد في الحياة والشفافية الروحية، وقد حرص الفن الياباني على تصوير ما يتسم به المحارب من قوة، وفي الوقت نفسه ينبغي أن يدرك أن هذه القوة لا طائل من ورائها كما ينبغي على المحارب أن يظهر تقديره لما يتمتع به أعداؤه من صفات، ويستشعر المحارب حقيقة الفناء حينما يشاهد زهرة الكرز وهي تذوي وتسقط، وحينما يختفي رنين صوت الأجراس.

وقد كان لاختلاف **الفصول الأربعة** في اليابان والتباين الواضح بين كل منها وسرعة زوال الفصل تلو الآخر دوره في الاسهام في تكوين هذه الأحاسيس لدى الفنان الياباني. ولا يعتبر البكاء مظهراً من مظاهر الضعف، ذلك أن الحس المرهف هو سمة من سمات المحارب، بل هو ضرورة لا غنى عنها لقوته.





★ «يوشيتسوني يلقي بقوسه في البحر» للفنان الياباني «تانشن كانو» ★



★ نزول القائد يوشيتسوني إلى الحرب في المعركة التاريخية بجزيرة شيكوكو للفنان «سوبون كومورو» ★

الأحداث السياسية والحربية

● ثانياً: يحرص الفنان الياباني في تلك الحقبة على **تصوير الأحداث السياسية** والحربية مسجلاً لها، يصور أحد الحواجز قصة الشقيقين المحاربين «**سوجا**» ومحاولتهما الثأر لمقتل أبيهما، الذي كان قد لقي مصرعه أثناء حفلة من حفلات الصيد عند جبل «**فوجي**» الذي يعتبر رمزاً لليابان وتعرف القصة باسم «**سوجا كيوداي نومونوجاتاري**».

كما تحمل كثيراً من الأعمال الفنية صور «**الصقور**» ذلك الطائر الذي كان المحاربون «**الساموراي**» يقدسونه ويطلق عليه «**تاكانوزو**».

تأثر أوروبا بالفن الياباني

وبالإضافة إلى مجموعة «الحواجز»، اللفائف الحريرية الملونة، هناك أيضاً **نقوش** ترسم على الحجارة وأطباق النحاس والرسم على الألواح الخشبية التي شاع استعمالها في اليابان، وكانت نقوش **أوكيوراي** التي تصور المجتمع الياباني، عاداته وتقاليده، قد اجتذبت العديد من أفراد الشعب لاقتنائها لما تميزت به من الألوان المتألقة الزاهية **وأسلوب الحفر** الدقيق، **وقد تأثر فنانو أوروبا بهذه الفنون، وخاصة المدرسة الانطباعية في فرنسا**، من أوائل هذا القرن وخاصة المجموعة الخاصة بالفنان «**بول جوجان**» الخشبية، حيث اتبع أسلوباً تمثل فيه هذه الحقبة من الفن الياباني، كذلك تأثر من فناني أوروبا التأثيريين **يونين، مانين، رينوار، فان جوخ**، وغيرهم من حيث خروجهم إلى الطبيعة واعتبارها موضوعهم الأول والأخير.

الطبيعة هي الموضوع الأساسي

فالفنان الياباني يعتبر الطبيعة هي موضوعه الأساسي، ذلك لأن هذا الفنان مرتبط بالطبيعة إلى أبعد الحدود عاشقاً لمظاهر الجمال فيها.. مثل أشجار القيقب الرقيقة، وأزهار السوسن، والنرجس، والكرز، والطيور الرقيقة، والسماء والسحب، والجليد وجداول الماء، كما يهتم بتصوير المظاهر التي تطرأ على الطبيعة والبيئة من حوله على مدار الفصول الأربعة، فيصور القمر في شحوبه في الربيع ويصوره في ليالي الحصاد والسوسن، **وزهرة الكرز** هي زهرة الربيع في اليابان وكثيراً ما يشار إلى سقوط هذه الزهرة وهي في أوج رونقها وبهائها إلى موت محارب.

علاقة المرأة بالفن

ويتناول الفنان الياباني «**المرأة**» كقيمة جمالية في أعماله باعتبارها جزء من الطبيعة، نجد ذلك واضحاً في أعمال الفنان «**آندو كايجيسودو**» في أوائل القرن الثامن عشر، فقد قام برسم العديد من الحسناوات اليابانيات وهن واقفات مستخدماً الخطوط الرقيقة والألوان المتألقة المتوهجة والهامسة أحياناً، وعلى الرغم من أنه قد تبدو الحسناوات اللواتي رسمهن على نمط واحد متشابهات إلى حد بعيد إلا أننا نجد دائماً بينهن تمايزاً في نوع القماش وزخارفه الدقيقة المتنوعة التي يصنع منها رداء «**الكيمونو**» وكأن الفنان يسجل بدقة أزياء النساء في هذه الحقبة من تاريخ اليابان.

بول بوريه

Paul Buhré

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥م .







محسن

MOHSEN

المركز الرئيسي : جدة - شارع المطار وشارع الأشراف ص.ب : ٣٤٩٨

الرياض : شارع الملك عبدالعزيز وشارع الناصرية

الخبر : شارع ٢٨ مطلس سنتر

المدينة : شارع السنبيلية وشارع الملك عبدالعزيز

الصندوق العجيب!

بقلم
د. عبدالمحسن صالح

﴿ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾

قرآن كريم

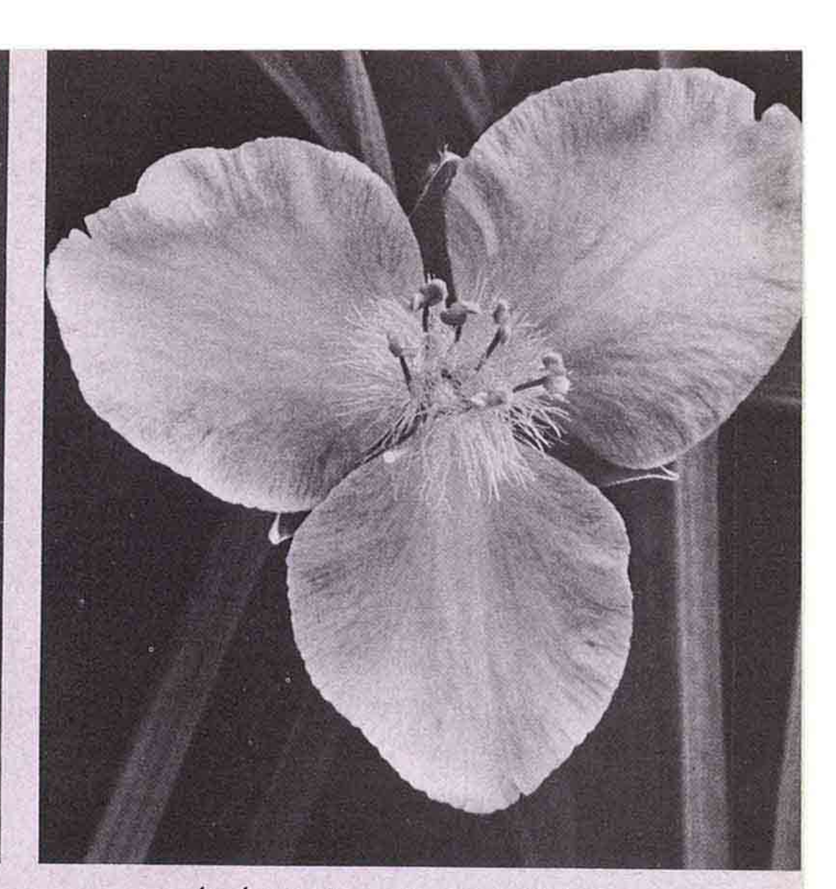
قالت العرب في حكمها : **الرجال صناديق مقفلة ، لا تعرف إلا بالتجارب !**

وعلى الوتيرة ذاتها نقول : **الحياة صناديق مقفلة ، على كنوز هائلة ، لكن تلك الكنوز لا تتكشف إلا بالبحوث الجادة الهادفة !**

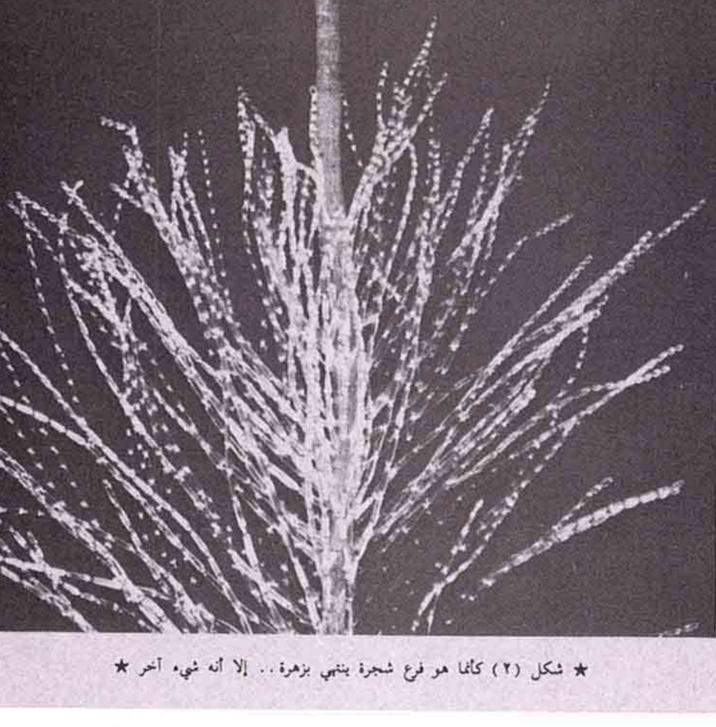
صحيح أننا لن نكتشف في تلك الصناديق ثروات من الجواهر والذهب والفضة ، لكننا سنحصل منها على جواهر من المعرفة ، أثمن لدى العقول المفكرة من الذهب والفضة !

وقبل أن نفتح هذه الصناديق العجيبة ، لننظر إلى ما فيها ، كان حتماً علينا أن نشير إلى أنها ليست صناديق متراصة بجوار بعضها فحسب ، ولا فوق بعضها فحسب ، بل هي أيضاً صناديق من داخل صناديق من داخل صناديق . . . إلخ !





★ شكل (١) زهرة.. أي نعم، ولكن لها ظاهراً وباطناً ★



★ شكل (٢) كأنما هو فرع شجرة ينتهي بزهرة.. إلا أنه شيء آخر ★

لكن الأغرب من ذلك وأعجب أن تلك الصناديق غير منظورة، ولهذا لم تتكشف «جواهرها» لكل الأجيال السابقة، لأن تلك الأجيال لم تكن تمتلك عيوناً غير عيونها، ذلك أن العين البشرية لا تستطيع أن تنفذ إلى لب الحقيقة، ولو استطاعت، لتكشفت لها أكوان من داخل أكوان من داخل أكوان.. وهكذا، وعندئذ يعرف البشر بديع ﴿ **صنع الله الذي أتقن كل شيء** ﴾.. يعرفونه باطناً، بعد أن كانت عيونهم لا ترقب صنعه إلا ظاهراً!

وإلى هنا قد يفرض السؤال نفسه: أنَّى لنا إذن أن نتعرف على هذه الصناديق، أو على ما تحتويه، وهي غير مرئية للعين البشرية؟

الواقع أننا سنراها بعين غير عيوننا، لأن عيوننا قاصرة عن رؤية هذه العوالم الدقيقة!

رحلة الأسرار الدفينة

للخلق ظاهر وباطن، وعيوننا لا ترى إلا الظاهر، أما الباطن فعنها محجوب!

لكننا الآن نستطيع أن نكتشف بعض ما في الباطن من أسرار بفضل عيون العلم الحديثة التي تكبر الأشياء عشرات ومئات وآلاف وعشرات الآلاف من المرات.. تلك هي عيون **الميكروسكوبات**.. ضوئية كانت هذه الميكروسكوبات، أو إليكترونية.

ولكي نرى صناديق الأسرار المثيرة، فعلينا أن نختار شيئاً مما تراه العين البشرية قائماً أمامها كطوفان دافق من المخلوقات، ولا يهم هنا إن أخذنا إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو ميكروباً، فكلها ـ في الحقيقة ـ تنطوي على نظم أصغر فأصغر فأصغر، من داخل نظم أكبر فأكبر، ثم إن الفكرة في خلقها واحدة!

لكن قبل أن نبدأ في التطلع إلى هذه الصناديق، ونغوص في رحلتنا إلى باطن الخلق، لنرى كنوز أسراره، كان لزاماً علينا أن نتطلع أولا إلى الصور الأربع المنشورة هنا (**شكل ١، ٢، ٣، ٤**)، ولنبدأ سؤالنا: هل ترى بينها علاقات تربطها، أو تشابهاً يؤلف بينها، أم هي لأشياء مختلفة؟

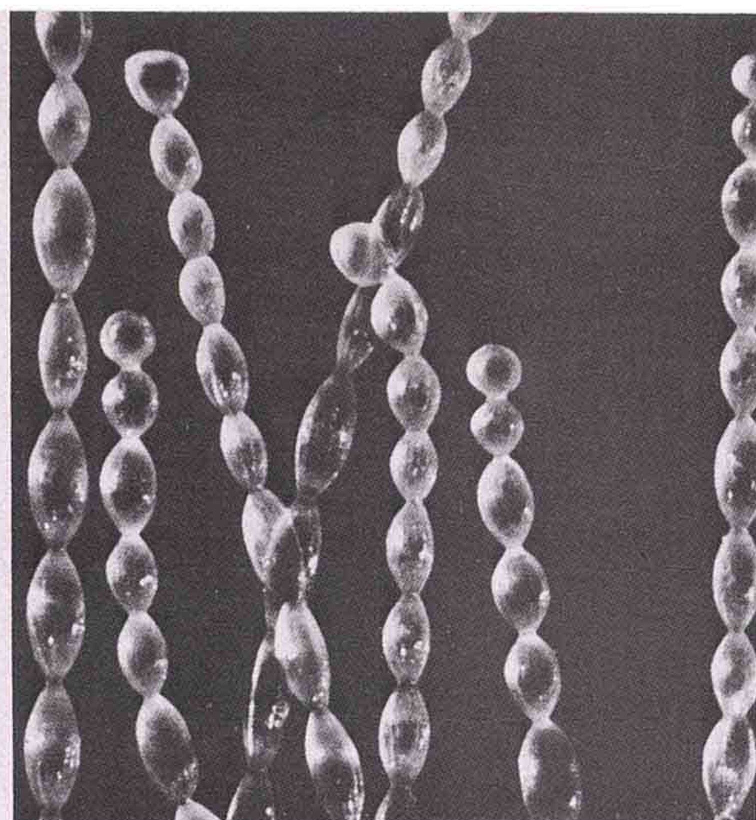
الذين مارسوا **العلوم التجريبية** عامة، وعلوم الكائنات الحية خاصة، سيدركون المغزى الذي تنطوي عليه تلك الصور، إذ إن لهم فيها خبرات سابقة، أو قد يدرك المغزى ذاته، قلة قليلة من ذوي الفطن والألباب، ولهذا فعليك أن تتمعن مرة أخرى في صورنا الأربع، فربما توصلت إلى اللغز الذي احتجب عن عيوننا القاصرة!

على أية حال، فلن يختلف اثنان على أن **الصورة الأولى (شكل ١)** لزهرة، لأننا طالما تطلعنا إلى الزهور أشكالا، وخبرناها أحجاماً، ورأيناها ألواناً.. وهذا هو الظاهر الذي ندركه ونعرفه حق المعرفة.

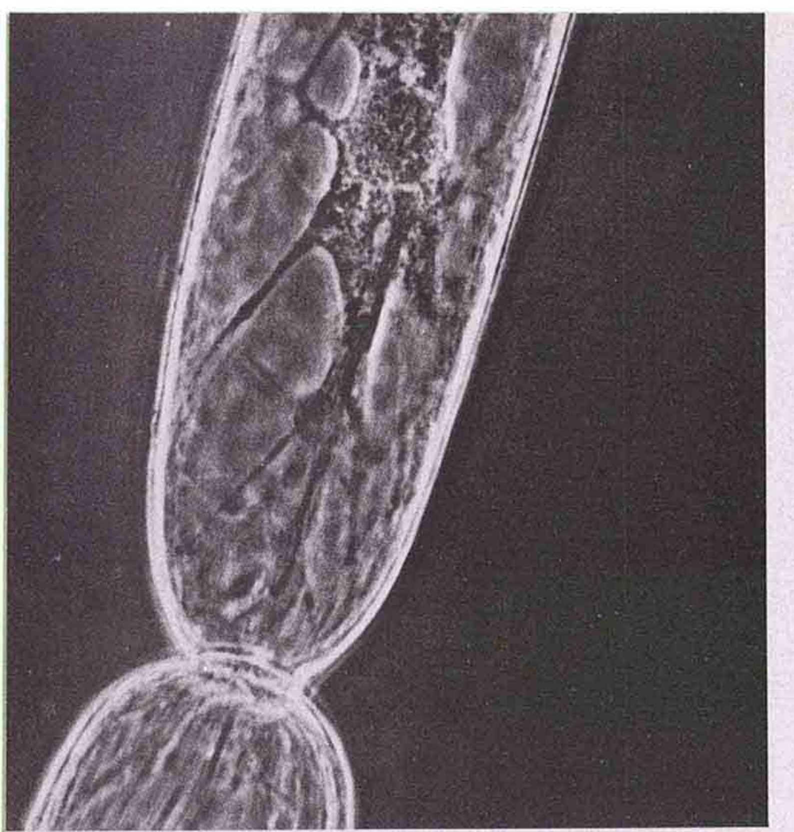
لكن **الصورة التالية (شكل٢)** قد يكون عليها بعض الخلاف، فلأول وهلة قد ينطبع في أذهاننا أنها لفرع نبات يحمل أوراقاً إبرية أو أسطوانية ذات عقد، وفي نهاية الفرع زهرة تبدو ذابلة، أو هي أقل جمالا من زهرتنا السابقة، ومع ذلك، فسوف نترك لك الحرية فيما ترى، فربما كنت أنت على صواب!

فإذا عدنا إلى **الصورة الثالثة (شكل ٣)**، لرأيناها أبعد ما تكون عما تطلعت إليه العيون في الصورتين الأولى والثانية، إذ تبدو أشبه ما تكون بحبات المسابح أو العقود، لكنها ليست بهذه أو تلك!

وطبيعي أن **الصورة الرابعة** أكثر غموضاً على الذين لم يتطلعوا من قبل إلى أسرار الحياة، فهي بلا شك لخلية حية.. أو هي أيضاً «صندوقنا» العظيم الذي يطوي في داخله صناديق من داخل صناديق، لكننا لا نراها على حقيقتها، لأنها تحتاج إلى عيون أكبر فأكبر، ولنؤجل ذلك إلى حين، حتى نوضح ما سبق.



★ شكل (٣) ليست حبات متلاصقة .. لكنها تنطوي على فكرة!! ★



★ شكل (٤) وهذه لا يدرك سرها إلا من عرفها .. لكنها على أية حال صندوق الحياة الذي ينطوي على صناديق داخل صناديق! ★

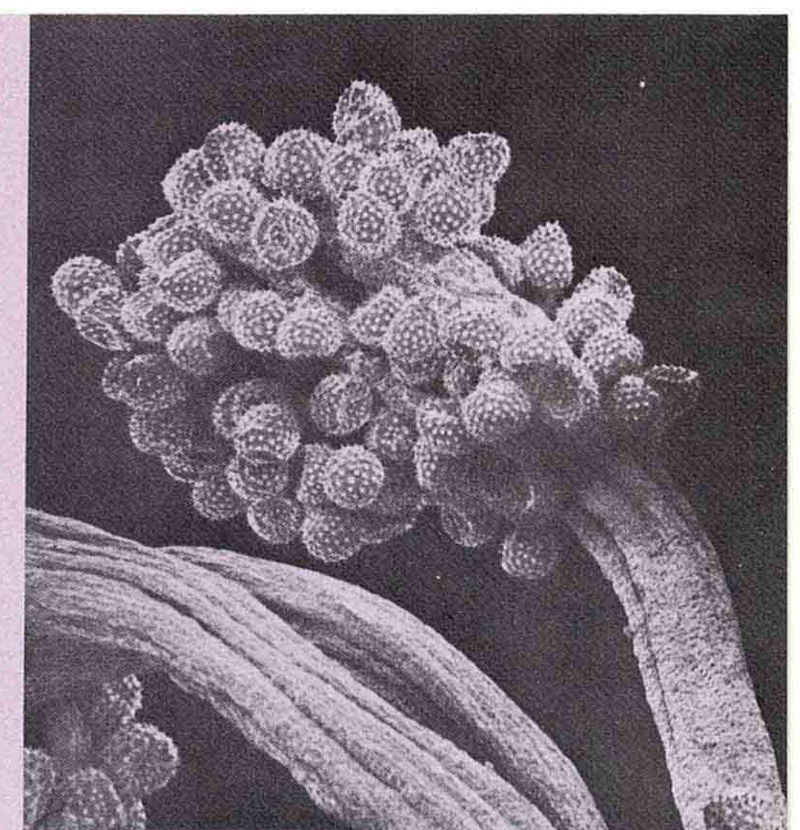
إن الصور الأربع هي – بلا ريب – متعلقة ببعضها ، فما حسبناه ، مثلاً ، بادياً أمامنا كفرع شجرة محاط بأوراق أسطوانية ، ومتوج بزهرة (**شكل ٢**) ، ليس في الواقع إلا جزءً من الزهرة ، لكنه ظهر بهذه الصورة المفصلة ، لأننا كبرناه عشرين مرة .. كل ما هنالك أننا نزعنا سداة من الأسدية الستة التي تتوسط الزهرة ، ونظرنا إليها بعين غير عيوننا ، فظهرت **السداة** (وهي عضو التذكير في الزهرة الذي يحمل في قمته أكياساً بها حبوب اللقاح التي تبدو في نهاية الصورة الثانية كزهرة) وهي محاطة بشعيرات تبدو كما لو كانت مفصصة ، وهي في الواقع كذلك ، لأننا لو أخذنا بعض هذه الشعيرات غير الواضحة وكبرناها ١٧٥ مرة ، لجاءت بشكل أوضح ، فهذه الحبات ليست إلا خلايا الشعيرات التي تراصت واحدة وراء الأخرى ، فبدت للعين بهذا المنظر الفريد .

لكن الخلايا في صورتنا الثالثة ليست غاية المراد ، فنحن لا نستطيع أن نرى فيها شيئاً ذا بال ، وهي بلا شك تحتوي على مكونات داخلية ، ولكي نرى بعض مكوناتها ، كان حتماً أن نأخذ حبة أو خلية لنكبرها أكبر ، وهذا ما نراه حقيقة في الصورة الرابعة ، لأن الخلية هنا جاءت مكبرة ١١٠٠ مرة ، وفيها نرى جدارها أو سورها الذي يحدد شكلها وقوامها ، ومن داخل الجدار الخارجي جدار آخر داخلي رقيق غاية الرقة (**الغشاء البلازمي**) وهو هنا لا يكاد يرى رغم ضخامة التكبير ، لأنه – بدوره – يحتاج إلى عيون أقوى!

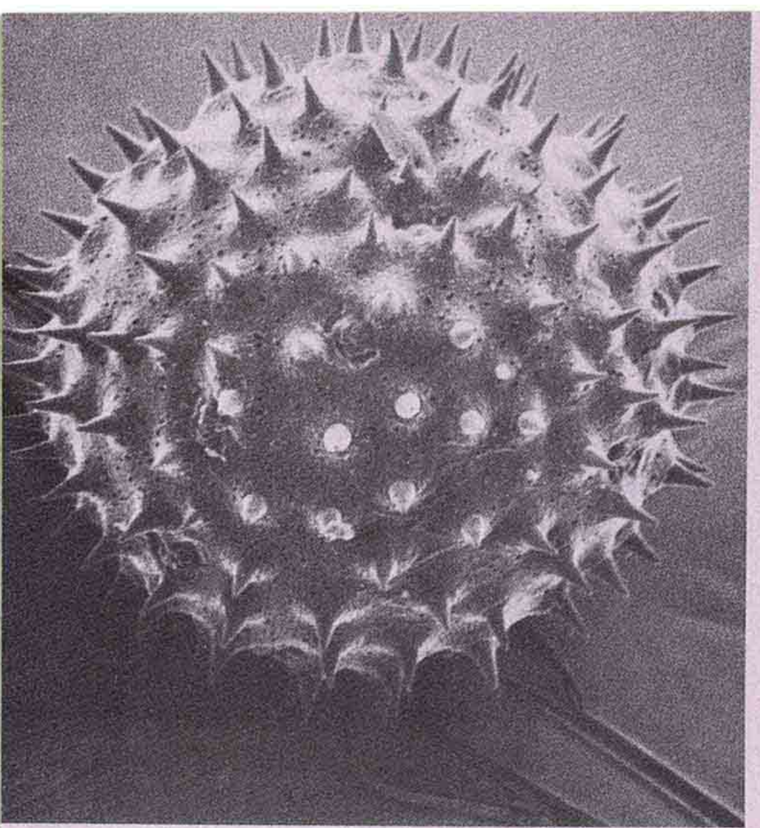
وفي داخل الخلية ، أو صندوق الحياة العجيب ، نتطلع إلى شبكات وطرق تبدو كما لو كانت قنوات دقيقة تتفرع في كل الاتجاهات ، وإلى هنا نكون قد وصلنا إلى مزيد من المتاهات ، لكن المتاهة الكبرى ، أو اللغز الأعظم ، يبدو لنا على هيئة جسم شبه مستدير يتوسط الخلية .. هذا الجسم اسمه النواة .. والنواة صندوق أصغر من داخل صندوق أكبر ، لكن إظهار ذلك يحتاج إلى تكبير أضخم ، أي أن للنواة هنا أيضاً ظاهر وباطن .. وظاهرها هو الذي نراه في الصورة الرابعة ، لكن هذا الظاهر كان خفياً عن عيوننا ، أو هو بمثابة الباطن بالنسبة لعالمنا المنظور ، لكن دعنا من ذلك الآن ، لنتطلع إلى عوالم أخرى من خلايا تسكن قمة السداة ، ونعني بها حبوب اللقاح ، لأنها بدورها صناديق صغيرة تحوي في داخلها مخطوطات وراثية ضخمة ، مسجل عليها «البروجرام» الذي يحدد لكل كائن صفاته التي يجيء بها إلى الحياة .

في الباطن تناسق وجمال

والواقع أن زهرتنا ، أو أي شيء آخر يتصف بالحياة ، يزخر بتكوينات من وراء تكوينات .. فمحاور الأسدية ، مثلاً ، تزخر بشعيرات .. **الشعيرة تزخر بخلايا .. الخلية تزخر بمكونات أضخم وأعقد وأروع** ، لكن قبل أن نتعرض لتفاصيل هذه المكونات ، دعنا نقدم ما ينطوي عليه هذا العالم الدقيق من تناسق وجمال ، ولنفحص ما في **مآبر الزهور** (الجزء من السداة الحامل لحبوب اللقاح) ، لنرى ما فيها بعين غير عيوننا ، ولنتخير هنا مثبراً من مآبر **زهرة القطن** ، وعندئذ سنرى «ما لا عين رأت» (**شكل ٥**) .. **سنرى المثبر كما لو كان غصناً يحمل ثماراً صغيرة مكدسة (مكبراً هنا ٢٠٠ مرة) كل «ثمرة» منها ليست إلا حبة لقاح ، أو هي خلية جنسية ذكرية جاءت أسوارها مزركشة بشكل مثير ، لكننا لا نرى إلا نزراً يسيراً من الحقيقة ، ولكي نرى أكثر ، فما علينا إلا أن نفحص حبة اللقاح ، وهي مكبرة ٢٧٠٠ مرة (شكل ٦)** ، وعندئذ سنشاهد نظاماً أكثر تفصيلاً ، وأروع بناء ، ثم إنك لو تعمقت في النظر إلى الحبة الدقيقة ، لاستطعت أن ترى على «جلدها» فتحات جد صغيرة ، ولو كبرنا هذا الجدار عشرات الألوف من



★ شكل (٥) كأنما ننظر إلى ثمرات أو حبات ، ولكنها تكوينات فيا وراء حدود العين البشرية ، فأظهرها لنا الميكروسكوب المجسد بهذا المنظر ★



★ شكل (٦) حبة من الحبات التي جاءت من الصورة السابقة .. وهي مكبرة هنا ٢٧٠٠ مرة .. ترى ، ماذا تكون ؟ ★

الثمرات مثلاً ، لوجدنا أن لباطن الباطن هذا ، باطن أكثر روعة ، وأعظم تفصيلاً ، لكننا للأسف لا نمتلك هذه الصورة هنا ، ومع ذلك فسنعود لتوضيح ما نقصد بعد قليل ، ليتبيّن لنا معنى هندسة الجمال فيما لا نرى .

لقد تعرضنا هنا لحبة لقاح واحدة ، ولنوع واحد من النباتات الزهرية ، وطبيعي أن **المملكة النباتية تحتوي على عشرات الألوف من أنواع النباتات التي تنتج زهوراً وحبوب لقاح وبويضات ... إلخ** ، فكما ترى عيوننا التباين الواضح بين زهرة وزهرة ، أو ثمرة وثمرة ، أو ورقة وورقة ... إلخ ، كذلك تتباين حبوب اللقاح إذا نظرت إليها بعين غير عينيك ، ولكي يتجسد لنا هذا المعنى ، فما عليك إلا أن تتطلع إلى الصورتين المنشورتين هنا (**شكل ٧ ، ٨**) .. عندئذ ستجد تنظيماً آخر متقناً .. فالهندسة البنائية البديعة التي تظهر في شكل ٧ ، ليست إلا حبة لقاح **نبات الهندباء البري** مكبرة بالميكروسكوب المجسم حوالي ألفي مرة ، كما أن شكل (شكل ٨) يوضح حبة لقاح **نبات الذرة** مكبرة ١٢٥٠ مرة .. صحيح أنها لا تنطوي على شيء غير عادي ، إلا أن لها شكلاً هندسياً محدداً تتوارثه حبوب لقاح هذا النوع منذ ملايين السنين دون أن تشذ على القاعدة .

أي كأنما كل حبة لقاح هنا بمثابة الهوية ، أو بطاقة تحقيق الشخصية التي تدل على نوع النبات ، أو كأنما هي بصمته التي يتعرف العلماء من خلالها على النوع الذي تنتمي إليه ، فكما لا تتشابه بصمات الناس ، ولا أشكالهم ، ولا أصواتهم ، كذلك لا يمكن أن تتشابه حبوب اللقاح بين عشرات الألوف من الأنواع (حوالي ٢٥٠ ألف نوع) ، ومن هنا يتخذها العلماء هادياً ومرشداً في التمييز بين الأنواع ، حتى ولو كانت هذه الأنواع لنباتات منقرضة ، أو لأخرى عاشت منذ عشرات الملايين من السنين ، إذ يكفي أن يفحصوا عينة من رسوبيات قديمة بمجاهرهم ، وفي العينة قد يجدون حبات اللقاح (أو غيرها) محفوظة بحالة جيدة ، ومنها يستطيعون التوصل إلى الأصول التي منها قد جاءت .. مثلهم في ذلك كمثل **عالم الأنثروبولوجيا الحفرية** ، إذ يستطيع أن يستدل على نوع المخلوق الذي انقرض ، أو الذي لا يزال حياً ، بجزء من عظامه ، حتى لو كان ذلك ضرساً أو ناباً وحيداً .

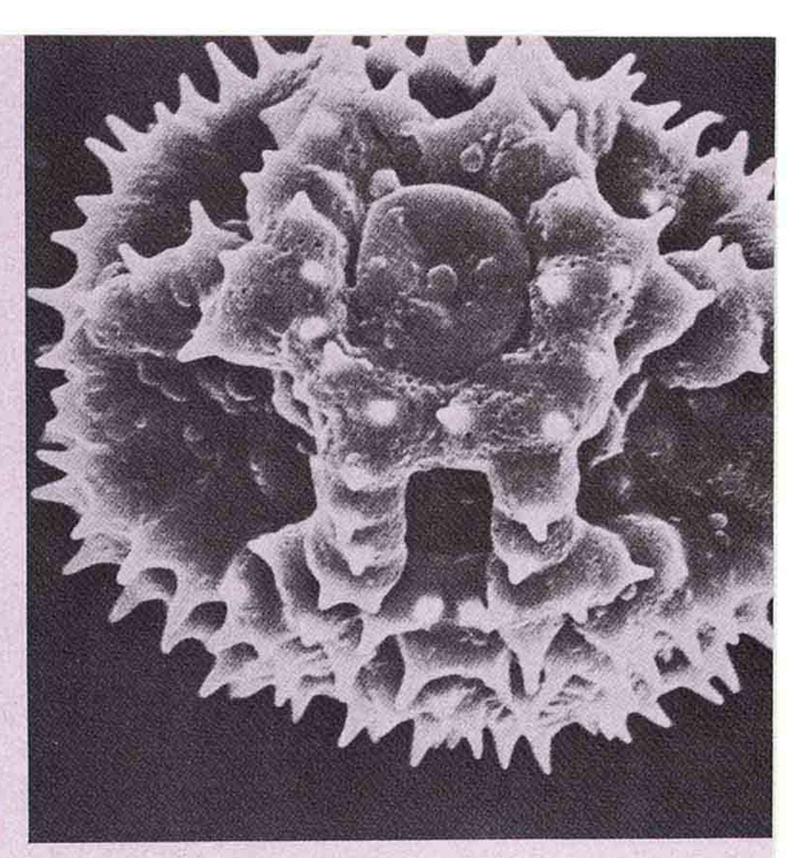
هذا عن الخلايا الجنسية النباتية التي لو أردنا عرضها هنا ، لاستلزم ذلك عدة مجلات في حجم هذه المجلة ، لكن يكفي ما قدمنا فأوجزنا ، لنوضح جزءً ضئيلاً من باطن الخلق الذي يخفى عن عيوننا ، لكن علينا أن نضع دائماً نصب أعيننا أن لهذا الباطن باطناً وباطناً سنعود إليه فيما بعد ، لكن بعد أن نقدم هنا نزراً يسيراً عن سطوح بعض النباتات أو بشرتها الخارجية ، فلهذه أيضاً عالمها وهندستها ونظمها وأشكالها التي لا تتكرر مطلقاً بين نوع ونوع .

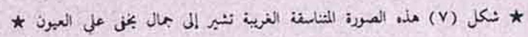
الخلق بحكمة وقدر

طالما نظرنا إلى ورقة على غصن ، أو بتلة على زهرة (**البتلة الجزء الملون من الزهرة**) ، أو تطلعنا إلى ساق أو جذر أو ما شابه ذلك ، لكن نظرتنا لن تسعفنا في اكتشاف عوالم دقيقة .

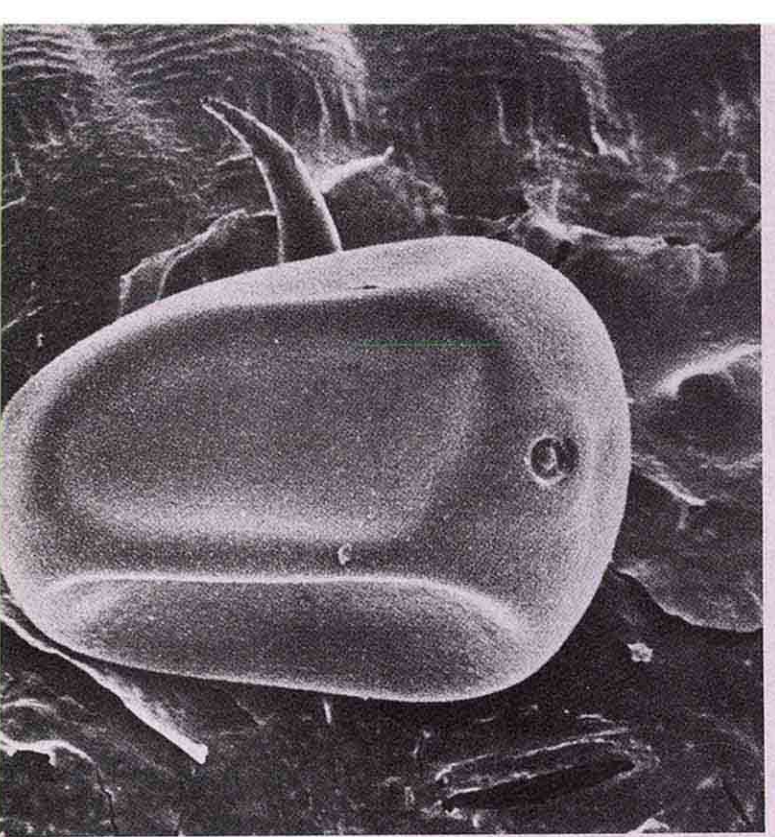
إن كل سطح من هذه السطوح ، قد جاء بميكانيكية بيولوجية فذة ، لتناسب الظروف التي يعيش فيها النبات .

دعنا إذن نجسد هذا الكلام إلى واقع ، ولننظر إلى صورتنا الأولى (**شكل ٩**) التي تبدو كما لو كانت ديداناً أو أمعاءً أو حبالا ، لكنها ليست هذه أو تلك ، بل إننا ننظر إلى سطح ورقة نبات شجرة عيد الميلاد التي تنمو أساساً في (**نيوزيلاندا**) ، وهي بطبيعة الحال لا تبدو أمام العين البشرية إلا كورقة مستوية ملساء كالقطيفة ، لكن عندما تسلطت عليها عيون الميكروسكوب المجسم وكبرتها لنا ١٦٧٠





★ شكل (٧) هذه الصورة المتناسقة الغريبة تشير إلى جمال يخفى على العيون ★



★ شكل (٨) شكل هندسي له في عالمه الباطن شأن يذكر ★

مرة ، ظهر لنا جزء ضئيل من سطحها بمثل هذه المتاهات ، والواقع أنك تنظر إلى خلايا منفصلة ، بمعنى أن كل « حبل » هنا ليس إلا خلية واحدة تلتوي هنا وهناك ، وأنت تستطيع أن تحدد نهاية بعض الخلايا بطرفها المدبب (هناك طرف واضح في أسفل الصورة إلى اليمين) ، أما الطرف الآخر فيرتكز على بشرة الورقة .

وإلى هنا قد يتبادر إلى الأذهان سؤال : **لماذا جاءت الورقة مغطاة هكذا بمثل هذا التكوين الغريب؟**

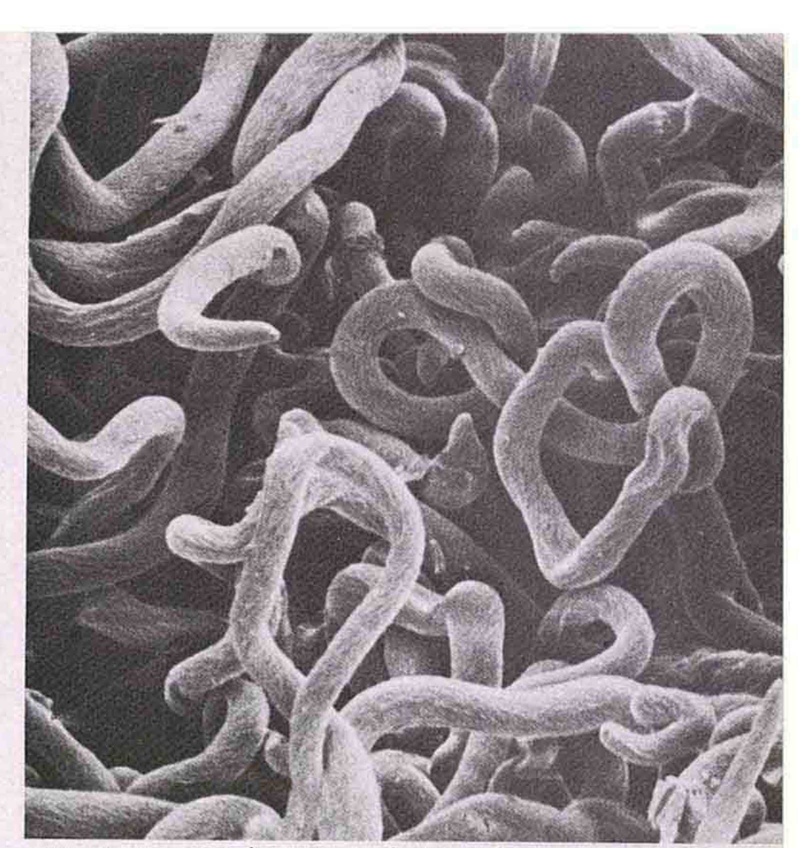
والجواب : أنها جاءت لحكمة . . تماماً كما جاء ريش الطير ، وشعر الحيوان ، ودرع السلحفاة ، وحراشف السمك أو قشره ، ليؤدي كل تكوين منها وظيفة محددة ، كذلك تجيء هذه الشعيرات الخلوية ، لتحمي النبات في ظروفه الصعبة التي قد يتعرض لها في بيئته التي تتسم بشيء من القسوة ، فحقيقة الأمر أن النبات يفقد ماءه عن طريق عملية النتح (تقابل إفراز العرق في الإنسان والحيوان) ، ولما كان النبات يحصل على مائه بصعوبه بالغة ، نتيجة نموه في تربة رملية ، أو على قمم التلال التي لا تمنح جذور النبات ماءها إلا بعناء ، كان لا بد من تنفيذ فكرة بيولوجية اقتصادية ، لتحفظ للنبات ماءه ، فلا يفقده إلا في أضيق الحدود ، ولهذا كسته الحياة بهذا « الثوب » العجيب من الشعيرات التي تلف وتدور على بشرة النبات ، فإذا حدث النتح أو البخر ، لا تتطاير جزيئات الماء إلى الهواء ، بل تبقى مندسة بين شعيراته بحساب ومقدار ، لتحد من عملية النتح إلى أقصى الحدود . . ولكل عالم ما يناسبه !

ثم تأتي الصورة التالية بما هو أجمل وأروع (**شكل ١٠**) . . فلقد اتخذت الشعيرات على أوراق **نبات خبيزة جزيرة نورفولك** شكلاً يوحي بأن هناك نباتاً يتفرع على نبات ، أو كأنما نحن أمام مزرعة نباتية ازدحمت بنباتاتها ، أو كأنما نشهد نباتات طافية على سطح الماء . . . إلخ ، لكن الواقع غير ذلك ، فعندما كبرنا جزءاً من سطح الورقة ٤٢٠ مرة ، ظهرت لنا على هذه الهيئة الجميلة التي خفيت عن عيون كل الأجيال السابقة ، لأنها لم تعرف عيوناً غير عيونها المجردة !

الواقع أن الحياة قد اتخذت هنا فكرة أخرى في تنميق شعيراتها الدقيقة على هيئة أقرب إلى الزهور أو بعض قناديل البحر (حيوانات بحرية رخوة تنمو في الشعب المرجانية) ، لا لتكسب النبات جمالا ، ولكن لتضرب بها عصفورين بحجر واحد ، فوجود الشعيرات بهذا التشكيل يحمي بشرة النبات من أشعة الشمس الحارقة ، فلا يسمح لها بالنفاذ إلا بالقدر المطلوب ، كما أنه يحتجز نسبة من بخار الماء الناتجة من عملية النتح ، لتبقى بشرة الورقة محاطة بجو رطب يمنع مزيداً من البخر ، ومن أجل هذا عاش النبات ملايين السنين دون أن يحل به الانقراض ، لأن الخالق زوده بالتشكيل المناسب ، للطقس المناسب ، وللبيئة المناسبة !

ولا شك أننا نلاحظ أن هذه الشعيرات الدقيقة تبدأ من نقطة مركزية وتتفرع في كل الاتجاهات . . وهي فعلاً كذلك ، فكل زائدة بمثابة خلية ، وكلما اقتربت الخلية من الخلية تجاه المركز ، التحمت مع بعضها ، ولتصبح العشرات منها في النهاية ذات أصل مشترك ، أو كأنما هي تنغرس على سطح الورقة ، كما ينغرس النبات مثلاً في تربة زراعية .

ولا شك أن الدروس المستفادة من الكائنات الحية ، تجعلنا نراجع أنماط تفكيرنا ، ونتخلى عن غرورنا ، فلا جديد تحت الشمس – كما يقولون – ولهذا لا يجب علينا أن نعتبر أن الأفكار العظيمة لنا وحدنا ، فما من كائن حي – صغر شأنه أو كبر – إلا وقد جاء بفكرة وأفكار من لدن حكيم مقتدر . . والفكرة مناسبة للهدف تماماً ، وهناك عشرات الآلاف من الأفكار العظيمة التي لو قدمناها ، لاحتاجت إلى مجلدات من فوق مجلدات ، ولهذا دعنا نلتقط فكرتين جميلتين أخريين من الأفكار الرائعة التي



★ شكل (٩) هل هي حبال أم ديدان أم أمعاء؟ .. ليست كذلك حقاً، بل سطح ورقة نبات مكبرة ١٦٧٠ مرة ★



★ شكل (١٠) فكرة أخرى من أفكار الحياة التي زودت بها مخلوقاتها في عالم يخفى عن أبصارنا ★

وهبها الله للكائنات الحية:

●● **الفكرة الأولى**: تبدو مجسدة في الصورة المثيرة التي نراها في (**شكل ١١**) .. فمن أول نظرة، قد ينطبع في الذهن أننا نرقب سهاماً منطلقة، أو حراباً مسننة، وهي في الواقع قريبة من ذلك، لكن هذه الحراب تقع فيما وراء حدود عيوننا، فلا نستطيع اكتشافها إلا إذا لمسنا سطح النبات بطرف الأصبع، وعندئذ تفعل الحراب في بشرتنا فعلتها، فنحس بألم قد لا ندرك مصدره، لكن الحقيقة تتجلى إذا نظرنا إلى سطح النبات مكبراً ٦٢٠ مرة، وعندئذ نرى الباطن، وكأنما نحن ننظر إلى ترسانة من سلاح جاهز للدفاع، أو كأنما النبات يتمثل بقولنا نحن معشر البشر: «كتفا سلاح»!

وطبيعي أن النبات (وهو أحد أنواع النباتات القريبة الصلة بالتين الشوكي) قد اتخذ من هذه «الترسانة» الدفاعية وسيلة لتحميه من الحشرات أو الديدان الصغيرة التي قد تحط على سطح البشرة لتدمرها، وتمتص عصارتها، ثم قد تتركها لتنزف، كما تنزف جروحنا، وهذا من شأنه أن يضعف النبات أو يدمره، لكن ذلك لا يحدث بفضل هذه الشبكة الدفاعية التي جاءت مناسبة تماماً للهدف!

●● **والفكرة الثانية**: تراها في تشكيل آخر غريب يشبه بالونات صغيرة، أو ثمار كمثرى مغروسة على سطح كأنه رمال متموجة (**شكل ١٢**)، لكننا في الواقع نتطلع إلى خلايا بالونية منتفخة ترتكز على سطح ورقة نبات ينمو في بيئة تربتها غنية بالأملاح، وطبيعي أن النباتات الأخرى لا تستطيع أن تنافسه في هذه البيئة غير المناسبة، ما لم تتسلح بفكرة بيولوجية لتتغلب بها على تركيز الملح الزائد عن حدوده، ولقد تسلح ذلك النبات (يسمى عشب الملح) بهذه الفكرة «البالونية» الدالة على أن الله تعالى قد خلق فقدر فدبر لكل كائن أمره!

وطبيعي أننا لا نرى سطح ورقة النبات بهذه الصورة إلا إذا كبرناها مئات المرات (التكبير هنا ٤٦٠ مرة)، وعندئذ يظهر لنا ما خفي عن عيوننا.. تظهر كل خلية بمحور (S)، متصل بأدمة الورقة من ناحية، ومن الناحية الأخرى يتضخم على هيئة انتفاخ كالمثانة (B).. وفي هذه المثانات تتخلص الورقة من الأملاح الزائدة، ولا تزال الأملاح تتركز في المثانة وتتركز، إلى أن يأتي الوقت الذي فيه تنفجر، أو تسقط من على الورقة بما حملت، وفي كلتا الحالتين تعوض الورقة المثانات الملحية بمثانات جديدة، لتصبح «مقبرة» للأملاح التي يجب أن يتخلص منها النبات، وإلا كان مصيره الهلاك، لكن سر هذه الميكانيكية العجيبة لا زال غامضاً، وما أكثر الغموض الذي تدثر به الحياة أسرارها!

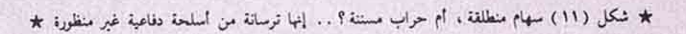
إلى عوالم داخلية

لقد كنا ننظر في الصور السابقة إلى ما برز من أدمة النباتات من تكوينات خلوية اتخذت أشكالا شتى، لتناسب الغرض الذي خُلقت من أجله، والواقع أن هذه التكوينات كثيرة.. كثيرة جداً، وأنماطها مختلفة.. مختلفة جداً، لكننا أحجمنا عن تقديم المزيد من بديع صنع الله لضيق المجال، وعلينا أن ننظر الآن إلى الصورة التالية (**شكل ١٣**)، ونتمعن فيها، ترى... إلى أي شيء تشير؟

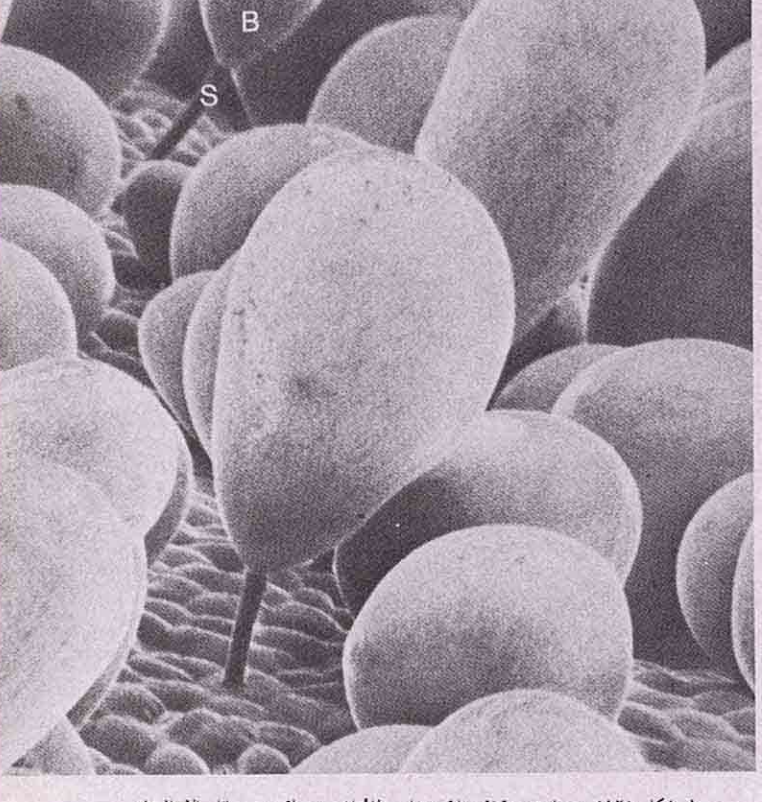
قد تبدو الصورة كأمواج بحر متلاطم، وعليها تناثرت أطواق كأطواق النجاة، أو كأنما هي تكوينات جبال أو تلال ننظر إليها من ارتفاع شاهق، وبينها فوهات كفوهات البراكين، أو ربما أي شيء آخر قد يطرأ على بالك، لكن كل ما طرأ ببالك، فالصورة غير ذلك (هذا بالنسبة لمن لم يدرسوا العلوم الطبيعية).

إننا في الواقع ننظر إلى السطح السفلي لجزء ضئيل من ورقة **نبات الخيار** وهو مكبر ١٤٠٠ مرة، فتتجلى لنا بعض تفاصيل غابت عن عيوننا أو حاسة لمسنا، ذلك





★ شكل (١١) سهام منطلقة ، أم حراب مسننة ؟ .. إنها ترسانة من أسلحة دفاعية غير منظورة ★



★ شكل (١٢) «صناديق» دقيقة بمثابة «مقابر» للأملاح ووسيلة من وسائل الانقاذ ★

أن العين تراها منبسطة ، وباللمس نحسها مستوية ، لكنها في عالمها الدقيق تبدو بهذا المنظر الغريب .. فنحن في الواقع نتطلع إلى خلايا الأدمة أو البشرة ، وقد تداخلت كما تتداخل الأحجار المضلعة في البناء ، وطبيعي أننا نرى هنا جزءً من الظاهر الذي خفي عن عيوننا ، لأن لهذا الظاهر باطناً أدق وأغرب ، لكن قبل أن نتعرض لما هو أدق ، كان لا بد من تعريف بهذه الفتحات التي تشبه الأطواق أو الفوهات !

إن هذه الفتحات هي البوابات التي تصل بين عالمين : عالم خارجي يتمثل في البيئة المحيطة ، وعالم داخلي يتمثل في أنسجة النبات ، وعن طريق هذه « البوابات » ينفذ **غاز ثاني أوكسيد الكربون** من الهواء الجوي إلى صناديق الحياة الصغيرة الكامنة في الداخل ، كما ينفذ أيضاً بخار الماء أثناء عملية النتح إلى الخارج ، وكذلك ينفذ **غاز الاوكسيجين** أثناء عملية التمثيل الضوئي نهاراً .. أي أنها جاءت بهذا الشكل لتصبح طريقاً للتنفس في حين ، والحصول على الخامة البسيطة التي تصنع منها غذاءها في حين آخر (والخامة هنا هي غاز ثاني أوكسيد الكربون الذي تربطه مع جزيئات الماء لتصنع منه سكراً) .. ومن أجل هذا نطلق على تلك الفتحات اسم الثغور ، وهي أقرب إلى ثغر الإنسان الذي يتناول عن طريقه طعامه وشرابه ، وأحياناً هواءه .

لكن .. ماذا لو كبرنا هذه الصورة أكبر ؟

لو أننا فعلنا ، لتكشف لنا تكوين من داخل تكوين ، أو صندوق من وراء صندوق ، فأنت ترى الثغر في الصورة التالية (**شكل ١٤**) وقد تضخم كثيراً (لأن قوة التكبير هنا ٧٩٠٠ مرة) وكأنما هو ينفرج عن شفتين واضحتين ، وهو ذاك تماماً ، فكل شفة هنا بمثابة خلية نطلق عليها اسم **الخلية الحارسة** ، لأنها تحرس البوابة أو الثغر ، فتقفله أو تفتحه من خلال ميكانيكية بيولوجية معقدة ، وبهذا تتحكم في تبادل الغازات بين عالمها الداخلي والخارجي ، فعندما تنفرج هاتان الشفتان ، أو الخليتان الحارستان ، يتسع الثغر ، وعندما تتقاربان يضيق ، وطبيعي أن هذه العملية تتكرر آناء الليل ، وأطراف النهار ، وعلى حسب الظروف والأحوال التي يتعرض لها النبات ، لكن دعنا من ذلك ، فالحديث فيه قد يتشعب ويطول ، وعلينا أن نلقي نظرة على ما بداخل الثغر .. ترى ، ما الذي نراه متراكباً في الباطن ؟

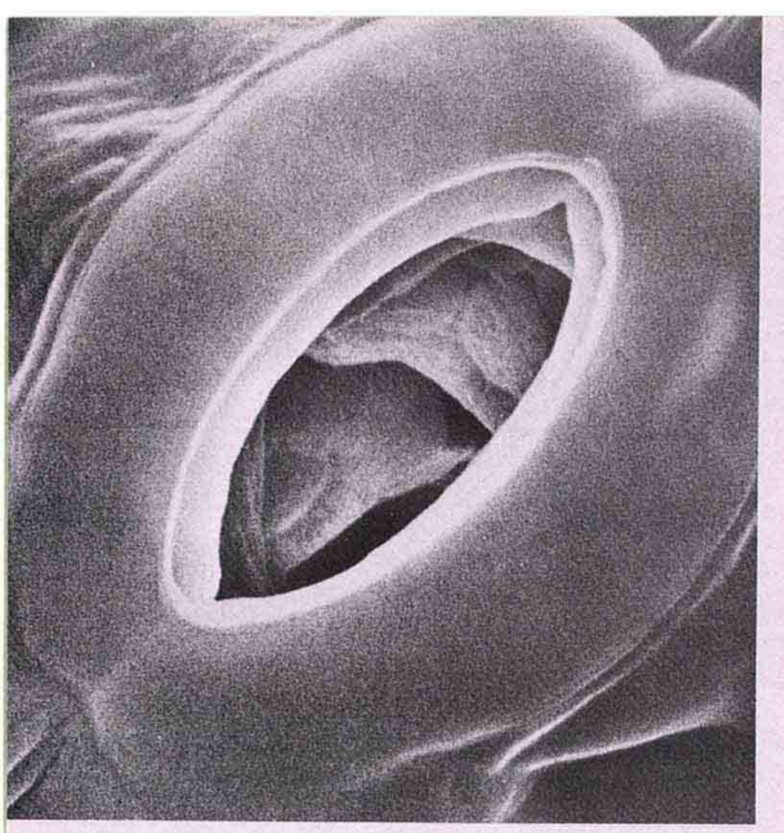
الواقع أن ذلك لا يتضح إلا إذا نفذنا إلى الداخل ، حيث ينقل لنا **الميكروسكوب الإليكتروني** المجسم ، صورة لصناديق الحياة الدقيقة وهي تتراص وتنتظم في عالمها الصغير ، ولكي نرى جزءً ضئيلاً ، فعلينا أن نرقب عن كثب ما ظهر في الصورة التالية التي جاءت مكبرة ٤٢٠٠ مرة (**شكل ١٥**) ، وعندئذ قد تغم علينا محتوياتها ، إذ هي قد تبدو كما لو كانت مغارة ذات بناء عجيب ، لكننا في الواقع ننظر إلى صناديق الحياة أو الخلايا ، وقد تراكبت وتآلفت بنظام يهيئ لها من أمرها رشداً ، فلقد بنيت بهندسة فراغية ، بحيث تتخللها مسافات تبدو لنا كالأنفاق التي تتشعب في كل الاتجاهات ، لكننا لا نرى هنا إلا نفقاً واحداً يعرف علمياً باسم **المسافة البينية** (أو الفراغ الذي تحيط به تلك البنايات الدقيقة) ومن خلال هذه الفراغات تتبادل الخلايا الغازات الداخلة والخارجة في عمليات الحياة ، كما تتخللها أيضاً جزيئات الماء ... الخ ، ولن نتعرض هنا لتلك العمليات ، ففيها تيه كبير .

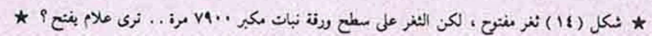
لكن .. ما هي تلك التنظيمات التي تبدو على السطح ، كأنما هي أحجار متراصة في بناء ؟ .. هل هي بدورها صناديق من داخل صناديق ؟

هي كذلك حقاً ، فأنت تنظر هنا إلى سطح الخلية من الخارج ، وما تراه شبيهاً بالأحجار هو انطباع الصناديق التي بالداخل على سطح الصندوق الذي بالخارج ، ثم



★ شكل (١٣) بوابات إلى عوالم داخلية ★





★ شكل (١٤) ثغر مفتوح، لكن الثغر على سطح ورقة نبات مكبر ٧٩٠٠ مرة.. ترى علام يفتح؟ ★

إنك تستطيع في هذه الصورة أن تحدد «الوصلة» التي تربط بين خليتين بحرف الـ (J) المطبوع على الوصلة، ومنها سيتبين لك ضخامة حجم الخلية الواحدة من خلال هذا التكبير.

صناديق أصغر من داخل صندوق أكبر

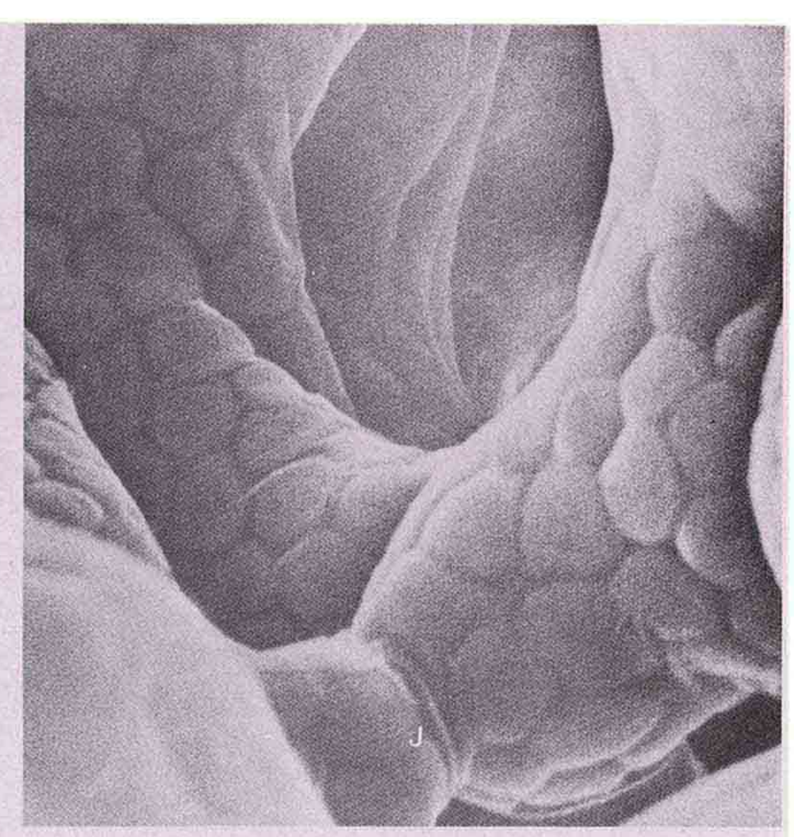
علينا الآن أن نفتح صندوقنا أو خليتنا لنطلع على ما بداخلها، ولنتعرف معنى هذه الانطباعات «**الحجرية**» التي تراها من الخارج على سطحها، وعملية الفتح ستتمخض بدورها عن الصورة التي تراها في **شكل (١٦)**.. وفيها تلحظ جزءاً ضئيلاً من كثير، فنحن الآن نتطلع إلى مكونات أشبه بالكور أو الأجسام البيضاوية، إلا أننا في الواقع نرى ظاهرها، لأنها بدورها صناديق من داخل صناديق، أو أن كل كرة منها ليست إلا مكونات أصغر فأصغر، من داخل جسم بيضاوي أكبر نعرفه باسم **البلاستيدة الخضراء**، والبلاستيدة ــ بدورها ــ بطارية شمسية حية سبحان من أبدعها وغمقها، ولكي نرى هذا الابداع، كان لزاماً علينا أن نفتح البلاستيدة، لنرى بناياتها، لكن قبل أن نفعل، فلا أقل من أن نذكر شيئاً عن سر وجودها.

قلنا إن **البلاستيدة بمثابة بطارية شمسية**.. أصغر وأكفأ وأدق بطارية حية حار العلماء في أسرارها، لأنك لو رأيتها وهي تؤدي عملها، لوجدتها تلف وتدور مع أترابها في مادة الحياة، لتتقبل الطاقة الضوئية من الشمس على كل سطوحها، فإذ بهذه الطاقة تختزن في جزيئات كيميائية، أي كأنما الحياة تحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية من خلال عمليات دقيقة فيها متاهات كثيرة، وبهذه الطاقة المختزنة يصنع النبات سكرياته وبروتيناته ودهونه وفيتاميناته وأليافه وحبوبه وثمراته، وعليها يعيش الإنسان والحيوان، ليطلق الطاقة المختزنة، فتجري بها الحياة.. أي كأنما هذه البلاستيدة هي الوسيط الحي الذي يصطاد الطاقة الضوئية، ويعطيها للكائنات الأخرى في صورة كيميائية مناسبة (في الطعام)، ليتدفق بها هذا الطوفان الضخم من المخلوقات.

علينا هنا أن نفتح البلاستيدة، كما فتحنا الخلية من قبل، لكن ذلك يستلزم تكبيرات أعظم، ولقد أعطتنا الميكروسكوبات الإليكترونية ما نبغي، ولنتطلع إلى إحدى هذه البلاستيدات من الداخل وهي مكبرة هنا ٣٢ ألف مرة **(شكل ١٧)**، فتتكشف لنا نظمها التي تبدو على هيئة طبقات من فوق طبقات، أو كأنما هي صفائح متراصة على صفائح، أو هي أشبه ما تكون بأقطاب البطارية السائلة، مع الفرق، ففكرة بطارياتنا جد بدائية، ومن الميسور على تلاميذ المدارس أن يفهموا سرها وتركيبها وعملها، لكن بطاريات الحياة التي تراها هنا من الداخل، تحوي من النظم والأسرار ما لم يتوصل جهابذة العلماء إلى فهمه حتى يومنا هذا، صحيح أنهم قد عرفوا الكثير، لكن هذا الكثير المعروف، قليل بالنسبة لما هو غير معروف.

لكن دعنا من كل ذلك، فالحديث فيه سيطول، ولنعد مرة أخرى إلى صورتنا، لأن حقيقتها ستغم على عيوننا ومداركنا، وهي بدورها تدفعنا لكي نتساءل: **ماذا تعني كل هذه الخطوط حقاً؟**

الواقع أنها ــ بدورها ــ صناديق من داخل صناديق، لكن الميكروسكوب الإليكتروني لا يستطيع أن يوضح لنا مزيداً من التفاصيل، وعليه فلقد لجأ العلماء إلى استخدام وسائل علمية أخرى معقدة، ليدركوا سر الصناديق التي بداخل الصناديق، ولقد تمخضت البحوث العميقة عن حقائق غريبة.. فهذه الخطوط البسيطة المتراكبة ليست إلا أقراصاً حية، أو قل إنها «آلات» جزيئية معقدة، في داخلها تنظيم فذ، حتى تستطيع أن تقوم بأعظم عملية حيوية على هذا الكوكب..



★ شكل (١٥) مغارات وبنايات غريبة في عالم غامض ★

★ شكل (١٦) لباطن الباطن باطن .. فماذا تعني هذه الكور الصغيرة حقاً؟ .. إنها عوالم من داخل عوالم ★

أي تحويل الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية.

ولكي نرى ذلك، دعنا نتأمل في الصورة التوضيحية التي قدمها لنا العلماء (**شكل ١٨**) .. إنها تبدو أشبه بمصنع كبير فيه خطوط تشغيل متشابهة، أو كأنما هي وحدات من آلات جزيئية مكررة .. كل وحدة منها تمثل قرصاً دقيقاً من آلاف الأقراص التي تتراص في الصورة السابقة (**أي شكل ١٧**)، والقرص الواحد يتكون بدوره من طبقات منتظمة (طبقة خضراء دائرية وأخرى خضراء داخلية، وبينهما سلاسل كيميائية تمثل تنظيماً دهنياً بروتينياً معقداً لا تتضح تفاصيله) .. وطبيعي أننا لن ندخل هنا في التفاصيل، فذلك يحتاج إلى صفحات وصفحات، لكن يكفي أن نذكر أن الومضات التي تنهمر من أعلى على هذه النظم، تمثل لنا جسيمات الضوء (**أو الفوتونات**)، فتمتصها جزيئات **الكلوروفيل**، وبها تبدأ سلسلة من العمليات الكيميائية، وبها أيضاً تشحن جزيئات خاصة، هي التي تراها هنا بمثابة **ومضات مشعة** (ATP **في الصورة**)، ثم تنطلق هذه الجزيئات المشحونة بطاقاتها، لتفرغها في العمليات الحيوية التي تجري في الكائنات الحية — بما في ذلك الإنسان! (الواقع أن للخلايا محطات قوى دقيقة تمدها بالطاقة، وهذه لن نتعرض لها هنا).

لكن مما لا شك فيه أننا لو حولنا هذه الصورة المبسطة الملونة إلى تجسيد حقيقي، لظهرت لنا عوالم ضخمة من الجزيئات الكيميائية المختلفة .. بلايين فوق بلايين، تراها وهي تتدافع وتتفاعل، وتنفصل وتتحد، وتكبر وتصغر، وتتشكل وتتغير .. وبالاختصار سنرى عوالم جزيئية أكثر من كل الكائنات الحية التي تنتشر على سطح هذا الكوكب، لكن «كوكب» هذه الجزيئات لا يتعدى وحدة جد صغيرة، من داخل قرص أكبر، من داخل بلاستيدة أكبر، من داخل خلية أكبر، من داخل نسيج أكبر، في نبات أكبر .. وقد تدفعك روعة هذه النظم، لتردد ..

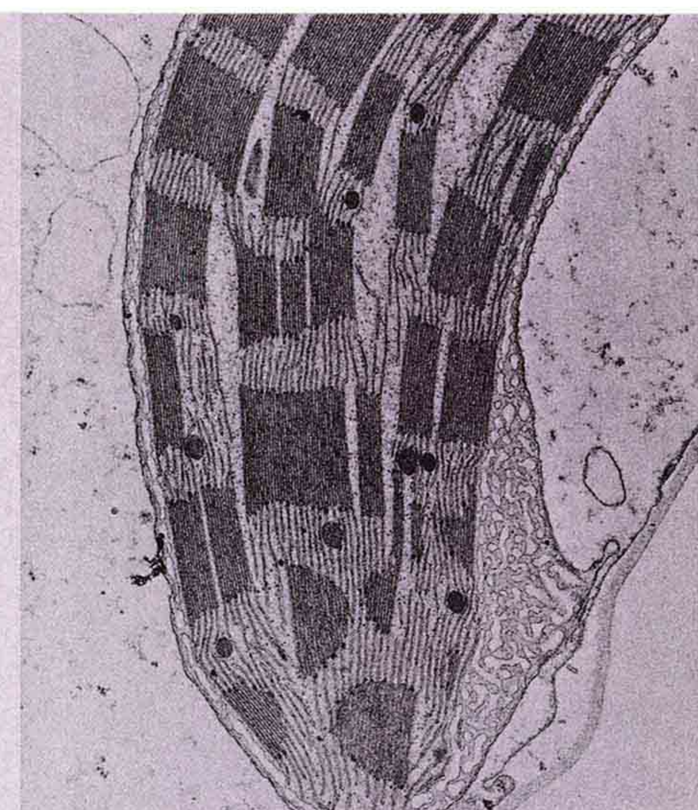
الله أكبر .. الله أكبر!

ألم نقل: إنها صناديق من داخل صناديق من داخل صناديق .. إلخ، أو أكوان مطوية في أكوان وأكوان؟!

وأخيراً .. ذرات في جزيئات

لكن القصة لم تنته عند هذا الحد، **فالشرائط الخضراء** التي تراها في الصورة السابقة (**شكل ١٨**) ما هي إلا تبسيط لجزيئات **الكلوروفيل** المتراصة في طوابير من وراء طوابير، لتصبح بناءً ليس كمثله بناء، وطبيعي أن العلماء يعرفون تكوين جزيء الكلوروفيل بطرق التحليل الكيميائي والفيزيائي، فهو بدوره بناء ذري فريد، ولكي نطلع على جزيء واحد من البلايين التي تراصت في أشرطتها، وكيف ارتبطت فيه ذراته بنظام لا تحيد عنه ولا تميد، كان لزاماً علينا أن ننظر إلى الصورة التالية (**شكل ١٩**) .. وهي نموذج مكبر للجزيء الكلوروفيلي عشرات الملايين من المرات، عندئذ سترى تكويناً له رأس وذنب، وللرأس نواة تكمن في مركزها ذرة **ماغنسيوم**، وحولها ذرات **كربون وأيدروجين وأوكسيجين ونيتروجين** .. أي كأنما الله قد اختار من عناصر هذا الكوكب خمس ذرات مختلفات .. نظمها في جزيئات .. خلقها في بنايات .. وضعها بنظام عظيم في صفائح من داخل بلاستيدات من داخل خلايا ... إلخ، لتجري الحياة في النبات والحيوان والإنسان .. ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾.

وطبيعي أن نموذج هذا الجزيء مكبر عشرات الملايين من المرات، وفي البلاستيدة الواحدة — التي لا ترى إلا بالميكروسكوب — ملايين فوق ملايين من هذه الجزيئات، ولو أردنا أن نراها كما تتراص في بلاستيداتها، لاحتجنا في ذلك إلى نموذج في حجم مصنع كبير، أو لو أننا كبرنا ورقة نبات (في مثل مساحة راحة اليد)



★ شكل (١٧) بطارية شمسية حية مكبرة ٣٢ ألف مرة ★

★ شكل (١٨) وحدات اصطياد الطاقة الشمسية من صنع الله وكما يراها العلماء .. الرسم مكبر ملايين المرات ★

عشرات الملايين من المرات ، لنرى قنواتها وخلاياها جميعاً وهي تنتظم في داخلها ، فإن ورقة النبات قد تغطي مساحة قدر مساحة **المملكة العربية السعودية** .. أو ربما أكبر ، ولبلغ ارتفاع هذه الورقة (من خلال هذا التكبير الفائق) خمسين كيلومتراً .. أي أنها ترتفع إلى طبقات الجو العليا .. ولو تصورنا أن ذلك قد حدث ، إذن لتجولنا في مدينة صناعية هائلة تهون بجوارها كل مصانع البشر ، أو ما يدعون من علوم وتكنولوجيا متقدمة ، لأننا في هذه الحالة سنتجول في «مدينة» الله الحية التي قدر فيها أمورها تقديراً ، لكن كل ذلك يسري حقاً في عوالم جد دقيقة ط، فلا نرى إلا نزراً يسيراً من الحقيقة ، وما أكثر ما لا نرى ، وما أعظم ما نجهل !

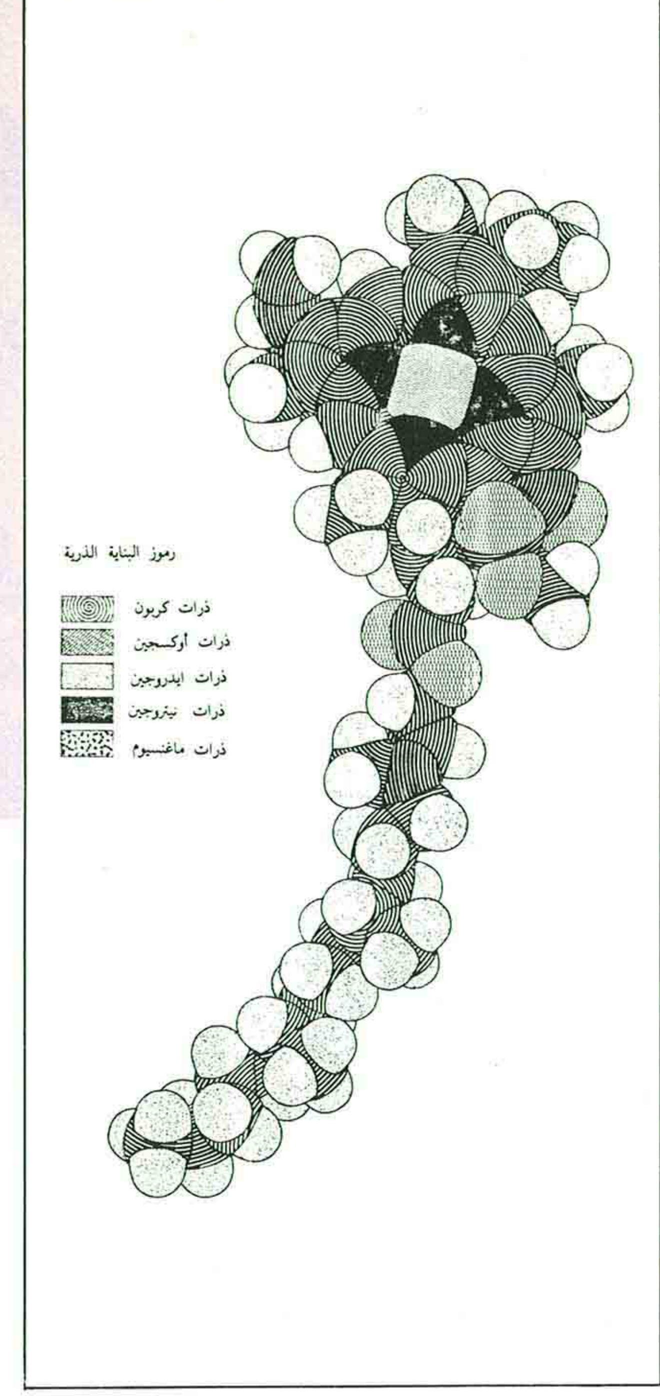
بقيت أمامنا مرحلة أخيرة ، فلقد وصلنا في رحلتنا الأخيرة إلى **عالم الذرات** ، الذي يبني عالم الجزيئات ، فتبدو لنا الذرة ـ رغم ضآلتها المتناهية ـ بمثابة نظام من داخل نظام ، أو قل إنها بمثابة سماوات دقيقة لها مداراتها وأفلاكها ونظمها وقوانينها ، فلها أيضاً مركز أو نواة أو قلب ، وحول القلب تدور إليكترونات أو كهيربات في مدارات ، وفي القلب جسيمات موجبة ومتعادلة (**البروتون والنيوترون**) ، أي أنها وحدات داخل وحدات ، أو صناديق في داخل صناديق (**شكل ٢٠**) .. لكنها صناديق محملة بالشحنات والطاقات ، فوزن البروتون مثلاً يقع في حدود ١,٧جزء من مليون بليون بليون جزء من الجرام ، تكتب هكذا (٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠١٧جرام) ، وقطره في حدود ٢,٦جزء من مليون مليون جزء من المليمتر ، ورغم هذه الضآلة الخيالية التي تضن على الأفهام ، إلا أن ذلك يوضح لنا كيف قام كل ما في الكون من حياة وجماد وسوائل وغازات على مثل هذه الوحدات المتناهية في الدقة ، لتنشأ منها نظم أكبر فأكبر فأكبر ، حتى نراها في النهاية بعيوننا المجردة .

ومع ذلك ، يبدو أن هذا البروتون الضئيل حجماً ووزناً ، ليس بمنتهى المطاف ، إذ تشير مجريات البحوث إلى أنه بدوره جسيم ذري ينطوي على نظام أدق ، لأنه يتفتت وينشقق إلى وحدات أضأل ، لكن أحداً لا يستطيع أن يتوصل إلى الكيفية التي تنتظم بها تلك الوحدات في جسيماتها ، ويبدو أنها تحتاج إلى عقول أكفأ من عقولنا الحالية !

نهاية المطاف

وأخيراً ، وبعد هذه الرحلة السريعة ، التي استعرضنا فيها ـ باقتضاب شديد ـ جزءً جد ضئيل من أسرار الحياة التي لا تراها عيوننا ، وتعرضنا فيها لإحدى مكونات خلايا النبات بشيء من التفصيل النسبي (لأن الموضوع أعمق من ذلك بكثير) ـ ونعني بها البلاستيدة الخضراء ، تاركين وراءنا الكثير من أجهزة الخلية النباتية (أو الحيوانية أيضاً ، لأن الأساس فيهما واحد) ، كان لا بد أن نقدم عذرنا عن عدم ذكر المزيد ، خاصة فيما يتعلق بالنواة (أو العقل المدبر للخلية) لأن النواة بدورها أكوان من داخل أكوان من داخل أكوان ، أو صناديق من الأسرار من داخل صناديق ، من داخل صناديق ... إلخ ، وهذه وحدها تحتاج إلى دراسات ودراسات .

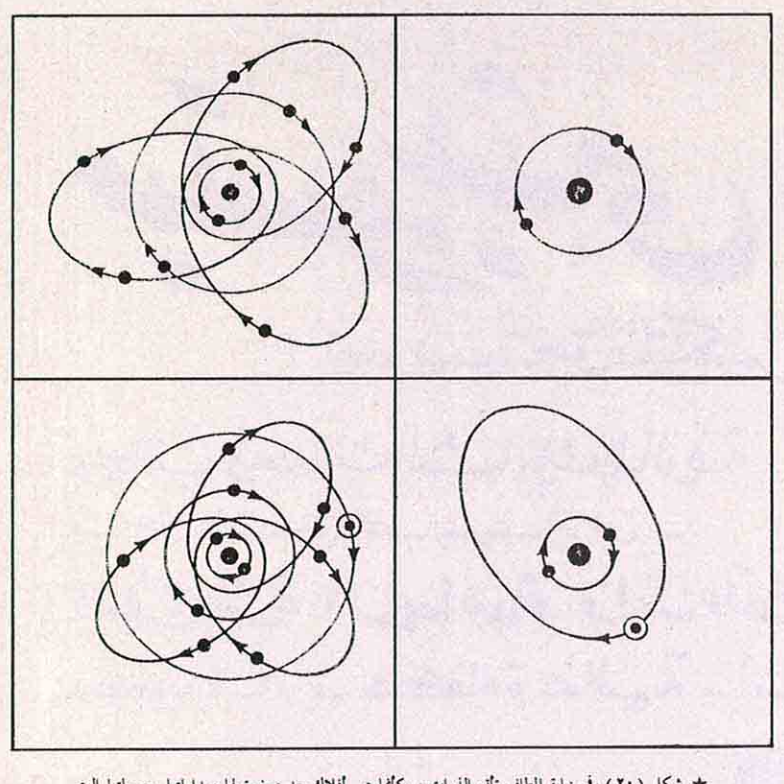
نعود لنقول : إن الهدف الأساسي من هذه الدراسة ، هو التبصير بجزء من روعة الخلق ، واتقان الخالق فيما قدر فهدى ، والهداية هنا لا تعني المعنى التقليدي ، بل هي هداية إلى شرائع الله وسننه في هذه التكوينات البديعة التي جاءت لحكمة ، وسارت بقدر ، ليقوم البناء على أساس متين ... والأساس كما رأينا وحدات تراكبت في وحدات ... إلخ ، ففي البداية تطلعنا إلى زهرة ، وفي النهاية تهنا في ذرة ، ولو أحصينا عدد ما في الزهرة من



★ شكل (١٩) نموذج لجزيء الكلوروفيل الذي يحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كيميائية ، ويتكون هنا من بناية ذرية لها في عالمها شأن يذكر .. مكبرة عشرات الملايين من المرات ★

ذرات مختلفات ، لوجدنا أنها تصل إلى أرقام كونية ضخمة .. بلايين البلايين من الذرات .. لكنها جميعاً تراكبت في وحدات أصغر ، لتؤدي إلى وحدات أكبر فأكبر !

أي أن البداية كانت جسيمات ، تراكبت في ذرات .. الذرات تراكبت في جزيئات .. الجزيئات الأصغر تآلفت في جزيئات أكبر .. الجزيئات الأكبر تشكلت



★ شكل (٢٠) وفي نهاية المطاف تأتي الذرات ، وكأنما هي أفلاك جد صغيرة لها مداراتها وجسيماتها التي تطوف حول أنويتها ، وكأنما هي بدورها تكوينات من داخل تكوينات ! ★

في بنايات أروع وأجمل .. البنايات كونت الجدار والغشاء والبلاستيدة والنواة وآلات الخلية الدقيقة التي لا نراها إلا بالميكروسكوبات ، ومنها جميعاً كانت الخلية ، ثم الخلايا بكل أشكالها وصورها وتشكيلاتها وأنواعها ووظائفها .. والخلية في النهاية هي التي تنشئك وتنشئني وتنشئ كل ما في الأرض من بشر وحيوان ونبات .. وهذه الكائنات جميعاً نراها بكل اختلافاتها ، رغم أنها تجمعها في الخلق وحدة واحدة **﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** .

وسؤالنا الأخير : ومن أين جاءت الجسيمات التي بنت الذرات فالجزيئات فالخلايا فالمخلوقات ، وكل ما في الأرض والسماوات ؟

الواقع أن الجسيمات هي تجسيد حقيقي للطاقة ، وقد تكون هذه الطاقة نوراً منظوراً ، أو ضوءً لطيفاً ، أو إشعاعاً منظوراً وغير منظور .. وكل هذه تنطلق في الكون على هيئة موجات لا مكان لها ولا زمان ، لكن ، ما إن تتجسد الموجات في جسيمات ، وتنتظم الجسيمات في ذرات وجزيئات وخلايا ومخلوقات ، إلا ونراها تشغل في الكون مكاناً ، وتكتسب زمناً .. أي أن المادة محدودة ، والنور بلا حدود أو قيود .

أي كأنما كل هذه الأكوان كانت من « نور » فتجسد على هيئة مادية هي التي نراها فينا وفيما حولنا .. لكن هذا موضوع طويل ومتشعب ومثير ، ولقد ذكرناه هنا ذكراً عابراً في نهاية مطافنا ، رغم أننا لا ندرك من أين بدأت البداية ، ولا إلى أين ستنتهي النهاية ، أو إذا أردت جواباً يريح النفس من عناء الفكر ، فعليك أن تدرك مغزى هذه الآية **﴿ الله نور السماوات والأرض ... نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾** .



مُسَابقة أرامكو ** للأطفال في الرَّسم والتَّصميمْ

يسرّ إدارة العلاقات العامّة بأرامكو أنْ تعلن عن إجراء مُسابقة عامّة في الرّسم للأطفال من البنين والبنات. إسهامًا في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى الاطفال في المملكة العربية السعودية

موضوع المسابقة:

رغبة في تحديد موضوع المسابقة ورسم صورة واضحة عنها في أذهان الأطفال الأعزاء نقترح أن تتناول المسابقة مشهدًا من المملكة يبرز بشكل أو بآخر جانبًا من الجوانب التالية:

- ✪ أحد معالم النهضة التي تشهدها المملكة في مجال الصناعة والزراعة والتعليم والتجارة والعمران.
- ✪ أحد المظاهر من حياة الأفراد والجماعات والأسر في المدينة والقرية والبادية في المملكة.
- ✪ أحد المشاهد الطبيعية في المملكة.

شروط المسابقة:

١- يستطيع أي طفل لا يزيد عمره عن ١٤ عامًا ويقيم حاليا في المملكة أن يشترك في المسابقة.
٢- يتقدم المتسابق برسم أو تصميم واحد فقط.
٣- يراعى أن لا يقل حجم ورقة الرسم أو التصميم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضًا. وأن لا يزيد عن ٧٠ سم طولاً و ٥٠ سم عرضًا.
٤- يُرسم المشهد الذي يختاره المتسابق بالألوان أو بالحبر الصيني.
٥- تُرسل الرسوم أو التصاميم في مظروف مُقوّى لتفادي أيّ تلف.
٦- يكتب المتسابق اسمهُ خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عُمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.
٧- يرسل المظروف **في موعد أقصاه ٢٧ صفر ١٤٠١هـ** الموافق **٣ يناير ١٩٨١م** على العنوان التالي: **مبنى الإدارة - العلاقات العامة - الغرفة رقم ١٤٠٦ - أرامكو - الظهران** ويكتب في أعلى الظرف "مسابقة أرامكو للأطفال في الرسم والتصميم".
٨- تبقى جميع الرسوم والتصاميم في حوْزة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر الفائز منها في المُستقبل حسب ما تراه الإدارة.

الجوائز:

خصص للفائزين في المسابقة **ثلاثون جائزة** من بينها **أجهزة تلفزيون مُلوّنة وآلات تصوير وموسوعة المعرفة الملونة** وغير ذلك. وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

* عشر جوائز للذين تقل اعمارهم عن ٧ سنوات.
* عشر جوائز للذين تتراوح أعمارهم ما بين ٧ و ١٠ سنوات.
* عشر جوائز للذين تتراوح أعمارهم ما بين ١١ و ١٤ سنة.

وسوف تنشر **أسماء الفائزين** في الصحف السعودية.

اتحاد أجنة الثدييات برحم الأم

بقلم: د. عبد الفتاح محمود الشرشابي

يتبع النمو والتطور الجنيني للثدييات تقريباً نفس النظام المتبع في نمو وتطور أجنة الحيوانات الأخرى مثل البرمائيات والطيور، مع وجود بعض الاختلافات الأساسية والخاصة بالثدييات والتي تميزها عن بقية الحيوانات. وعند الكلام عن اتحاد أجنة الثدييات بجدار رحم الأم، لا بد لنا أن نذكر كلمة مختصرة عن دورة التكاثر والهرمونات المتحكمة والمنظمة لها. وتشمل دورة التكاثر: دورة المبيض Ovarian Cycle ودورة الرحم Uterian Cycle.

والأولى يتم بها تكوين **البويضات** ثم انتقالها إلى قناة البيض مع تحويل ما تبقى من **حويصلة جراف**، إلى ما يسمى **بالجسم الأصفر** Corpus Luteum والذي يلعب دوراً هاماً في إنتاج وإفراز هرمون **الاستروجين وهرمون البروجيسترون**.. والأخير يساعد على تهيئة **اندومتريم** الرحم Endometrium لاستقبال البويضة المخصبة في طور **البلاستيولا** Blastocyst، وذلك لكي يتم اتحادها بنجاح مع جدار الرحم.

والثانية وهي دورة الرحم يتم بها تغيرات موازية لنمو وتكوين البويضة وهذه التغيرات عبارة عن سمك في جدار الرحم «**طبقة الاندومتريم**» وسقوط الخلايا الطلائية من بطانة المهبل، وهذه المرحلة تسمى **بالاسترث** estrus، وهي المرحلة التي تكون فيها الإناث مستعدة لاستقبال الذكور. ثم تغيرات أخرى تحدث في الرحم بعد سقوط البويضة وانتقالها إلى قناة البيض وهي عبارة عن زيادة كبيرة في سمك جدار الرحم نتيجة لزيادة في إفراز غدد الرحم والأوعية الدموية وهجرة الخلايا الدموية وتوزيعها.

فإذا كانت البويضة مخصبة فإنه عند وصولها للرحم يتم اتحادها مع بطانة الرحم، أما إذا كانت البويضة غير مخصبة فإنها تمر من الرحم إلى خارج الجسم مع حدوث نزيف أو إدماء شديد «في حالة الإنسان» وهو ما يعرف **بالحيض**، وتسمى الدورة كلها **بدورة الحيض أو بالدورة الشهرية** menestration.

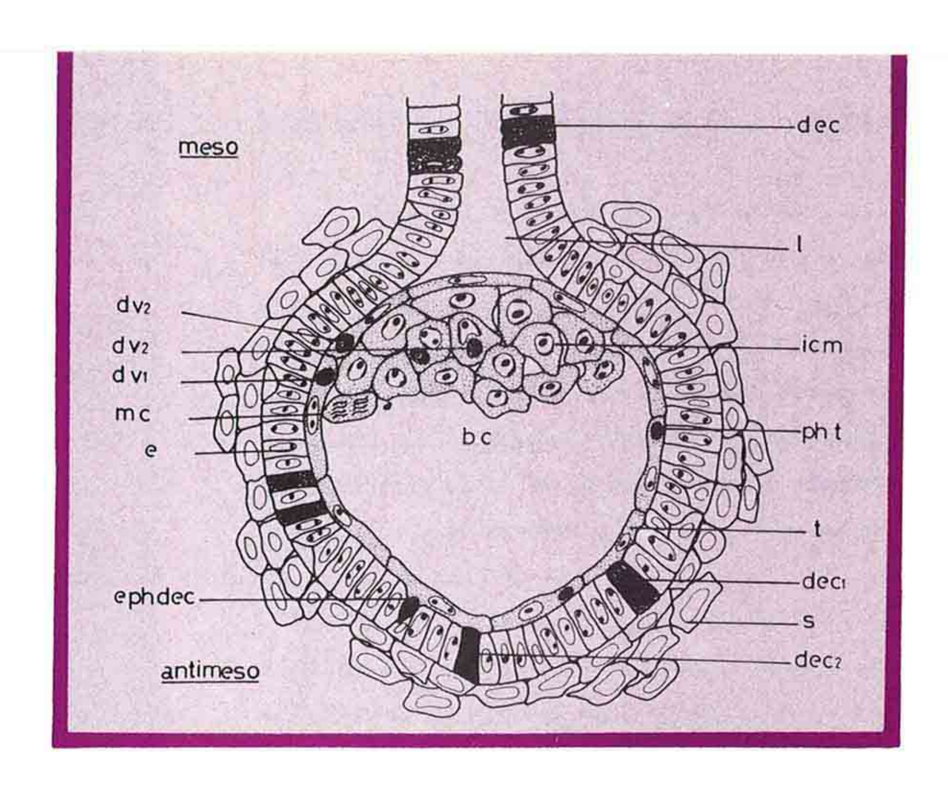
ويتحكم في تكوين البويضة وتجهيز طبقة الاندومتريم لاستقبال البويضة المخصبة مجموعة من الهرمونات والتي تفرز من المبيض ومن الغدة النخامية، وهذه الهرمونات هي:

- **هرمون نمو الحويصلة** Follicle stimulating hormon
- **الهرمون المصفر** Luteinizing hormon
- **هرمون ليوتيوتروبك** Luteotropic hormon

(من الغدة النخامية)

- **الاستروجين** estrogen يفرز من حويصلة جراف والجسم الأصفر بالمبيض.
- **البروجستيرون** progestron يفرز من الجسم الأصفر بالمبيض.

وتعمل **هرمونات الغدة النخامية** على إتمام النضج الحويصلي والتبويض وتحويل حويصلة جراف إلى الجسم الأصفر والمحافظة على النشاط الافرازي للجسم الأصفر.



105 h p. c.

★ رسم تخطيطي لجنين اليوم الخامس (١٠٥ساعات بعد الاخصاب) للفأر الأبيض الصغير، يبين تماسك الطبقة الطلائية للرحم وظهور بعض الخلايا الطلائية الميتة فرادى وداكنة اللون ★

اتحاد الجنين بجدار الرحم
Implantation

١ ــ بعد سقوط وانتقال البويضة الناضجة من المبيض إلى قناة البيض، وبعد عملية الجماع، فإن الحيوانات المنوية تتحرك بسرعة إلى مكان وجود البويضة وهناك يتم إخصابها، ثم بعد ذلك مباشرة تبدأ عملية **التفلج** Cleavage والتي تستمر في قناة البيض لمدة ثلاثة أيام أو ٧٢ ساعة، وفي هذه الأثناء تصل البويضة إلى **الطور الجنيني** المعروف **بالتويتة** morula stage والتي تنتقل في بداية اليوم الرابع إلى رحم الأم حيث تتميز هناك إلى الطور الجنيني المعروف بالبلاستيولا Blastocyst، ويمكن تمييز نوعين من الخلايا بالبلاستيولا.. كتلة من الخلايا توجد في أحد قطبي الجنين وتعرف بكتلة **الخلايا الداخلية** Inner cell mass cells، وهذه الخلايا هي التي تكون الجنين النامي وكيس المح. أما الغلاف الرفيع الخارجي للبلاستيولا فإنه يتكون من خلايا أكولة تعرف باسم **التروفوبلاست** Trophoblast cells، ومنها يتكون الغشاء الجنيني المعروف **بالكوربون** في مرحلة جنينية لاحقة. وأثناء تلك العمليات يبقى الجنين محاطاً بغشاء رقيق شفاف يسمى **بالطبقة الشفافة** zona pellucida وهذه الطبقة الأخيرة تختفي بعد حوالي ٩٦ ساعة من الاخصاب. وقد وجد أنه في حوالي اليوم الخامس من الحمل في **الفئران البيضاء** الصغيرة واليوم السادس في الفئران البيضاء الكبيرة والإنسان فإن البلاستيولا تلتصق أولا ثم تتحد تماماً مع طلائية الرحم، وبعد ذلك فإن الجنين في طور البلاستيولا يغوص sink متخللاً الطبقة الطلائية للرحم إلى الاندومتريم، وبذلك تتم عملية اتحاد أو زرع الجنين بجدار رحم الأم.

٢ ــ وعملية زرع البويضة بجدار الرحم تتم عن علاقات كبيرة بين الجنين وبين طبقة الاندومتريم، فتتلاشى الطبقة الطلائية الملامسة للجنين والتي تحيط به إحاطة كاملة وذلك عن طريق بلعها والتهامها بواسطة طبقة الخلايا الأكولة بالجنين «التروفوبلاست»، وهذه الأخيرة تقوم بتحليل الخلايا المبتلعة بواسطة ما تحتويه من **ليزوسومات** وما بها من **انزيمات التحلل** hydrolytic enzymes. وبهذه الطريقة يصل الجنين إلى الأوعية الدموية الموجودة بطبقة الاندومتريم ويتم تكوين **المشيمة** Placenta، ثم تنمو كتلة الخلايا الداخلية لتكون الأجزاء المختلفة للجنين النامي.

٣ ــ وقد وجد أن اتحاد الجنين ببطانة الرحم uterine epithelium يمر بثلاث مراحل متتالية... ففي المرحلة الأولى والتي تسمى بمرحلة **قبل الاتحاد** أو الزرع pre-implantation stage تتلامس وتتداخل زوائد التروفوبلاست بزوائد microvilli الخلايا الطلائية، ثم في المرحلة الثانية والتي تسمى بمرحلة الاتحاد أو الزرع implantation stage تتشابك الزوائد مع بعضها البعض الآخر ويكون من الصعب تفريغ الأجنة من رحم الأم بواسطة محلول فسيولوجي في تجارب زرع الأنسجة tissue culture، والمرحلة الثالثة وتسمى بمرحلة الالتصاق adhesive stage وفيها تتحد جدر خلايا التروفوبلاست بجدر الخلايا الطلائية وبعد ذلك يبدأ اختفاء الطبقة الطلائية المبطنة لجدار الرحم.

٤ ــ ويتبع مراحل اتحاد الجنين الثلاث سالفة الذكر تغيرات في **الشكل المورفولوجي**. وكذلك في المكونات الداخلية للخلايا الطلائية العمادية المبطنة للرحم، وتؤدي هذه التغيرات إلى تحويل هذه الخلايا إلى خلايا مرضية أو ميتة مما يسهل على خلايا التروفوبلاست الأكولة بلعها

129 h p. c.

★ رسم تخطيطي لجنين اليوم السادس (١٢٩ ساعة بعد الاخصاب) للفأر الأبيض الصغير، يبين الاختفاء الكامل لطلائية الرحم، وتلامس خلايا التروفوبلاست الجنينية لأنسجة الرحم الداخلية ★

وهضمها وبذلك تتلاشى الطبقة الطلائية ويندفع الجنين إلى الطبقة الداخلية للرحم «الاندومتريم».

وقد أمكن تمييز نوعين من الخلايا الميتة حول محيط الجنين :

أ ـ **النوع الأول** : ويحتوي على خلايا ميتة توجد فرادى حول الجنين وتسمى Isolated dead cells ، وهذه الخلايا تأخذ اللون الداكن عند صبغها بالأصباغ القاعدية وتبدأ في الظهور في مراحل متقدمة بعد حوالي ٩٥ ساعة من الاخصاب وفي وجود الغشاء الشفاف zona pellucida حول الجنين . ويزداد عدد هذه الخلايا الميتة بزيادة مدة الحمل . ومن الناحية **الميتولوجية** فإن جميع عضيات الخلية cellular organoides توجد في حالة غير طبيعية Degenerated وتحدث تغيرات واضحة في **المادة الكروماتينية** داخل النواة ، وتؤدي هذه التغيرات إلى فقدان المادة الكروماتينية لوظيفتها المهمة داخل النواة وتتحول نتيجة لفقدان الماء الشديد بها dehydration إلى كتلة داكنة اللون تسمى pycnotic nucleus وفي مرحلة متقدمة تتحلل المادة الكروماتينية chromatolysis . ولقد وجد أن هذه الخلايا الميتة تطرد من الطبقة الطلائية في اتجاه الجنين حيث تبلع وتهضم بواسطة خلايا التروفوبلاست الأكولة .

ب ـ **النوع الثاني** : وفيه تحدث تغيرات بطيئة متتابعة في شكل الخلايا والمكونات الداخلية وتحولها في النهاية وبعد حوالي ١٢٠ ساعة بعد الاخصاب إلى خلايا مرضية أو ميتة يسهل على خلايا التروفوبلاست التهامها . وفي هذه الحالة نجد أن الخلايا تتحول من **خلايا عمادية** columnar إلى **خلايا مكعبة** cuboidal أو **مستطيلة** elongated ، وفي هذه الأثناء تتكسر **الميتوكوندريا** mitochondria **وجهاز جولجي** golgi apparatus **والشبكة الاندوبلازمية** endoplasmic reticulum وتتجمع **الريبوسومات** ribosomes في كتل داخل **السيتوبلازم** . وتترسب المادة الكروماتينية على جدار النواة وتتحلل .

وتكثر الفجوات الهاضمة داخل السيتوبلازم ويمكن رؤية أجزاء من الشبكة الاندوبلازمية والميتوكوندريا داخل هذه الفجوات الهضمية مما يدل على أن الخلية لها القدرة في مراحل معينة على هضم أجزاء من سيتوبلازمها يكون قد فقد وظيفته ، كما يلاحظ أن مثل هذه الخلايا تكثر بها أجسام كبيرة الحجم تمثل ما يسمى **بالليزوسومات الثانية** secondary lysosomes وهي عبارة عن الليزوسومات الأصلية متحدة مع أجزاء متحللة من السيتوبلازم . وأخيراً تتحلل هذه الخلايا وتنفصل عن غشائها القاعدي .

وفي كثير من الأحيان يلاحظ امتداد زوائد من خلايا التروفوبلاست بين الخلايا الطلائية الميتة وهذه الزوائد تعمل كعمل الأقدام الكاذبة **للأميبا** والتي تحيط إحاطة كاملة بالخلايا الميتة لتكون الفجوة الهضمية داخل خلية التروفوبلاست نفسها . وأخيراً تتحول خلايا التروفوبلاست الأكولة إلى خلايا أكولة ضخمة giant trophoblast Cells لها القدرة على ابتلاع عدد كبير من الخلايا الطلائية الميتة ، وبتلاشي الطبقة المبطنة للرحم يغوص الجنين إلى طبقة الاندومتريم ويحاط إحاطة كاملة بأنسجة الرحم ، وبذلك يتم زرع الجنين في رحم الأم .

المراجع

References:

1 – Cell redundancy in the Zona-pellucida preimplantation mouse blastocyst: a light and electron microscope study of dead cells and their fate.
– El-Shershaby, A.M. and Hinchliffe, J.R. (1974).
– J. Embryol. exp. Morph., **31**: 643-654.

2 – Epitbelial autolysis during implantation of the mouse blastocyst: an ultrastructural study.
– El-Shershaby, A.M. and Hinchliffe, J.R. (1975).
– J. Embryol. exp. Morphol. **33**: 1067-1080.

3 – Epithelial cell death in the oil-induced decidual reaction of the pseudo pregnant mouse: an ultrastructural study.
– Hinchliffe, J.R. and El-Shershaby, A.M. (1975).
– J. Reprod. Fert., **45**, 463-468.

4 – A possible role for the mouse blastocyst in the dissolution of the zona pellucida.
– El-Shershaby, A.M. (1976).
– Bull. Fac. Sci., Assiut Univ., **5**: 93-102.

5 – Light and electron microscopic study on the mouse blastocyst and uterine epithelium at day 5 after noon (110h p.c.).
– El-Shershaby, A.M. (1978).
– Bull. Fac. Sci., Assiut Univ., (In press).



بقلم: د. أحمد عودات

كانت الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق عندما خرج **أحمد حيدر** من غرفة الدرس في **إحدى كليات جبل لبنان**. كان قد لاحظ أن النهار قد بدأ يبتسم بعد ليل عاصف وصباح ماطر. كان اليوم هو **يوم سبت** من خريف ١٩٧١م، وكان عليه أن يزور عائلته في **جنوب لبنان**.

كان متجهماً وكان يعرف سبب ذلك التجهم: عشرات المشكلات التي حشرت نفسها في رأسه ولم يجد لها مخرجاً. هناك مشروع سفره إلى **بريطانيا** لإتمام دراسته، وهناك مشروع شهادة أخرى في **علم النفس**، ثم هناك مسؤولياته في الثلاث كليات التي يدرس بها، وهناك مسؤولياته نحو عائلته التي لا تستطيع بدونه أن تحصل على ضروريات الحياة، فأبوه من هواة جمع الصبيان والبنات رغم فقره المدقع. كان عدد أفراد عائلته ثلاثة عشر فرداً. ثم إن والده يعارض في سفره إلى الخارج وكان قد اتهمه بالأنانية مرات ومرات.

«أنت لا يهمك إلا نفسك. إنك ترى بأنني قد أصبحت على حافة قبري وما زلت أعمل كالمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة لأعيلكم، ولطالما انتظرت أحدكم حتى يأخذ عني بعض هذا الحمل وفجأة أسمع نغمة سفرك إلى الخارج».

كان أحمد قد تعود على مثل هذه المشادات مع أبيه. منذ حوالي ست سنوات عندما نجح في **البكالوريا الأولى اللبنانية**، أصر والده على أن يترك أحمد الدراسة ليساعده في العمل. كان يريده أن يشتغل في **تزفيت الطرقات** بأجر لا يتجاوز خمس ليرات لبنانية في اليوم. ورفض أحمد ذلك إذ اعتبر الفكرة انتحاراً له وقضاء على مستقبله، ومستقبل إخوته وأخواته.. لهذا فقد رفض أبوه مده بالمساعدة في دراسة **البكالوريا الثانية**. لم يكن في الواقع يطلب من والده أية مساعدة.. فقد كان يشتغل مدة ثلاثة أشهر في الصيف يجمع فيها قسط الكلية ومعظم مصروفه السنوي. وقد قرر هذه السنة، بما أنه سيدرس بعيداً عن البيت (**في مدينة صيدا**) أن يستدين ما ينقصه من المال من **خاله** الميسور الحال، الذي كان يحثه دائماً على متابعة دراسته. وقرر أحمد دخول الجامعة بعد أن نجح في البكالوريا الثانية.

«جامعة، هيه، وبماذا ستدخل الجامعة؟ هل تقبل الجامعة بأرغفة خبز كأقساط. جامعة! إن حديثك يا أحمد يدعو إلى الضحك والسخرية، غير أنني أود أن أخبرك بأن هذا هو الحد الأخير بيني وبينك.. إذا أمعنت في تطبيق قرارك فإنني أعتبرك خارجاً عن طاعتي، وأتمنى أن لا أراك في هذا البيت ولو في زيارة».

* * *

لقد انتظر البارحة حتى الساعة التاسعة مساء للحصول على راتبه الشهري من كلية «**المحاسبة وإدارة الأعمال**» حيث كان **يدرس**

اللغة الإنكليزية . وبالرغم من أنه كان متفقاً مع مدير الكلية بأن راتبه يجب أن يصرف له الساعة الثامنة من مساء الجمعة الرابعة من كل شهر ، لم يأت المدير . كانت هذه هي المرة الثالثة التي يتأخر راتبه في هذه الكلية . كان أحمد قد أخبر السكرتيرة بأنه لن يأتي إلى الكلية مساء الاثنين ، وربما لن يعود إلى الكلية أبداً .

« لماذا يا أستاذ أحمد ؟ هل أغضبناك في شيء ؟ » .

« لا ، أبداً يا آنسة . معاذ الله . في الواقع أنت إنسانة طيبة جداً . . غير أن المدير يعرف السبب » .

كان يعرف مثل هذه الدكاكين التي يسمونها مدارس . هدفها الأول والأخير الربح : **المدير والمحاسب والناظر والمنسق** كلهم شخص واحد ــ صاحب المدرسة . المدرسون في معظمهم أبناء عائلته الكبيرة أو أبناء منطقته : **زحلة ، الجنوب ، بعلبك ، الهرمل ، بشري . إن الكثير من مدارس لبنان الخاصة في تلك الفترة كانت تجارة رابحة جداً ،** وقصص إثراء تجار المدارس تشبه قصص أغنياء الحرب . لقد كانت قصص **عدنان السيوفي وحسين الساحلي** على لسان كل من يتعلم ويعلم في لبنان . لقد بدأ كل منهم من الصفر وبعد عشر سنوات كان لكل منهما بنايات وقطع أرض وسيارات مرسيدس وشقق في **منطقة رأس بيروت** . الغريب في الأمر أن هؤلاء وأمثالهم كانوا يحصلون على مساعدات مالية سخية من **وزارة المعارف .**

* * *

« ماذا يا ترى قد حدث لذلك الشاب الرزين ؟ هل قتل أم جرح ؟ سأقرأ الجرائد مرة ثانية . . . لكنني لا أعرف اسمه . . . ربما سأرى صورته » .

لقد ذهب ضحية ذلك الحادث حوالي خمسة وثلاثون بين قتيل وجريح . . كان **الفدائيون** في طريق عودتهم من **دمشق** في سيارتي **« باص » ، وجيب** في المقدمة . كان الجميع في **لباس الميدان المرقط ،** يحملون الأسلحة الرشاشة الخفيفة ويهزجون الأناشيد الحماسية ، ويطلقون الأعيرة النارية في الهواء ابتهاجاً بأحد الأعياد ، وما أكثر الأعياد في الكثير من بلدان الوطن العربي . اعتبر أحد الأحزاب ذلك تحدياً له وقرر نصب كمين للفدائيين في بلدة الكحالة .

علم أحمد حيدر **وسليمان جنبلاط ومحمد ناصر وجورج حداد ونجيب أبو حمزة** بالأمر وقرروا انتظار الموكب في مدخل **مدينة بحمدون** لاقناع الفدائيين بتغيير وجهة سيرهم دون الحاجة لإخبارهم بموضوع الكمين . ولم يقتنع الفدائيون بسلك **طريق بحمدون ــ عاليه ــ سوق الغرب ، الشويفات ــ بيروت ،** مما اضطر أحمد ورفاقه عن الإفصاح عن موضوع الكمين وهذا ما جعل الفدائيون يتمسكون بموقفهم أكثر وكان ما كان .

شعر أحمد بنوع من الذنب : **« ربما لم نحاول بإصرار ، أو ربما كان يجب أن نرغمهم على تغيير وجهة سيرهم »** . واستسخف نفسه عندما وجد أنه استعمل كلمة « نرغمهم » كان ما يزال يتذكر صوت ذلك الشاب الرزين واضحاً جلياً .

« يا رفاق ، أعتقد بأن الأخوة على حق . يجب أن نأخذ برأيهم . نحن لسنا هنا لنقاتل هذا وذاك على أرض لبنان أو أي بلد عربي آخر . إن التهور ليس شجاعة » .

« جبان » تعالت عدة أصوات كالأصداء من حشد الفدائيين .

* * *

كانت السيارة تسير بسرعة خمسة وثمانين كيلومتراً في الساعة ، السرعة



القانونية في الطرقات الحرة . وفجأة ، وعلى بعد خمسة وعشرين متراً ، رأى فتاة تركض عبر الشارع بزاوية حادة من اليسار إلى اليمين .

كان أول ما فكر به أحمد أن لا يصدمها بمقدمة السيارة لأنه لو فعل ذلك فسيقطعها إرباً . وبصورة تلقائية أخذ يدير مقود السيارة بقوة ناحية اليمين ، وارتطمت الفتاة بعنف بباب السيارة الأيسر وسقطت في منتصف الشارع وارتطم رأسها بشدة بالشارع .

كانت السيارة ما زالت تنحرف بقوة ناحية اليمين حيث هناك صف من **أشجار** «**الكينا**» الضخمة ، وأيقن بأنه هالك إذا ما اصطدمت السيارة بجذوع إحدى هذه الأشجار . وبصورة يائسة ، حاول أن يعيد السيارة إلى ناحية اليسار ، وقد ساعد في ذلك سهولة انزلاق إطارات السيارة على أرض موحلة ، فانزلقت مستديرة حوالي مائة وثمانون درجة ، لتقطع الشارع إلى أقصى اليسار ، وترتطم بجدار معمل للبلاط في **منطقة خلدة** أمام **أوتيل** «**لاماركيز**» ، الذي كان قد تم افتتاحه حديثاً .

خرج أحمد من السيارة بصعوبة . كان هناك جمهور كبير من الناس قد تجمع حول الفتاة وكأنهم على موعد مع الحادث ، إذ لم يكن أحداً يتوقع وجود هذا الحشد الكبير في ذلك المكان غير المقصود . سار أحمد بتثاقل باتجاه الجمهور ليرى ماذا حدث للفتاة .

استوقفه رجل تظهر عليه ملامح الارستقراطية الغربية . كان طويلاً عريض المنكبين ، يرتدي **معطف كشمير** فوق بزة بنية اللون وقبعة أجنبية . كان مألوف ملامح الوجه وكأنه شخصية مشهورة : زعيم سياسي ، ممثل ، مطرب .. ولم يتذكر أحمد بالضبط.

«**إلى أين أنت ذاهب؟**» .

وأجاب أحمد بصوت مخنوق ، خافت ، يائس ، بائس : «**لأرى ماذا حل بالفتاة**» .

«دع الفتاة وشأنها . لا تستطيع أن تفعل لها شيئاً الآن . إن هناك من سيوصلها إلى المستشفى . يجب أن تتوارى عن الأنظار حتى يتضح لك الأمر أكثر . بالإضافة فلربما كان معها زوجها أو قريبها أو . . . فمن الممكن أن يقتلك إذا كان مسلحاً» .

«**ولكن سيارتي قد تعطلت**» .

ونظر السيد الوقور حوله . رأى شخصاً وحيداً في سيارة فيات ١٢٨ ، وبدون أن يستأذن السائق فتح باب السيارة اليمين ، وأمر أحمد بالدخول ، ثم قال للسائق : «إنني أقدر مساعدتك جداً» .



«كيف حدث ذلك؟ سأل سائق الفيات» .

«كل ما أتذكره هو أنني وجدتها فجأة أمامي وكأنها نزلت عليَّ من السماء . حاولت أن أتجنبها وحدث ما حدث» .

«هل لك معارف يحلون لك المشكلة إذا ماتت الفتاة؟» .

«ماتت؟» .

واستفاق أحمد على حقيقة مرة لم تكن تخطر له في بال لغاية الآن . لم يكن يفكر بالموت أبداً . كل ما كان يعتقده بأنها ستعود إلى وعيها بعد حين . سيحضر لها أحدهم كوباً من عصير الليمون من الأوتيل المقابل ، وتستطيع أن تذهب إلى بيتها بعد ذلك . كان يعرف بأنه لم يصدمها في مقدمة السيارة وكان متأكداً من أنها هي التي ارتطمت بالباب ، غير أنه تذكر أيضاً بأن رأسها قد ارتطم بالشارع بعنف . ولكن ذكر كلمة الموت جمَّد الدم في عروقه ، وشعر عندها بنوع من الدوار . . ليس أمامه إلا **السجن** إذا «ماتت» الفتاة .

وسأل أحمد سائق (الفيات) عما عناه «بالمعارف» .

«يعني شي وزير أو نائب أو بيك» .

«منشان شو؟» سأل أحمد بمنتهى السذاجة .

«كم عمرك» .

«ثلاث وعشرون سنة» .

«شو بيظهر أنك جديد في ها البلد . إذا ما في إلك سند رحت هريسة» .

وحاول أحمد أن يسترجع نظريات أفلاطون في المجتمع الفاضل **وعدالة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز** . حاول أن يتذكر مناقشاته مع **أستاذ الفلسفة** قبل تخرجه السنة الماضية ، وبالخصوص قول ذلك المدرس عن التفريق بين **النظرية والتطبيق** ، وكان قد أعطى بعض المجتمعات العربية مثالا على ذلك . كان المدرس دائماً يقول بأننا نملك نظريات حياتية سليمة جداً ، غير أن ما ينقصنا هو التطبيق . أصر أحمد بأن لدينا تطبيقاً وقال بأن ما نحتاج إليه هو الوقت : «ليبدأ بنفسه . إن اصلاح المجتمع يبدأ باصلاح الفرد» .

«ولكن أنا المسؤول عن الحادث . إذا كان الخطأ خطاي فأنا أتحمل المسؤولية . أما إذا كان الخطأ خطأها فهي وحدها التي تتحمل النتيجة مهما كانت هذه النتيجة» .

«بيظهر أنك قاري كتب كثيرة . الكتب للتسلية ، يا أستاذ . الواقع شيء ثاني» .

كان أحمد يعرف أن هناك **مخفراً** لرجال الأمن في **جنوبي مدينة الدامور** . وطلب من سائق الفيات أن يقف بعد أن شكره على مساعدته .

«أنا بنصحك ما تسلم حالك» .

كان المخفر في الطابق الثاني ، إذ كان في الطابق الأول دكان يبيع الفواكه الطازجة من البساتين المحيطة بمدينة الدامور ، وأدوات فخارية وأدوات زينة للسيارات . كان هناك رجل أمن واحد في المخفر . أخبره أحمد بأنه قد صدم فتاة في منطقة خلدة وبأنه لم يعرف ماذا قد حدث لها .

نظر رجل الأمن إلى أحمد بنوع من الاستغراب وسأله ما إذا كان على ما يرام .

«يجب أن ننتظر حتى يرجع ضابط المركز من **بيروت** . سيكون هنا في مدى نصف ساعة» .

طلب أحمد من رجل الأمن أن يستعمل الهاتف ، فقد كان يريد أن يتصل بصديقه **غسان** ليخبره بما حدث . غير أن رجل الأمن أخبره بأنه لا يستطيع أن يستعمل الهاتف العسكري .

«هل يمكن أن أنزل إلى الطابق الأول لأستعمل الهاتف الذي في الدكان؟» .

«آسف إنني مسؤول عنك الآن . أنت في حوزة القانون» .

ولأول مرة تخيفه كلمة القانون . لم يكن يعرف لماذا لم يثق به رجل الأمن في حين أنه قد أتى إليه بنفسه . لو أراد أن يهرب لما سلم نفسه في المكان الأول . ولكن لماذا يخاف القانون؟ أليس القانون لخدمة المجتمع؟ إن القانون في جانبه . ليس الخطأ خطأه .

ولكن رجل الأمن «تخطى أوامره» ، على حد تعبيره وسمح لأحمد أن يستعمل الهاتف .

* * *

أحضر له غسان فراشاً ولم يكن بحاجة إلى غطاء ، فقد كانت غرفة الحجز في **مخفر عين الرمانة** دافئة . وصل أصدقاؤه ــ المحامي **سليم نفاع** والمهندس **عادل نجم** وناظر الكلية **نجيب أبو حمزة** وسكرتير الكلية **نافع خلف** . وتكلم معهم أحمد من وراء القضبان الحديدية . كانت معنوياته عالية ، فقد كان ضميره مرتاحاً أنه لم يهرب من وجه العدالة ، وأنه واجه مسؤوليته عن الحادث بكل شجاعة أدبية وأمانة .

سأل الجميع إذا ما كان بحاجة إلى أي شيء من طعام أو شراب أو غير ذلك . فشكرهم وأخبرهم بأنه ليس بحاجة إلى أي شيء . فقد أحضر له غسان بعض الكتب وبعض ألواح الشوكولاته .

أخبره سليم نفاع ، المحامي ، بأنه سيحاول أن يخرجه من غرفة الحجز في اليوم الآخر .

* * *

بدأ الظلام يزحف على غرفته ، ومع ذلك الظلام بدأت الوساوس تجد طريقها إلى رأسه . تذكر كلمات سائق الفيات ـ « هل لك معارف يحلون لك المشكلة إذا ماتت الفتاة ؟ » وترددت أصداء الفرضية الأخيرة ، ـ « إذا ماتت الفتاة ، إذا ماتت ... ماتت ... ماتت ؟ » .

وفجأة هب واقفاً وهو يصرخ ـ « **لا ، لا ، لن تموت** » .

وسمع وقع خطوات تسير ناحية غرفته . لقد كان **عريف المخفر** . جاء ليسأله إذا كان يريد شيئاً . وليقدم له بعض ألواح الشوكولاته .

« **لماذا لا تشعل النور ؟** » **سأل العريف** .

لم يكن أحمد يدري أن غرف السجن تضاء . لقد قرأ قصصاً كثيرة عن **سجن البرج في لندن ، وسجن الباستيل في باريس** وحديثاً عن الزنزانات في **السجون الإسرائيلية** . لم يذكر أن هناك نوراً في هذه السجون .

« أريد أن أسألك معروفاً . هل من الممكن أن تتصل « بمستشفى الجبل » وتسأل عن أحوال تلك الفتاة . إنني سأكون لك من الشاكرين » .

« **ماذا لو ماتت** » ؟ ورجع صدى صوت سائق الفيات « **إذا ماتت ... إذا ما إلك سند رحت هريسة** » « ولكن القانون ، العدالة ، الحق . يجب أن يكون هناك تحقيق . لم يكن خطأي . أنا بريء » .

وبدأ أحمد يتكلم كالمتهمين . نعم ، يجب أن يدافع عن نفسه بواسطة محامي . وتذكر أن صديقه سليم نفاع قد أخبره بأنه سيتولى الأمر ، ولكن سليم ما زال محامياً في أول الطريق . لقد تخرج من **كلية الحقوق** السنة الماضية ، وما زال في فترة التدريب . ماذا لو كان للفتاة « سند كبير » : « نائب أو وزير أو بيك ؟ » .

« **آسف يا أحمد . إنها ما زالت في غيبوبة . حالتها خطرة ، وقد أعطاها الدكتور تقريراً مفتوحاً لمدة ثمان وأربعين ساعة . على كل حال لا تيأس . يظهر أنك شاب أمين وأعتقد بأن الله لن يخذلك** » .

* * *

كانت هناك خطوات ثقيلة خارج غرفته في الساعة السابعة من صباح يوم الأحد . جاء العريف وجنديان . كان واحد يحمل « **الكلبشات** » في يده ، وتسمرت عينا أحمد على هذه الآلة اللعينة التي بمثابة سيف الجلاد في تلك اللحظة . كانت رجلاه تخذلانه ، وكاد قلبه يسقط بين يديه كما يقولون .

« **هل ماتت الفتاة ؟** » .

« **لا ، ولكنك ذاهب إلى سجن بعبدا** » .

« **ولماذا سجن بعبدا ؟ أنا لست بمجرم ، وأنت تعرف ماذا قال صديقي البارحة . لقد سمعته بنفسك يقول بأنه سيخرجني اليوم في كفالة** » .

« أنا أعرف ذلك . كما أنني أخبرك بأنه البارحة مساء اتصل بي أحد أصدقائك ليقول بأنه حاول الاتصال **بمدير الأمن العام** غير أنه لم يجده ، إذ إن الأخير كان في الجبل . ولكن ماذا نعمل بالأوامر » .

« **ولكن لماذا تضع هذه في يدي** » .

« إنها (الأوامر) ، يا أحمد . (الأوامر) » .

كان سجن بعبدا سجناً بالمعنى الصحيح ـ أبواب حديدية ضخمة لغرف في الطابق الثاني تحت الأرض حيث لا يصل نور الشمس ، حتى أن الهواء لا يصل ذلك الطابق إلا بصعوبة ، ويكون ذلك بعد أن يفقد خواصه الطبيعية . كانت رائحة العفن والتبغ تخرج من باب ذلك « الأسطبل » الذي اقتيد إليه أحمد .

كان في الغرفة حوالي ثمانية سجناء . كانت أرض « الغرفة » ترابية قد عقدت معها الرطوبة تحالفاً . ولم تكن الجدران بأحسن حالا . كانت هناك شقوق في كل مكان تسكن فيها الفئران والصراصير والجرذان « من يعرف » قال لنفسه ، « **لربما كان هناك أفاع أيضاً** » غير أنه اتضح له بعد قليل من أن رائحة المرحاض أقوى من أن تجعل المكان مريحاً للأفاعي . لم يكن للمرحاض باب ولم يكن فيه ماء جار ولا ورق . كل ما كان في هذا المرحاض هو (جردل) ، ربما كان لونه في الأصل أصفر غير أن لونه الآن هو بين الأصفر والبني والأحمر . كان هذا (الجردل) خال من الماء في معظم الأحيان .

كان أحمد سعيداً عندما رأى السجناء بلباسهم العادي . ثم إن إدارة السجن لم تحلق شعورهم . لا أحد يستطيع أن يميزهم عن الأشخاص الطلقاء سوى شعورٌ لحاهم التي استطالت بعض الشيء .

* * *

اتجهت أنظار السجناء ناحية المدخل عندما سمعوا هرجاً وصوت أقدام

تقترب ، ثم كانت صلصلة جنازير تبعها صوت مفتاح في باب السجن الحديدي الضخم . سادت فترة صمت لعدة ثوان تبعها دخول مراهقين إلى « الغرفة » . كان الأول في حوالي السادسة عشرة من العمر ، والثاني لا يتجاوز الحادية عشرة .

« كل هذا بسببك . سوف لن أكلمك طول حياتي عندما تخرج » قال الفتى ذو الحادية عشرة .

واكتفى الآخر بالضحك . كان يحمل بطانية تحت إبطه . عندما دخل لم ينظر إلى أحد . كانت عيناه تبحثان عن مكان . عندما وجده فرد البطانية بشكل خُيل للناظرين بأنه يريد أن يكويها . بعد ذلك وقف وهو يدير ظهره إلى السجناء . ترك حذاءه وخطا على طرف البطانية ورمى بنفسه على الأرض وكأنه لاعب (جودو) ماهر . بعد ذلك مسك طرف البطانية ولفه حول نفسه وأخذ يدور بجسمه حتى وصل إلى طرف البطانية الآخر ليظهر كالمومياء تماماً .

سار الفتى الآخر إليه وبدأ يركله وهو يبكي بصورة هستيرية . ولم يقل « **المومياء** » شيئاً إلا بعد أن ركله الصغير على رأسه .

« مش على رأسي ، يا غبي . أنا ما جبرتك تروح معي » .

جاء صوته خافتاً من وراء لفات البطانية .

وتعب الصغير من ركل زميله « المومياء » ، ثم استند واقفاً على الحائط دون أن ينتبه إلى أي شخص آخر في المكان .

عندما ساد الصمت خرج الآخر من بطانيته ، ثم جلس . مد ساقيه إلى الأمام واتكأ على ساعديه اللذين مدهما خلفه ، ثم نظر إلى زميله الصغير وهو يبتسم ابتسامة تدل على النصر . غير أن الآخر لم ينظر إليه . واستدار الشقي بنظره إلى الآخرين وقال :

« عدم المؤاخذة . إن هذه أول مرة لصديقي في السجن » .

ثم أضاف بكل عفوية ليوجه سؤالا جماعياً : **« لماذا أنتم هنا ؟ » .**

كانت حركاته ووجهه الأشقر وخصلات شعره الذهبي تشبه الممثل الصغير الذي قام بدور **توم سوير** في الفيلم الذي يحمل نفس الاسم . وسأله أحمد :

« ما اسمك ؟ » .

« اسمي (غارو) الصغير . هيدا مش اسمي المضبوط . اسمي المضبوط هو أمين عنداري من الدورة » .

« لماذا أنت هنا » .

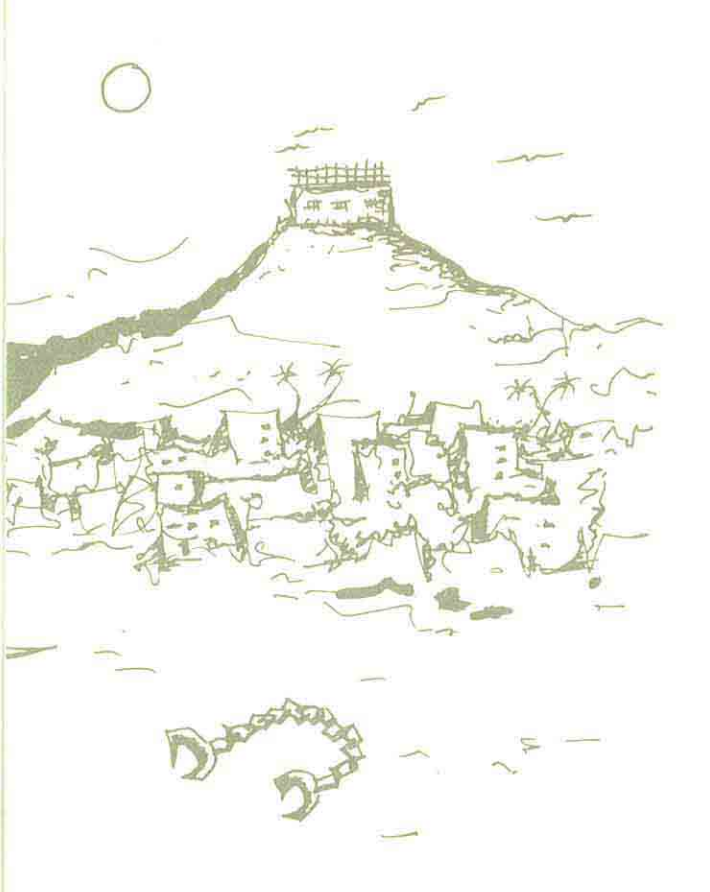
« حاولت أن أسرق سيارة . مش سرقة عن صحيح . أنا متعلم السواقة جديد . عندما نجد سيارة مفتوحة وفيها المفاتيح أنا وأصدقائي مناخذها مشوار ونرجعها محلها . هيدي المرة ما قبلت السيارة تدور . أنا شفت الناس يركضون صوبي غير أني ظليت أجرب . قلت يمكن تدور قبل أن يصلوا . كان هيدا ــ وأشار إلى زميله الذي يراقبه عن كثب ــ في السيارة . وهيك كمشونا . في ثلاثة هربوا من رفقاتنا » .

« هل شاهدت فيلم « توم سوير ؟ » .

« أنا ما بشوف إلا الأفلام البطولية . قبل ثلاثة أيام . . . » .

وجاء صوت المسؤول عن السجن مترجرجاً بين ممرات السجن . خلف القضبان الحديدية : « السيد أحمد حيدر » .

كان يقف في الناحية الأخرى من الباب الحديدي سليم نفاع مع سميح محمود الملقب بـ « الأو أو » . صاحب النكتة التي لا تنضب حتى في أحلك الأوقات .



«ليش البنات يحبوك بالهشكل يا أبو حميد ؟ ما حد بيجي لعندي» .

«إن شاء الله ما تشوف بنات بالهشكل يا (أو أو) .

كان سليم نفاع وسميح محمود يحاولان الاتصال **بالدكتور إسماعيل الأعور** منذ مساء البارحة لتغيير صيغة التقرير الطبي . فما دام التقرير مفتوحاً لا يمكن أن يفرج عن أحمد بكفالة . غير أنه لم يحالفهما الحظ . كان أحمد يعرف بأنه إذا لم يخرج من سجن بعبدا في مدة أقصاها صباح الاثنين فإنه بحكم « **القانون** » سيرسل إلى **سجن الرمل** ، وهناك الطامة الكبرى . وفقد أحمد أعصابه وأخذ يشتم ويصرخ موجهاً الكلام إلى **العريف** الذي كان يقف إلى جانب سليم وسميح : « **أنتم لا تريدون أناس ذوي أخلاق . كان يجب علي أن لا أسلم نفسي . ولكنني تعلمت درساً لا أنساه أبداً** » .

ولكنه شعر بخطئه . . وبسرعة اعتذر من العريف .



* * *

وشعر أحمد بفراغ هائل بعد أن ذهب سليم وسميح . كانت الساعة العاشرة والنصف من صباح الأحد ، وسمع أحمد الناس يحيون بعضهم البعض تحية الصباح . كان حائط السجن الخلفي محاذياً للشارع العام . فقد كان السجن مبنياً على هضبة . كان الباب الرئيسي للسجن في الطابق الأرضي ، بينما لو فتح باب من الناحية الخلفية لكانت « غرف » السجناء هي في الطابق الأرضي .

وخُيل له وكأنه سيختنق . أراد أن يخرج من ذلك المكان . أراد أن يرى نور الشمس . أراد أن يسير . تبين له في تلك اللحظة كم هي شهية تلك الكلمة : الحرية . تذكر الأشجار والأزهار والعصافير والناس يروحون ويجيئون والسيارات . . لا إنه لا يريد أن يتذكر السيارات . ولكن أراد أن يتذكر . لولا الساعة التي في يده لما فرق الليل من النهار في هذا السجن المخيف .

كانت الساعة الحادية عشرة موعد قدوم **ابن البقال** القريب من السجن ليسأل من معه نقوداً إذا كان يريد طعاماً . عرف أحمد أنه يجب أن يشتري طعاماً لخمسة من السجناء الذين لم يكن لديهم أية نقود .

«غارو ، هل تريد أن تأكل شيئاً ؟» .

وأجاب « غارو » بأنه يريد لحماً مشوياً ودجاج محشي مع كبة نية وسلطة . أما الحلويات فهي البقلاوة والفواكه بطيخ وموز وتفاح .

«غارو ، لقد سألتك عما تريد أن تأكل ، وليس عما تحب أن تأكل» .

وقال « غارو » بأنه قد زار هذا السجن ثلاث مرات من قبل ، ولم يتذكر بأن إدارة السجن كانت بهذا الكرم من قبل .

وأعاد ابن البقال سؤاله عما إذا كان أحداً يريد أي شيء من الدكان . طلب بعض السجناء **حمص مدمس وجبنة وشاي** . أما أحمد و« غارو » والمغامر الصغير ، فقد طلبوا **عصير ليمون** مع بعض ألواح من الشوكولاته .

ناول أحمد النقود إلى ابن البقال وطلب منه أن يستفسر من « مستشفى الجبل » عن الفتاة التي صدمت البارحة الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، وتذكر أحمد أن اسمها عفاف ، كما أخبره سليم نفاع .

« هل معك مصاري كثير » سأل « غارو » أحمد .

« لماذا تسأل » .

« يمكن نزورك في بيتك بعد أن تخرج من السجن . إن كل أغنياء البلد هم أصدقائي » .

« إذا كنت تقصد أن تزورني من أجل السيارة فليس هناك ما تريد الآن » .

« ولو بسيطة . أنا بجيبلك سيارة غيرها » .

ثم قفز « غارو » من مكانه ليتناول الأشياء من ابن البقال . كانت كلها في صينية كبيرة وكان على (غارو) أن يتناولها واحدة واحدة من بين قضبان الباب الحديدي . ولكنه نظر إلى أحمد وناوله فكة العشر ليرات لبنانية . لقد كانت ليرة واحدة ، فأخبره أحمد أن يحتفظ بها . استدار الصبي ليذهب غير أن أحمد استوقفه .

« لقد أخبرتك أن تتصل بالمستشفى » .

وقف الصبي وعيناه في الأرض . وظل صامتاً إلى مدة طويلة . وانساب الخوف إلى قلب أحمد . لم يستطع أن يعيد السؤال مباشرة . لقد كان يخيفه الجواب أو هكذا شعر . ولكن شفتاه تحركت رغم إرادته .

« هل اتصلت بالمستشفى ؟ تكلم » .

وركض الصبي خارجاً دون أن يذكر شيئاً . كان همه أن يخرج من ذلك المكان المخيف . ولم يره أحمد بعد ذلك أبداً .

ماتت الفتاة ، وتراجع أحمد بتثاقل عن الباب الحديدي . سيكون عالمه بعد اليوم أضيق بكثير من غرفة طولها ٧ × ٧ من الأمتار . بدأ يتخيل كيف ستكون غرفته في سجن الرمل . ربما ستكون زنزانة كتلك التي يسجن فيها المجرمون ذوي السوابق . سيضاء النور الساطع فيها ليل نهار وستخرج أصوات غريبة من الجدران والسقف . . في أيام الشتاء الباردة ستفيض زنزانته بالماء البارد . ولكنه تذكر أن السلطات الإسرائيلية تفعل ذلك بالفدائيين الذين لا يفشون أسرار مجموعاتهم .

ثم شعر بارتياح لسببين : الأول أنه في **لبنان** وليس في إسرائيل ، **والثاني** هو أن سلطات السجن لا تريد أن تعرف منه شيئاً ، فليس لديه أسرار من أي نوع . كل ما في القصة أنه صدم فتاة وماتت . سيتركونه يعيش في السجن ويموت موتاً بطيئاً . ولكن ألم يكن هناك محاكمة ؟ ألم يذهب الخبراء إلى مكان الحادث ؟ هل اعتبرته السلطة مسؤولا عن الحادث مئة بالمئة ؟ .

وشعر أن الدموع تسيل على خديه . كان على (الفرشة) ورأسه بين يديه . شعر بالذنب العميق : فأخواه الأصغر سناً لن يستطيعا متابعة تعليمهما . وتذكر كل المشقات التي قابلته قبل أن يحصل على شهادته الجامعية . هل يستطيع أخواه أن يتحملا العذاب ؟ ماذا سيحل بأبيه الذي تقاعد عن العمل السنة الماضية . من المستحيل أن يستطيع الحصول على عمل . وأمه ما ذنبها ؟ كانت أخته البالغة من العمر الحادية عشرة قد سألته أن يشتري لها فستاناً . من سيشتريه لها الآن ؟ .

« لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . لم أدر ماذا فعلت حتى استحق وتستحق عائلتي مثل هذا العقاب » ! .

كان السكون والوجوم يخيمان على كل زملائه السجناء . حتى « غارو الصغير » كان واجماً بصورة ملحوظة . لم يستطع أحد أن يمس الطعام الذي أحضره ابن البقال قبل قليل . استسمحهم أحمد أن يتناولوا طعامهم ، غير أنهم أبوا .

لم يأبه أحد لوقع الخطوات التي تهبط السلم . الكل يعرف أن الحوادث تدور حول وعلى أحمد ، وأحمد يعرف ما جاء السجان من أجله مسبقاً . وجاء ما توقعه بصوت السجان « السيد أحمد حيدر ، أحضر كل أشيائك وتفضل معي » .

أراد أن يودع أولئك الذين اعتبرهم شركاء في مصير مجهول . غير أنه غص بالدموع ولم يستطع أن ينطق بشيء . جمع كتبه التي لم يفتح أحدها منذ مساء البارحة ووضعها في وسط (الفرشة) التي لفها عدة لفات وسار نحو الباب الذي كان قد فتحه السجان . وقبل أن يخرج أحمد استدار وقال بصوت فيه حشرجة : « **أتمنى لكم التوفيق** » . خرج من البوابة الحديدية . وهو يقول « **لاحول ولا قوة إلا بالله** » .

كان استغرابه كبيراً عندما أخذ السجان (الفرشة) عنه . وأخذ الاثنان يصعدا السلم إلى مكتب السجن في الطابق الأرضي . ووضع السجان (الفرشة) في الأرض . ثم سار إلى الصندوق الحديدي ليعطي أحمد بعض الأشياء التي تركها الأخير معه . انتصب السجان واقفاً ورسم على وجهه ابتسامة عريضة ومد يده إلى أحمد وهو يقول « **الحمد لله على السلامة** » .

ونظر أحمد إلى الرجل ، لم يستطع أن ينطق بحرف واحد . ولكنه ظل يتفحص وجهه عله يرى معنى لما يقول .

« يظهر أنك لا تريد أن تغادر السجن . ألا تريد أن ترى أصدقاءك ؟ » .

ركب أحمد السيارة مع سليم نفاع وسميح محمود وهو في ذهول . كان ينظر إلى التراب والشجر والناس كساكن كوكب آخر وجد نفسه فجأة على الأرض . . حتى أنه مد رأسه من السيارة ينظر إلى الشمس فقد اعتبرها من المسلمات قبل أن يذهب إلى السجن .

أراد أن يضمخ نفسه بالتراب ، ويعانق الأشجار ، ويقبل الشمس ، ويطير في الهواء . ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً . كان الذهول أقوى من أن يجعله يفعل أو يقول أي شيء .



يعتبر فن الصيد من المتع المفضلة لأسلافنا القدامى ، وقد شغل الصيد حيزاً كبيراً من الجانب الرياضي وجميع أنواع التسالي لهم .. وكان اهتمام ملوكهم وعامتهم به قد شغل أكثر فراغهم كما رأينا في الكتب التراثية التي صورت لنا ذلك . وما تزال هذه المتعة قائمة حتى الآن ، ولم يؤثر فيها اكتساح الحضارة بعناصرها المادية الرهيبة .

كتاب انتهاز الفرص في الصيد والقنص

تأليف : حمزة بن علي الناشري

عرض وتقديم : عبدالله محمد الحبشي

ومن مظاهر الاهتمام بالصيد في الحضارة الإسلامية تلك المؤلفات التي وضعت فيه ، فكتب فيه في القرن الثالث الأمير **عبد الله بن المعتز المتوفي سنة ٢٩٦ هـ ، له كتاب (الجوارح والصيد)** .. وفي القرن الرابع وضع الأديب العلامة **محمود بن حسين** المعروف **بكشاجم** المتوفي سنة ٣٥٨ هـ ، كتابه الشهير **(المصايد والمطارد)** .. ومنهم **القاسم بن علي بن الحسين الزينبي** المتوفي سنة ٥٦٣ هـ ، له رسالة في **أحكام الصيد** .. ومنهم مؤلف كتاب **(الصيد والطرد عند العرب)** الذي حققه الأديب **ممدوح حقي** ونشره في **بيروت** .. ومنهم مؤلف كتاب **(البيزرة)** المجهول الذي نشره وحققه الأستاذ **محمد كرد علي** رئيس **المجمع العلمي العربي بدمشق** .. ومنهم أيضاً مؤلف كتاب **(الجمهرة في علم البيزرة)** العلامة **عيسى بن حسان الأسدي** .. وكتب أخرى لا مجال لذكرها .

ولا زال الصيد يشغل العلماء والأدباء في كل عصر وزمان ومنهم في عصرنا الحديث الدكتور **عبد الرحمن رأفت الباشا** صاحب كتاب **(الصيد عند العرب)** المطبوع في بيروت سنة ١٣٩٤ هـ .

وفي تراث أهل **اليمن** الإسلامي **يقبع** مؤلف كبير في فن الصيد هو كتاب **« انتهاز الفرص في الصيد والقنص »** من تأليف العلامة **حمزة بن علي الناشري** الذي أراه من أوسع ما ألف في هذا الجانب في الحضارة الإسلامية عامة وقد استقى مادته من غالب ما كتب في فنه وما جاء متناثراً في بطون الكتب على مختلف أنواعها .

وقد دل تأليفه على اهتمام ملوك اليمن بجانب فن الصيد فقد ألفه للملك اليماني **عامر بن عبد الوهاب الطاهري** المتوفي سنة ٩٢٣ هـ ، كما أشار إلى ذلك المؤلف نفسه الذي يقول في مقدمة كتابه هذا :

« أما بعد إنه لما كان الإمام الأعظم والخليفة المكرم ملك البسيطة ومركز الدايرة المحيطة صلاح الدين والدنيا وخليفة رسول رب العالمين مبيد الطغاة والمفسدين غياث غوث الضعفاء والملهوفين بهجة الزمن وسلطان **صنعاء وعدن وزبيد وتعز** وسائر اليمن فخر السلاطين ومشيد الجوامع والمدارس بالأساطين .. أمير المؤمنين أبي الظفر عامر بن مولانا عفيف الدين عبد الوهاب بن داود .. ممن أحب الصيد والاصطياد واحتفى بالقنص في كل باد وواد » إلخ .

فكان اهتمام الملك الطاهري دافعاً لمؤلفنا في وضع مؤلفه القيم هذا ، ومن قبل ملوك **الدولة الطاهرية** كان ملوك **الدولة الرسولية** لهم الولع التام بالصيد حتى أنهم كانوا يخصصون أياماً معلومة للخروج لنزهة الصيد وقد أشار إلى ذلك مؤلف **السمط الغالي الثمن** ، بل بلغ بالملك **المؤيد** الرسولي أن يضع له أحد علماء دولته كتاباً في الصيد هو الفقيه **يعقوب بن إسماعيل المطاطي** الذي وضع له كتاب « **نزهة الملوك الأخيار في الاقتناص بأنواع الأطيار** » ، وقد وقف على مخطوطته النادرة مؤلف كتابنا هذا .

انتهاز الفرص ومؤلفه

وكتابنا (انتهاز الفرص في الصيد والقنص) من أوسع ما ألف في فن الصيد ، وهو نادر في ذاته ، إذ لا نعرف من مخطوطاته سوى مخطوطة وحيدة ساقتني إليها الصدف ، وهو يقع في ثلاثمئة وستين صفحة كبيرة . وقد أشار فيه إلى أنه ألفه للملك الطاهري عامر بن عبد الوهاب ـ كما أسلفنا ـ ويؤيده في ذلك ما ذكره

معاصره المؤرخ اليمني **عبد الرحمن بن علي الديبع** المتوفي سنة ٩٤٤هـ ، في كتابه (**الفضل المزيد في الذيل على بغية المستفيد**) ، وقد أرخ له في حوادث كتابه فقال : « وفي سنة ٩١٦هـ ، قدم الشيخ العلامة **حمزة بن علي الناشري** كتابه الموسوم (بانتهاز الفرص في الصيد والقنص) ، إلى الملك عامر بن عبد الوهاب فأثابه عليه بجائزة سنية » وقد نقل عنه الحادثة مؤلف **غاية الأماني** (ص ٦٣٧) وعنه صاحب **كشف الظنون** (ص ١٧٥) ، وقال في وصفه : « **وهو كتاب لم يسبق إليه ، كتب عليه** « **أي في تقريظة** » **جماعة من الأئمة العلماء بزبيد** » .

ومؤلف الكتاب هو العلامة الفقيه حمزة بن علي الناشري من كبار علماء اليمن ، ولد بمدينة زبيد سنة ٨٣٣هـ ، وتلقى علومه على جماعة من علمائها ، ثم رحل إلى مكة ولقي هناك المؤرخ **محمد بن عبد الرحمن السخاوي** المتوفي سنة ٩٠٢هـ ، واستفاد منه كثيراً في كتابه « **الضوء اللامع** » ويقول عنه كل من ترجمه إنه عرف باللطافة وعُمِّر إلى أن قارب المئة توفي سنة ٩٢٦هـ ، وله من المؤلفات القيمة في مواضيع نادرة كتابه (**عجائب الغرائب وغرائب العجائب**) وكتاب (**النعمة المشكورة في المسائل المنثورة**) وكتاب (**البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر**) وكتاب (**السلسل الجاري في وصف الجواري**) ومؤلف قيم في علم النبات أسماه (**حدائق الرياض**) وكتب أخرى في الفقه وغيره استقصيناها في كتابنا **مصادر الفكر الإسلامي** .

ولا شك أن أهم كتبه كتابه هذا الذي بين أيدينا الآن الذي خصصه في فن الصيد وجعله حاوٍ لفنه من كل الجوانب العلمية والأدبية والفقهية والفنية ونظرة سريعة إلى أبوابه وتقسيماته يتضح لنا منها الكثير من مادة الكتاب وموضوعه فقد بناه على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة .

فالمقدمة في ذكر **أشياء من تعلم** ما يحتاج إليه الخارج للصيد ولذته وذكر لحمه ونفعه والآداب في الصيد مع المجالس والمصاحب والضيف وما يصلح من الأوقات للصيد وغير ذلك .

والباب الأول فيما جاء في **القرآن الكريم** من آيات تتعلق بالصيد . **والباب الثاني** فيما جاء في الحديث النبوي مما يتعلق بالصيد ، جمع فيه أربعين حديثاً كلها لها صلة بالصيد وأحكامه . **والباب الثالث** في ذكر من اصطاد من الأنبياء والصحابة والخلفاء والملوك القدماء والسلاطين والوزراء والأقيال والشيوخ من الأعراب وغيرهم . **والباب الرابع** في أسماء الجوارح التي يصاد بها والشرك والقنص والحبائل والخيل ، وفيه ثلاثة فصول . فصل في أسماء الجوارح ذوات الأربع التي تقبل التعليم ، والفصل الثاني في أسماء الجوارح من الطير التي تقبل التعليم وما يتعلق بها ، والفصل الثالث في الشرك والقنص والحبائل والرمي بالسهام وبالسعي على الأقدام والطرد على الخيل وغيرها . **والباب الخامس** في أسماء ما يصاد وما يحل من الحيوان وصيد البر والبحر . **والباب السادس** في الأحكام الفقهية المتعلقة بالصيد والجوارح . **والباب السابع** في الحكايات المرويات في الصيد والصائد وهذا الباب وما قبله من أوسع أبواب الكتاب وأشملها . **والباب الثامن** في الأشعار المنظومة في الجوارح والطرديات .

والخاتمة جعلها المؤلف رحمه الله في ذكر بعض أمراض الجوارح وما يعتريها من علل وأدويتها .

وأنت لا تدرك قيمة هذه الفصول والأبواب في الصيد إلا حينما تتصفح ما كتبه فيها وتعلم حينها سعة اطلاع المؤلف واستقصائه لمادته من كل الجوانب ، بل إنه ربما رجع إلى مصادر لا نعلم عن وجودها لا بالاسم ولا بالمسمى ، انظر إلى بعض ما رجع إليه من كتب لتدرك سعة أفقه واطلاعه ، فهو مثلاً رجع إلى كتب نادرة ككتاب (**نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب**) **للسموأل بن يحيى المغربي** المتوفي سنة ٥٧٠هـ ، وكتاب (**ربيع الأبرار**) **للزمخشري** ، وكتاب (**مناهج الفكر ومباهج العبر**) **لمحمد بن إبراهيم الوراق** المتوفي سنة ٧١٨هـ ، وكتاب (**المختار من مطالع الأنوار**) **لأبي قاهر الغساني** ، وكتاب (**آفاق المحاضر**) **لعبد الله بن محمد النجراني** ، وكتاب (**اللباب ونزهة الأحباب**) **لأحمد بن محمد الأشعري اليمني** ، وكتاب (**الأنباء بتاريخ الخلفاء**) **لمحمد بن علي العمراني** ، وكتاب (**المصايد والمطارد**) **لكشاجم** ، وكتاب (**لمح الملح**) **لسعيد بن علي الحظيري** المتوفي سنة ٥٦٨هـ ، وكتب أخرى لا مجال لذكرها هنا ، وأغلب ما أوردناه هنا مما لم نسمع به فضلاً عن وجوده وطبعه وربما بحثت عن بعض هذه الكتب في كتب المعاجم الخاصة بالمؤلفين فلا تجد لها ذكراً .

الصيد عند المؤلف

يرى المؤلف أن التأليف في الصيد لا يخلو من أجر وثواب لاشتماله على الآيات البينات والأحاديث النبوية والآثار التي من فعل الأنبياء والصحابة والخلفاء والأحكام التي يحتاج إليها في الصيد ، ولذا فالأمر عند المؤلف « **ليس بالهزل بل هو قول فصل** » ويرى رأي كشاجم أن لذة الصيد ليست إلا في الطرد والمطاردة والظفر بعد الإراعة ومن رأيه ــ أيضاً ــ تفضيل لحوم الصيد وأن الحكماء « إذا أعوزهم لحم الصيد أمروا بإتعاب الحيوان المأكول وكده وذبحه عقب ذلك فيكون أسرع لنضجه وأطيب للحمه » .

ما يجب على الصياد تعلمه

ينقل المؤلف عن **الإمام النووي** أنه إذا كان الإنسان محباً للصيد عليه تعلم ما يحتاج إليه أهل الصيد وما يحل من الحيوان وما يحرم وما يشترط في ذكاته وما يكفي في صيد الكلب والسهم وغير ذلك ويقول المؤلف : وهو أصل من الأصول المطردة في الصيد ويقاس عليه ما يحتاج إليه من معرفة ما يجب تعلمه من الأحكام .

الصيد في القرآن الكريم

عقد لهذا الموضوع فصلاً من أوسع أبواب كتابه واستقصى فيه ما جاء في القرآن الكريم من ذكر للصيد وما يتعلق بأحكامه فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ١) ، وآيات أخرى استقصاها إلى نحو ست آيات كريمات ، وقد أطال المؤلف في تفسيرها والنقل عن كبار أئمة المفسرين ، وربما أدلى فيها بترجيحاته واجتهاداته . وآخر الآيات الكريمة المستشهد بها على الصيد قوله تعالى : ﴿ **أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٩٦) .

الصيد في السنّة النبوية

وهو موضوع خصب وجد فيه المؤلف مادة كبيرة ، وقد اختار منها أربعين حديثاً عزاها إلى رواتها ومسنديها ، وهو يطيل النقل في الشرح والتفسير وربما نقل في تفسير الحديث عن ما يزيد على عشرين مرجعاً .

الأنبياء والصيد

بعد استقصاء دقيق يرجح المؤلف إلى أن الذين صادوا من الأنبياء هم نبي الله **إسماعيل** وينقل في ذلك ما جاء في السنّة النبوية من قصة سيدنا **إبراهيم** وامرأة

ابنه إسماعيل وهو حديث صحيح أورده البخاري في صحيحه ، وأوثر عن نبي الله **سليمان** أنه كان ممن يصيدون ، وأن الحدأة كانت من جوارحه . . وفي ختام هذا الفصل يقول المؤلف : « هذا ما بلغنا عن من اصطاد من الأنبياء ، ولا بد أن يكون غيرهما من الأنبياء قد اصطاد إلا أنه لم ينقل لنا » .

الصيد عند الصحابة

صاد من الصحابة **حمزة بن عبد المطلب** ، وكان مولعاً بالصيد وأسلم بعد عوده من الصيد مباشرة كما هو مدون في كتب السيرة ، وقصته مع أبي جهل معروفة . ومن الصحابة أيضاً **أبو ثعلبة الخشني** كان مولعاً بالصيد لهجاً به وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عما يحل ويحرم من الصيد وأحاديثه فيه كثيرة في الصحيحين ، ومنهم **عدي بن حاتم** فإنه أولع بالصيد وكان كثير البحث مع النبي ﷺ عن أحكام الصيد وما يحل وما يحرم ، ومنهم **أبو قتادة** رضي الله عنه وقصته في الصيد مشهورة .

الصيد عند ملوك العجم

ينقل في هذا الموضوع مادة لا بأس بها ويؤرخ لجماعة من ملوك العجم قبل الإسلام الذين عرف عنهم أنهم قاموا برحلات صيد وكان منهم الملك **بطليموس بن الإسكندر بن أفلوطين** يقول : « **وهو أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها** » ، ومنهم **الدرابة** من ملوك **اليونان** كان مولعاً بالصيد . . ومنهم **قسطنطين** ملك الروم وهو أول من اصطاد بالشواهين ، وقد ريضت له وعلمت التحويم على رأسه . . ومنهم **لذريق** أحد ملوك الروم كان يصطاد بالشواهين . . ومنهم **كسرى أنوشروان** . . ومنهم **هرام بن بهرام بن هرمز** . . ومنهم **بهرام بن يزدجرد** . . ومنهم **قيصر** وغيرهم .

الصيد عند ملوك العرب قبل الإسلام

عرف بالصيد جماعة منهم **ذو يزن الحميري** وابنه **سيف** ، ومنهم **الحارث ابن معاوية بن ثور الكندي** ، ومنهم **عبد كلال** وقد جرت له حادثة في أحد متصيداته ذكرها المؤلف .

الصيد عند ملوك الإسلام

كان أقدم من صاد منهم **معاوية بن أبي سفيان** ثم ابنه **يزيد** وكان مولعاً بالصيد حتى عرف به ، ومنهم **سليمان بن عبد الملك بن مروان** ، ومنهم **هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان** .

ومن خلفاء الدولة العباسية **أبو العباس السفاح** كان شديد الولع به ناشئاً ومكتهلاً وله نادرة عجيبة ذكرها المؤلف في كتابه ، ومنهم أخوه **المنصور** وابنه **المهدي** وكان على قدره وتحفظه مشغوفاً بالصيد حتى قال شاعره :

يغدو الإمام إذا غدا للصيد ميمون النقيبه	فيؤوب ظافرة جوارحه وأكلبه الأديبه

كما كان **هارون الرشيد** له مداومة على الصيد ، ثم ابنه **الأمين** كان أشد انهماكاً في الصيد وأحرص عليه وأكثر طرداً من كل من تقدمه من بني العباس ، وأكثر شعر أبي نواس في ضواريه . . ثم أخوه المأمون كان محبًّا للصيد وكذلك المعتصم وابنه الواثق كان كثير التصيد بنواحي **عكبرى** .

ومنهم **المتوكل على الله جعفر بن المعتصم** والمعتز بالله الذي كان يصيد مع الشاعر **البحتري** ، وآخرون استقصاهم المؤلف في كتابه .

رؤساء العرب والصيد

وصاد من رؤساء العرب وأدبائهم **الحجاج بن يوسف الثقفي** وله حكايات في الصيد أوردها المؤلف في قسم الحكايات ، **وأبو مسلم الخراساني** الذي اشتهر باللعب بالفهود ، **وأبو دلف العجلي** ، **وأبو دلامة** مع الفضل بن يحيى البرمكي وله حكاية طويلة أوردها صاحب **وفيات الأعيان** ، ومنهم **لقيط بن زرارة وعمر بن الجون الكندي** وآخرون .

الجوارح التي يصاد بها

وفي هذا الباب شرح المؤلف الجوارح التي يصاد بها من الطيور وذوات الأربع ، وهي التي تقبل التعليم وصفة تأديبها وذكر بعض خواصها ، وقد مهد لذلك ببحث طريف في تعريف الجوارح فقال : « **اختلف في ذلك فقيل ما يجرح الصيد بناب أو مخلب أو ظفر وقيل الجوارح الصوايد** » . وهذا عائد إلى معنى الكواسب ونقل عن **النووي** أن الجوارح هي الكواسب من الطير والسباع ذوات الصيد واحدتها جارحة ، سميت جوارح لأنها كواسب أنفسها ، قال ابن عباس : يريد الطير الصائد والكلاب والفهود ، وسباع الطير كالشواهين والعقبان .

الجوارح من ذوات الأربع

وهي الفهد والكلب والنمر والتُّفه ، يقول المؤلف وهذه التي اشتهر الاصطياد بها .

فأما **الفهد** مزاجه كمزاج الأسد والنمر وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب ، وهو مما يصطاد به الملوك ، وصيده الظباء ، وإناثه أصعب خلقاً وأشد إقداماً من الذكور وقد توسع المؤلف في ذكر أخلاقه وصيده وعاداته .

وأما **الكلب** فالمجال فيه أوسع ، ولا هو سبع تام ولا بهيمة تامة ، وهو نوعان أهلي وسلوقي وكلاهما في الطبائع سواء وفي الكلاب من اقتفى الأثر وشم الروائح والجيفة أحب إليه من الطري وفي طبعه أنه يحرس صاحبه ويحمي داره في حضوره وغيبته وهو أيقظ الحيوان عيناً في وقت حاجته إلى النوم ، وهو أشد الحيوان فكاً وأرمقها حداً .

وثالث الجوارح من ذوات الأربع **النمر** وفيه شبه من الأسد إلا أنه أصغر منه ، منقط الجلد نقط سوداء ولونه إلى الحمرة ، وهو صنفان عظيم الجثة صغير الذنب وبالعكس ، ومنزلته من السباع في الرتبة الثانية ، وهو خفيف الجرم شديد الحذر ، وفي طبعه عداوة الأسد ، والنصر بينهما سجال وهو وإن كان ينتصف من الأسد فإن قوته على سائر الحيوان دون الأسد ، وهو بعيد الوثبة ، فربما وثب أربعين ذراعاً صعوداً إلى مجثمه الذي يأوي إليه ، وفي طبعه أنه يشبع ثلاثة أيام يقطعها للنوم ثم يخرج في اليوم الرابع إلى آخر قول المؤلف ــ وهو منقول من كتاب (مناهج الفكر) **لابن الوراق** ــ .

ويقول المؤلف : « وهذا الكلام بعينه في **حياة الحيوان للدميري** وهذه عادته يأخذ كلام صاحب المناهج **ابن الوراق** من غير عزو إليه » ، وقد نبهنا المؤلف رحمه الله بهذا النص الدقيق إلى أن أكثر مادة صاحب حياة الحيوان منقولة من ابن الوراق وقد اشتهر كتاب حياة الحيوان دون أن يعرف الناس أن أصله ومادته ليست لمؤلفه . وهذه مسألة دقيقة يجب التحقيق فيها .

ثم يطيل المؤلف رحمه الله في حكم جلده وطهارته وما يتعلق به من قصص وأخبار في التاريخ إلى غير ذلك .

والجارحة الرابعة من ذوات الأربع هي **التُّفه** وهي بضم التاء المثناة من فوق وفتح الفاء ثم هاء وتسمى أيضاً **عناق الأرض** وتشبه جرو الكلب وهي نوع من السباع وصيدها في غاية الجودة وربما وثبت على الإنسان فعقرته ولا تطعم غير اللحوم وتضرى على اصطياد **الكركي** وما قاربه من الطير فإذا طار وثبت وثبة عظيمة لتأخذ برجله وتصيد الأرانب والثعالب والغزلان وتصيد كما يصيد الفهد،

وقد أطال المؤلف في شرح حكمها الفقهي، ثم قال في آخر بحثه هذا: «**وإنما طولت في ترجمتها لعدم تداولها على الألسنة وقلة معرفة أكثر الناس لها وقد نقلت ترجمتها عن نحو خمسة عشر مؤلفاً ما بين أديب وعالم**».

الجوارح ذوات المخالب

وهذا فصل كبير حفل به كتابنا وقد حصر الجوارح في أربع: **البازي والصقر والشاهين والعقاب** وما أضيف إليه **كالزمج**.

فأول هذه الجوارح البازي وهو ضرب من الصقور وقد حقق المؤلف لفظه اللغوي من أكثر من عشرين كتاباً في اللغة، ثم قال: وأول من اصطاد به الذريق أحد ملوك الروم، وقد تباهى الملوك بعده به، فقال **خاقان** ملك الروم: الباز ملك مؤيد، وقال كسرى: الباز رفيق يحسن الأناة ولا يؤخر الفرص، وقال قيصر: الباز ملك كريم إن احتاج أخذ وإن استغنى ترك، وقال أحد الفلاسفة: حسبك سرعته في الطلب وقوته على الرزق.. ومن شرفه أنه يحمله الملوك على أيديهم وهذا نهاية الشرف، وفي جناح البازي من عدد الريش أربع قوادم وأربع مناكب وأربع أباهي وأربع كلى وأربع خوافي.

وينقسم البازي إلى خمسة أصناف: البازي **والزرق والباشق والعفصي والبيدق**، والبازي أحرها مزاجاً، وهو خفيف الجناح سريع الطيران، وإناثه أجرى على كبار الطير من ذكرانه.. ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، وأن يكون فخذاه طويلتين مسدولتين بالريش.

وثاني الجوارح **الصقر** ويقال له الأجدل ويقال له أيضاً القطامي، وينقسم إلى ثلاثة أقسام **صقر وكونج ويويو** والعرب تسمي كل طائر يصيد صقراً، وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنه أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء وأحسن ألفة وأشد إقداماً على أكثر الطيور **كالكروان** وغيره، وقال أصحاب **البيزرة** إنه أهدأ نفساً من البازي وأسرع أنساً بالناس ويتغذى بلحوم ذوات الأربع، والبر مزاجه، لا يشرب بقرب المياه ويعافها ولو لم يجدها الدهر ما طلبها، وكذلك يوصف بالبخر، وفيه جبن دون شدة، ولذلك يضرب الغزال والأرنب بجناحه ويهرب، فإذا فارقه عاد إليه منقضاً فيضرب ويهرب، وهو يتمعك في الرمل بخلاف الجوارح فإنها تسق بالماء وتغتسل.

والجارح الثالث هو **الشاهين** وهو ثلاثة أصناف شاهين وأنُوّق وقطامي وهو من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأيبس مزاجاً ولا يلحق في طلب الصيد طائراً على خط مستقيم إنما يحوم لثقل جناحه، والشاهين أخفها وأشدها ضراوة على الصيد، وعظامه أصلب من عظام سائر الجوارح، والمحمود منه العظيم الهامة الواسع العين التام المنسر الطويل العنق القليل الريش التام الخوافي، ويصيد الكركي ولا يفوته الصيد الكبير.

والجارح الرابع **العقاب** وهو سيد الطير والنسر عريفها، وينقسم العقاب إلى ضربين هذا والثاني **الزمج**، وهو أشد الجوارح جرأة وأقواها حركة وأسرعها إقداماً وهو سريع الطيران فهو إن شاء كان فوق وإن شاء تحت وربما صاد حمر الوحش لأنه إذا نظرها رمى بنفسه في الماء حتى يبل ريشه ثم يتمرغ في التراب ثم يطير فيقع في هام الحمار ويصفق على عينيه بجناحيه فيملأهما تراباً فلا يبصر فيأخذه، إلى آخر ما أورده المؤلف وهو واسع طريف.

الصيد بغير جوارح

ومن أنواعه الصيد بالطرد على الخيل ومنه التصيد بالعدو والسعي بالأقدام والشراك والقنص والزبية والحبايل والرمي بالسهام وبالحيل وحتى بالغنا وغير ذلك، وهذا الباب واسع الفصول غني المادة.

ما يصاد من ذوات الأربع وغيرها

أوردها المؤلف مرتبة على حروف الهجاء، وهي هنا دون شرح إذ الكلام فيها واسع متشعب الأطراف:

أرنب، أروية، أيل، بقر الوحش، ثعلب، جراد، حبارى، حجل، حمار وحشي، حمام ومن أنواعه: (فاختة، ورشان، قطا، دراج)، دلدل، دلوا، الزاغ، شقراق، ضب، ضبع، ظليم، عصفور، ابن عرس، القبح، القنفذ، الكركي، كروان، ابن مقرض، المها، النحام، النعام، النغر، هدهد، وبر، اليحمور، اليربوع.

وقد أطنب المؤلف في شرح هذه الحيوانات بما لا مزيد، وقد أبان عن اطلاع واسع من حيث كثرة المصادر التي رجع إليها، وربما رجع في النقل في شرح حيوان واحد إلى ما يزيد على عشرين مصنفاً، وختم فصله هذا ببيان صيد البحر.

أحكام الصيد الفقهية

هذا الباب من أوسع أبواب الكتاب وقد شغل من الكتاب نحو سبعين صفحة وأطال فيه النقل والتوسع في شرح المسائل التي تتعرض لكل من يقوم بالصيد، ولا غرابة في ذلك فالمؤلف عالم جمع بين الفقه والأدب وله في الفقه عدة كتب قيمة ذكرناها في كتابنا (**المصادر**)، وقد بحث في أول هذا الباب عن ملابسات الذبح والتذكية فأشبع الموضوع وتعرض لمسائل فقهية نادرة ربما لا توجد في كتاب غيره.

وهذا الفصل وحده استغرق نحو خمسين صفحة. ثم تعرض لصيد الحيوان ومشروعيته وصيد المحرم وما يتعلق به من أحكام، وحكم الصيد بآلات معضوبة إلى غير ذلك من مسائل ونوادر يزخر بها الكتاب.

حكايات الصيد والصيّاد

وهذا الفصل احتوى على سبعين حكاية جرت للصيادين في صيدهم وكلها تتعلق بأخبارهم وقصصهم وأغلبها **واقعية** نقلها من كتب أدبية وتاريخية **موثوق** بها، وربما انفرد المؤلف عن سائر كتب الصيد بهذه الناحية.

الصيد في الشعر العربي

خاتمة أبواب هذا الكتاب الكبير باب جعله في «ما قيل في الجوارح من النظم البديع والشعر البليغ» ويقول في أول هذا الباب:

«والأشعار في الجوارح كثيرة جداً لعلها تبلغ مجلداً ولنقتصر على النزر القليل الذي يدل على النظم».

ثم نقل أشعاراً في الصيد **لأبي نواس وابن المعتز وابن خفاجة والمتنبي والناشي وكشاجم** وآخرون يزخر بهم كتاب انتهاز الفرص.



علوم اجتماعية

أ

الاجتماع (علم) :

العلم الذي يعنى بدراسة **السلوك الاجتماعي** دراسة علمية ، أو بدراسة **الفعل الاجتماعي** للكائنات الإنسانية دراسة قائمة على أسس منهجية . هذا ويهتم علم الاجتماع ، إلى جانب بناء الهياكل النظرية ، بإجراء الدراسات التطبيقية على المجتمع المحلي ، وعلى القيم والمعايير ، وعلى ذلك فعلم الاجتماع هو دراسة الجماعات الاجتماعية ، أو دراسة الفعل الاجتماعي ، ويعتبر العلامة **ابن خلدون هو المؤسس الأول لهذا العلم** ، ومن بعده يجيء **العالم الفرنسي أوجست كونت** في العهد الحديث .



بحث اجتماعي :

يهتم علم الاجتماع بتغير المواقف الاجتماعية ، ومحاولة توجيهها توجيهاً إصلاحياً ، والبحث الاجتماعي ، الذي يكون عادة بحثاً مقترناً بالإصلاح ، يستهدف هذه الغاية ، ففي ذات الوقت الذي يسعى فيه للحصول على **البيانات والإحصاءات** ، يحاول أن يقوم بوظيفة **الإصلاح** ، أو اقتراح **الحلول** .



تعاون :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى **العمل العام لتحقيق أهداف مشتركة** والقيام بأنشطة مترابطة ومتشابهة في صورة جماعية ، وذلك من خلال تقسيم العمل إلى مهام متشابهة وأخرى متباينة ؛ ويكتسب هذا المصطلح أهميته الخاصة في علم الاجتماع ، باعتبار أنه يشير إلى عملية اجتماعية أساسية فيما **يتعلق بالعلاقات بين الأفراد وبين الجماعات** .



ثقافة :

أسلوب الحياة السائد في أي مجتمع بشري ، والاستخدام العلمي للكلمة لا يعني التهذيب أو تقدم المعرفة ، ومنذ البدايات الأولى للجنس البشري ،

والثقافة أهم ما يميز المجتمع الإنساني عن التجمعات الحيوانية ، فعادات الجماعة وأفكارها واتجاهاتها تستمد من **التاريخ** ، وتنتقل تراثاً اجتماعياً إلى الأجيال المتعاقبة .



جمعية :

جماعة ذات تنظيم مستمر لمدة معينة أو غير معينة ، تتألف من عدد من الأشخاص ، **وتكون طبيعية أو اعتبارية لغرض غير الحصول على ربح مادي** ، وتعتبر الجمعية ذات نفع عام إذا صدر قرار باعتبارها جمعية اجتماعية ، أو جماعة اجتماعية ، ويترتب على منح هذه الصفة ثبوت بعض الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الأشخاص بالاعتبارية العامة .



حركة اجتماعية :

يشير هذا المصطلح إلى الجهد الملموس الذي تبذله جماعة اجتماعية معينة من أجل الوصول إلى **هدف مشترك أو مجموعة من الأهداف العامة** ، ويتجه هذا الجهد نحو تدعيم أو تعديل بعض المواقف الاجتماعية ، بما يعود بالفائدة على الصالح العام .



خدمة اجتماعية :

تهتم الخدمة الاجتماعية باعتبارها مجالا مهنياً متخصصاً بتطبيق **المبادئ السوسيولوجية والسيكولوجية** لحل مشكلات مجتمعية ذات طبيعة خاصة ، وللتخفيف من حدة بعض المشكلات الفردية ، ومن ثم فإن الأخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون في حقل الخدمة الاجتماعية ، يهتمون بمعالجة العديد من المشكلات المتصلة بتوافق التنظيم الاجتماعي ، وحسن أدائه لوظيفته في المجتمع .



ديموجرافيا (علم السكان) :

فرع من فروع علم الاجتماع ، **يهتم بالسكان من حيث الحجم أو الكثافة** ، وما يطرأ على ذلك من تغير ، والأسلوب الذي حدث به هذا التغير ، سواء كان ذلك عن طريق زيادة معدلات **المواليد** أو **الوفيات** أو **الهجرة** أو **الكوارث الطبيعية** ، وغالباً ما تكون المناهج المستخدمة في هذا العلم ، مناهج إحصائية كمية ، تعتمد على أساليب فنية متخصصة .



الذوق العام :

مجموعة **الطرق والعادات الشعبية** التي تنظم السلوك الملائم في المجتمع ، وهي سمة شعبية عامة ، تنتشر في المجتمع كوسيلة من وسائل **الضبط الاجتماعي** ، بحيث تنظم العلاقات الخارجية للأفراد مع الجماعات ، وبالتالي تنظم الحرية الخارجية .



روح الجماعة :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى **شعور أعضاء الجماعة بالوحدة والارتباط الوثيق** ، وتتجلى مظاهر روح الجماعة في توحد أعضائها ، واهتمامهم بمصالحهم المشتركة ، وشعور كل منهم بالانتماء إلى الآخر ، وشعورهم جميعاً بالانتماء إلى المجتمع من خلال إحساسهم بالهدف العام المشترك .



زواج :

علاقة يقرها العرف والدين بين شخصين من جنسين مختلفين في شكل زوج وزوجة لتكوين عائلة جديدة ، بحيث أن الأولاد الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقة يعتبرون أبناء شرعيين لكلا الطرفين .



سلوك جمعي :

هو نتيجة مباشرة لمواقف معينة ، تتميز بالتفاعل الواضح بين الأفراد ، فتظهر **الدوافع والنزعات** ، وتنتشر وتنتظم وتتحرك في اتجاه بعينه ، ويفسر علماء الاجتماع **السلوك الجمعي** بإرجاعه إلى الانتشار والعدوى ، وذلك

بوصفه تعبيراً عن تقارب الأفراد في الميول والاستعدادات والأفكار والآمال والأهداف .



شجرة العائلة :

دليل مكتوب أو غير مكتوب يوضح التسلسل القرابي لشخص أو جماعة ، ويحتوي على **بيانات** تعد صحيحة من الناحية التاريخية ، وتعد معرفة **شجرة النسب** ضرورية في معظم المجتمعات لفهم أنساق القرابة .



صيغة ثقافية :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى أن **الصيغة الثقافية** تعبر عن **الثقافة الظاهرة** ، على العكس من مصطلح نمط الثقافة ، الذي يشير إلى الثقافة الكامنة أو غير الظاهرة ، ومعنى هذا أن الأنماط هي صور ثقافية ، أما الصيغ فهي العلاقات المتبادلة بين هذه الصور .



ضمير جمعي :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى نسق محدد من المعتقدات والمشاعر والأحاسيس العامة لدى أفراد المجتمع ، وهو في نظر علماء الاجتماع بمثابة **عقل جماعي في المجتمع ، وقد يستخدم مصطلح الضمير الجمعي للدلالات على الثقافة** ، فهو يربط بين الأجيال ، باعتباره محصلة للقيم والمشاعر المشتركة .



طوعية :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى أية نظرية تؤكد أهمية الاختيار ، والقرار ، والهدف ، والمعايير في **الفعل الاجتماعي** ، والطوعية بوجه عام ، تعني أن كافة الظواهر الاجتماعية إنما ترجع أصلاً إلى الإرادة الإنسانية .



ظاهرة اجتماعية :

يستخدم هذا المصطلح في **وصف موضوعات البحث الاجتماعي** ، على افتراض أن الخصائص الرئيسية للشخصية الإنسانية ، تقتضي من الناحيتين . . المنطقية والسببية وجود سياق اجتماعي ، وتنطلق الظاهرة الاجتماعية من القاعدة القائلة بأن المجتمعات لا يمكن أن تكون أشياء مستقلة عن الأفراد الذين يؤلفون هذه المجتمعات .



عقد اجتماعي :

اتفاق . . يقال إن الناس تخلوا بمقتضاه عن حالة الفطرة ليكونوا المجتمع الذي يعيشون فيه الآن ، وعلى ذلك فإنه بمقتضى العقد الاجتماعي تخلى الناس عن حرياتهم الطبيعية ، ليتمتعوا بالنظام والأمن اللذين توفرهما لهم **الدولة** . وقد صاغ نظرية العقد الاجتماعي عدد من الفلاسفة على رأسهم توماس **هوبز** ، وجون **لوك** ، وجان جاك **روسو** .



غوغاء :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى أية **جماعة غير منظمة** يتفاعل أفرادها بشدة ، ويخضع سلوكهم للإيحاء والانفعال لا للمنطق أو العقل ، والجمهور أكثر تنظيماً وتعقلاً من الغوغاء .



فئة اجتماعية :

جمع من أشخاص غير منتظم في نسق من أجل التفاعل الاجتماعي ، وهو بذلك لا يكون جماعة ، ولكنه يحظى بخصائص أو صفات اجتماعية ، ومن

الأمثلة على الفئات الاجتماعية . . **النساء العاملات ، والمسنون ، والذكور ، والإناث ، والفتيان والفتيات** تحت سن العشرين ، ومن ثم يمكن تصنيف مثل هؤلاء الأشخاص بوصفهم أعضاء فئة اجتماعية مشتركة ، دون أن يكون لديهم إحساس بالكيان المشترك .



قياس اجتماعي :

الدراسة الكمية للخصائص السيكلوجية للجماعات ، وللعلاقات المتبادلة بين أعضاء جماعة ما ، ولقد وضع أسس القياس الاجتماعي **العالم مورينو** ، وكان يقصد به دراسة ما يدركه أعضاء الجماعة في الجماعة الآخرين ، وما يشعرون به إزاء بعضهم بعضاً من مشاعر وأحاسيس .



كثافة السكان :

يقصد به **الحجم النسبي للسكان** بالإضافة إلى **المساحة** التي يشغلونها ، وغالباً ما يشار إلى كثافة السكان في ضوء من يسكنون وحدة أرضية معينة ، تقاس بالميل المربع أو الكيلومتر المربع ، وعكس كثافة السكان ، خفة السكان .



لغـــة :

في علم الاجتماع ، هي **وسيلة الاتصال بين البشر** وبين أفراد الجماعة ، وذلك على هيئة **أصوات منظمة** ، وهي السمة الفريدة التي يتميز بها الجنس البشري ولا يكاد علماء الاجتماع يعلمون شيئاً عن **أصل نشأة اللغة** ، غير أنهم يعتقدون أن الناس ظلوا يستخدمونها منذ أمد بعيد إذا قورن تاريخ الكتابة الذي لا يجاوز **٦٥٠٠ سنة** ، عد ضئيلاً بالنسبة لنشأة اللغة .



مسح اجتماعي :

محاولة منظمة للحصول على **معلومات من جمهور معين أو عينة بالذات** ، عن طريق استخدام استمارات البحث أو المقابلات ، ومن ثم فإن الوظيفة الأساسية للمسح الاجتماعي هي توفير المعلومات حول موقف أو مجتمع أو جماعة . وهو أدخل في باب **البحث الميداني الوصفي** الذي يتضمن بيانات كمية عن مشكلة اجتماعية معينة .



نقابة :

طائفة اجتماعية تمارس ذات العمل أو الحرفة ، وتتخذ أشكالا مختلفة باختلاف المجتمعات ، وتحكم النقابة عدة معايير ، أهمها الهيئة التي يتألف منها أفراد النقابة ، **والأهداف** التي تسعى النقابة إلى تحقيقها ، والبيئة التي تمارس النقابة فيها نشاطها . ولقد تطور مفهوم النقابة ، فأصبح يشمل فئات مختلفة من العاملين وأصحاب المهن التقنية العليا .



هجرة خارجية :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى **زحف أفراد أو جماعات تاركة موطنها الأصلي إلى موطن آخر** ، لكي تجعل منه مكاناً جديداً للإقامة الدائمة ، وتعتبر **الهجرة الخارجية هجرة دولية** ، لأنها تقوم على الهجرة من دولة إلى دولة أخرى .



وراثة اجتماعية :

مصطلح في علم الاجتماع ، يشير إلى انتقال نماذج الشخصية والتقاليد الثقافية من **الآباء إلى الأبناء** ، ومن جيل إلى جيل آخر ، عن طريق التنشئة الاجتماعية ، وتعتبر هذه العملية على جانب كبير من الضرورة بالنسبة للاستمرار الإنساني والتواصل البشري .



يوتوبيا :

اليوتوبيا أو **المدن الفاضلة** بوجه عام ، عبارة عن سلسلة من أعمال النقد الاجتماعي في إطار محاولة لتصور مجتمع خيالي أو مدينة فاضلة ، ومن مزاياها بالنسبة لعلم الاجتماع ، أنها تسمح بانطلاق الفكر في تصور ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع ، وما يجب أن تكون عليه الجماعة .

مناقشات

وتعليقات

الصهيونية واليهودية

يعتمد الفكر الصهيوني على ثلاثة مفاهيم أيديولوجية هي :

١ ـ **الصهيونية** وهي حركة شعب الله المختار .

٢ ـ **إسرائيل** : الأرض الموعودة .

٣ ـ **التوراة** : الرسالة الثقافية والدينية .

إضافة إلى مفهومين حضاريين :

١ ـ الاعتماد على الربط الوشائجي بين الفكر الصهيوني المعاصر والفكر التوراتي القديم .

٢ ـ إعطاء كل اكتشاف أثري في الوطن العربي الصفة الصهيونية لتأكيد الامتداد التاريخي لدولة إسرائيل . وكان آخر هذه المحاولات ، إثبات أن « **إيبلا** » صهيونية . على أن شذاذ الآفاق قد استطاعوا أن ينقلوا ثلاثة من هذه المفاهيم من طور التخطيط إلى مرحلة التحقيق . فقد قامت دولة إسرائيل ، ونمت الحركة الصهيونية . كما استطاعوا أن يربطوا أنفسهم بالفكر التوراتي القديم .

وما دفعني إلى كتابة هذه الأسطر هو المقال الذي كتبه **الدكتور حسن الشرقاوي** في مجلتكم **تحت عنوان « نحو علم نفس إسلامي »** . يقول الدكتور الكريم في مقاله وهو يحاول أن يلخص ما جاء به أصحاب **مدرسة التحليل النفسي** : إن هناك قانوناً يحكم دنيا النفس الإنسانية ، أسموه قانون الغاب ، ومؤدى هذا القانون أن النفس في حاجة مستمرة إلى إشباعات غريزية ولا تتوقف أبداً عن محاولة تحقيقها سواء بالطرق السوية أو بالعمليات التحويلية .

ثم يصل الكاتب إلى نتيجة وهي أن **فرويد** يعتبر أن أصحاب مكارم الأخلاق مرضى نفسيون ، وأن تظاهرهم بالتقوى وبالمحافظة على المثل العليا والقيم ، إنما هي أقنعة يخفون خلفها نواياهم الذئبية ، وأهدافهم الشهوانية . وفي نظر هؤلاء فإن الصحة النفسية إنما تتم عندما لا توجد عوائق تحول دون إشباع غرائز الإنسان الحيوانية ، أو أبواب مغلقة تمنع من النفاذ إلى تحقيق الحاجات **البيولوجية** العاجلة .

ثم يتوصل الكاتب إلى قناعة أكيدة وهي صلة فكر وآراء واتجاهات فرويد بالصهيونية من خلال استشهاده بكتاب « **بروتوكولات حكماء صهيون** » ، وأن فرويد ومن خلفه اليهود يروجون لمثل هذه الأفكار لنشر الفساد بين البشر فتنحل القيم الأخلاقية ، وعندئذ يسود اليهود العالم فيتحكمون به وفق ما يرغبون .

على أننا لو تحرينا الدقة الموضوعية لوجدنا أن فرويد ـ وإن كان يهودياً ـ لا يمت إلى الصهيونية بأية صلة ، ولا إلى الفكر الصهيوني .

والإلتباس الذي وقع فيه الكاتب ـ ويقع فيه بعض الباحثين ـ يدل على أنه يؤكد أن الفكر الصهيوني المعاصر وغير المعاصر ، هو نسخة مكررة عن الفكر اليهودي في صورته التوراتية ، وأن الحركة الصهيونية لا تعدو أن تكون تجسيداً لليهودية بشكل أو بآخر .

ويفهم أيضاً على أن **التحليل النفسي** الذي أوجده فرويد ومن جاء من بعده من تلامذته ، كان مرافقاً لظهور الحركة الصهيونية وبالفكر الصهيوني ، وأنه من أجل ذلك روجت له الدعاية الصهيونية لنشر مفاهيمه .

ونتيجة القول أنه من المحتم علينا أن نفرق بين الصهيونية واليهودية بدلائل كثيرة منها :

١ ـ الكثير من الصهيونيين ليسوا متدينين ، بل إنهم حتى لا يؤمنون بوجود الله .

٢ ـ القوميات المتعددة لليهود .

٣ ـ عدم معرفة جميع اليهود **للغة العبرية** .

٤ ـ الكثير من اليهود ، وخاصة في **فرنسا وبريطانيا** ، وحتى في أميركا ، عارضوا قيام دولة إسرائيلية ، وسمي هؤلاء اليهود **بالإندماجيين** .

علينا أن لا نعمم فنعتبر أن كل ما هو يهودي يكون بالضرورة صهيوني . فنقول إن **أينشتين** صهيوني مثلاً .. ثم نقول إن فرويد أيضاً صهيوني .

ضرغام عارف سعيد
دمشق ـ سورية

تعقيب على ندوة التراث العربي

كنت ولا زلت من المعجبين بمجلة « **الفيصل** » الغراء ، ولا سيما بالباب الذي يسمى « **ندوة الشهر** » . ولقد سرني أن يكون هذا الباب قد خصص في العدد السادس والثلاثين الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠ هـ ، لموضوع « **التراث العربي** » ، وسرني أيضاً قول **الدكتور حسين فوزي النجار** في تعريف هذا التراث قوله : « .. وبالتالي يصبح التراث العربي كل ما كتب باللغة العربية بصرف النظر عن جنس كاتبه ، فإن الإسلام قد جبَّ هذا التقسيم وقطعه في جميع الشعوب القديمة التي فتحها وأشاع الإسلام فيها ، ولغة

مناقشات و تعليقات

الإسلام هي اللغة العربية التي صبغت الشعوب بصبغة واحدة هي الفكر الإسلامي». إلا أنني لاحظت أن الدكتور النجار قد ناقض نفسه عندما ساوى بين موقف **العثمانيين** المسلمين من تراثنا المجيد، وموقف **الإسبان والصليبيين والفرنسيين** ومن إليهم، عندما تحدث عن إحراق الآخرين لمكتبة **الأمير عبد القادر الجزائري** ومكتبة **جامعة الجزائر** والمكتبة الوطنية، فقال: «وكذلك فعل الإسبان في **المغرب** عام ١٢٧٢ هـ، ثم ما فعله الأتراك العثمانيون أثناء حكمهم للبلاد العربية، وما نهبوه (كذا) من كتب التراث العربي ونقلوه إلى بلادهم كي يبقى مجرد مخزون كتبي للتباهي به»!!

لا شك أن الدكتور النجار نسي ما سبق وقاله في الندوة نفسها من أن التراث العربي هو تراث المسلمين جميعاً بصرف النظر عن جنسية مؤلفه، ونسي أن العثمانيين كانوا لقرون عديدة حماة للإسلام وحملة للتراث الإسلامي، وأن جمعهم لكتب التراث لا يمكن أن يسمى «نهباً»، بل كان جمعاً وحفظاً. **وبالفعل فإن ما حفظه لنا العثمانيون يبلغ مئات الألوف من المخطوطات العربية النادرة التي تزخر بها مكتبات استانبول وغيرها من المدن التابعة حالياً للدولة التركية**، وأن **المكتبة السليمانية** وحدها تضم ما يزيد على ٢٠٠ ألف مخطوط محفوظة بأحسن أسلوب، بل وتلقى من العناية والرعاية ما لا مثيل له في أرقى المكتبات، مما يرهق الميزانية المتعبة للدولة التركية الفقيرة. وأن هذه المخطوطات معدة لاستعمال الباحثين القادمين من مختلف أنحاء العالم.

ثم إننا لم نسمع قط أن أحداً من الخلفاء العثمانيين أو ولاتهم قد أمر بنهب الكتب. أما تجمّعها في تركيا، وفي استانبول بالذات، فهو أمر طبيعي إذ **كانت الآستانة عاصمة للخلافة الإسلامية**، حيث يتجمع العلماء والباحثون. ومن الطبيعي جداً أن يتبارى سكان العاصمة لاقتناء الكتب واستنساخها بالوجه الشرعي، أسوة بما فعله قبلهم إخوانهم من أهل **بغداد وقرطبة والقاهرة**. ثم إن كثيراً من علماء البلاد الإسلامية نقلوا مكان إقامتهم إلى تلك العاصمة، ولا بد أنهم نقلوا كتبهم معهم مما أدى إلى تجمع تلك الكتب هناك.

وفضلاً عن ذلك فإن الأتراك المسلمين هم شركاء في هذا التراث، وقد برز بينهم عدد غير قليل من أكابر الفلاسفة والعلماء وفي مقدمتهم **الفارابي وابن سينا**. وعلى هذا الأساس فإن الأتراك، مثلهم مثل غيرهم من المسلمين من عرب وفرس وهنود، يملكون فيه ما يملكه غيرهم. ولذلك لا يمكن أن يتهم المالك «بنهب» ممتلكاته!!

ثم إن تجمع المخطوطات في عاصمة الخلافة ــ كما سبق وبينت ــ أمر جد طبيعي، ولا غرابة فيه، فقد حصل مثل ذلك يوم سقطت **بغداد** على أيدي **المغول** عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، وانتقلت الخلافة إلى مصر، إذ نجد أن من سلم من القتل من علماء العراق اتجهوا إلى القاهرة حاملين معهم ما استنقذوه من كتب إلى العاصمة الجديدة، وبذلك قدموا مساهمة كبيرة في **النهضة العلمية** التي شهدتها مصر في **عهد المماليك**، فهل يحق لنا هنا أن نتهم المماليك «بنهب» التراث العراقي؟! طبعاً لا. ولذلك فإن من الطبيعي جداً أن يتجه العلماء إلى الآستانة عقب تحول عاصمة الخلافة من القاهرة إليها، كما تنتقل الكتب إلى تلك المدنية، لأن العاصمة تستقطب عادة أهل النشاط العلمي، وأن وجود العلماء فيها وتراكم الكتب يهيئان فرصة كبيرة لمن يرتادها من مختلف أقاليم الخلافة، وبذلك تكون الفائدة أعم وأشمل.

ونقطة أخرى أود أن أنبه الدكتور النجار إليها، هي **أن الكتب العربية التي تجمعت في تركيا لم تكن «مجرد مخزون كتبي للتباهي به»، بل إنها استخدمت في مئات المدارس «الكليات» التي عمت أنحاء البلاد، ويكفي أن نقول بأن العثمانيين بدأوا في إنشاء المدارس منذ وطئت أقدامهم أرض آسيا الصغرى وحتى قبل فتح القسطنطينية**، فبنى السلطان أورهان (**أورخان**) أول تلك المدارس، وتبعه أخوه **سليمان باشا** فبنى مدرسة في **مدينة** «**إزنك**» سنة ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦ م، كما بنى **مراد الأول بن أورهان** مدرسة أخرى على طراز مدارس بغداد. وبعد فتح استانبول سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م، بادر **السلطان محمد الفاتح** ببناء المدارس، فأحاط جامعه الكبير بثماني مدارس، إلا أن الجامعة التي أنشأها **السلطان سليمان القانوني** سنة ٩٦٥ هـ/ ١٥٥٧ م، كانت أكثر المؤسسات العثمانية فخامة بمبانيها ذات الخمسمائة قبة. وكانت هذه القباب تعلو المدارس والمكتبات ومساكن الطلبة، وكان من ضمنها كلية للطب ومعهد للدراسات العليا، فضلاً عن المدارس التي بناها هذا السلطان في بقاع أخرى من بلاد الخلافة، ومنها مدرسته الكبرى التي أنشأها في **مكة المكرمة** بأربعة أقسام، خصص كل قسم منها لفقهاء مذهب من المذاهب الأربعة، أسوة **بالمدرسة المستنصرية ببغداد**. كما أن رئيس وزرائه **رستم باشا** أنشأ مدرسة مماثلة في **المدينة المنورة**. هذا وقد بنى بقية السلاطين والوزراء والولاة عدداً كبيراً من المدارس في مختلف أنحاء الدولة، منها كلية الطب التي أنشأها **السلطان بايزيد الثاني** في **أدرنه** سنة ٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤ م، ومنها مدرسة **السلطان سليم الثاني** في الإسكندرية وغيرها.

ولقد استمرت حركة بناء المدارس خلال القرون التالية إلى آخر العهد العثماني (انظر بشأن مباني تلك المدارس مما هو باق إلى الآن:

Godfrey Goodwin: Ottoman Turkey, Islamic Architecture, London (977).

والحق أن تجمع الكتب في الآستانة كان له مردود كبير، ويكفي

مناقشات وتعليقات

أن نتذكر تلك الموسوعات العظيمة التي صنفت فيها وتناولت التراث الإسلامي، مثل كتاب «**مفتاح السعادة**» تأليف **طاش كوبري زاده**، وكتاب «**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**» تصنيف **حاجي خليفة** (وهو أشهر من أن يعرف)، إذ حفظ لنا أسماء الكتب التي صنفها علماؤنا في مختلف العصور والأقطار، وبواسطته تعرفنا على الضائع منها، وقد انتفع به «**بروكلمان**» في كتابه المشهور «**تاريخ آداب اللغة العربية**». وهناك أيضاً كتاب «**إيضاح المكنون**» وهو ذيل لكتاب

«**كشف الظنون**» آنف الذكر، وقد صنفه **إسماعيل باشا البغدادي** (من علماء الدولة العثمانية)، ولهذا الأخير مصنف قيم هو «**هدية العارفين**» تناول فيه أسماء المؤلفين المسلمين منذ القدم حتى عصره، وقد حذا حذوه **الأستاذ عمر رضا كحالة** في كتابه القيم «**معجم المؤلفين**»

ونسج على منواله. وهكذا فإن تجمع الكتب في الآستانة ــ كما بينت ــ لم يكن «مجرد مخزون كتبي للتباهي به». وعلاوة على ذلك فإن مطابع الآستانة، ولا سيما **مطبعة «الجوائب»** كانت من المؤسسات الرائدة في نشر كتب التراث باللغة العربية نفسها.

ولقد كان هذا التراث «المنهوب» الأساس الذي بنى عليه العلامة التركي **الدكتور فؤاد سيزكين** دراساته، وقد أفنى حياته في تلك الدراسة وفي الغوص في أعماق ذلك التراث، فصنف بالاعتماد عليه كتابه القيم الضخم «**تاريخ آداب اللغة العربية**»[1] الذي صدرت منه حتى الآن ستة أجزاء،

وستتبعها أجزاء عديدة أخرى. وقد أخرجه باللغة الألمانية لكي يقف العالم ــ غربيه وشرقيه ــ على ما قدمه المسلمون من إنجازات رائعة في ميادين العلم والأدب، انتفع بها سكان هذا العالم في كل مكان. **وقد استحق الدكتور فؤاد سيزكين ــ وبكل جدارة ــ على هذا الجهد العلمي العظيم، جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية.**

هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فقد تضمنت الندوة رأياً للسيد **أبو السعود إبراهيم** حول قيام «**معهد المخطوطات**» التابع لجامعة الدول العربية بتصوير المخطوطات، إذ قال عن هذا الجهد: «لا يمكن الاستفادة منه، لأنه يجب أن تسبق عملية تصوير **المخطوطات فهرستها** وتكثيف للمخطوطات حتى يمكن الرجوع إليه ..».

وأقول في هذا الصدد إن حملة التصوير التي قامت بها جامعة الدول العربية لم تقتصر ــ كما توهم السيد أبو السعود ــ على **إسبانيا واليمن** فقط، وإنما كانت لمعهد المخطوطات جولات واسعة شملت الكثير من أقطار العالم بينها **تركيا والهند وإيران والمغرب** وغيرها. ثم إن هذا المعهد لم يكتف بالتصوير، وإنما قام بفهرسة موجزة للمخطوطات التي تم تصويرها، وإن غالب فهارسه مطبوعة، وبوسع الباحثين الاستفادة منها.

أما الرأي القائل بعدم جدوى التصوير إلا بعد الفهرسة، فهو رأي غريب جداً إذ بالإمكان القيام بالعمليتين في آن واحد ولا تعارض بينهما، بل على العكس فإن العملية الواحدة تكمل أختها، إذ كانت بعثات معهد المخطوطات تضم خبراء بالمخطوطات علاوة على المصورين، وكان الأولون يتفحصون المخطوطات في المكتبات التي يزورونها ويتخيرون منها ما يظنون أنه يستحق التصوير لأسباب يرونها، وأنهم أثناء عملية الاختيار هذه، كانوا يدوّنون المعلومات الأساسية المطلوبة للفهرسة. والحقيقة إن عملية التصوير ــ في نظري ــ أهم من الفهرسة، لأننا بالتصوير نكون قد ضمنّا الحياة لمخطوط قد يتعرض للتلف أو الحريق أو السرقة، لا سمح الله. كما أننا بتصويرنا للمخطوط نكون قد هيأنا الخطوة الأولى في سبيل الانتفاع به، إذ يصبح بالإمكان إخراج نسخ منه بيسر وسهولة، في حين أنه لو لم يتم تصويره، لبقي مجهولا بعيداً عن متناول الباحثين، خصوصاً وأن كثيراً من المخطوطات المصورة محفوظة بالأصل في مكتبات خاصة لا تتوفر فيها وسائل التصوير، فضلاً عن كون الاتصال بأربابها (أي أرباب تلك المكتبات) يعد بحكم المستحيل في بعض الأحيان. ولهذا فإن **الخدمة التي قدمها معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية، هي خدمة جليلة يستحق عليها المعهد الشكر والامتنان.**

هذا ما عنَّ لي من ملاحظات أثناء قراءتي لندوة الشهر عن «التراث العربي» أردت أن أشرك قراء «**الفيصل**» فيها، آملاً أن أكون قد ساهمت في إيضاح بعض النقاط المتعلقة بهذا التراث المجيد، والله ولي التوفيق.

د. سامي الصقار
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ
في كلية الآداب بجامعة الرياض

الهوامش

(١) المجلة: اسم الكتاب «تاريخ التراث العربي».

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارىء آفاقا أوسع وأرحب وابعد مدى».



تاريخ مكة

تأليف الأستاذ **أحمد السباعي**، وهو عبارة عن دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران بأسلوب يتلاءم وروح العصر ابتداء من تاريخ نشأة مكة المكرمة وما مرت عليها من حقب وأحداث في مختلف العصور ومختلف العهود. يقع الكتاب في ٧٠٤ صفحات من القطع المتوسط وهذه طبعته الرابعة – من **مطبوعات نادي مكة الثقافي**.

كيف تكتب بحثاً جامعياً

تأليف الدكتور عبد العزيز شرف والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، يحاولان إلقاء الضوء فيه على جملة من المسائل المتعلقة بفن كتابة الأبحاث والرسائل ويتيحان للطالب فرصة الاجتهاد من خلال الإلمام العام الذي توحي به قراءة هذا الكتاب. يقع في ١٠٠ صفحة من القطع المتوسط. **إصدار مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ – شارع محمد فريد – القاهرة**.

حقوق المرأة في الإسلام

تأليف **محمد بن عبد الله ابن سليمان عرفة**، يعرض فيه وجهة نظر الإسلام ويوضح ما أعطاه الإسلام للمرأة وما كفله لها من حقوق وما حملها من واجبات والتزامات، إضافة إلى ما منحه الإسلام للمرأة من تقدير واعتزاز إما بنص من القرآن والسنّة وإما بواقعه حال من حياة السلف أو من أقوالهم. يقع الكتاب في ٢٨٦ صفحة من القطع المتوسط، صدر عن **مطبعة المدني – المؤسسة السعودية بالقاهرة**.

مؤلفات الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

(١)

(٢)

(٣)

(١) الموجز في الطب والعلوم

يتناول فيه المؤلف بإيجاز ما أضافه العرب إلى الطب والعلوم المتعلقة به وينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول تعريف الطب العربي والأطباء العرب. والثاني علوم التشريح والجراحة وطب الأطفال والكيمياء والصيدلة. والثالث خصائص الأسلوب العلمي للأطباء العرب ونظام المستشفيات وكليات الطب. يقع في ١٤٢ صفحة من القطع المتوسط. **مطبعة الإرشاد – بغداد**.

(٢) رسالة في أمراض الأطفال

تأليف **أبي بكر الرازي** نقلها إلى الإنكليزية **صموئيل أكس. رادبل** وإلى العربية الدكتور **محمود الحاج قاسم محمد**، يضم أربعة وعشرين باباً لأمراض مختلفة من أمراض الأطفال من بينها القروح التي تصيبهم، وجريان السم في الأذن، وأمراض العين، وشلل الأطفال وغير ذلك من الأمراض ويضع العلاج المناسب لها. تقع الرسالة في ١٩ صفحة من القطع المتوسط – **صدرت عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية العراقية – بغداد**.

(٣) الأم والطفل

دراسة من تنظيم **الاتحاد العام لنساء العراق وجامعة البصرة**، يتناول بالدراسة حالة الأم والطفل بين الحمل والولادة عند أحمد بن محمد البلدي أحد الأطباء العرب المسلمين قبل ألف سنة والذي لم تقتصر مهاراته في طب الأطفال على عصره فقط بل امتدت حتى عصر **النهضة الأوروبية الحديثة**. تقع في ١٩ صفحة من الحجم المتوسط.

الصقور

العدد الثالث من المجلة الدورية التي تصدرها **كلية الملك فيصل الجوية** مع تخرج كل دورة. هذه المجلة تعنى بشؤون الطيران والثقافة وتضم مجموعة من الموضوعات المدعمة بالصور وبالرسومات الايضاحية إلى جانب ملحق باللغة الإنجليزية، وتقع في ١٦٠ صفحة من الحجم المتوسط.

دموع الوجد

للشاعر الشعبي **الحميدي نفجان الحربي**، كتب مقدمته الأستاذ **أحمد عبد الله السعد**، والديوان مع أنه باللهجة العامية إلا أن فيه ومضات تتجلى فيها روح الشاعر وصدق معاناته. يقع في ١٤٥ صفحة من القطع المتوسط، صادر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون – الرياض**.

ألف باء اللزوميات

ديوان للشاعر اليمني **أحمد بن محمد الشامي**، وقد تقيد في لزومياته هذه بقيود والتزامات **أبي العلاء المعري** إلا أنه سمح لنفسه أن يروغ عن مواضيعه أحياناً وأعطى شاعريته حرية الهيمان في أودية الشعر والبيان مع تضمينه لسجل حياته وتجاربه. يقع الديوان في ١٦٣ صفحة من القطع الصغير. صادر عن **دار النفائس – بيروت**.

على مشارف القرن ١٥ الهجري

دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، تأليف **إبراهيم بن علي الوزير**، يوجهه إلى الأجيال المسلمة في القرن الخامس عشر الهجري الذي تدق ساعته الكونية مؤذنة بقدومه وينادي فيه هذه الأجيال التي تمضي نحو المستقبل لتصغي إلى دروس التاريخ وعبره وعظاته وقوارعه وتستخرج من معطياته الضوء الذي يجنبها العثار ومزالق الطريق. يقع في ١٨٢ صفحة من الحجم المتوسط. صادر عن **دار الشروق**.

للقـارئ

يهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد المشترك في المسابقة من المعلومات التي يحصل عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة ، كما يهمنا أن يقضي القارئ أو يعتاد على زيارة المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل زاداً ثقافياً .

وتأتي الفائدة من الفوز في المسابقة في الدرجة الثانية ، لأننا حين وضعنا المسابقة لم نكن نهدف للاغراء المادي بقدر ما كنا نهدف إلى استفادة القارئ ثقافياً . . والفوز يأتي نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ ، وبهذا ـ عند الفوز ـ يكون الكسب مرتين ، مرة الكسب الثقافي ، ومن ثم الكسب المادي ، ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن الكسب الثقافي لم يفته . وهو أكبر كسب . . لأن الحكمة تقول : « المال تحرسه ، والعلم يحرسك » .

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعنا من بين الشروط أنه من حق القارئ أن يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن يرفق قسيمتين كنا نعطي القارئ فرصة للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين ، ويختار في أي الإجابتين أصح .

لهذا فالمطلوب أن توضع كل إجابة مع قسيمتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة اللجنة في الفرز والاطلاع .

كما ننبه القارئ بأن تكون الإجابة على وجه واحد من الورق ، وبخط واضح وفي حدود المطلوب ، وأن يوضع رقم العدد على الظرف من الخارج ، لأننا لاحظنا أن هذه النقطة تفوت على بعض القراء ربما عن غير قصد . . وهذه الكلمة للتنبيه . . والله الموفق . . وهو من وراء القصد .

المجلة

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي . . موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

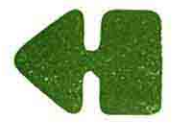
إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة . . وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

مم يتشكل الجزء الأكبر من الحرارة الأرضية ؟

السؤال الثاني :

شاعر أندلسي قال في محبوبته :

ما ضرّ إن لم نكن أكفاءه شرفاً ... ففي المودة كاف من تكافينا

ما اسم الشاعر .. وما اسم محبوبته ؟

السؤال الثالث :

تفرق الصبية جميعاً إلا صبياً واحداً سأله أمير المؤمنين : لماذا لم تهرب مع رفقائك ؟ فأجابه الصبي : يا أمير المؤمنين لم أفعل ذنباً فأخافك ، وليست الطريق ضيقة فأوسع لك . فسر أمير المؤمنين .

من أمير المؤمنين ؟ ومن الصبي ؟

السؤال الرابع :

ولد عام ٦٢ هـ ، ولما تولى الخلافة عام ٩٩ هـ ، صعد إلى المنبر ، وقال : « أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فاختاروا لأنفسكم » .

فصاح من في المسجد صيحة واحدة : « قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك » .

من هو؟

السؤال الخامس :

ما الفرق لغة بين العِبرة (بكسر العين) ، والعَبرة (بفتح العين) ؟

السؤال السادس :

كان شديد السواد ، وكان شاعراً .. من قوله :

فإن يك من لوني السواد فإنني ... لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه

ما اسم هذا الشاعر؟

السؤال السابع :

توفي حوالي ٩٠٠هـ .. ألف الشرح المشهور على ألفية ابن مالك في النحو وسماه « منهج السالك » .. ما اسمه ؟

السؤال الثامن :

اذكر خمسة من أسماء السفن عند العرب .

السؤال التاسع :

من المعروف أن للمادة ثلاث حالات هي : سائلة ، وغازية ، وصلبة ، وقد اكتشف العلماء حالة رابعة .. ما هي ؟

السؤال العاشر :

ما الوحدات الثلاث التي أشار إليها أرسطو في كتابه « فن الشعر » ، هذه الوحدات يشترطها البعض في القصة ، والرواية ، والمسرحية ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد ٤٤

الاســم : ------------------------------

المهنـة : ------------------------------

العنـوان : ------------------------------

أسماء الفائزين في مسابقة العدد السابع والثلاثين

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ محمد العمراني وعنوانه: نظارة أوقاف المرستان البطحاء، فاس — المغرب.

● وفازت **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي من الدمام الأخت أميرة عثمان عقيل.

● وفازت **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي من دمشق سورية الأخت سعاد خضر الغوراني.

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من الجزائر، ٢٢ نهج قديد صالح قسنطينة، الأخ درويش محمد بن محمد بن أحمد.

● من العراق — بغداد، الأخت ميعاد خليل الربيعي.

● من لبنان — بيروت، برج البراجنة قرب جامع العرب — فرن الشعب — الأخ خليل حسن فخر الدين.

● من الأردن — عمان، مدينة الحسين الطبية د. صلاح الدين شقير.

● من مصر — بور سعيد، الأخت بهية عبد الجليل عماشة.

● من تونس — مدنين، المعهد الفني بمدنين الأخ محمد بن محمد بوسفة.

● ومن الرياض — جامعة الرياض، عمادة شؤون المكتبات الأخ عبد الرحمن فهد الشقران.

أما الجوائز ذات الـ (٢٠٠) ريال سعودي فقد فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من السودان — النهود، الأخ مبارك زكريا عبد الله زكريا.

● من الإمارات العربية المتحدة — دبي، الأخ محمود توفيق سلمان.

● من البحرين — البسيتين، منزل رقم ١٠٩٥ ممر رقم ٢٧٣١ منطقة رقم ٢٢٧ الأخ محمود محمد عبد الله علي.

● من سورية — حماة، شارع سعيد بن العاص بناية مغربل وعثمان الأخ محمد الهزاع.

● من المغرب — مراكش، ثانوية يعقوب المنصور حي سيدي يوسف بن علي الأخ محمود صالح الفلاح.

● من الأردن — صويلح، ص. ب ٨٦ الأخ فخري عبد السلام عثمان.

● من مصر — طنطا، ٦ شارع محمود عفت متفرع من شارع سعيد أمام مدرسة الجمعية الأعدادية الأخ ممدوح عبد الرحيم محمود محمد.

● من لبنان — بعلبك، معسكر الجليل ثانوية الحكمة الأخ إبراهيم سعيد طلوزي.

● من تونس — صفاقس، المحرس الأخت سعاد شبشوب.

● من مصر — القاهرة، ٢٠١ شارع القائد كوبري القبة الأخ إبراهيم محمد زاهر.

● أجوبة مسابقة العدد السابع والثلاثين ●

ج ١ عثمان بن أبي العاص ابن بشر بن عبد بن دهمان، صحابي من ثقيف.. أسلم في وفد من جماعته.. جعله الرسول صلى الله عليه وسلم على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر الذي ولاه على «عُمان» و«البحرين».. منع ثقيفاً عن الردة، وخطب فيهم قائلاً: «كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً».

ج ٢ أسماء أصحاب الكتب التالية هم:

١ — أقرب الموارد: سعيد الشرتوني — معجم.

٢ — الجامع في الحديث: الإمام الترمزي — في الحديث.

٣ — الجامع في اللغة: الإمام (ابن القزاز محمد بن جعفر) معجم في اللغة.

٤ — الجمع بين العقل والنقل: ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) — تفسير الفقه والأصول والرد على الفلاسفة والمبتدعة.

٥ — التربيع والتدوير: الجاحظ — في السخرية اللاذعة.

ج ٣ جورج شارل دوهفري — عالم شهير اكتشف عنصر (الهفنيوم) مع ديرك كوستر.

ج ٤ المسك: مصدره حيواني نوع من الغزال. والعنبر: مصدره من الحوت.

ج ٥ المنائر العائمة نوع من السفن تبث الضوء للسفن الأخرى لإرشادها وتحذيرها من أخطار البحر والصخور والكثبان، وتنتشر في الأماكن التي لا تبنى فيها المنارات الثابتة.

ج ٦ نهر «تانا» في كينيا — شرق إفريقيا — يجري متجهاً نحو الجنوب الشرقي ويصب في المحيط الهندي.

وبحيرة «تانا» تقع في الجزء الشمالي الغربي من أثيوبيا، وهي منبع النيل الأزرق وتبلغ مساحتها ١١٥٠ م.

ج ٧ أبها: في السعودية، أبهر: مدينة بين قزوين وزنجان، لعبت دوراً مهماً في عهد السلجوقيين، أغمات: بلدة في المغرب جنوب مراكش، أفيان: في فرنسا على شاطئ بحيرة ليمان، زبيد: في اليمن الشمالية.

ج ٨ عقيل بن عبد مناف — أبي طالب — بن عبد المطلب الهاشمي القرشي كنيته (أبو يزيد) خرج مع قريش لقتال المسلمين كرهاً فأسره المسلمون، أسلم بعد (الحديبية)، ثم هاجر إلى المدينة سنة ٨ هجرية.. شهد غزوة مؤتة.

ج ٩ «إن البغاث بأرضنا يستنسر» مثل يضرب للعزيز إذا نزل عنده ذليل عزَّ به أو ضعيف صار قوياً.

«جنت على أهلها براقش» مثل وأصله أن قوماً كانوا هاربين من وجه الأعداء، وكان لهم كلبة يقال لها (براقش) فبينما هم يسيرون ليلاً نبحت، وكان الأعداء بالقرب منهم فاهتدوا اليهم بنباح الكلبة وأوقعوا بهم.

ج ١٠ عدد فقرات عنق الإنسان ٧، وفقراته الصدرية ١٢، والقطنية ٥.



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٥٤٣٠٢٦ - ٤٥٤٣٠٢٧

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4543026 - 4543027



EUROPE – AMERICA – ASIA

Delgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150

Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض